الغدير

في الكتاب والسنة والأدب

تأليف

عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

بمناسبة تشكيل معرض كتاب طهران
الدولي الاول
ربيع الاول ١٤٠٩

دار الكتب الاسلامية
تهران - بازار سلطاني



الغدير

في الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني. علمي. فني. تاريخي. أدبي. أخلاقي

مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنة وادباً

ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الأثارة

من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ

عبد الحسين احمد الأميني النجفي

نام كتاب : الغدير جلد ٧

تأليف : علامه امینی

ناشر : دار الكتب الاسلامية

تيراژ : ٢٠٠٠ نسخه

نوبت چاپ : دوم

چاپ : خورشید

تاریخ انتشار : ١٣٦٦

آدرس ناشر : تهران ـ بازار سلطانی ٤٨ دار الكتب الاسلامية

تلفن ٥٢٠٤١٠ ـ ٥٢٧٤٤٩

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أمل محقق و شكر متواصل

كنّا نأمل أن يكون نظر أعلام الأمّة والأساتذه المثقّفين في كتابنا هذا نظرة بسيطةً مجرّدةً عن عوامل النقمة ، معرّاةً عن تحيّزات وإنحيازات ، ليسهل التّفاهم ويتسنّى الوقوف على الحقيقة التي هي ضالّتنا المنشودة ، ويستتبع ذلك الوئام والسلام من أقرب طرقهما ، وأوصل الوسائل إليهما ؛ لأنّني لم أقصد (وشهيدي الله) غير الإصحار بالحقّ والدّعوة إليه .

وماقد يحسبه القارئ شدّة في البيان في (لعمر الله) صراحةٌ في القول ، وقوّةٌ في الحجّة ، لاقسوةٌ في الحجاج ، وقد عرف ذلك منّا شاعر الإهرام أستاذ الأدب و علم الإجتماع بكلية - البوليس - الملكيّة بالقاهرة محمّد عبد الغني حسن المصري ، و أعرب عنه بقوله من قصيدة يطري بها الكتاب ويصف مؤلّفه :

يشتدُّ في سبب الخصومة لهجةً ✿ لكن يرقُّ خليقةً و طباعا

و كذلك العلماء في أخلاقهم ✿ يتباعدون و يلتقون سراعا

لقد حقّق الله سبحانه هذا الأمل فوجدنا قرّاءنا الأكارم في ظنّنا الحسن بهم وحسبتُ أنهم وجدوني في ظنّهم الحسن بي - ولله الحمد - فجاء رجالات الأمّة حماة البيت الهاشمي الرفيع ، و أركان عرشه المعلّى و في مقدّمهم فخامة نوري باشا السعيد ، و فخامة السيّد صالح جبر ، و معالي السيّد نجيب الراوي - على ما بلغنا - يدافعون عن الكتاب جلبة كل مغفّل غير عارف بنفسيّات المؤلّف ، و ما انحنت عليه

أضالعه من الصالح العام ، فشكراً لهم ثمّ شكراً .

وقد انهالت علينا كلمات الثناء و جمل التقريظ والإطراء من شتّى النواحي ، و أقاصي البلاد وأدانيها ، ومن أُناس مختلفين في الآراء والنزعات ، لكن ذلك الخلاف لم يسفّ بهم إلى هوّة العصبيّة ، و لم يـزعهم عن المصارحة بالحقّ ، والأخذ بـالجامعة الدينيّة ، والتآخي في الله و في الدين - إنّما المؤمنون إخوة - فنحن كما قال شاعر الإهرام المذكور :

إنّا لتجمعنـا العقيدة أُمّةً ✿ و يضمّنا دين الهدى أتباعـا

و يؤلّـف الاسلام بين قلوبنا ✿ مهما ذهبنا في الهوى أشياعا

فمرحىً بها من غرائز كريمة ، ونوايا حسنة ، و نفسيات نزيهة ، بعثتهم إلى الألفة والإخاء ، وإن رغمت آناف دجّالين يسرّون على الأُمّة حسواً في ارتغاء .

وقد نشرنا في غير واحد من الأجزاء المتقدّمة جملاً ذهبيّة ممّا وافانا عن الملوك والسّاسة ، و الحجج والآيات من العلماء الفطاحل ، و الأساتذة النبلاء و صاغة الشعر المقدّمين ، و هناك أُناس لم تنشر كلماتهم ولم تذكر أسماؤهم لضيق في نطاق الأجزاء فهانحن نوعز إليهم مشفوعاً ذلك بشكر متواصل وثناء جميل .

آية الله سيّدنا الحجّة سماحة السيّد محمّد الكوهكمري[1] قم المشرّفة

العلاّمة الشريف الحجّة الحاج السيّد جعفر آل بحر العلوم نجف الأشرف

صاحب المعالي السيّد عبد المهدي المنتفكي[2] بغـداد

العلاّمة الحجّة الحاج السيّد حسن اللواساني غازية . سوريا

البحّاثة الكبير الاستاذ السيّد علي فكري صاحب تآليف قيّمة[3] مصر. القاهرة

---

(١) توفى قدس سره يوم الاثنين ثالث جمادى الاولى سنة ١٣٧٢ كان فى الرعيل الاول من زعماء الدين ومراجع المسلمين ، وله فى اقامة حوزة العلم بقم المشرفة اشواط بعيدة وخطوات واسعة بالتدريس والتهذيب والاصلاح ، وادرار المعيشة وسدّ اعواز الطالبين ، واقامة الامت والعوج ، ولم يفتأ على وتيرة واحدة فى السعى وراء صالح الامّة وتسديد خطة العلم والعمل ، والسوق الى الطريقة المثلى والسير بالامة اليها فى سبيلها الجدد ، كما أنّ له أياد مشكورة على حوزة النجف الاشرف حتى لفظ نفسه الاخير سعيداً شكورا .

(٢) تلقينا منه بعدُ كلمة تنشر فى الجزء الثامن .

(٣) توفى مؤلّفا مكثراً نزيها.

العلامة الشريف السيد محمد سعيد الحكيم	بصرة
البحاثة الجليل السيد سبط الحسن صاحب تآليف ممتعة	محمود آباد. الهند
العلامة الشهير السيد علي أكبر البرقعي صاحب تآليف نفيسة[٤]	قم المشرفة
العلامة الشريف السيد محمد علي القاضي الطباطبائي	قم المشرفة
الاستاذ محمد عبد الغني حسن مؤلف (أعلام من الشرق)	مصر . القاهرة
الخطيب الشريف السيد صالح السيد عباس الموسوي	بغداد. صبابيغ الآل
الخطيب المفوه السيد عبود الحسني	بصرة
الدكتور الشهير مصطفى جواد البغدادي	بغداد
العلامة الصالح الشيخ حسن الناصري	نجف الأشرف
الخطيب المصقع الشيخ كاظم آل نوح مؤلف (محمد والقرآن)	كاظمية
الخطيب الأكبر المدره الحاج الشيخ محمد تقي الفلسفي	طهران
البحاثة الكبير الشيخ سليمان ظاهر عضو المجمع العلمي	عاملة . نبطية
الاستاذ القدير السيد شمس الدين الخطيب البغدادي	بغداد
الشريف الفاضل السيد عبد الزهراء السيد حسين الخضري	خضر . العراق
العلامة الثقة ميرزا محمد علي الچرنداني التبريزي	قم المشرفة
الاستاذ عبد الحمزة نصر الله فتحي	ديوانية . العراق

الاميني

---

(٤) مرت كلمتنا في الرجل في الجزء الرابع ص١٨٣ .

- ١ -

كتاب

تفضّل به الشريف المصلح الاكبر آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي ، و هو من عرفته الامّة فشكرته على أياديه الواجبة ، و مساعيه المشكورة ، و دأبه المتواصل على الاصلاح و الدعوة الالهيّة ، و النظر فى مناهج المسلمين ، والتفانى دون الحقّ المتبع . فحيّاه الله و جزاه عن امّته خيرا .

حجّة الإسلام العلاّمة الثبت المجاهد (الأميني) أعزّه الله و أعزّ به تحيّة طيّبة وسلاماً كريما .

أشعر أنّ لك عليّ واجباً يتجاوز حدود القول في تقريظ (الغدير) موسوعتك النادرة ، والثناء عليها بوصفها مجهوداً ثقافيّاً منقطع النظير .

فالقول في هذا ونحوه أدنى ما يُستقبل به جهادك ، وأقلّ ما يوزن به تتبّعك و استيعابك ، أمّا الذي يعطيك كفاء حقّك في هذه الموسوعة الفاضلة فتقديرٌ يبلّغ الأُمّة انّك من أبطالها الأقلّين ، ويدعوها من أجل هذا إلى شدّ أزرك وإرهافك في سبيلك النيّر الخيّر هذا ، انصافاً للقيم التي توشك أن تضيع فتُضيع ؛ ومتى ضاعت و أضاعت فقد خسرت الحياة «مثلها الأعلى» وعادت بعده تافهة لأنّها تخلو آنذاك من حقٍّ وخيرٍ و جمال ، أي تخلو ممّا يحبّب الحياة و يرفعها ، ويدلّ على أقدارها .

موسوعتك (الغدير) في ميزان النقد وحكم الأدب عملٌ ضخمٌ دون ريب ، فهي موسوعةٌ لو اصطلح على إبداعها عدّةٌ من العلماء وتوافروا على إتقانها بمثل هذه الإ... لكان عملهم مجتمعين فيها كبيراً حقّاً .

و لكنّي ما سقت كلمتي لأقول هذا ، و إنّما سقتها لأشير إلى هذه الناحية الخطيرة من حياتنا المفكّكة داعياً إلى التشدّد ، والإلتفات حول الحفنة الباقية من رجال

الفكر الإسلامي ممّن يجيلون أقلامهم في علومنا و آثارنا بفقه وحبّ .

فليس شيء عندي أخطر على هذا الفكر الولود من التفرّق عن رجاله ، لأنّ التفرّق عنهم نذير بعقم نتاجه ، وقطع حلقاته ، فالتفرّق عنهم بمعناه تفريق للحوافز والبواعث التي تتّصل بها حياة الحقّ في طبائع الأشياء و ظواهر السنن .

و ليس أفجع لحضارة الشرق بل لحضارة الإنسان من عقم هذا النتاج و قطع هذه الحلقات .

فإذا دعونا إلى موازرتك والوقوف إلى جانبك في شقّ الطريق بين يدي (غديرك) فإنّنا ندعوا في واقع الأمر إلى خدمة شكرة كلّية ترتفع بها شخصيّة الأمّة كاملة ، آملين أن يرى المفكّرون بك مثلاً يشجعهم بحياة الأمّة حولك ،و حسن تقديرها لك، أن يخدموا الحقّ الذي خدمته لوجه الحقّ خالص النيّة .

أقف هنا لأقول : إنّ قمّة (الهرم) في عملك الجاهد القيّم إنّما هي حبّك له حبّاً يدفعك فيه إلى الأمام في زحمة من العوائق والمثبّطات ، وهي خصلة في هذا العمل الكبير تُعيد إلى الذهن دأب أبطالنا من خدّام أهل البيت و ناشري علومهم و آثارهم ، ذلك الدأب الذي أمتع الحياة بأفضل مبادئ الإنسانيّة من معارفهم النيّرة .

أمّا الجوانب الفنيّة فقد نسجتها نسج صناع ، وهيّأت لقلمك القويّ فيها عناصر التجويد والإبداع في مادّة الكتاب وصورته ، وفي أدواتهما المتوفّرة على سعة باع ، و كثرة إطّلاع ، وسلامة ذوق ، وقوّة محاكمة ، أمامك ، حفظك الله و أعانك .

١٤ ذوالحجّة ١٣٦٨

عبد الحسين شرف الدين
الموسوي

- ٢ -

خطاب

تفضّل به سيدنا الشريف المبجّل آية الله السيد محسن الحكيم «و انه لا أريض للفضل» حيّاه الله و بيّاه نذكر نصّ خطابه شكراً لسماحته و اكباراً لمقامه الاسمى .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

ألحمد لله كما هو أهله ، والصّلاة والسّلام على خير خلقه محمّد و آله الطيبين الطاهرين وبعد : فإنّ من أعظم ما أنعم به الله جلّ و عزّ على هذه الفرقة المحقّة و الطائفة الحقّة أن أتاح لها في كلّ عصر منها رجالاً لاتلهيهم تجارةٌ و لا بيعٌ عن الجهاد في سبيلها والقيام بحقّها ، والعمل على إعلاء كلمتها ، و رفع مقامها ، فحقّقوا حقائقها ، و بلّغوا رسالتها ، وأقاموا الحجّة لها على غيرها ، كلّ ذلك بالرغم ممّا مُنيت به من أشياء من شأنها أن تحول بينهم و بين ذلك كلّه لولا العناية الربّانية .

و إنّ من فحول هذه الزمرة المجاهدة مؤلّف كتاب (الغدير) المحقّق الفذّ العلاّمة الأوحد الأميني دام تأييده وتسديده ، وقد سرحت النظر في أجزائه المتتابعة فوجدته كما ينبغي أن يصدر من مؤلّفه المعظّم ، و ألفيته كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه بتوفيق من عزيز عليم ، و لقد توفّق كلّ التوفيق في قوّة حجّته ، وشدّة عارضته ، وروعة أسلوبه ، وجمال محاورته ، وقد ضمّ إلى حصافة الرأي جودة السرد ، و إلى بداعة المعاني قوّة المباني ، و تفنّن في المواضيع المختلفة فوردها سديداً وصدر عنها قويماً .

فجديرٌ بالمسلم المثقّف الذى يرتاد الحقيقة و يتطلّب الأمر الواقع أن يقرأه و يستنير بضوئه ، وحقيقٌ بمؤلّفه الموفّق أن يشكر الله تعالى على توفيقه وعنايته ورعايته ، وجزاه الله على عظيم خدمته خير جزاء المحسنين ، والسّلام عليه ورحمة الله وبركاته .

محسن الطباطبائي الحكيم

— ٣ —

كتاب

أتانا من بحانة المسيحين ، القاضى الحرّ ، والشاعر النبيل ، الاستاذ بولس سلامة البيروتى صاحب الملحمة العربية الغراء الخالد الذكر . فشكراً له ثمّ شكراً .

حضرة صاحب الفضيلة العلاّمة الشيخ عبدالحسين الأميني نفعنا الله بعلمه . آمين

كان عليّ أن أكتب إلى فضيلتكم شاكراً يوم تسلّمت الجزء السّادس من (الغدير) وقد شرّفتموني بادراج رسالتي في المقدّمة .

وقد اطّلعت هذا السفر النفيس فحسبت أنّ لآلىء البحار جميعاً قد اجتمعت في غدير كم هذا . أجل : يا صاحب الفضيلة ! إنّ هذا العمل العظيم الذي تقومون به منفردين لعبءٌ تنوء به الجماعة من العلماء ، فكيف إستطعتم النهوض به وحدكم ؟

لاريب أنّ تلك الروح القدسيّة روح الإمام العظيم عليه و على أحفاده الأطهار أشرف السّلام هي التي ذلّلت المصاعب ، و فتحت بصيرتكم النيّرة على كنوز المعرفة ، تغترفون منها وتنثرون ، فيبقى ذخراً للمؤرّخين ، ومرجعاً للعلماء ، و منهلاً للشعراء ، يسقون منه غراس الأدب كلّما لفحها الهجير .

ولقد لفت نظري على الأخصّ ما ذكرتموه بشأن الخليفة الثاني فللّه درّكم ، ما أقوى حجّتكم ، وأسطع برهانكم ، فلو حاول بعد هذا مكابرٌ أن يردّ تلك الحجج المكينة لكان مَثَله مَثَل الوعل الذي ناطح الصخرة .

حفظكم الله يا صاحب الفضيلة ! منارةً تبعث أضواءها من النجف الأشرف فتنير البلاد العربيّة ، و إنّي أسأل الله سبحانه أن يطيل حياتكم الثمينة بشفاعة مولانا أمير المؤمنين المرفوع اللواء في الدارين المخلّد الذكر إلى الأبد .

بيروت ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٦٨ — ألمخلص

بولس سلامة

الجزء السابع

شعراء الغدير في

القرن التاسع وهم ثلاثة حلّيون

وفي هـذا الجزء من الدروس العلميـّة الدينيـّة التاريخيـّة ما
تدعم به الحقايق ، ويحقّ للباحث أن يكون به أعنى .

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبحانَكَ أنتَ وَليُّنا مِنْ دونِهِم، وَاجعَلْ لنا مِنْ لَدُنكَ وَلِيّاً واجعَلْ لنا مِنْ لَدُنكَ نصيرا، يا أيُّها النّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الحقُّ مِنْ رَبِّكم، فَمَنِ اهتَدى فَإِنّما يَهتَدي لِنَفسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فإنّما يَضِلُّ عَليها، وَما أنا عَليكُمْ بِوكيلٍ وَما عَلينا إلّا البلاغ، قَد جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نورٌ وَكتابٌ مُبينٌ، لِيَهلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنةٍ، وَيحيى مَن حَيَّ عنْ بيِّنةٍ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفسَهُ وَأنْ تَقولوا عَلى اللهِ مالا تَعلمُون، هذا كِتابٌ أنزَلناهُ مُبارَكٌ فاتّبعوهُ وَاتّقوا لعلّكُمْ تُرحمون، وَلقدْ جِئناكُمْ بالحقِّ وَلكنَّ أكثرَكُمْ للحقِّ كارِهون، يَعرفُون نعمةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرونَها فَلِمَ تُحاجّونَ فِيما ليس لَكم بِهِ عِلمٌ، إن تتّبِعونَ إلّا الظنَّ وَإنْ أنتُمْ إلّا تخرُصون، لا تَتّبعوا أهواءَ قومٍ قَدْ ضَلّوا مِنْ قَبلُ وَأضَلّوا كثيراً، أطيعُوا اللهَ وَأطيعُوا الرَّسُولَ وأولي الأمرِ منكُم، ألّذين يُنفِقونَ أموالهُمْ بالليلِ وَالنّهارِ سِرّاً وَعَلانيَةً، وَيُطعِمونَ الطّعامَ على حبِّهِ مِسكيناً وَيتيماً وَأسيراً، ألّذينَ آمنوا وَعملوا الصّالحاتِ أولئكَ هُمْ خيرُ البرِيّةِ.

الاميني

«شعراء الغدير»

في القرن التاسع

٧١

ابن العرندس الحلي

أضحى يميس كغصن بانٍ في حُلى ☆ قمرٌ إذا ما مرَّ في قلبي حلا
سلب العقول بناظرٍ في فترةٍ ☆ فيها حرام السحر بان محلّلا
و انحلَّ شدَّ عزائمي لمّا غدا ☆ عن خصره بند القباء محلّلا
و زهى بها كافور سالف خدّه ☆ لمّا بريحان العذار تسلسلا
و تسلسلت عبثاً سلاسل صدغه ☆ فلذاك بتُّ مقيّداً و مسلسلا ٥
قمرٌ قويم قوامه كقناته ☆ ولحاظه في القتل تحكي المنصلا
و جناته جوريّةٌ و عيونه ☆ حوريّةٌ تسبي الغزال الأكحلا
أهوى فواترها المراض إذا رنت ☆ و أحبُّ جفنيها المراض الغزّلا
جارت و ما صفحت على عشّاقه ☆ فتكاً و عامل قدّه ما أعدلا
ملكت محاسنه ملوكاً طالما ☆ أضحى لها الملك العزيز مذلّلا ١٠
كسرى بعينيه الصحاح وخدّه ☆ النعمان بالخال النجاشيّ خوّلا
كتب العليُّ على صحائف خدّه ☆ نوني قسيِّ الحاجبين و مثّلا
فرمى بها في عين غنج عيونه ☆ سهم السهام أصاب منّي المقتلا
فاعجب لعين عبير عنبر خاله ☆ في جيم جمرة خدّه لن تشعلا
و سلا الفؤاد بحرّ نيران الجوى ☆ منّي فذاب وعن هواهُ ما سلا ١٥
فمتى بشير الوصل يأتي منجحاً ☆ وأبيت مسروراً سعيداً مُقبلا
ولقد برى منّي السقام وبتُّ في ☆ لجج الغرام معالجاً كرب البلا
وجرت سحائب عبرتي في وجنتي ☆ كدم الحسين على أراضي كربلا

الصائم القوّام والمتصدّق الطعّام ☆ أفرس من على فرس علا
٢٠ رجل بصيوان الغمامة جدّه ☆ المختار في حر الحجير تظلّلا
وأبوه حيدرة الذي بعلومه ☆ وبفضله شرح الكتاب تفصّلا
والأمّ فاطمة المطهّرة التي ☆ بالمجد تاج فخارها قد كلّلا
نسب كمنبلج الصباح يزينه ☆ حسب شبيه الشمس زاهي المجتلى
السيّد السند السعيد الساجد ☆ السبط الشهيد المستظام المبتلى
٢٥ قمر بكت عين السماء لأجله ☆ أسفاً وقلب الدهر بات مقلقلا
تالله لا أنساه فرداً ظامياً ☆ والماء ينهل منه ذيبان الفلا
والسيّد العبّاس قد سلب العدى ☆ عنه اللباس وصيّروه مجدّلا
والطفل شمس حياته قد أصبحت ☆ بالخسف في طفل وجلّ مؤثلا (١)
وبنو أميّة في جسوم صحابه ☆ قد حطّموا السمر اللدان الذبّلا
٣٠ شربوا بكاسات القنا خمر الفنا ☆ مزج البلاء به فأمسوا في البلا
وتقاطعت أرحامهم وجسومهم ☆ كرماً وأوصلت الرؤس الأرجلا
وتوارثوا من بعد سلب نفوسهم ☆ دار المقامة في القيامة موئلا
وانسبط شاك ما له من ناصر ☆ شاك إلي ربّ السموات العلى
ظام إلى ماء الفرات فإن يرم ☆ نهلاً يرى البيض الصوارم منهلا
٣٥ والقوم محدقة عليه بجحفل ☆ كالبحر آخره يحاكي الأوّلا
متلاطم سغبت (٢) به أسيافهم ☆ فغدا لهم لحم الفوارس مأكلا
ومن العجائب أنّه يشكو الظما ☆ وأبوه يسقي في المعاد السلسلا
حامت عليه للحمام ـ كواسر ☆ ظمئت فأشربت الحمام دم الطلا (٣)
أمست به سمر الرّماح وزرقها ☆ حمراً وشهب الخيل دهماً جفّلا (٤)

---

(١) الطفل من طفلت الشمس : دنت للغروب . المؤثل : الدائم .

(٢) السغوب والسغب : الجوع .

(٣) الكواسر جمع الكاثرة مونث الكاثر : العقاب . الطلا : ولد الظبي ساعة يولد . الصغير من كل شيء

(٤) الشهب والشهباء : بياض يتخلله سواد . الدهمة : السواد . الجفل من جفل الشعر : شعث وثار .

هاتيك بالدم قد صُبغن و هذه ✡ صُبغت بنقعٍ صبغةً لن تنصلا ٤٠
عقدت سنابك صافنات خيـوله ✡ من فوق هامات الفوارس قسطلا (١)
و دجت عجاجته و مدَّ سواده ✡ حتّى أعاد الصبح ليـلاً أليـلا
و كأنّما لمع الصوارم تحتـه ✡ برقٌ تألّـق في غمامٍ فانجلى
جيشٌ ملا فوهَ الفلا و أتى فلا ✡ أمست سنابك خيله تفلي الفلا
أبناءُ من جحد الوصيَّ و كذَّب ✡ الهادي النبيَّ وكان حقّاً مرسلا ٤٥
بذلوا النفوس و بدّلوا من جهلهم ✡ ما ليس في الإسلام كان مبدّلا
فمحلّلٌ قد صيّروه محرّماً ✡ و محرّمٌ قـد غـادروه محلّلا
و تعمّدوا قتل الوصيِّ و حرّفوا ✡ ما كان أحمد في الكتاب له تـلا
و أتوا إلي قتل الحسين و أجّجوا ✡ ناراً لهيبُ ضرامها لن يُصطلى
فسطا عليهم بـالنزال بعـزمة ✡ تـذرُ الحسام المشرفيَّ مفلّلا ٥٠
من فوقِ طرفٍ أعوجيٍّ سابح ✡ كالبرق يسبق في سُراه الشمألا (٢)
فرسٌ حوافره بغير جماجم الـ ✡ ـفرسان في يوم الوغى لن تنعلا
أضحى بمبيضِّ الصباح مجلّـلا ✡ و غدا بمسودِّ الظـلام مُسربلا
و بكـفّـه سيفٌ جرازٌ بـاترٌ ✡ عضبٌ يضمّ الغمد منـه جـدولا (٣)
فقر الجماجم والطلا بغراره (٤) ✡ من كلّ كفّار و أبـرى المفصلا ٥٥
فكأنّه و جواده و حسامه (٥) ✡ يـا صاحبيَّ لمن أراد تأمّـلا
شمسٌ على الفلك المدار بكفّـه ✡ قمرٌ مـنازله الجماجم والطلا

(١) السنبك: طرف الحافر. ج السنابك. الصافنات جمع الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم مطرفاً حافر الرابعة. القسطل: المنية. الغبار الساطع في الحرب.

(٢) الطرف من الخيل: الكريم الطرفين. السابح من سبح في الماء: عام وانبسط فيه و يستعار لمر النجوم وجرى الفرس. الشمأل: ريح الشمال.

(٣) الجراز بضم المعجمة: السيف القطاع. الباتر: السيف القاطع ج بواتر. العضب: السيف القاطع.

(٤) الفقر: الحز. الطلا بضم المهلة وكسرها: قشرة الدم. الغرار: حد السيف.

(٥) سبقه الى مثل هذه البداعة شيخنا علاء الدين الشفهيني بما هو أوسع و أبلغ راجع ج ٦ ص ٣٦٢ ط ٢.

والخيل محدقةٌ بجيم جماله	✡	و قلوبهم في الغلي تحكي المرجلا (١)
والسبطيخترق المواكب حاملاً	✡	بعزيمةٍ تردي الخميس الجحفلا
٦٠ فبسين سمر الخطّ يطعن أنجلاً	✡	و بباء بيض الهند يضرب أهدلا (٢)
فتخال طاء الطعن أنّى أعجمت	✡	نقطاً و ضاد الضرب كيف تشكّلا
حتّى إذا ما السبط آن ممـاته	✡	و عليـه سلطان الحمام توكّلا
داروا به النفر الطغاة بنوالزنات	✡	العاهرات و طبّقوا رحب الفـلا
و رماه بعض المارقين بعيطلٍ	✡	سهماً فخرّ على الصعيد مجـدّلا
٦٥ و أتى بغيٌ بني ضباب صائلاً	✡	بالقسّ تغميض القطامي الأجدلا
و جثى على صدر الحسين و قلبه	✡	ِحقداً و عدواناً عليه قـد امتلا
فبرى بسيف البغي رأساً طالما	✡	لثـم النبيُّ ثنيّتيه و قـبّلا
واسودّ قرص الشمس ساعة قتله	✡	أسفاً وشهب الفلك أمست أُفّلا
و نعاه جبريلٌ وميكالٌ وإسرا	—	فيـلُ والعـرش المجيد تزلزلا
٧٠ والطير في الأغصان ناح مغرّدا	✡	والوحش في القيعان ناح و أعولا
و أتى الجواد ولا جواد فوقه	✡	متـوجّعاً متفجّـعـاً متوجّـلا
عالي الصهيل بمقلةٍ إنسانـها	✡	باكٍ يسحّ الدمع نقطاً مهمـلا
فسمعن نسوان الحسين صهيله	✡	فبرزن من خلل المضارب ثكّـلا
ينثون من جَون العيون مدامعاً	✡	حمراً على بيض السوالف هُطّلا (٣)
٧٥ حتى إذا قُتل الحسين وأصبحت	✡	من بعده غرّ المدارس عُطّـلا
و منازل التنزيل حلّ بها العزا	✡	و ِمن الجليس أنيس مربعها خلا
بغت البغاة جهالةً سبي النسا	✡	و بغت و حقٌّ لمن بغى أن يجهلا

(١) المرجل : القدر .

(٢) الانجل من نجل الرجل نجلا : وسعت عينه وحسنت . الاهدل : المسترخي المشفر أو الشفة

(٣) ينثون من نثى نثوا : فرق و نشر . الجون : الابيض . الاسود . السوالف جمع السالفة صفحة العنق ، وسالفة الفرس : ماتقدم من عنقه . هطل المطر : نزل متتابعاً متفرقاً عظيم القطر فهو هاطل والجمع هطّل .

نصبوا بمرفوع القناة كريمه [١] ✿ جهراً و جرّوا للمعاصي أذيلا
و سروا بنسوته السراة بلا ملاً ✿ حسرى يلاحظهنّ ألحاظ الملا
و غدوا بزين العابدين الساجد ✿ الحبر الأمين مقيّـدا و مغلّلا ٨٠
و سكينة أمست و ساكن قلبها ✿ متحرّكٌ فيه الأسى لن يرحلا
و بدال دمع العين منها غرّقت ✿ صاد الصعيد و أنبتت كاف الكلا
و ديـارهنّ الآنسات بـلاقـعٌ ✿ أقوت [٢] وكنّ بهاالأحبّة نزّلا
و الصبر عنّي ضاعنٌ مترحّلٌ ✿ لمّا شددن على المطيّ الأزحلا
و مدامعي فوق الخدود نوازلٌ ✿ لمّا زممن جمالهنّ البزّلا [٣] ٨٥
تسري بهنّ إلى الشئام عصابةٌ ✿ أمويّةٌ تبغي العطاء الأجـزلا
تُرضي يزيد لكي يزيد لهاالعطا ✿ جهلاً و يتحفها السّؤال معجّلا
فـلألعننّ بني أُميّة ماحـدا ✿ الحادي وما سرت الركائب قفّلا
ولألعننّ زيادها و يزيدها ✿ و يزيدُها ربّي عذابـاً منزلا
تبّاً لهـم فعلوا بآل محمّـد ✿ ما ليس تفعله الجبابرة الأولى ٩٠
و لأبكينّ على الحسين بمدمعٍ ✿ قانٍ أبلّ بـه الصعيد الممحلا
يا طفّ طاف على ثراك من الحيا ✿ هامٍ تسير به السحائب جفّـلا [٤]
ذوهيدبٍ متراكبٍ متلاحمٍ [٥] ✿ عالي البروق يسحّ دمعاً مُسبلا
يشفيك إذ يسقيك منه بوابلٍ ✿ عذب له أرجٌ يحاكي المندلا [٦]
ثمّ السّلام من السّلام على الذي ✿ نُصبت له في (خمّ) رايات الولا ٩٥

---

(١) الكريمة : كل جارحة شريفة .
(٢) أقوت الدار : خلت من ساكنيها .
(٣) زمم الجمال : خطمها . بزل البعير : انشق نابه . فهو بازل ج بوازل وبزل .
(٤) الحيا : المطر . هام فاعل من همى يهمى همياً أى سال لايثنيه شيء . جفل : أى أسرع . والجفيل : الكثير.
(٥) الهيدب من السحاب : المتدلى الذى يدنو من الارض . المتلاحم : المتلاصق والمتلائم .
(٦) الوابل : المطر الشديد . الارج : الرائحة الطيبة . المندل بفتح الميم . العود الطيب الرائحة.

تالي كتاب الله أكرم من تـلا ✩ و أجلّ من للمصطفى الهادي تلا
زوج البتول أخ الرسول مطلّق ✩ الدنيا و قاليها بنيران القـلا
رجلٌ تسربل بالعفاف و حبّذا ✩ رجلٌ بأثواب العفاف تسربـلا
تلقاه يوم السلم غيثـاً مُسبلاً ✩ و تراه يوم الحرب ليثاً مُشبلا
١٠٠ ذوالراحة اليمنى التي حسناتها ✩ مدّت على كيوان باعاً أطولا (١)
والمعجزات الباهـرات النـيّرات ✩ المشرقات المعذرات لمن غلا
منها رجوع الشمس بعدغروبها (٢) ✩ نبأ تصير لـه البصائر ذُهّـلا
و لسيره فوق البساط فضيلةٌ (٣) ✩ أوصافها تُعيي الفصيح المقـولا
وخطاب أهل الكهف منقبةٌ غلت ✩ و علت فجاوزت السماك الأعزلا
١٠٥ وصعود غارب احمدٍ فضل له ✩ دون القرابة و الصحابـة أفضلا
هذاالذي حاز العلوم بـأسرها ✩ ماكان منها مُجملاً و مفصّلا
هذا الذي بصَـلاته و صِلاته ✩ للدين و الدنيا أتمّ و أكمـلا
هذا الذي بحسامه و قناتـه ✩ في خيبر صعب الفتوح تسهّلا
و أباد مرحب في النزال بضربة ✩ ألقت على الكفّار عبئـاً مُثقلا
١١٠ وكتائب الأحزاب صيّر عَمروها ✩ بدمائه فوق الرمـال مُرمّلا
و تبوك نازل شوسها فأبادهم ✩ ضرباً بصـارم عزمة لن يُفللا
و به توسّل آدم لمّـا عصى ✩ حتّى اجتباه ربُّنـا و تقبّلا
و به دعا نوحٌ فسـارت فلكه ✩ و الأرض بالطوفـان مفعمةٌ ملا
و به الخليل دعا فأضحت ناره ✩ برداً و قد أذكت حريقاً مُشعلا
١١٥ و به دعا موسى تلقّفت العصـا ✩ حيّات سحرٍ كُـنَّ قِدماً أحبلا
و به دعا عيسى المسيح فأنطق ✩ الميت الدفين به وقام من البلا

---

(١) كيوان : زحل تحيط به منطقة نيرة يضرب به المثل فى العلو والبعد . الباع : قدر مد اليدين .

(٢) مرحديث ردالشمس فى الجزء الثالث ص١٢٦-١٤١ ط٢ .

(٣) اخرجها الثعلبى والفقيه المغازلى والقزوينى عن ابن عباس وأنس بن مالك وستأتى بلفظها فى محلها انشاء الله تعالى .

و بخمّ و اخاه النبيُّ محمّدٌ ✡ حقّاً و ذلك في الكتاب تنزّلا
عذل النواصب في هواه و عنّفوا ✡ فعصيتهم و أطعت فيه مَن غلا
و مدحته رغماً على آنافهم ✡ مدحاً به ربّي صدا قلبي جلا
و تراب نعل أبي ترابٍ كلّما ✡ مسّ القذا عيني يكون لها جلا ١٢٠
فعليه أضعاف التحيّة ما سرى ✡ سارٍ و ما سحّ السحاب و أهملا
سمعاً أمير المؤمنين قصائداً ✡ تزداد ما مرّ الزمان تجمّلا
عربيّة نشأت بحلّة بابلٍ ✡ فغدت تُخجّل بالفصاحة جرولا
سادت فشادت للعرندس صالح ✡ مجداً على هام النجوم مؤثّلا
وسمت قلوب حواسدي وسمت على ✡ [نمّ العذار بعارضيه و سلسلا](١) ١٢٥
و علت بمدحك يا عليُّ و وازنت ✡ [لم أبك ربعاً للأحبّة قدخلا](٢)

✡(ما يتبع الشعر)✡

ذكر شاعرنا إبن العرندس في قصيدته هذه جملةً من مناقب مولانا أمير المؤمنين وقد مرّ تفصيل بعضها ، و ستوافيك كلمتنا الضافية في بعضها الآخر ، ونقتصر في المقام على ما أشار اليه بقوله :

و صعود غارب أحمد فضلٌ له ✡ دون القرابة و الصّحابة أفضلا

عن عليّ رضي الله عنه قال : انطلق بي رسول الله ﷺ إلى الأصنام فقال : اجلس فجلست إلى جنب الكعبة ثمّ صعد رسول الله ﷺ على منكبي ثمّ قال : انهض بي إلى الصنم فنهضت به فلمّا رأى ضعفي تحته قال : اجلس فجلست و أنزلته عنّي و جلس لي رسول الله ﷺ ثمّ قال لي : يا عليُّ ! اصعد على منكبي . فصعدت على منكبيه ثمّ نهض بي رسول الله ﷺ فلمّا نهض بي خيل لي انّي لو شئت نلت اُفق السّماء و صعدت على الكعبة و تنحّى رسول الله ﷺ فألقيت صنمهم الأكبر صنم قريش وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي رسول الله ﷺ : عالجه فعالجته فما زلت

(١) مطلع قصيدة للشيخ علاء الدين الحلي المذكورة في الجزء السادس ص ٣٨٣ ط ٢ .
(٢) هي قصيدة جمال الدين الخلعي المترجم في الجزء السادس ص ١٢ - ١٩ والقصيدة في الامام السبط الشهيد تقدر بـ ٧٥ بيتاً كما مر في ج ٦ ص ١٨ .

أعالجه و رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيه إيه إيه. فلم أزل أعالجه حتّى استمكنت منه. فقال: دقّه فدققتـه وكسرته ونزلت.

وفي لفظ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اقذف به. فقذفت به فتكسّر كما تنكسر القوارير. ثمّ نزلت. وفي لفظ: ونزوت من فوق الكعبة.

و عن جابر بن عبدالله قال: دخلنا مع النبيّ صلى الله عليه وآله مكّة وفي البيت وحوله ثلثمائة و ستّون صنماً فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله فاُلقيت كلّها لوجوهها وكان على البيت صنمٌ طويلٌ يقال له: هبل. فنظر النبيُّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ و قال له: يا عليُّ! تركب عليّ أو أركب عليك لاُلقي هبل عن ظهر الكعبة؟ قلت: يا رسول الله! بل تركبني: فلمّا جلس على ظهري لم استطع حمله لثقل الرسالة قلت: يا رسول الله! بل أركبك. فضحك ونزل وطأطأ لي ظهره و استويت عليه فوالذي فلق الحبّة و برأ النسمة لو أردت أن أمسك السماء لأمسكتها بيدي، فألقيت هبل عن ظهر الكعبة فأنزل الله تعالى: وقل جاء الحقُّ و زهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا.

و عن ابن عبّاس قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله لعليّ: قم بنا إلى الصنم في أعلى الكعبة لنكسّره فقاما جميعاً فلمّا أتياه قال له النبيُّ صلى الله عليه وآله: قم على عاتقي حتّى أرفعك عليه فأعطاه عليٌّ ثوبه فوضعه رسول الله صلى الله عليه وآله على عاتقه ثمّ رفعه حتّى وضعه على البيت فأخذ عليٌّ الصنم وهو من نحاس، فرمى به من فوق الكعبة كأنّما كان له جناحان.

هذه الأثارة أخرجتها اُمّةٌ من الحفّاظ وأئمّة الحديث والتاريخ، وأخذها منهم رجال التأليف في القرون المتأخّرة وذكروها في كتبهم مرسلين إيّاها إرسال المسلّم من دون أيّ غمز في سندها. وإليك جملةٌ منهم:

١ ـ اسباط بن محمّد القرشي المتوفّى ٢٠٠ روى عنه أحمد في المسند.

٢ ـ ألحافظ أبوبكر الصغاني « ٢١١ حكاه عنه السيوطي.

٣ ـ ألحافظ إبن أبي شيبة « ٢٣٥ حكاه عنه الزرقاني والسيوطي.

٤ ـ إمام الحنابلة أحمد « ٢٤١ في مسنده ١ : ٨٤ باسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات.

٥ ـ أبو علي أحمد المازني « ٢٦٣ روى عنه النسائي.

٦ - ألحافظ ابوبكر البزّار ألمتوفّى ٢٩٢ كما في الينابيع .

٧ - « إبن شعيب النسائي « ٣٠٣ في الخصايص ص ٣١ .

٨ - « أبو يعلى الموصلي « ٣٠٧ في مسنده .

٩ - « أبو جعفر الطبري « ٣١٠ كما في جمع الجوامع .

١٠ - « أبو القاسم الطبراني « ٣٦٠ كما في تاريخ الخميس .

١١ - « الحاكم النيسابوري « ٤٠٥ في المستدرك ٢ : ٣٦٧ وصحّحه .

١٢ - « أبوبكر الشيرازي « ٤٠٧/١٠ في نزول القرآن من طريق جابر .

١٣ - « أبو محمّد أحمد بن محمّد العاصمي في زين الفتى شرح سورة هل أتى .

١٤ - « أبو نعيم الاصبهاني المتوفّى ٣٤٠ روى عنه الخطيب املاءً .

١٥ - « أبو بكر البيهقي « ٤٥٨ روى من طريقه الخوارزمي .

١٦ - « الخطيب البغدادي « ٤٦٣ في تاريخه ١٣ : ٣٠٢ .

١٧ - الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي « ٤٨٣ في مناقبه من طريق أبي هريرة .

١٨ - الحافظ أبو عبدالله الفراوي « ٥٣٠ كما في كفاية الكنجي .

١٩ - أخطب خطباء خوارزم « ٥٦٨ في المناقب ص ٧٣ من طريق الحافظين : البيهقي والحاكم .

٢٠ - الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي « ٥٩٧ في صفة الصفوة ١ ص ١١٩ .

٢١ - الحافظ رضي الدين أبو الخير الحاكمي في أربعينه في فضائل عليّ عليه السلام .

٢٢ - الحافظ أبو عبدالله ابن النجار المتوفّى ٦٤٣ كما في الكفاية .

٢٣ - أبو سالم ابن طلحة الشافعي المتوفّى ٦٥٢ في مطالب السئول ص ١٢ .

م ٢٤ - أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي المتوفّى ٦٥٤ في التذكرة ص ١٧] .

٢٥ - الحافظ أبو عبدالله الكنجي المتوفّى ٦٥٨ في الكفاية ص ١٢٨ . و قال : رواه الحاكم والبيهقي ، و هو حديثٌ حسنٌ ثابتٌ عند أهل النقل .

٢٦ - الحافظ الصالحاني كما في تاريخ الخميس .

٢٧ - الحافظ محب الدين الطبري المتوفّى ٦٩٤ في الرياض النضرة ٢ : ٢٠٠ نقلاً عن أحمد وابن الجوزي والحاكمي .

٢٨ ـ جمال الدين أبو عبدالله ابن النقيب المتوفّى ٦٩٨ في تفسيره والعبر .

٢٩ ـ شيخ الإسلام الحمويي المتوفّى ٧٢٢ في فرائد السمطين .

٣٠ ـ الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفّى ٧٤٨ في تلخيص المستدرك و قال : إسناده نظيفٌ و المتن منكرٌ . قال الأميني : لم يك يعرف أيّ حافظ هذه النكارة في تلكم القرون الخالية إلى أن جاد الدهر بالذهبي ، وكوى الحديث بعينه ، فكوّه نار حقده ، غير أنّ تلك النكارة الموهومة دفنت معه و لم يتّبع أثره فيها أيّ محدِّث بعده .

٣١ ـ الحافظ الزرندي المتوفّى بضع و٧٥٠ في نظم درر السمطين .

٣٢ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى ٩١١ في الجامع الكبير كما في ترتيبه ٦ : ٤٠٧ عن إبن أبي شيبة ، وعبد الرزّاق ، و أحمد ، و ابن جرير ، والخطيب ، والحاكم وقال : صححه . وذكره في الخصايص الكبرى ١ : ٢٦٤ .

٣٣ ـ الحافظ أبو العبّاس القسطلاني المتوفّى ٩٢٣ في المواهب اللدنيّة ١ ص ٢٠٤ نقلاً عن ابن النقيب .

٣٤ ـ القاضي الديار بكري المالكي المتوفّى ٨٢/٩٦٦ في تاريخ الخميس ٢ ص ٩٥ نقلاً عن الطبراني والزرندي والصالحاني وابن النقيب المقدسي والمحبّ الطبري وصاحب شواهد النبوّة فقال : ثمّ إنّ عليّاً أراد أن ينزل فألقى نفسه من صوب الميزاب تأدّباً وشفقةً على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولمّا وقع على الأرض تبسّم فسأله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن تبسّمه ؟ قال : لأنّي ألقيت نفسي من هذا المكان الرفيع وما أصابني ألمٌ . قال : كيف يصيبك ألمٌ و قد رفعك محمّد وأنزلك جبريل ؟ وقال الشاعر :

قيل لي : قل في عليٍّ مدحاً ☆ ذكره يخمد ناراً موصده
قلت : لا أقدم في مدح امرئٍ ☆ ضلّ ذو اللبِّ إلى أن عبده
و النبيّ المصطفى قال لنا : ☆ ليلة المعراج لمّا صعده
وضع الله بظهري يده ☆ فأحسّ القلب أن قد برده
و عليٌّ واضعٌ أقدامه ☆ في محلٍّ وضع الله يده

٣٥ ـ نور الدين الحلبي الشافعي المتوفّى ١٠٤٤ في السيرة الحلبيّة ٣ : ٩٧ .

٣٦ ـ أبو عبدالله الزرقاني المالكي المتوفّى ١١٢٢ في شرح المواهب ٢ : ٣٣٦ عن

إبن أبي شيبة والحاكم فقال: قد أجاد القائل:

يارب بالقدم التي أو طأتها ✡ من قاب قوسين المحل الأعظما
و بحرمة القدم التي جعلت لها ✡ كتف المؤيد بالرسالة سلّما
ثبت على متن الصراط تكرماً ✡ قدمي و كن لي منقذاً و مسلّما
و اجعلهما ذخري فمن كانا له ✡ ذخراً فليس يخاف قط جهنما

٣٧ - السيد أحمد زيني دحلان المكي المتوفى ١٣٣٢ في السيرة النبوية هامش الحلبية ٢ : ٢٩٣ فقال: و قد أجاد القائل:

يارب بالقدم التي أوطأتها ✡ إلى آخر الأبيات المذكورة

٣٨ - شهاب الدين الآلوسي المتوفى ١٢٧٠ في شرح العينية ص٧٥ وقدمرت كلمته في ج ٦ ص ٢٢ .

٣٩ - خواجه كلان القندوزي المتوفى ١٢٩٣ في ينابيع المودة ص ١٩٣ عن البزار وأبي يعلى الموصلي .

٤٠ - الشيخ أبو بكر بن محمد الحنفي المتوفى ١٢٧٠ في قرة العيون المبصرة ج ١ ص ١٨٥ .

٤١ - السيد محمود القراغولي الحنفي في جوهرة الكلام ص ٥٥ ، ٥٩ .

✡(ألشاعر)✡

الشيخ صالح بن عبدالوهاب بن العرندس الحلي الشهير بابن العرندس ، أحد أعلام الشيعة ومن مؤلفي علمائها في الفقه والأصول ، و له مدائح و مراثي لأئمة أهل البيت عليهم السلام تنم عن تفانيه في ولائهم و مناوئته لأعدائهم ، ذكر شطراً منها شيخنا الطريحي في «المنتخب» وجملة منها مبثوثة في المجاميع و الموسوعات ، و عقدله العلامة السماوي في « الطليعة » ترجمة اطراه فيها بالعلم و الفضل و التقى و النسك و المشاركة في العلوم . وأشفع ذلك الخطيب الفاضل اليعقوبي في « البابليات » ، و أثنى عليه ثناءً جميلاً ، وذكر في «الطليعة» أنه توفي حدود ٨٤٠ بالحلة الفيحاء ودفن فيها وله قبر يزار ويتبرك به .

كان إبن العرندس يحاول في شعره كثيراً الجناس على نمط الشيخ علاء الدين الشفهيني المترجم في الجزء السادس ص٣٥٦ وتعلوه القوّة والمتانة، و يُعرب عن تضلّعه من العربيّة واللغة، ولولا تهالكه على ماتجده في شعره من الجناس الكثير لكان ما ينظمه أبلغ وأبرع ممّا هو الآن.

و من شعر شيخنا الصّالح رائيةٌ اشتهر بين الأصحاب أنّها لم تقرأ في مجلس إلّا وحضره الإمام الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه، توجد برمّتها في منتخب شيخنا الطريحي ٢ : ٧٥ وهي :

طوايا نظامي في الزّمان لها نشرُ ☆ يعطّرها من طيب ذكراكمُ نشرُ
قصائدُ ما خابت لهنّ مقاصدٌ ☆ بواطنها حمدٌ ظواهرها شكرُ
مطالعها تحكي النجوم طوالعاً ☆ فأخلاقها زُهرٌ و أنوارها زَهرُ
عرائس تجلي حين تُجلي قلوبنا ☆ أكاليلها درٌّ و تيجانها تِبرُ
٥ حسانٌ لها حسّان بالفضل شاهد ☆ على وجهها تِبرٌ يُزان بها التّبر
أُنظّمها نظم اللّئالي وأسهر الليالي ليحيى لي بها و بكم ذكرُ
فيا ساكني أرض الطفوف عليكمُ ☆ سلامُ مُحبٍّ ماله عنكمُ صبرُ
نشرتُ دواوين الثنا بعد طيّها ☆ وفي كلّ طرسٍ من مديحي لكم سطرُ
فطابق شعري فيكمُ دمع ناظري ☆ فمبيضٌّ ذا نظمٌ و محمرٌّ ذا نثرُ
١٠ فلا تتهموني بالسلوّ فإنّما ☆ مواعيد سلواني وحقّكمُ الحشرُ
فذلّي بكم عزٌّ و فقري بكم غنىً ☆ وعسري بكم يسرو كسري بكم جبرُ
ترقّ بروق السّحب لي من دياركم ☆ فينهلّ من دمعي لبارقها القطرُ
فعيناي كالخنساء[1] تجري دموعها ☆ و قلبي شديدٌ في محبّتكم صخرُ
وقفت على الدّار التي كنتمْ بها ☆ فمغناكمُ من بَعد معناكمُ قفرُ
١٥ وقد دُرست منها الدّروس وطالما ☆ بها درس العلم الآلهيّ و الذّكرُ
وسالت عليها من دموعي سحائبٌ ☆ إلى أن تروّى البان بالدمع والسّدرُ

(١) هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث شاعرة صحابية شهيرة لها شعر كثير في رثاء أخيها لابيها صخر وقد قتله بنو أسد.

فراق فراق الروح لي بعد بعدكم ☆ ودار برسم الدار في خاطري الفكر
وقد أقلعت عنها السحاب ولم يجد ☆ ولا در من بعد الحسين لها در
إمام الهدى سبط النبوة والدالأئمـ ـــة رب النهي مولى له الأمر
إمام أبوه المرتضى علم الهدى ☆ وصي رسول الله والصنو والصهر ٢٠
إمام بكته الإنس والجن و السما ☆ ووحش الفلا والطير والبر والبحر
له القبة البيضاء بالطف لم تزل (١) تطوف بها طوعاً ملائكة غر
و فيه رسول الله قال و قوله ☆ صحيح صريح ليس في ذلكم نكر
: حبي بثلاث ما أحاط بمثلها ☆ ولي فمن زيد هناك و من عمرو ؟
له تربة فيها الشفاء و قبة ☆ يجاب بها الداعي إذا مسه الضر ٢٥
و ذرية درية منه تسعة ☆ أئمة حق لا ثمان ولا عشر
أيقتل ظمآناً حسين بكر بلا ☆ و في كل عضو من أنامله بحر ؟
ووالده الساقي على الحوض في غد ☆ و فاطمة ماء الفرات لها مهر
فوالهف نفسي للحسين و ما جنى ☆ عليه غداة الطف في حربه الشمر
رماه بجيش كالظلام قسيه الأ ـ هلة و الخرصان أنجمه الزهر ٣٠
لراياتهم نصب و أسيافهم جزم ☆ و للنقع رفع و الرماح لها جر
تجمع فيها من طغاة أمية ☆ عصابة غدر لايقوم لها عذر
و أرسلها الطاغي يزيد ليملك الـ ـ ـعراق و ما أغنته شام ولا مصر
و شد لهم أزراً سليل زيادها ☆ فحل به من شد أزرهم الوزر
و أمر فيهم نجل سعد لنحسه ☆ فما طال في الري اللعين له عمر ٣٥
فلما التقى الجمعان في أرض كربلا ☆ تباعد فعل الخير و اقترب الشر
فحاطوا به في عشر شهر محرم ☆ وبيض المواضي في الأكف لها شمر
فقام الفتى لما تشاجرت القنا ☆ وصال وقد أودى بمهجته الحر
وجال بطرف في المجال كأنه ☆ دجى الليل في لألاء غرته الفجر

(١) تلك القبة المقدسة كانت بيضاء فى تلكم القرون و أما اليوم فقد تغشتها صفائح النضار ، فهي صفراء لونها تسر الناظرين كما أن باطنها سرح ممرد من قوارير .

٤٠ له أربعٌ للريح فيهنّ أربعٌ ☆ لقد زانه كرٌّ و ما شانه الفرُّ

ففرّق جمع القوم حتّى كأنّهم ☆ طيور بُغاث[١] شتّ شملهم الصقرُ

فأذكرهم ليل الهرير فاجمع الكلا – ب على اللّيث الهزبر و قد هرّوا[٢]

هناك فدته الصالحون بأنفس ☆ يُضاعف في يوم الحساب لها الأجرُ

و حادوا عن الكفّار طوعاً لنصره ☆ وجادله بالنفس من سَعده الحُرُّ[٣]

٤٥ و مدّوا إليه ذُبَّلاً سمهريّة[٤] لطول حياة السبط في مدّها جزرُ

فغادره في مارق الحرب مارقٌ ☆ بسهم لنحر السبط من وقعه نحرُ

فمال عن الطِرف الجواد أخو الندى ☆ الجواد قتيلاً حوله يصهل المهرُ[٥]

سنان سنانٍ خارقٌ منه في الحشا ☆ و صارم شمرٍ في الوريد له شَمرُ[٦]

تجرّ عليه العاصفات ذيولها ☆ ومن نسج أيدي الصافنات له طمرُ[٧]

٥٠ فرجّت له السبع الطباق وزلزلت ☆ رواسي جبال الأرض والتطم البحرُ

فيا لك مقتولا بكته السّما دماً ☆ فمغبرٌّ وجه الأرض بالدّم محمرُّ

ملابسه في الحرب حمرٌ من الدما ☆ وهنّ غداة الحشر من سندس خضرُ

و لهفي لزين العابدين وقد سرى ☆ أسيراً عليلاً لا يفكّ له أسرُ

و آل رسول الله تسبى نسائهم ☆ ومن حولهنّ الستر يهتك والخدرُ

---

(١) البغات بتثليث الباء : طائر أبغث أصغر من الرخم بطيىء الطيران ج بغثان .

(٢) ليلة الهرير من ليالى صفين قتل فيها ما يقرب من سبعين ألف قتيل ولمولانا أمير المؤمنين ولا صحابه فى تلك الليلة موقف شجاعة يذكر مع الابد . الهرير كأمير . هرير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد .

(٣) الحر بن يزيد الرياحى التميمى اليربوعى كان سلام الله عليه شريف قومه جاهلية و اسلاماً كما قاله ابن الاثير .

(٤) الذبّل بضم المعجمة ثم الوحدة المفتوحة جمع الذابل : الرقيق . السمهرى : الرمح الصلب .

(٥) الطرف كما مر من الخيل : الكريم الطرفين : الاب والام . المهر : ولد الفرس .

(٦) الشمر بفتح المعجمة من شمر تشميراً : مر مسرعاً . وأشمره بالسيف : أدرجه .

(٧) العاصفات : الارياح الشديدة . الصافنات « راجع ص ٥ » الطمر : الثوب البالى .

سبايا بأكوار المطايا حواسراً ✡ يلاحظهن العبد في الناس و الحر ٥٥
و رملة[١] في ظل القصور مصونة ✡ يناط على أقراطها الدر و التبر
فويل يزيد من عذاب جهنم ✡ إذا أقبلت في الحشر فاطمة الطهر
ملابسها ثوب من السم أسود ✡ و آخر قان من دم السبط محمر
تنادي و أبصار الأنام شواخص ✡ وفي كل قلب من مهابتها ذعر [٢]
و تشكو إلى الله العلي وصوتها ✡ علي و مولانا علي لها ظهر ٦٠
فلا ينطق الطاغي يزيد بما جنى ✡ و أنى له عذر و من شأنه الغدر ؟
فيؤخذ منه بالقصاص فيحرم النـ – ـعيم ويخلى في الجحيم له قصر
و يشدوله الشادي فيطربه الغنا ✡ ويسكب في الكاس النضار له خمر
فذاك الغنا في البعث تصحيفه العَنا ✡ وتصحيف ذاك الخمر في قلبه الجمر
أيقرع جهلاً ثغر سبط محمد ✡ وصاحب ذاك الثغر يحمى به الثغر ؟ ٦٥
فليس لأخذ الثار إلا خليفة ✡ يكون لكسر الدين من عدله جبر
تحف به الأملاك من كل جانب ✡ ويقدمه الإقبال و العز و النصر
عوامله في الدارعين شوارع ✡ و حاجبه عيسى و ناظره الخضر
تظلله حقاً عمامة جده ✡ إذا ما ملوك الصيد ظللها الجبر
محيط على علم النبوة صدره ✡ فطوبى لعلم ضمه ذلك الصدر ٧٠
هو ابن الإمام العسكري محمد التـ – ـقي النقي الطاهر العَلم الحَبر
سليل علي الهادي ونجل محمد الجـ – ـواد و مَن في أرض طوس له قبر
علي الرضا وهو ابن موسى الذي قضى ✡ ففاح على بغداد من نشره عطر •
و صادق و عد انه نجل صادق ✡ إمام به في العلم يفتخر الفخر
و بهجة مولانا الإمام محمد ✡ إمام لعلم الأنبياء له بَقر ٧٥

---

(١) رملة بنت معاوية بن أبى سفيان ، شبب بها عبدالرحمن بن حسان بأبيات أولها :

رمل هل تذكرين يوم غزال • اذ قطعنا مسير نا بالتمنى

و لهذا التشبيب قصة توجد فى معاجم التراجم .

(٢) الشواخص من شخص البصر ، أى : فتح عينيه فلم يطرف . الذعر : الفزع والخوف .

سلالة زين العابدين الذي بكى ✿ فمن دمعه يبس الأعاشيب مخضر
سليل حسين الفاطمي و حيدر الـ ـ وصي فمن طهر نمى ذلك الطهر
له الحسن المسموم عم فحبذا الا ـ مام الذي عم الورى جوده الغمر
سمي رسول الله وارث علمه ✿ إمام على آبائه نزل الذكر
٨٠ هم النور نور الله جل جلاله ✿ هم التين والزيتون والشفع والوتر
مهابط وحي الله خزان علمه ✿ ميامين في أبياتهم نزل الذكر
و أسمائهم مكتوبة فوق عرشه ✿ ومكنونة من قبل أن يخلق الذر
ولولاهم لم يخلق الله آدماً ✿ ولا كان زيد في الأنام ولا عمرو
ولاسطحت أرض ولا رفعت سما ✿ ولا طلعت شمس ولا أشرق البدر
٨٥ و نوح به في الفلك لما دعا نجا ✿ و غيض به طوفانه و قضى الأمر
ولولا هم نار الخليل لما غدت ✿ سلاماً و برداً وانطفى ذلك الجمر
ولولاهم يعقوب ما زال حزنه ✿ ولا كان عن أيوب ينكشف الضر
ولان لداود الحديد بسرهم ✿ فقدر في سرد يحير به الفكر
و لما سليمان البساط به سرى ✿ أسيلت له عين يفيض له القطر
٩٠ و سخرت الريح الرخاء بأمره ✿ فغدوتها شهر و روحتها شهر
وهم سر موسى والعصا عندما عصى ✿ أو امره فرعون و التقف السحر
ولولا هم ما كان عيسى بن مريم ✿ لعازر من طي اللحود له نشر
سرى سرهم في الكائنات و فضلهم ✿ و كل نبي فيه من سرهم سر
علا بهم قدري و فخري بهم غلا ✿ ولولاهم ما كان في الناس لي ذكر
٩٥ مصابكم يا آل طه ! مصيبة ✿ ورزء على الإسلام أحدثه الكفر
سأندبكم يا عدتي عند شدتي ✿ وأبكيكم حزناً إذا أقبل العشر
و أبكيكم ما دمت حياً فإن أمت ✿ ستبكيكم بعدي المراثي والشعر
عرائس فكر الصالح بن عرندس ✿ قبولكم يا آل طه لها مهر
و كيف يحيط الواصفون بمدحكم ✿ وفي مدح آيات الكتاب لكم ذكر ؟
١٠٠ و مولدكم بطحاء مكة و الصفا ✿ وزمزم و البيت المحرم والحجر

جعلتكمُ يـوم المعـاد و بيلتـي ☆ فطوبى لمن أمسى وأنتم له ذخرُ
سيُبلي الجديدان الجديد وحبُّكم ☆ جديد بقلبي ليس يُخلقه الدَّهرُ
عليكم سـلامُ الله مـا لاح بارقٌ ☆ وحلّت عقود المزن وانتشر القطرُ

و له من قصيدة يرثي بها الحسين عليه السلام :

بات العذول على الحبيب مسهّدا ☆ فأقام عذري في الغرام و مهّدا
و رأى العذار بسالفيه مُسلسلا ☆ فأقام في سجن الغرام مقيّدا
هذا الذي أمسى عذولي عاذري ☆ فيه و راقد مقلتيه تسهّدا
ريمٌ (١) رمى قلبي بسهم لحاظه ☆ عن قوس حاجبه أصاب المقصدا
قمرٌ هلال الشمس فوق جبينه ☆ عال تغار الشمس منه إذا بدا ٥
و قوامه كالغصن رنّحه الصبا ☆ فيه حمـام الحيّ بـات مغـرّدا
فإذا أراد الفتك كان قوامه ☆ لدناً و جرّدت اللحاظ مُهنّدا
تلقـاه منعطفـاً قضيبـاً أميـداً ☆ و تراه ملتفتاً غزالاً أغيدا (٢)
في طـاء طرّتـه و جيـم جبينـه ☆ ضدّ ان شأنهما الضّلالة و الهدى
ليلٌ و صبحٌ أسودٌ في أبيضٍ ☆ هذا أضلّ العاشقين و ذا هدى ١٠
لاتحسبوا داود قـدّر سرده ☆ في سـين سالفه فبات مُسرّدا
لكنّمـا يـاقـوت خـاء خدوده ☆ نمّ (٣) العذار به فصار زبرجدا
يا قـاتل العشّاق يا مـن طرفـه ☆ الرشّاق يرشقنا سهاماً من ردى (٤)
قسماً بثـاء الثغـر منـك لأنّـه ☆ ثغـرٌ بـه جيـم الجمـان تنضّدا (٥)
و بـراء ريقٍ كالمـدام مزاجه ☆ شهدٌ به تروى القلوب من الصدى ١٥

(١) الريم : الظبي الخالص البياض .

(٢) منعطفاً : منثنياً . القضيب : السيف القطاع . القوس عملت من قضيب أو غصن غـير مشقوق . الاميد من ماد يميد ميداً : تحرك واضطرب . الاغيد من غيد يغيد غيداً : مالت عنقه لانت أعطافه فهو أغيد وهي غيداء .

(٣) نمّ نماً : زين .

(٤) الرشق : الرمى . الردى : الهلاك .

(٥) الثغر : مقدم الاسنان . الجمان : اللؤلؤ .

إنّي لقد أصبحت عبدك في الهوى ☆ و غدوت في شرح المحبّة سيّدا
فاعدل بعبدك لاتجر و اسمح ولا ☆ تبخل بقرب من وفاك الأبعدا
وابدِ الوفا ودَعِ الجفا و ذَرِ العفا ☆ فلقد غدوتُ أخا غرام مكمداً
وفجعت قلبي بالتفرّق مثلما ☆ فجعت اُميّة بالحسين محمّدا
٢٠ سبط النبيّ المصطفى الهادي الّذي ☆ أهدى الأنام من الضلال وأرشدا
و هو ابن مولانا عليّ المرتضى ☆ بحر الندى مروي الصدا مُردي العدا
أسما الورى نسباً و أشرفهم أباً ☆ و أجلّهم حسباً و أكرم محتدا
بحرُ طما . ليثُ حمى . غيثُ همى ☆ صبحُ أضا . نجمُ هدى . بدرُ بدا
السيّد السند الحسين أعمّ أهـ ـ ل الخافقين ندىً و أسمحهم يدا
٢٥ لم أنسه في كربلا متلظّيا ☆ في الكرب لايلقي لماء موردا
والمقنب الأمويّ حول خبائه ☆ النبويّ قدملأ الفدافد فُدفدا [١]
عصبٌ عصت غضّت بخيلهم الفضا ☆ غصبت حقوق بني الوصيّ وأحمدا
حمّت كتائبه و ثار عجاجه ☆ فحكى الخضمّ المدلهمّ المزبدا
للنُصب فيه زماجرٌ مرفوعةٌ ☆ جزمت بها الأسماء من حرف الندا
٣٠ صامت صوافنه و بيض صفاحه ☆ صلّت فصيّرت الجماجم سجّدا
نسج الغبار على الأسود مدارعاً ☆ فيه فجسّدت النجيع و عسجدا
و الخيل عابسةُ الوجوه كأنّها ☆ العقيان تخترق العجاج الأربدا
حتّى إذا لمعت بروق صفاحها ☆ وغدا الجبان من الرواعد مُرعدا
صال الحسين على الطغاة بعزمه ☆ لايختشي من شرب كاسات الردا
٣٥ وغدا بلام اللدن يطعن أنجلاً ☆ و بغين غرب العضب يضرب أهودا [٢]
فأعاد بالضرب الحسام مفلّلا ☆ وثنى السنان من الطعان مقصّدا [٣]

---

(١) المقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة . الفدافد: بفتح الفاء : الفلاة . فدفد بضم الفاء الجافي الكلام المرتفع الصوت .

(٢) الانجل : الواسع الطويل العريض ، يقال : طعنه طعنة نجلاء . أي واسعة . الاهود من الهوادة : اللين والرفق .

(٣) المقصدة من القصدة بالكسر : القطعة مما يكسر . يقال رمح قصدو قصيد وأقصاد: اى متكسر .

فكأنما فتكاته في جيشهم ☆ فتكات (حيدر) يوم أُحد في العدى
جيش يريد رضى يزيد عصابة ☆ غصبت فأغضبت العليّ و أحمدا
جحدوا العليّ مع النبي وخالفوا ☆ الهادي الوصي ولم يخافوا الموعدا
و غواهم شيطانهم فأضلّهم ☆ عمداً فلم يجدوا وليّاً مرشدا ٤٠
و من العجائب أنّ عذب فراتها ☆ تسري مسلسلة و لن تتقيّدا
طام و قلب السبط ظام نحوه ☆ و أبوه يسقي الناس سلسله غدا
وكأنّه والطرف والبتّار و الخر ☆ صان في ظلل العجاج و قد بدا (٣)
شمس على فلك و طوع يمينه ☆ قمر يقابل في الظلام الفرقدا (٤)
والسيد العباس قد سلب العدا ☆ عنه اللباس و صيّروه مجرّدا ٤٥
وابن الحسين السبط ظمآن الحشا ☆ والماء تنهله الذئاب مبرّدا
كالبدر مقطوع الوريد له دم ☆ أمسى على ترب الصعيد مبدّدا
والسادة الشهداء صرعى في الفلا ☆ كل لأحقاف (٥) الرمال توسدا
فأولئك القوم الّذين على هدى ☆ من ربهم فمن اقتدى بهم اهتدى
والسبط حرّان الحشا لمصابهم ☆ حيران لا يلقى نصيراً مسعدا ٥٠
حتّى إذا اقتربت أباعيد الرّدى ☆ و حياته منها القريب تبعّدا
دارت عليه علوج آل أميّة ☆ من كلّ ذي نقص يزيد تمرّدا
فرموه عن صفر القسيّ بأسهم (١) من غير ما جرم جناه ولا اعتدا
فهوى الجواد عن الجواد فرجّت ☆ السبع الشدادو كان يوماً أنكدا
و احتزّ منه الشمر رأساً طالما ☆ أمسى له حجر النبوّة مرقدا ٥٥
فبكته أملاك السّماوات العلى ☆ والدهر بات عليه مشقوق الرّدا

---

(١) الطرف . راجع ص ٥ . البتار : السيف القاطع . الخرصان : جمع الخرص ، الرمح القصير السنان .

(٢) هذه البداعة ماخوذة من علاء الدين الشفهيني كما مرت فى ج ٦ ص ٣٦٢ ومرت لابن العرندس ايضاً فى هذا الجزء ص ٥ .

(٣) الاحقاف جمع الحقف : ما اعوج من الرمح واستطال .

(٤) الصفر :الدائرة . القسى جمع القوس : آلة معروفه ترمى بها السهام .

وارتدَّ كفُّ الجود مكفوفاً وطر ـ ف العلم مطروفاً [(١)] عليه أرمدا
والوحش صاحَ لما عراه من الأسى ✿ والطير ناحَ على عزاه و عدَّدا [(٢)]
و سروا بزين العابدين الساجد ✿ الباكي الحزين مُقيَّداً و مُصفَّدا
٦٠ وسكينةٌ سكنَ الأسى في قلبها ✿ فغدا بضامرها [(٣)] مُقيماً مُقعدا
و أسال قتل الطفِّ مدمع زينب ✿ فجرى ووسط الخدِّ منها خدَّدا
و رأيت ساجعةً تنوح بأيكة [(٤)] سجعت فأخرست الفصيح المنشدا
بيضاء كالصبح المضيء أكفُّها ✿ حمرٌ تطوَّقت الظلام الأسودا
ناشدتها يا ورق : ما هذا البكا ✿ ردِّي الجواب فجعت قلبي المكمدا
٦٥ والطوق فوق بياض عنقكِ أسودٌ ✿ وأكفُّكِ حمرٌ تحاكي العسجدا
لمّا رأت ولهي و تسآلي لها ✿ و لهيب قلبي ناره لن تخمدا
رفعت بمنصوب الغصون لها يداً ✿ جزمت به نوح النوائح سرمدا
:قُتل الحسين بكربلا يا ليته ✿ لاقى النجاة بها و كنتُ له الفدا
فاذا تطوَّق ذاك دمعي أحمرٌ ✿ قانٍ مسحتُ به يديَّ تورَّدا
٧٠ ولبستُ فوق بياض عنقي من أسىً ✿ طوقاً بسين سواد قلبي أسودا
فالآن ها ذي قصَّتي ياسائلي ✿ و نجيع دمعي سائلٌ لن يجمدا
فاندب معي بتقرُّحٍ و تحرُّقٍ ✿ وابكي وكن لي في بكائي مُسعدا
فلألعننَّ بني أُميَّة ما حدا ✿ حادٍ و ما غار الحجيج و أنجدا [(٥)]
ولألعننَّ يزيدها و زيادها ✿ و يزيدُها ربِّي عذاباً سرمدا
٧٥ ولأبكينَّ عليك يابن محمَّدٍ ✿ حتى أوسَّد في التراب مُلحَّدا
ولأحلينَّ على عُلاك مدائحاً ✿ من درِّ ألفاظي حساناً خُرَّدا

---

(١) المطروفة من العين : التى اصابها شيىء فدمعت .
(٢) عدَّدالميت : عد مناقبه ووصفها .
(٣) ضمر فهوضامر : هزل ودقَّ وقلَّ لحمه .
(٤) الايكة : الشجر الكثيرالملتفّ .
(٥) غارالرجل : سار . انجدالرجل : اتى نجدا ـ قرب من اهله .

عرباً فصاحاً في الفصاحة جاوزت ☆ قساً [(١)] وبات لها لبيد [(٢)] مبلدا
قلدتها بقلائد من جودكم ☆ أضحى بها جيد الزمان مقلدا
يرجو بها نجل العرندس صالح ☆ في الخلد مع حور الجنان تخلدا
وسقى الطفوف الهامرات من الحيا ☆ سحباً تسح عيونها دمع الندى [(٣)] ٨٠
ثم السلام عليك يابن المرتضى ☆ ما ناح طير في الغصون و غردا

و له قصيدة تناهز ٥٦ بيتاً يرثي بها الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه توجد في المنتخب لشيخنا الطريحي ٢ ص ١٩ ط بمبيء مطلعها :

نوحوا أيا شيعة المولى أبا حسن ☆ على الحسين غريب الدار والوطن



(١) قس بن ساعدة الايادى خطيب العرب قاطبة والمضروب به المثل فى البلاغة .
(٢) لبيد بن ربيعة العامرى توفى فى أول خلافة معاوية و هو ابن مائة وسبع وخمسين سنة .
(٣) الها مرات من همر الماء : انصب . والهمار من السحاب : السيال . الحيا : المطر . سح الماء : صبه صبا متتابعاً غزيراً . الندى : المطر .

القرن التاسع

٧٣

ابن داغر الحلي

حيّا الآله كتيبة مرتادها ✫ يطوى له سهل الفلا و وهادها
قصدت أمير المؤمنين بقبّة ✫ يُبنى على هام السّماك عمادها
وفدت على خير الأنام بحضرة ✫ عند الآله مكرّمٌ وفّادها
فيها الفتى وابن الفتى وأخو الفتى ✫ أهل الفتوّة ربّها مقتادها
٥ وله الفخار قديمه و حديثه ✫ والفاضلات طريفها و تلادها[1]
مولى البريّة بعد فقد نبيّها ✫ و إمامها و همامها وجوادها
وإذا القروم تصادمت في معرك ✫ والخيل قد نسج القتام طرادها
وترى القبائل عند مختلف القنا ✫ منه يحذّر جمعها آحادها
والشوس تعثر في المجال وتحتها ✫ جردٌ تجذّ إلى القتال جيادها[2]
١٠ فكأنّ منتشر الرعال لدى الوغا ✫ زجلٌ تنشّر في البلاد جرادها
ورماحهم قد شظّيت عيدانها[3] ✫ وسيوفهم قد كسّرت أغمادها
والشهب تغمد في الرؤس نصولها ✫ والسمر تصعد في النفوس صعادها[4]
فترى هناك أخا النبيّ محمّد ✫ وعليه من جهد البلاء جلادها
متردّياً عند اللقا بحسامه ✫ متصدّياً لكماتها يصطادها

(١) الطريف : المكتسب حديثاً . التلاد والتليد : ما كان من قديم .

(٢) الشوس ج أشوس: الشديد الجريء في القتال . تعثر يقال : عثر الرجل عثوراً اذا هجم لمى امر لم يهجم عليه غيره . المجال : محل الجولان أي الميدان . جرد جمع الاجرد : السباق من الخيل . يجذ من جذفي سيره : أسرع : الجياد ج الجواد : السريع من الفرس .

(٣) شظى تشظية : فرق ، تشظى العود : تطاير شظايا : عيدان واعود واعواد ج العود : الخشب .

(٤) الشهب ج الشهاب: السنان . سمى به لما فيه من بريق . نصول ج النصل :حديدة الرمح والسهم . السمر : الرمح . صعاد ج الصعدة : القناة المستوية .

عضد النبيّ الهاشميّ بسيفه ☆ حتى تقطّع في الوغا أعضادها ١٥
و أخاه دونهم و سدّ دُوينه ☆ أبوابهم فتّاحها سدّادها
و حباه في (يوم الغدير) ولايةً ☆ عام الوداع و كلّهم أشهادها
فغدابه (يوم الغدير) مفضّلاً ☆ بركاته ما تنتهي أعدادها
قبلت وصيّة أحمد و بصدرها ☆ تخفى لآل محمّد أحقادها
حتى إذا مات النبيّ فأظهرت ☆ أضغانها في ظلمها أجنادها ٢٠
منعوا خلافة ربّها و وليّها ☆ ببصائرعميت وضلّ رشادها
واعصوصبوا في منع فاطم حقّها ☆ فقضت وقدشاب الحياة نكادها (١)
و توفّيت غصصاً و بعد وفاتها ☆ قُتل الحسين و ذُبّحت أولادها
و غدا يُسبُّ على المنابر بعلها ☆ في أمّة ضلّت وطال فسادها
و لقد وقفت على مقالة حاذقٍ ☆ في السالفين فراق لي إنشادها ٢٥
[أعلى المنابر تعلنون بسبّه ☆ و بسيفه نصبت لكم أعوادها] (٢)
يا آل بيت محمّد يا سادةً ☆ ساد البريّة فضلها و سدادها :
أنتم مصابيح الظلام و أنتمُ ☆ خير الأنام و أنتمُ أمجادها
فضلاء ها علماء ها حلماء ها ☆ حكماء ها عبّادها زهّادها
أمّا العباد فأنتمُ ساداتها ☆ أمّا الحروب فأنتمُ آسادها ٣٠
تلك المساعي للبريّة أوضحت ☆ نهج الهدى ومشت به عبّادها
و إليكمُ من شاردات (مغامس) ☆ بكراً يقرّ بفضلها حسّادها
كملت بوزن كمالكم و تزيّنت ☆ بمحاسن من حسنكم تزدادها
ناديتها صوتاً فمذ أسمعتها ☆ لبّت و لم يصلد عليّ زنادها
نفقت لديّ لأنّها في مدحكم ☆ فلذاك لايخشى عليّ كسادها ٣٥
رحم الإله محمّدها أقلامه ☆ ورجاؤه أن لايخيب مدادها

(١) اعصوصبوا : اجتمعوا و صاروا عصائب . شاب : خلط و غش . النكاد : الكدر .
(٢) هذا البيت من قصيدة لابي محمد عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي رحمه الله المتوفى ٤٦٦ .

فتشفّعوا لكبائر أسلفتها ☆ قلقت لها نفسي و قلّ رقادها
جرماً لو أنّ الراسيات حملنه ☆ دكّت وذاب صخورها وصلادها
هيهات تُمنع عن شفاعة جدّكم ☆ نفسٌ وحبّ أبي تراب زادها
٤٠ صلّى الاله عليكمُ ما أرعدت ☆ سحبٌ وأسبل ممطراً أرعادها

و له قوله من قصيدة تناهز الاثنين و التسعين بيتاً :

كيف السّلامة والخطوب تنوبُ ☆ ومصائب الدنيا الغرور تصوبُ ؟
إنّ البقاء على اختلاف طبائع ☆ ورجاء أن ينجو الفتى لعصيبُ
العيش أهونه و ما هو كائنٌ ☆ حتمٌ و ما هو وأصلٌ فقريبُ
والدهر أطوارٌ و ليس لأهله ☆ إن فكّروا في حالتيه نصيبُ
٥ ليس اللبيب من استغرّ بعيشه ☆ إنّ المفكّر في الأمور لبيبُ
يا غافلاً ؛ و الموت ليس بغافل ☆ عِش ما تشاء فانّك المطلوبُ
أبديت لهوك إذ زمانك مقبلٌ ☆ زاهٍ وإذ غضّ الشباب رطيبُ
فمن النصير على الخطوب إذا أتت ☆ وعلا على شرخ الشباب مشيبُ
علل الفتى من علمه مكفوفة ☆ حتى الممات وعمره مكتوبُ
١٠ و تراه يكدح في المعاش ورزقه ☆ في الكائنات مقدّرٌ محسوبُ
إنّ الليالي لا تزال مجدّة ☆ في الخلق أحداثٌ لها وخطوبُ
من سرّ فيها ساءه من صرفها ☆ ريبٌ له طول الزمان مريبُ
عصفت بخير الخلق آل محمّد ☆ نكباء إعصار لها و هبوبُ (١)
أمّا النبيّ فخانه من قومه ☆ في أقربيه مجانبٌ و صحيبُ
١٥ من بعد ما ردّوا عليه وصاته ☆ حتى كأنّ مقاله مكذوبُ
و نسوا رعاية حقّه في حيدر ☆ في «خم» وهو وزيره المصحوبُ
فأقام فيهم برهة حتى قضى ☆ في الغيظ وهو بغيظهم مغضوبُ

و منها قوله في رثاء الإمام السبط عليه السلام :

بأبي الإمام المستظام بكربلا ☆ يدعو و ليس لما يقول مجيبُ

(١) الاعصار : ريح ترتفع بالتراب. الهبوب من الرياح : المثيرة للغبرة.

بأبي الوحيد و ماله مِن راحمٍ ✡ يشكو الظما و الماء منه قريبُ
بأبي الحبيب إلى النبيِّ محمّدٍ ✡ و محمّـدٌ عنـد الآلـه حبيبُ ٢٠
يا كربلاءَ أفيكِ يقتل جهرةً ✡ سبط المطهّر ؛ إنَّ ذاالعجيبُ
ما أنتِ إلاّ كربـةٌ و بليّـةٌ ✡ كلُّ الأنـام بهولها مكروبُ
لهفي عليه و قد هوى متعفّراً ✡ و بـه أُوامٌ فـادحٌ و لغوبُ (١)
لهفي عليـه بالطفـوف مجدّلاً ✡ تسفي عليـه شمألٌ و جنوبُ
لهفي عليـه و الخيول ترضّه ✡ فلهنَّ ركضٌ حوله و خبيبُ (٢) ٢٥
لهفي له و الرأس منـه مميّز ✡ والشيب من دمه الشريف خضيب
لهفي عليه و درعـه مسلوبـة ✡ لهفي عليـه و رحلـه منهوبُ
لهفي على حرم الحسين حواسراً ✡ شعثاً و قد ريعت لهنَّ قلوبُ
حتّى إذا قطع الكريم بسيفه ✡ لم يثنه خوفٌ ولا ترعيبُ
لله كم لطمت خدودٌ عنده ✡ جزعاً وكم شقّت عليه جيوبُ ؟ ٣٠
ما أنس إن أنسى الزكيّة زينباً ✡ تبكي لـه وقناعهـا مسلوبُ
تدعو وتندب والمصاب تكظّها ✡ بين الطفوف ودمعها مسكوبُ (٣)
ءَأُخيَّ بعـدك لاحييت بغبطةٍ ✡ و اغتالني حتفٌ إليَّ قريبُ
ءَأُخيَّ بعدك مَن يدافع جاهلاً ✡ عنّي و يسمع دعوتي ويجيبُ
حزني تذوب له الجبال و عنده ✡ يسلو و ينسى يوسفاً يعقوبُ ٣٥

الشاعر

الشيخ مغامس بن داغر الحلي ؛ طفح بذكر المغامس في حبِّ آل الله صلّى الله عليهم غير واحد من المعاجم المتأخّرة كالحصون المنيعة للعلاّمة الشيخ علي آل كاشف الغطاء ، و الطليعة للعلاّمة السماوي ، و البابليّات للخطيب اليعقوبي ، و ذكر شطراً من شعره

---

(١) الاوام : العطش . الفادح : الصعب المثقل . اللغوب : المتعب المعيى.

(٢) الخبيب من خب الفرس في عدوه : راوح بين يديه و رجليه أي قام على احداهما مرّة وعلى الاخرى مرّة .

(٤) تكظها من كظّه الامر كظاً : غمّ وبهظ . الطفوف ج الطف . ماشرف من الارض .

شيخنا فخر الدين الطريحي في المنتخب ، والأديب الإصبهاني في التحفة الناصرية ، و تضمن غير واحد من المجاميع قريظه المتدفق بمدح أهل بيت الوحي أئمة الهدى و رثائهم صلوات الله عليهم حتى جمع منها الشيخ السماوي ديواناً باسم المترجم يربو على ألف وثلثمائة وخمسين بيتاً ولعل التالف منها أكثر وأكثر .

فهو من شعراء أهل البيت المكثرين المتفانين في حبهم وولائهم غير أن الدهر أنسى ذكره الخالد ، و لعل هذا الانقطاع عن غيرهم عليهم السلام هو الذي قطع إطراد ذكره في جملة من الموسوعات أو المعاجم لمن لا يألف إلى ودهم كما فعلوا ذلك بالنسبة إلى كثيرين من أمثال المترجم فتركوا ذكره أو أثبتوه بصورة مصغرة ، وعندهم مكبرات لذكريات أناس هم دون اولئك في الفضيلة و الأدب ، وكم للتاريخ من جنايات في الخفض والرفع ؛ والجر والنصب ؛ لا تستقصى ؟ .

كان الشيخ مغامس من إحدى القبائل العربية في ضواحي الحلة الفيحاء فهبطها للدراسة ، ولم يبارحها حتى قضى بها نحبه شاعراً خطيباً ، في أواسط القرن التاسع و يعرب شعره عن انه كان له شوط في مضمار الخطابة كما كان يركض في كل حلبة من حلبات القريض قال :

فتارةً أنظم الأشعار ممتدحاً ☆ وتارةً أنثر الأقوال في الخطب

و كان أبوه داغر شاعراً موالياً و هو الذي علمه قرض الشعر و مرنه على ولاء العترة الطاهرة كما يأتي في قوله :

أعملت في مدحكم فكري فعلمني ☆ نظم المديح وأوصاني بذاك أبي

فحيى الله الوالد و الولد . وإليك فهرست قصائده التي وقفنا عليها في مجاميع الأدب :

عدد القصائد	المطلع		عدد الأبيات
١	محبٌّ الليالي في مساعيه متعبُ	☆ يساق اليه حتفه و هو يدأبُ	٩٣
٢	تذكّر ما أحصى الكتاب فتابا	☆ و حاذر من مسِّ العذاب عقابا	٩٢
٣	أصبحت للتقوى بجهلك تدّعي	☆ دعواك باطلةٌ إذا لم تقلعِ	٨١
٤	هل حين عمّمه المشيبُ وقنّعا؟	☆ أتراه يصنع في الهداية مصنعا ؟	٩٠

٥ أتطلب دنياً بعد شيب قذالِ؛ (١) وتذكر أيّاماً مضت وليالي؛ ٩٢

توجد جملة من هذه القصيدة في المنتخب ٢ : ٤٥ طبمبيء .

٦ فصلت صروف الحادثات مفاصلي ☆ وأصاب سهم النائبات مقاتلي

قطع الزمان عرى قواي و كلّما ☆ قطع الزمان فما له من واصلِ ٧٧

هذه القصيدة ذكرها شيخنا الطريحي في المنتخب ٢ : ٣٦ .

٧ لغيرك يا دنيا ثنيت عِناني ☆ وذاك لأمر عن غناك عَناني ٩٩

توجد هذه القصيدة برمّتها في المنتخب ٢ : ٥٨ .

٨ لبني الهادي مناحي ☆ في غدوّي ورواحي

صاح ما قلبي بصاحِ ☆ ما لحزني من براحِ ١٠٥

٩ هجر الغمض وسادي ☆ وكوى الحزن فؤادي

فحياتي في نكادي ☆ لقتيـل ابن زيادِ ٦٢

١٠ ليتني كنت فداءً للحسينْ ☆ وهو بالطفّ قطيع الودجينْ

ينظر الشمر بعـينٍ و بعينْ ☆ ينظر النسوة بين العسكرينْ ١٠٦

١١ بكيت و ما لريعان الشبابِ ☆ ولا لدروس منزلة خراب

ولا لفوات عيش مستطابِ ☆ ولا لفراق زينب والربابِ ٨٠

١٢ صحبتكِ لانّي بودّك مغرمُ ☆ فبيني فغيري في هواكِ المتيّم ٨٨

١٣ رحل الشباب وانّـه لكريمُ ☆ و فراغه عند النفوس عظيمُ ٨١

١٤ أزال الشباب الغضّ عنك مزيلُ ☆ فهل أنت للبيض الحسان خليلُ؟ ٧٥

١٥ يمدح بها النبيّ الأعظم ﷺ قوله :

عرّج على المصطفى يا سائق النجبِ ☆ عرّج على خير مبعوث وخير نبي

عرّج على السيّد المبعوث من مُضر ☆ عرّج على الصادق المنعوت في الكتب

عرج على رحمة الباري ونعمته ☆ عرّج على الابطحيّ الطاهر النسبِ

رآه آدم نوراً بين أربعة ☆ لألاؤها فوق ساق العرش من كَثبِ

فقال : ياربّ مَن هذا؟ فقيل له ☆ قول المحبّ وما في القول من ريبِ ٥

---

(١) القذال بفتح القاف : ما بين الاذنين من مؤخر الرأس .

هم أولياءي وهم ذرّية لكما ✡ فقرّ عيناً ونفساً فيهم وطبِ
أما وحقّهم لولا مكانهم ✡ منّي لما دارت الأفلاك بالقطبِ
كلّا و لا كان من شمسٍ ولا قمرٍ ✡ ولا شهابٍ ولا أُفقٍ ولا حجبِ
ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا شجرٍ ✡ للناس يهمي عليه واكف السحبِ
١٠ ولا جنانٍ ولا نارٍ مؤجّجة ✡ جعلت أعداء هم فيها من الحطبِ
و قال للملأ الأعلى : ألا أحدٌ ✡ يُنبي بأسمائهم صدقاً بلا كذبِ
فلم يجيبوا فأنبا آدمٌ بهمُ ✡ لها بعلم من الجبّار مُكتسبِ
فقال للملأ الأعلى : اسجدوا كملاً ✡ لآدم و اطيعوا و اتّقوا غضبي
و صيّر الله ذاك النّور ملتمعاً ✡ في الوجه منه بوعدٍ منه مرتقبِ
١٥ و خاف نوحٌ فناجى ربّه فنجا ✡ بهم على دسر الألواح والخشبِ
و في الجحيم دعا اللهَ الخليلُ بهم ✡ فأخمدت بعد ذاك الحرّ و اللهبِ
و قد دعا اللهَ موسى إذ هوى صعقاً ✡ بحقّهم فنجا من شدّة الكربِ
فظلّ منتقلاً والله حافظه ✡ على تنقّله من حادث النّوبِ
حتّى تقسّم في عبدالإله معاً ✡ و في أبي طالب عن عبد مُطّلبِ
٢٠ فأودع الله ذاك القسم آمنةً ✡ يوماً إلى أجلٍ بالحمل مقتربِ
حتى إذا وضعته انهدّ من فزع ✡ ركن الضلال و نادى الشرك بالحرب
وانشقّ أيوان كسرى وانطفت حذراً ✡ نيرانهم و أقرّ الكفر بالغلبِ
تساقطت أنجم الأملاك مؤذنةً ✡ بالرّجم فاحترق الأصنام باللهبِ
حتّى إذا حازسنّ الأربعين دعا ✡ ربّي به في لسان الوحي بالكتبِ
٢٥ فقال : لبّيك من داعٍ و أرسله ✡ إلى البريّة من عُجم و من عربِ
فأظهر المعجزات الواضحات لهم ✡ بالبيّنات ولم يحذر ولم يهبِ
أراهم الآية الكبرى فواعجباً ✡ ما بالهم خالفوا ؟ من أعجب العجبِ
رامت بنو عمّه تبييته سحراً ✡ فعاذ منهم رسول الله بالهربِ

(١) همى الماء يهمى همياً : سال لا يثنيه شيء . الواكف . المطر المنهل .

و بات يفديه خير الخلق حيدرةٌ [١] ✡ على الفراش وفي يُمناه ذوشطبِ [٢]
فأدبروا إذ رأوا غير الذي طلبوا ✡ و أوغلوا لرسول الله في الطلبِ ٣٠
فرابهم عنكبٌ في الغار إذ جعلت ✡ تسدي وتلحم في أبرادها القَشَبِ
حتى إذا ردَّهم عنه الإلٰه مضى ✡ ذاك النَّجيب على المهريَّة النُّجبِ
فحلَّ دار رجال بايعوه على ✡ أعداؤه فدماء القوم في صَببِ
في كلِّ يومٍ لمولى الخلق واقعةٌ ✡ منه على عابدي الأوثان والصلبِ
يمشي إلى حربهم والله ناصره ✡ مشي العفرناة في غاب القنا السلبِ ٣٥
في فتية كالا سود المحذرات لها ✡ براثن [٣] من رماح الخطِّ والقضبِ
عافوا المعاقل للبيض الحسان فما ✡ معاقل القوم غير البيض و اليلبِ [٤]
فالحقُّ في فرح والدينُ في مَرَحٍ ✡ والشركُ في ترحٍ والكفر في نصبِ
حتّى استراح نبيُّ الله قاضيةً ✡ بهم وراحتهم في ذلك التعبِ
يا من به أنبياء الله قد ختموا ✡ فليس من بعده في العالمين نبي ٤٠
إن كنت في درجات الوحي خاتمهم ؟ ✡ فأنت أوَّلهم في أوَّل الرُّتبِ
قد بشّرت بك رسل الله في أُمم ✡ خلت فما كنت فيما بينهم بغبي [٥]
شهدت انَّك أحسنت البلاغ فما ✡ تكون في باطل يوماً بمنجذبِ
حتّى دعاكَ إلٰهي فاستجبت له ✡ حبّاً ومَن يدعه المحبوب يستجبِ
و قد نصبتَ لهم في دينهم خلفاً ✡ وكان بعدك فيهم خير منتصبِ ٤٥
لكنّهم خالفوهُ و ابتغوا بدلاً ✡ تخيّروه و ليس النبع كالغربِ [٦]

و يقول فيها :

---

(١) مرحديث ليلة المبيت فى الجزء الثانى ص ٤٧ ط ٢ .
(٢) الشطب ج الشطبة بضم الاول وكسره . الخط فى متن السيف .
(٣) البرثن من السباع والطير بمنزلة الاصبع من الانسان . ج : براثن
(٤) المعقل : الملجأ . البيض جمع بيضاء : السيف . اليلب : الترس او الدروع اليمانية من الجلود . خالص الحديد .
(٥) المستور . المجهول .
(٦) النبع : خروج الماء من العين . الغرب : الماء المقطر من الدلو بين الحوض والبئر

يا راكب الهوجل المحبوك تحمله (١) ✡ إلى زيارة خير العجم و العرب
إذا قضيت فروض الحج مكتملاً ✡ ونلت إدراك ما في النفس من إرب
وزرت قبر رسول الله سيدنا ✡ و سيد الخلق من ناء و مقترب
٥٠ قف موقفي ثم سلّم لي عليه معاً ✡ حتى كأنّي ذاك اليوم لم أغب
و اثن السلام إلى أهل البقيع فلي ✡ بها أحبة صب دائم الوصب
و بثّهم صبوتي طول الزمان لهم ✡ وقل بدمع على الخدين منسكب
: يا قدوة الخلق في علم وفي عمل ✡ و أطهر الخلق في أصل وفي نسب
وصلتُ حبل رجائي في حبائلكم ✡ كما تعلّق في أسبابكم سببي
٥٥ دنوت في الدين منكم والوداد فلو — لادان لم يدن من أحسابكم حسبي
مديحكم مكسبي والدين مكتسبي ✡ ماعشت والظن في معروفكم نشبي
فإن عدتني الليالي عن زيارتكم ✡ فان قلبي عنكم غير منقلب
قد سيط لحمي وعظمي في محبتكم ✡ وحبكم قد جرى في المخ والعصب
هجري وبغضي لمن عاداكم ولكم ✡ صدقي وحبي وفي مدحي لكم طربي
٦٠ فتارة أنظم الأشعار ممتدحاً ✡ و تارة أنثر الأقوال في الخطب
حتى جعلت مقال الضد من شبه ✡ إذ صغت فيكم قريض القول من ذهب
أعملت في مدحكم فكري فعلمني ✡ نظم المديح وأوصاني بذاك أبي
فهل أنال مفازاً في شفاعتكم ✡ مما احتقبت له في سائر الحقب ؟
فيا مغامس ! احبس في مدائحهم ✡ تلك القوافي و أجر الله فاحتسب

---

(١) الهوجل : الناقة التى بها هوج من سرعتها . المحبوك : مشدود الوسط .

القرن التاسع

٧٤

الحافظ البرسي الحلي

هو الشمس ؟ أم نور الضريح يلوحُ ؟ ☆ هو المسك ؟ أم طيب الوصيّ يفوحُ ؟
وبحرُ ندا ؟ أم روضةٌ حوت الهدى ؟ ☆ و آدم ؟ أم سرُّ المهيمن نوحُ ؟
وداودُ هذا أم سليمانُ بعده ؟ ☆ وهارونَ ؟ أم موسى العصا و مسيحُ ؟
وأحمدُ هذا المصطفى ؟ أم وصيّه ☆ عليٌّ ؟ نماه هاشمٌ وذبيحُ
محيط سماء المجد بدرُ دجنّة ☆ و فلكُ جمال للأنام ويوحُ[1] ٥
حبيب حبيب الله بل سرُّ سرّه ☆ و جثمان أمرٍ للخلائق روحُ
له النصُّ في (يوم الغدير) ومدحه ☆ من الله في الذكر المبين صريحُ
إمامٌ إذا ما المرء جاء بحبّه ☆ فميزانه يوم المعاد رجيحُ
له شيعةٌ مثل النجوم زواهرٌ ☆ لها بين كلِّ العالمين وضوحُ
إذا قاولت فالحقُّ فيما تقوله ☆ به النور باد واللسان فصيحُ ١٠
و إن جاولت أو جادلت عن مرامها ☆ تولّى العدوُّ الجلد وهو طريحُ
عليك سلام الله يا راية الهدى ☆ سلامُ سليم يغتدي ويروحُ

و تأتي له قصيدة منها قوله :

مولىً له بغدير خمٍّ بيعة ☆ خضعت لها الأعناق وهي طوايحُ

﴿الشاعر﴾

الحافظ الشيخ رضي الدين رجب بن محمّد بن رجب البرسي الحلّي ، من عرفاء علماء الإماميّة وفقهائها المشاركين في العلوم ، على فضله الواضح في فنّ الحديث ، وتقدّمه في الأدب وقرض الشعر وإجادته ، وتضلّعه من علم الحروف وأسرارها واستخراج

---

(١) يوح : الشمس .

فوائدها ، وبذلك كله تجد كتبه طافحة بالتحقيق ودقّة النظر، وله في العرفان والحروف مسالك خاصّة ، كما أنّ له في ولاء أئمة الدين عليهم السلام آراء ونظريّات لا يرتضيها الفيف من الناس ، ولذلك رموه بالغلوّ والارتفاع ، غير انّ الحقّ انّ جميع ما يثبته المترجم لهم عليهم السّلام من الشئون هي دون مرتبة الغلوّ وغير درجة النبوّة ، و قد جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله : إيّاكم والغلوّ فينا ، قولوا : إنّا عبيد مربوبون . وقولوا في فضلنا ما شئتم [١] و قال الإمام الصادق عليه السلام : اجعل لنا ربّاً نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم . وقال عليه السلام : اجعلونا مخلوقين و قولوا فينا ماشئتم فلن تبلغوا [٢] .

وأنّى لنا البلاغ مدية ما منحهم المولى سبحانه من فضائل و مآثر ؟ و انّى لنا الوقوف على غاية ما شرّفهم الله به من ملكات فاضلة ، ونفسيّات نفيسة ؛ وروحيّات قدسيّة ، وخلائق كريمة ، ومكارم ومحامد ؟ فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام ؟ أو يمكنه اختياره ؟ هيهات هيهات ضلّت العقول ، و تاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وخسئت العيون ، وتصاغرت العظماء ، و تحيّرت الحكماء ، و تقاصرت الحلماء ، و حصرت الخطباء ، و جهلت الألبّاء ، وكلّت الشعراء ، و عجزت الأدباء ، و عييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه ، و فضيلة من فضائله ، و أقرّت بالعجز و التقصير ؛ و كيف يوصف بكلّه ؟ أو ينعت بكنهه ؟ أو يفهم شيء من أمره ؟ أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه ؟ لا . كيف ؟ وأنّى ؟ فهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين ، فأين الإختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ؟ [٣] .

ولذلك تجد كثيراً من علمائنا المحققين في المعرفة بالأسرار يثبتون لأئمة الهدى صلوات الله عليهم كلّ هاتيك الشئون وغيرها ممّا لا يتحمّله غيرهم ، و كان في علماء قُم من يرمي بالغلوّ كلّ من روى شيئاً من تلكم الأسرار حتى قال قائلهم : إنّ أول مراتب الغلوّ نفي السهو عن النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أن جاء بعدهم المحقّقون و عرفوا الحقيقة فلم يقيموا لكثير من تلكم التضعيفات وزناً، وهذه بليّة مُني بها كثيرون من أهل الحقائق

(١) الخصال لشيخنا الصدوق .

(٢) بصائر الدرجات للصفار .

(٣) من قولنا : فمن ذا الذى يبلغ . الى هنا مأخوذ من حديث رواه شيخنا الكلينى ثقة الاسلام فى اصول الكافى ص ٩٩ عن الامام الرضا صلوات الله عليه .

والعرفان ومنهم المترجم ، ولم تزل الفئتان على طرفي نقيض ، و قد تقوم الحرب بينهما على أشدّها ، والصلح خير .

وفذلكة المقام أنّ النفوس تتفاوت حسب جبلّاتها واستعداداتها في تلقّي الحقائق الراهنة ، فمنها ما تبهظه المعضلات والأسرار ، و منها ما ينبسط لها فيبسط اليها ذراعاً و يمدّ لها باعاً ، وبطبع الحال ان الفئة الأولى لايسعها الرضوخ لما لايعلمون ، كما أنّ الآخرين لا تبيح لهم المعرفة أن يذروا ما حقّقوه في مدحرة البطلان ، فهنا لك تثور المنافرة ، وتحتدم الضغائن ، و نحن نقدّر للفريقين مسعاهم لما نعلم من نواياهم الحسنة وسلوكهم جدد السبيل في طلب الحقّ ونقول :

على المرء أن يسعى بمقدار جهده ☆ وليس عليه أن يكون موفّقا

ألا إنّ الناس لمعادن كمعادن الذهب والفضة [١] و قد تواتر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام : أنّ أمرنا ، أوحديثنا . صعب مستصعب لا يتحمّله إلّا نبيّ مرسل أو ملك مقرّب ، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالايمان [٢] إذن فلا نتحرّى وقيعة في علماء الدين و لا نمسّ كرامة العارفين ، ولا ننقم من أحد عدم بلوغه إلى مرتبة من هو أرقى منه ، إذ لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها .و قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : لو جلست أحدّثكم ما سمعت من فم أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم لخرجتم من عندي وأنتم تقولون : إنّ عليّاً من أكذب الكاذبين [٣] .

و قال إمامنا السيّد السجاد عليه السلام : لوعلم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله ، ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فما ظنكم بسائر الخلق [٤] و كلّاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما .

و إلى هذا يشير سيّدنا الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام بقوله :

إنّي لأكتم من علمي جواهره ☆ كيلا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا

(١) حديث ثابت عند الفريقين .

(٢) بصائر الدرجات للصفار ص ٦ ، اصول الكافى ص ٢١٦ .

(٣) منح المنة للشعرانى ص ١٤ .

(٤) بصائر الدرجات للصفار ص ٧ آخر الباب الحادى عشر من الجزء الاول . اصول الكافى لثقة الاسلام الكلينى ص ٢١٦ .

وقد تقدّم في هذا أبو حسنٍ ✡ إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا
فربّ جوهر علمٍ لو أبوح بهِ ✡ لقيل لي: أنت ممّن يعبد الوثنا
ولا ستحل رجالٌ مسلمون دمي ✡ يرون أقبح ما يأتونه حسناً [١]

ولسيّدنا الأمين في أعيان الشيعة ٣١ : ١٩٣ ـ ٢٠٥ في ترجمة الرجل كلمات لاتخرج عن حدود ما ذكرناه ومما نقم عليه به اعتماده على علم الحروف والأعداد الذي لاتتم به برهنة ولا تقوم به حجة، ونحن وإن صافقناه على ذلك إلا إن للمترجم له ومن حذا حذوه من العلماء كابن شهراشوب ومن بعده عذراً في سرد هاتيك المسائل فإنها أشبه شيء بالجدل تجاه من ارتكن إلى أمثالها في ابواب اخرى من علماء الحروف من العامّة كقول العبيدي المالكي في عمدة التحقيق ص ١٥٥ : قال بعض علماء الحروف : يؤخذ دوام ناموس آل الصدّيق وقيام عزّته إلى انتهاء الدنيا من سرّ قوله تعالى : في ذريّتي . فإن عدّتها بالجمل الكبير ألف واربعمائة وعشرة وهي مظنّة تمام الدنيا كما ذكره بعضهم فلا يزالون ظاهرين بالعزّة والسيادة مدّة الدنيا، وقد استنبط تلك المدّة عمدة أهل التحقيق مصطفى لطف الله الرزنامجي بالديوان المصري من قوله تعالى :لا يلبثون خلافك إلّا قليلا ، قال ما لفظه : إذ أسقطنا مكرّرات الحروف كان الباقي (ل ا ي ب ث و ن خ ف ك ق) أحد عشر حرفاً عددهم بالجمل الكبير ألف وثلثمائة وتسعة وتسعين زدنا عليه عدد الحروف وهو أحد عشر صار المجموع وهو ألف واربعمائة وعشرة وهو مطابق لقوله تعالى : ذريّتي . وسمعت ختام الأعلام شيخنا الشيخ يوسف الفيشي رحمه الله يقول : قال محمّد البكري الكبير: يجلس عقبنا مع عيسى بن مريم على سجّادة واحدة وهذا يقوى تصحيح ذلك الاستنباط . ه .

ونحن لاندري ماذا يعني سيّدنا الأمين بقوله : وفي طبعه شذوذٌ وفي مؤلّفاته خبطٌ وخلطٌ وشيءٌ من المغالات لاموجب له ولاداعي إليه وفيه شيءٌ من الضرر وإن أمكن أن يكون له محل صحيح ؟ ليت السيّد يوعظ إلى شيء من شذوذ طبع شاعرنا الفحل حتى لايبقى قوله دعوى مجرّدة . وبعد اعترافه بامكان محمل صحيح لما أتى به المترجم له فأيّ داعٍ إلى حمله على الخبط والخلط ، ونسيان حديث : ضع أمر أخيك على أحسنه ؟ و

(١) تفسير الالوسي ٦ : ١٩٠ .

أيّ ضرر فيه على ذلك التقدير ؟ على أنّا سبرنا غير واحد من مؤلّفات البرسي فلم نجد فيه شاهداً على ما يقول ، و ستوافيك نبذٌ ممتعة من شعره الرائق في مدائح أهل البيت عليهم السّلام و مراثيهم و ليس فيها إلّا إشادة إلى فضائلهم المسلّمة بين الفريقين أو ثناء جميل عليهم هو دون مقامهم الأسمى ، فأين يقع الارتفاع الذي رماه به بعضهم ؟ و أين المغالاة التي رآها السيّد ؟ و البرسي لا يحذو في كتبه إلّا حذو شعره المقبول ، فأين مقيل الخبط و الضرر والغلو التي حسبها سيّد الأعيان ؟ .

و أمّا ما نقم به عليه من اختراع الصّلوات و الزيارة بقوله : (و اختراع صلاة عليهم وزيارة لهم لاحاجة إليه بعد ما ورد ما يغني عنه ولو سلّم أنّه في غاية الفصاحة كما يقول صاحب الرياض) فإنّه لا مانع منه إلّا ما يوهم المخترع انّها مأثورة ، وأيّ وازع من إبداء كلّ أحد تحيّته بما يجريه الله تعالى على لسانه و هو لا يقصد وروداً ولا يريد تشريعاً ؟ و قد فعله فطاحل العلماء من الفريقين ممّن هو قبل المترجم و بعده ، ولا تسمع أذن الدنيا الغمز عليهم بذلك من أيّ أحد من أعلام الأمّة .

و أمّا قول سيّدنا : « و انّ مؤلفاته ليس فيها كثير نفع وفي بعضها ضررٌ ولله في خلقه شؤون سامحه الله وإيّانا » . فإنّه من شطفة القلم صدر عن المشطف [1] سامحه الله وإيّانا .

تآليفه القيّمة

١ ـ مشارق أنوار اليقين في حقايق أسرار أمير المؤمنين .

٢ ـ مشارق الأمان ولباب حقايق الايمان ألّفه سنة ٨١٣ .

٣ ـ رسالة في الصّلوات على النبيّ و آله المعصومين .

٤ ـ رسالة في زيارة أمير المؤمنين طويلة قال شيخنا صاحب الرياض : في نهاية الحسن والجزالة واللطافة والفصاحة معروفة .

٥ ـ رسالة اللمعة من أسرار الأسماء و الصفات والحروف و الآيات والدعوات فيها فوائد ولاتخلو من غرابة كما قاله شيخنا صاحب الرياض .

٦ ـ الدرّ الثمين في خمسمائة آية نزلت في مولانا أمير المؤمنين باتّفاق اكثر

(١) المشطف كمنبر : من يعرض بالكلام على غير القصد .

المفسّرين من أهل الدين ، ينقل عنه المولى محمّد تقي الزنجاني في كتابه : طريق النجاة.

٧ ـ أسرار النبيّ وفاطمة والأئمّة عليهم السّلام .

٨ ـ لوامع أنوار التمجيد وجوامع أسرار التوحيد في اصول العقايد .

٩ ـ تفسير سورة الإخلاص .

١٠ ـ رسالة مختصرة في التوحيد والصّلوات على النبيّ و آله .

١١ ـ كتاب في مولد النبيّ وعليّ وفاطمة وفضائلهم .

١٢ ـ كتاب في فضائل أمير المؤمنين غير المشارق .

١٣ ـ كتاب الألفين في وصف سادة الكونين .

شعره الرائق

للحافظ البرسي شعرٌ رائق وجلّه بل كلّه في مدائح النبيِّ الأقدس و أهل بيته الطاهر صلوات الله عليهم و يتخلّص في شعره بـ (الحافظ) و من شعره يمدح به النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله :

أضاء بك الأُفق المشرقُ ☆ و دان لمنطقك المنطقُ
وكنتَ ولا آدم كائناً ☆ لأنّك مِن كونه أسبقُ

أشار بهذا البيت إلى ما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله :كنت أوّل الناس في الخلق و آخرهم في البعث .

أخرجه ابن سعد في الطبقات . والطبري في تفسيره ٢١ : ٧٩ ، وأبو نعيم في الدلائل ١ : ٦ وذكره ابن كثير في تأريخه ٢ : ٣٠٧ ، والغزالي في المضنون الصغير هامش الانسان الكامل ٢ : ٩٧ ، والسيوطي في الخصايص الكبري ١ : ٣ ، والزرقاني في شرح المواهب ٣ : ١٦٤ .

وفي حديث الإسراء : إنّك عبدي ورسولي وجعلتك أوّل النبيّين خلقاً وآخرهم بعثاً (١) وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم : أوّل ما خلق الله نوري (٢) وتواتر عنه صلى الله عليه وآله وسلم من طرق صحيحة : كنت نبيّاً و آدم بين الماء والطين . أو : بين الروح والجسد . أو : بين خلق آدم و نفخ الروح فيه .

---

(١) مجمع الزوائد ١ ص ٧١ .
(٢) السيرة الحلبية ١ ص ١٥٩ .

ولولاك لم تخلق الكائنات ☆ و لا بان غربٌ ولا مشرقُ

أشار به إلى ما أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ : ٦١٥ والبيهقي ، والطبراني ، و السبكي ، والقسطلاني ، والعزامي ، والبلقيني ، والزرقاني وغيرهم من طريق ابن عبّاس قال : أوحى الله إلي عيسى عليه السلام : يا عيسى آمن بمحمّد وأمر من أدركه من امّتك أن يؤمنوا به ، فلو لا محمّد ما خلقت آدم ، ولولا محمّد ما خلقت الجنّة ولا النار .

و من طريق عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لمّا اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي فقال الله : يا آدم ؛ وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه ؟ قال : يارب لأنّك لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلّا الله محمّد رسول الله ، فعلمت انّك لم تضف إلى اسمك إلّا أحبّ الخلق إليك . فقال الله : صدقت يا آدم ؛ انّه لأحبّ الخلق إليّ ادعني بحقّه قد غفرت لك . ولولا محمّد ما خلقتك .

فميمك مفتاح كلّ الوجود ☆ و ميمك بالمنتهى يغلقُ

تجلّيت يا خاتم المرسلين ☆ بشأوٍ من الفضل لا يُلحقُ ٥

فأنت لنا أوّلٌ آخرٌ ☆ و باطن ظاهرك الأسبقُ

في هذه الأبيات إشارةٌ إلى أسمائه الشريفة : الفاتح ، الخاتم . الأوّل . الآخر . الظاهر . الباطن . راجع المواهب للزرقاني ٣ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

تعاليت عن صفة المادحين ☆ و إن أطنبوا فيك أو أغمقوا

فمعناك حول الورى دارةٌ ☆ على غيب أسرارها تحدقُ

وروحك من ملكوت السّماء ☆ تنزّل بالأمر ما يُخلق

و نشرك يسري على الكائنات ☆ فكلٌّ على قدره يعبقُ ١٠

إليك قلوب جميع الأنام ☆ تحنّ و أعناقها تعنق

و فيض إياديك في العالمين ☆ بأنهار أسرارها يدفقُ

و آثار آياتك البيّنات ☆ على جبهات الورى تشرقُ

فموسى الكليمُ و توراته ☆ يدلّان عنك إذا استنطقوا

و عيسى و إنجيله بشّرا ☆ بأنّك أحمدُ مَن يُخلق ١٥

فيا رحمة الله في العالمين ✿ ومَن كان لولاه لم يُخلقوا
لأنّك وجه الجلال المنير ✿ ووجه الجمال الذي يشرقُ
وأنت الأمينُ وأنت الأمان ✿ وأنت ترتّق ما يُفتقُ
أتى رجبٌ لك في عاتقٍ ✿ ثقيل الذنوب. فهل تعتقُ ؟

و له يمدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

العقل نورٌ و أنت معناهُ ✿ و الكون سرٌّ وأنت مبداهُ
والخلق في جمعهم إذا جمعوا ✿ الكلّ عبدٌ وأنت مولاهُ
أنت الوليّ الذي مناقبه ✿ ما لعلاها في الخلق أشباهُ
يا آية الله في العباد و يا ✿ سرّ الذي لا إله إلّا هو !
٥ تناقض العالمون فيك و قد ✿ حاروا عن المهتدى وقد تاهو
فقال قومٌ : بأنّه بشرٌ ✿ و قال قومٌ : بأنّه اللهُ
يا صاحب الحشر والمعاد ومَن ✿ مولاه حكم العباد ولّاهُ !
يا قاسم النار والجنان غداً ! ✿ أنت ملاذ الراجي ومنجاهُ
كيف يخاف البرسيّ حرّ لظى ✿ و أنت عند الحساب غوثاهُ ؛
١٠ لا يختشي النارَ عبد حيدرةٍ ✿ إذ ليس في النار مَن تولّاهُ

و له في مدح مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه قوله :

أيّها اللائم دعني ✿ واستمع من وصف حالي
كلّما ازددت مديحاً ✿ فيه قالوا : لا تغالِ
و إذا أبصرت في الحقّ ✿ يقيناً لا أُبالي
٥ آية الله التي في وصفها القول حلالي
كم إلى كم أيّها العاذ ✿ ل أكثرت جدالي ؛
يا عذولي في غرامي ✿ خلّني عنك و حالي
رُح إلى مَن هو ناجٍ ✿ و اطّرحني و ضلالي
إنّ حبّي لوصيّ المصطفى عين الكمالِ [1]

(١) انّ حبّي لعليّ المر تضى عين الكمال خل

١٠ هو زادي في معادي ☆ و معادي في مآلي
و به إكمال ديني ☆ و به ختم مقالي

ومن شعره يمدح أمير المؤمنين سلام الله عليه قوله :

بأسمائك الحسنى أُروِّح خاطري ☆ إذا هبَّ من قدس الجلال نسيمها
لئن سقمت نفسي فأنت طبيبها ☆ وإن شقيت يوماً فمنك نعيمها
رضيت بأن ألقى القيامة خائفاً ☆ دماء نفوسٍ حاربتك جسومها
أبا حسن لو كان حبّك مدخلي ☆ جحيماً لكان الفوز عندي جحيمها
وكيف يخاف النار من كان موقناً ☆ بأنّك مولاهُ وأنت قسيمها ؟
فواعجباً من أُمّة كيف ترتجي ☆ من الله غفراناً وأنت خصيمها ؟
ووا عجباً إذ أخّرتك وقدّمت ☆ سواك بلا جرمٍ و أنت زعيمها

وقال في مدح مولانا أبي السبطين سلام الله عليه :

تعالى عليٌّ في الجلال فرائدُ ☆ يعود وفي كفّتيه منه فرائدُ
ووارد فضلٍ منه يصدر عزلها ☆ تضيق بها منه اللها والأواردُ
تبارك موصولاً و بورك و اصلاً ☆ له صلةٌ في كلِّ نفسٍ وعائدُ
روى فضله الحسّاد من عظم شأنه ☆ وأعظم فضلٍ جاء يرويه حاسدُ
محبّوه أخفوا فضله خيفة الهدى ☆ وأخفاه بغضاً حاسدٌ ومعاندُ ٥
فشاعَ له ما بين ذين مناقبٌ ☆ تُجلُّ بأن تُحصى إذا عدَّ قاصدُ
إمامٌ له في جبهة المجد أنجمٌ ☆ علت فعلت إن يدن منهنَّ راصدُ
لها الفرق ِمن فرع السماك منابرٌ ☆ وفي عنق الجوزاء منها قلائدُ
مناقب إذ جلّت جلت كلَّ كربة ☆ و طابت فطابت من شذاها المشاهدُ
إمامٌ يحار الفكر فيه فعابدٌ ☆ له ومقرٌّ بالولاء و جاهدُ ١٠
إمامٌ مبينٌ كلَّ أُكرومة حوى ☆ بمدحته التنزيل والذكر شاهدُ
عليه سلام الله ما ذكر اسمه ☆ محبٌّ وفي البرسيِّ ذلك خالدُ

وله في سيِّد العترة أمير المؤمنين عليه وعليهم السّلام :

أبديتَ يا رجب الغريبْ ☆ فقيل: يا رجب المرجّبْ

أبديت للسرّ المصون ✿ المضمر الخافي المغيّب
وكشفت أستاراً وأسرا ✿ راً عن الأشرار تحجب
حلّ الورى فاذا الظوا ـ هر فضّة والبطن أسرب
٥ إلّا قليلاً من رجال ✿ أصلهم زاك مهذّب
وكتبتَ ما بالنور منهُ ✿ على خدود الحور يكتب
فلذاك أضحى الناس قلـ ـباً من قوى الجهل المركّب
رجلٌ يحبّ ومبغضٌ ✿ قالٍ وحزب الله أغلب
وطويلُ أنف إن رآني ✿ مقبلاً ولّى وقطّب
١٠ في أمّه شكٌّ بلا ✿ شكٍّ ولو صدقت لأنجب
يزورُّ إن سمع الحديث ✿ إلى أمير النحل ينسب
وتراه إن كرّرت ذ ـ كر فضائل الكرّار يغضب

وله رائيّة غرّاء رنّانة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام خمّسها ابن السبعي (١) نذكرها معه:

أعيت صفاتك اهل الرأي والنظرِ ✿ وأوردتهم حياض العجز والخطرِ
أنت الّذي دقّ معناه لمعتبرِ ✿ يا آية الله بل يا فتنة البشرِ
وحجّة الله بل يا منتهى القَدَرِ

عن كشف معناه ذو الفكر الدقيق وَهنْ ✿ و فيك ربُّ العلا أهل العقول فتنْ
أنّى بحدّك يا نور الإله فطنْ؟ ✿ يا من إليه إشارات العقول و مَن
فيه الألبّاء تحت العجز والخطرِ

ففي حدونك قومٌ في هواك غووا ✿ إن أبصروا منك أمراً معجزاً فغَلوا
حيّرت أذهانهم يا ذا العلا فعَلوا ✿ هيّمت أفكار ذي الأفكار حين رأوا
آيات شأنك في الأيّام والعصرِ

أوضحت للنّاس أحكاماً محرّفةً ✿ كما أتيت أحاديثاً مصحّفةً

(٢) العلامة الحجة الشيخ فخر الدين أحمد بن محمد الاحسائى نزيل الهند والمتوفى بها من تلمذة ابن المتوج وقرناء ابن فهد الحلى المتوفى ٨٤١ .

أنت المقدّم أسلافاً وسالفةً ☆ ياأوّلاً آخراً نوراً ومعرفةً
يا ظاهراً باطناً في العين والأثرِ

يا مطعم القرص للعافي الأسير وما ☆ ذاق الطعام و أمسى صائماً كرما
ومُرجع القرص إذ بحر الظلام طما ☆ لك العبارة بالنطق البليغ كما ٥
لك الإشارة في الآيات والسّورِ

أنوار فضلك لا تطفى لهنّ عدا ☆ ممّا يكتّمه أهل الضلال بدا
تخالفت فيك أفكار الورى أبدا ☆ كم خاض فيك اناس و انتهى فغدا
معناك محتجباً عن كلّ مقتدر ؟

لولاك ما اتّسقت للطّهر ملّتهُ ☆ كلّا ولا اتّضحت للناس شرعتهُ
ولا انتفت عن أسير الشكّ شبهتهُ ☆ أنت الدليل لمن حارت بصيرتهُ
في طيّ مشتبكات القول والعبرِ

أدركت مرتبةً ما الوهم يدركها ☆ وخضت من غمرات الحرب مهلكها
مولاي، يا مالك الدنيا وتاركها ☆ أنت السفينة من صدقاً تمسّكها
نجى و من حاد عنها خاض في الشررِ

من نور فضلك ذو الأفكار مقتبسُ ☆ ومن معالم ربّ العلم مختلسُ
لولا بيانك أمر الكلّ ملتبسُ ☆ فليس قبلك للأفكار ملتمسُ
وليس بعدك تحقيقٌ لمعتبرِ

جاءت بتأميرك الآيات والصحفُ ☆ فالبعض قد آمنوا والبعض قد وقفوا
لولاك ما اتّفقوا يوماً ولا اختلفوا ☆ تفرّق الناس إلّا فيك و ائتلفوا ١٠
فالبعض في جنّة والبعض في سقرِ

خير الخليفة قومٌ نهجك اتّبعتْ ☆ وشرّها من على تنقيصك اجتمعتْ
وفرقةٌ أوّلت جهلاً لما سمعتْ ☆ فالناس فيك ثلاث فرقةٌ رفعتْ
وفرقةٌ وقعت بالجهل والقذرِ

يا ويحها فرقة ما كان يمنعها ☆ لو انها اتّبعت ما كان ينفعها
يا فرقة غيّها بالشوم موقعها ☆ وفرقة وقعت لا النّور يرفعها

ولا بصائرها فيها بذي غورِ

بعظم شأنك كلُّ الصُّحف تعترفُ ✡ ومن علومك ربُّ العلم يقترفُ

لولاك مااصطلحوا يوماً وما اختلفوا ✡ تصالح الناس إلّا فيك واختلفوا

إلّا عليك وهذا موضع الخطرِ

جائت بتعظيمك الآيات والسُّورُ ✡ فالبعض قد آمنوا والبعض قد كفروا

والبعض قد وقفوا جهلاً وما اختبروا ✡ وكم أشاروا، وكم أبدوا، وكم ستروا ؟

والحقُّ يظهرِ من بادٍ و مستترِ

أقسمت بالله باري خلقنا قسما ✡ لولاك ما سمّاك الله العليُّ سما

١٥ يا مَن له اسمٌ بأعلى العرش قدرُ سما ✡ أسماءك الغرُّ مثل النيّرات كما

صفاتك السبع كالأفلاك ذي الأكرِ

أنت العليمُ إذا ربُّ العلوم جهلْ ✡ إذ كلُّ علم فشا في الناس عنك نقلْ

وأنت نجم الهدى تهدي لكلِّ مضلْ ✡ وولدك الغرُّ كالابراج في فلك الْ

معنى وأنت مثال الشمس والقمرِ

أئمّةٌ سور القرآن قد نطقتْ ✡ بفضلهم وبهم طرق الهدى اتّسقتْ

طوبى لنفسٍ بهم لاغيرهم وثقتْ ✡ قومٌ هم الآل آل الله مَن علقتْ

بهم يداه نجى من زلّة الخطرِ

عليهمُ محكم القرآن قد نزلا ✡ مفصّلاً من معاني فضلهم جُملا

هم الهداة فلا تبغي لهم بدلا ✡ شطر الأمانة معراج النجاة إلى

أوج العلوم وكم في الشطر من غيرِ ؟

بلطف سرّك موسى فجّر الحجرا ✡ وأنت صاحبه إذ صاحَبَ الخضرا

وفيك نوحٌ نجا و الفلك فيه جرا ✡ يا سرَّ كلِّ نبيٍّ جاء مشتهرا

و سرَّ كلِّ نبيٍّ غير مشتهرِ

يلومني فيك ذو جهل أخو سفهِ ✡ ولا يضرُّ محقّاً قول ذي شُبهِ

٢٠ و من تنزّه عن ندٍّ و عن شَبهِ ✡ أُجلُّ و صفك عن قدرٍ لمشتبهِ

وأنت في العين مثل العين في الصورِ

وله قوله يمدح به امير المؤمنين عليه السلام :

يا منبع الأسرار يا ✡ سرّ المهيمن في الممالكْ !
يا قطب دائرة الوجود ✡ و عين منبعه كذلكْ !
و العين و السرّ الذي ✡ منه تلقّنت الملائكْ
ما لاح صبحٌ في الدجى (١) إلّا و أسفر عن جمالكْ
يا بن الأطايب والطواهر ✡ و الفواطم و العواتكْ ! ٥
أنت الأمان من الرّدى ✡ أنت النجاة من المهالكْ
أنت الصّراط المستقيم ✡ قسيم جنّات الأرائكْ
و النار مفزعها إليك ✡ و أنت مالك أمر مالكْ
يا من تجلّى بالجمالِ ✡ فشقّ بردة كلّ حالكْ !
صلّى عليك الله من ✡ هادٍ إلى خير المسالكْ ١٠
و الحافظ البرسيّ لا ✡ يخشى و أنت له هنالكْ

وله أبيات في أهل البيت عليهم السّلام خمّسها الشاعر المفلق الشيخ أحمد بن الحسن النحوي تذكرها مع تخميسها :

ولائي لآل المصطفي و بنيهمُ ✡ و عترتهم أزكى الورى و ذَويهمُ
بهم سمةٌ مِن جدّهم و أبيهمُ ✡ هم القوم أنوار النبوّة فيهم
تلوح و آثار الإمامة تلمعُ

نجومُ سماء المجد أقمارُ تمّهِ ✡ معالمُ دين الله أطوادُ حلمهِ
منازلُ ذكر الله حكّام حكمهِ ✡ مهابطُ وحي الله خزّان علمهِ
و عندهمُ سرُّ المهيمن مودعُ

مديحهمُ في محكم الذّكر محكمُ ✡ و عندهمُ ما قد تلقّاه آدمُ
فدَع حكم باقي الناس فهو تحكّمُ ✡ إذا جلسوا للحكم فالكلُّ أبكمُ
وإن نطقوا فالدّهر أُذنٌ ومسمعُ

بحبّهمُ طاعاتنا تتقبّلُ ✡ و في فضلهم جاء الكتاب المنزّلُ

(١) مالاح صبح للهدى . كذا في بعض النسخ .

يعمّ شذاهم كلّ أرض و يشمل　✿　وإن ذكروا فالكون نَدّ و مندل (١)
لهم أرجٌ من طيبهم يتضوّع
دعا بهم موسى ففرّج كربهُ　✿　وكلّمه من جانب الطور ربّه
٥ إذا حاولوا أمراً تسهّل صعبهُ　✿　وإن برزوا فالدّهر يخفق قلبه
لسطوتهم والأسد في الغاب تفزعُ
فلولاهم ما سار فلكٌ ولا جرى　✿　ولا ذرء الله الأنام ولا برى
كرامٌ متى مازرتهم عجّلوا القِرى　✿　وإن ذكر المعروف والجود في الورى
فبحر نداهم زاخرٌ يتدفّعُ
أبوهم أخو المختار طآه و نفسهُ　✿　وهم فرع دوحٍ في الجلالة غرسهُ
و امّهم الزهراء فاطم عرسهُ　✿　أبوهم سماء المجد و الأمّ شمسهُ
نجومٌ لها برج الجلالة مطلعُ
لهم نسبٌ أضحى بأحمد معرقا　✿　رقا منه للعلياء أبعد مرتقى
وزادهمُ من رونق القدس رونقا　✿　فيا نسباً كالشمس أبيض مشرقا
و ياشرفاً من هامة النجم أرفعُ
كرامٌ نماهم طاهرٌ متطهّرٍ　✿　و بثّ بهم من أحمد الطّهر عنصرُ
وامّهم الزهراء و الأب حيدرُ　✿　فمن مثلهم في الناس إن عدّ مفخرُ
أعد نظراً ياصاح إن كنت تسمعُ
عليٌّ أمير المؤمنين أميرهمْ　✿　وشبّرهم أصل التّقى وشبيرهمْ
بِها ليلُ صوّامون فاح عبيرهمْ　✿　ميامين قوّامون عزّ نظيرهمْ　١٠
هداةٌ ولاةٌ للرسالة منبعُ
مناجيب ظلّ الله في الأرض ظلّهمْ　✿　و هم معدنٌ للعلم والفضل كلّهمْ
و فضلهمُ أحيى البرايا وبذلهمْ　✿　فلا فضل إلّا حين يذكر فضلهمْ
ولا علم إلّا علمهم حين يرفعُ
إليهم يفرّ الخاطئون بذنبهمْ　✿　و هم شفعاء المذنبين لربّهمْ

(١) الندّ بفتح المعجمة وكسرها : عوديتبخربه. المندل: العود الطيب الرائحة.

فلا طاعةٌ ترضي لغير محبّهم ٭ ولا عملٌ ينجي غداً غير حبّهم
إذا قام يوم البعث للخلق مجمعُ
حلفتُ بمن قد أمّ مكّة و افدا ٭ لقد خاب مَن قد كان للآل جاحدا
ولو أنّه قد قطّع العمر ساجدا ٭ ولو أنّ عبداً جاء لله عابدا
بغير ولا أهل العبا ليس ينفعُ
بني أحمد ! مالي سواكم أرى غدا ٭ إذا جئت في قيد الذنوب مقيّدا
أُناديكمُ يا خير مَن سمع الندا ٭ أيا عترة المختار يا راية الهدى !
إليكم غداً في موقفي أتطلّعُ
فوالله لا أخشى من النار في غدٍ ٭ و أنتم وُلاة الأمر يا آل أحمدٍ!
و ها أنا قد أدعوكمُ رافعاً يدي ٭ خذوا بيدي يا آل بيت محمّدٍ! ١٥
فمَن غيركم يوم القيامة يشفعُ ؟

و هذه القصيدة خمّسها الشيخ هادي المتوفى ١٢٣٥ ، ابن الشيخ أحمد النحوي المخمِّس المذكور أوّل تخميسه :

بنو أحمد قد فاز مَن يرتضيهمُ ٭ أئمّة حقٍّ للنجا يرتضيهمُ
و طوبى لمن في هديه يقتضيهمُ ٭ هم القوم أنوار النبوّة فيهمُ
تلوح و آثار الإمامة تلمعُ

و له في العترة الطاهرة صلوات الله عليهم قوله :

فرضي و نفلي وحديثي أنتمُ ٭ وكلُّ كلّي منكمُ و عنكمُ
و أنتمُ عند الصّلاة قبلتي ٭ إذا وقفت نحوكم أُيمّمُ
خيالكم نصبٌ لعيني أبداً ٭ و حبّكم في خاطري مخيّمُ
يا سادتي و قادتي أعتابكم ٭ بجفن عيني لثراها ألثمُ
وقفاً على حديثكم و مدحكم ٭ جعلت عمري فاقبلوه وارحموا
مُنّوا على الحافظ مِن فضلكمُ ٭ و استنقذوه في غدٍ و أنعموا

و له في أهل البيت الطاهر سلام الله عليهم قوله :

يا آل طاها أنتمُ أملي ٭ و عليكمُ في البعث متّكلي

إن ضاق بي ذنبٌ فحبُّكمُ ☼ يوم الحساب هناك يوسع لي
بولاءكم . و بطيب مَدحكمُ ☼ أرجو الرّضا والعفو عن زللي
رجب المحدّث عبد عبدكمُ ☼ و الحافظ البرسيّ لم يزلِ
لايختشي في الحشر حرّ لظى ☼ إذ سيّداه محمّدٌ و علي
سيثقّلان و زان صالحه ☼ و يُبيِّضان صحيفة العملِ
لم ينشعب فيكون منطلقاً ☼ من ضلّةٍ للشعب ذي الظللِ

وله مسمّطاً فيهم صلوات الله عليهم قوله :

سرُّكم لا تناله الفكرُ ☼ وأمركم في الورى له خطرُ
مستصعبٌ فكٌّ رمزه خطرُ ☼ و وصفكم لا يطيقه البشرُ
و مدحكم شرّفت به السورُ

وجودكم للوجود علّته ☼ و نوركم للظّهور آيتهُ
وأنتمُ للوجود قبلته ☼ وحبُّكم للمحبّ كعبتهُ
يسعى بها طائفاً و يعتمرُ

لولاكمُ ما استدارت الأكرُ ☼ ولا استنارت شمسٌ ولا قمرُ
و لا تدلّى غصنٌ و لا ثمرُ ☼ ولا تندّى ورقٌ ولا خضرُ
ولا سرى بارقٌ ولا مطرُ

عند كمُ في الإياب مجمعنا ☼ و أنتمُ في الحساب مفزعنا
و قولكم في الصراط مرجعنا ☼ و حبّكم في النشور ينفعنا
به ذنوب المحبّ تغتفرُ

يا سادةً قد زكت معارفهم ☼ و طاب أصلاً و ساد عارفهم
و خاف في بعثه مخالفهم ☼ إن يختبر للورى صيارفهم
فأصلهم بالولاء يُختبرُ

أنتم رجائي و حبّكم أملي ☼ عليه يوم المعاد متّكلي
فكيف يخشى حرّ السعير ولي ☼ وشافعاه محمّدٌ و علي ؟
أو يعتريه من شرّها شررُ ؟

عبدكم الحافظ الفقير على ✡ أعتاب أبوابكم يروم فلا
تخيّبوه يا سادتي ! أملا ✡ و أقسموه يوم المعاد إلى
ظلّ ظليلٍ نسيمه عطرُ

صلّى عليكم ربُّ السّماء كما ✡ أصفا كمُ واصطفا كمُ كرما
و زاد عبداً والا كمُ نعما ✡ ما غرّد الطير في الغصون و ما
ناح حمامٌ وأورق الشجرُ

وله في العترة الطاهرة وسيدهم صلوات الله عليه وعليهم قوله :

إذا رمت يوم البعث تنجو من اللظى ✡ و يُقبل منك الدين والفرض والسننْ
فوال عليّاً و الأئمة بعده ✡ نجوم الهدى تنجو من الضيق والمحنْ
فهم عترةٌ قد فوّض الله أمره ✡ إليهم لما قد خصّهم منه بالمننْ
أئمّة حقٍّ أوجب الله حقّهم ✡ وطاعتهم فرضٌ بها الخلق تمتحنْ
نصحتك أن ترتاب فيهم فتنثني ✡ إلى غيرهم مَن غيرهم في الأنام مَن ؟
فحبُّ عليٍّ عدّةٌ لوليه ✡ يلاقيه عند الموت والقبر والكفنْ
كذلك يوم البعث لم ينج قادمٌ ✡ من النار إلّا مَن تولّى أبا الحسنْ

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله :

يميناً بناحادي السرى إن بدت نجدُ ✡ يميناً فللعاني العليل بها نجدُ
وعُج فعسى من لاعج الشوق يشتفي ✡ غريم غرامٍ حشو أحشائه وقدُ
وسر بي لسربٍ فيه سربُ جآذر ✡ لسر بي من جهد العهاد بهم عهدُ
ومُر بي بليل في بليلِ عراصها ✡ لأروى بريّا تربة تربها ندُّ
٥ وقف بي أنادي وادي الأيك علّني ✡ هناك أرى ذاك المساعد يا سعدُ !
فبالرّبع لي من عهد جَيرون جيرةٌ ✡ يُجيرون إن جار الزمان إذا استعدوا
هم الأهل إلّا أنّهم لي أهلّةٌ ✡ سوى أنّهم قصدي وانّي لهم عبدُ
عزيزونَ ربع العمر في رَبع عزهم ✡ تقضّى ولا روعٌ عراني ولا جهدُ
وربعي مخضرٌ و عيشي مخضلٌ ✡ ووجهي مبيضٌ وفودي مسودٌّ
١٠ وشملي مشمولٌ و بُرد شبيبتي ✡ قشيبٌ وبرد العيش ما شانه نكدُ

معالم كالأعلام معلمة الرُّبى ✿ فأنهارها تجري و أطيارها تشدو
طوت حادثات الدهر منشور حسنها ✿ كما رسمت في رسمها شمألٌ تغدو
وأضحت تجرُّ الحادثات ذيولها ✿ عليه ولا دعدٌ هناك ولا هِندُ
ولا غرو إن جارت ومارت صروفها ✿ وغارت وأغرت واعتدت واغتدت تشدو
١٥ فقد غدرت قِدماً بآل محمّد ✿ وطاف عليهم بالطفوف لها جندُ
وجاشت بجيشٍ جاش طامٍ عرمرمٍ ✿ خميسٍ لهامٍ حام يحمومه اسدُ (١)
وعمّت بأشرار عن الرشد قد عموا ✿ وهل يسمع الصمّ الدعاء إذا صدّوا ؟
فيا أُمّةً قد أدبرت حين أقبلت ✿ فرافقها نحسٌ و فارقها سعدُ
أبت إذ أتت تنأى وتنهى عن النهى ✿ ...نّت وألوت حين مال بها الجدُّ
٢٠ سرت وسرت بغياً و سرّت بغيها ✿ بغيّاً دعاها إذ عداها به الرشدُ
عصابة عصب (٢) أوسعت إذ سعت إلى ✿ خطاء خطاها والشقاء بها يحدو
أثاروا وثاروا ثار بدرٍ وبادروا ✿ لحرب بُدورٍ من سناها لهم رشدُ
بغت فبغت عمداً قتال عميدها ✿ صدور طغاة في الصدور لها حقدُ
وساروا يسنّون العناد وقد نسوا الـ ـ معاد فهم من قوم عادٍ إذا عُدّوا
فيا قلب قلب الدين في يوم أقبلوا ✿ إلى قتل مأمولٍ هو العَلم الفردُ
٢٥ فركن الهدى هدّوا وقدّ العلى قدّوا ✿ وأزر الهوى شدّوا ونهج التقى سدّوا
كأنّي بمولاي الحسين و رهطه ✿ حيارى ولا عونٌ هناك ولا عضدُ
بكرب البلا في كربلاء وقد رُمي ✿ بعادٍ وشطّت دارهم وسطت جندُ
وقد حدقت عين الرّدى حين أحدقت (٣) ✿ عتاة عداةٍ ليس يحصى لهم عدُّ
وقد أصبحوا حِلاً لهم حين أصبحوا ✿ حلولاً ولا حلٌّ لديهم ولا عقدُ

---

(١) طام من طمى يطمي الفرس : اى أسرع . ويقال : البحر الطامي: أى الغزير. العرمرم : الجيش الكثير. الخميس : الجيش ذات خمس فرق : المقدمة ، القلب ، الميمنة ، الميسرة ، الساقة. اللهام: الجيش العظيم . حام أى دار به . اليحموم : اسم فرس الامام السبط الحسين ، وفرس هشام ابن عبدالملك ، وفرس حسان الطائى ، و فرس النعمان بن المنذر .

(٢) العصابة : الجماعة من الرجال او الخيل . العصب : الطي واللي. والقبض على الشيء .

(٣) حدق : فتح عينيه وطرف بهما . أحدقت : أحاطت .

فنادى ونادى الموت بالخطب خاطب ☆ وطير الفنايشدو وحادي الرّدى يحدو
يسائلهم : هل تعرفوني ؟ مسائلاً ☆ وسائل دمع العين سالَ به الخدُّ
فقالوا : نعم أنت الحسين بن فاطمٍ ☆ وجدّك خير المرسلين إذا عُدّوا
وأنت سليل المجد كهلاً ويافعاً ☆ إليك إذا عُدّ العلى ينتهي المجدُ
فقال لهم : إذ تعلمون فما الذي ☆ دعاكم إلى قتلي فما عن دمي بُدُّ ؟ ٣٥
فقالوا : إذا رمتَ النجاة من الرّدى ! ☆ فبايع يزيداً إنَّ ذاك هو القصدُ
وإلّا فهذا الموت عبٌّ عبابه (١) فخض ظامياً فيه تروح ولا تغدو
فقال : ألا بُعداً بما جئتمُ به ☆ ومن دونه بيضٌ وخطّيّةٌ مُلدُ (٢)
فضربٌ لهشم الهام تترى بنظمه ☆ فمن عقده حلٌّ وفي حلّه عقدُ
فهل سيّدٌ قد شيّد الفخر بيته ☆ حذار الرّدى يشقى لعبد له عبدُ ؟ ٤٠
وما عذرُ ليثٍ يرهب الموت بأسه ☆ يذلُّ ويضحى السيد يرهبه الأسدُ ؟
إذا سام منّا الدهر يوماً مذلّةً ☆ فهيهات يأبى ربّنا وله الحمدُ
وتأبى نفوسٌ طاهراتٌ وسادةٌ ☆ مواضيهمُ هام الكماة لها غمدُ
لها الدم وردٌ والنفوس قنائصٌ ☆ لها القَدم قِدمٌ والنفوس لها جندُ (٣)
٤٥ ليوث وغىً ظلّ الرماح مقيلها ☆ مغاوير طعم الموت عندهمُ شهدُ (٤)
حماةٌ عن الأشبال يوم كريهة ☆ بدور دجىً سادوا الكهول وهم مُردُ
إذا افتخروا في الناس عزّ نظيرهم ☆ ملوكٌ على أعتابهم يسجد المجدُ
أيادي عطاهم لا تُطاول في الندى ☆ وأيدي علاهم لا يُطاق لها ردُّ
مَطاعيم للعافي مَطاعين في الوغى ☆ مُطاعين إن قالوا لهم حججٌ لُدُّ (٥)

---

(١) عبّ عبابه : كثر موجه وارتفع .
(٢) الملد بالفتح : الناعم اللين .
(٣) الورد : الماء الذي يورد . قنائص : الصيود . القدم بفتح القاف : الشرف القديم . القدم بكسر القاف : الزمان القديم .
(٤) الوغى : الحرب . المقيل : موضع النوم والراحة . مغاوير جمع المغوار : كثير الغارة
(٥) لدّ بضم اللام جمع الالد : الخصم الشديد الخصومة .

٥٠ مَفاتيح للداعي مَصابيح للهدى ☆ معاليم للساري بها يهتدي النجدُ (١)
نزيلهـم حـرمٌ مَنازلهـم لقـىً ☆ مَنازلهم أمنٌ بهم يُبلغ القصدُ
فضائلهم جلّت فواضلهـم جلـت ☆ مَدايحهم شهدٌ مَنايحهم نَـدُّ (٢)
مَرابعهم تسقى مُرابعهم تُلقـى ☆ مُطالعهم يُكفى مَطالعهم سعدُ
كرامٌ إذا عـافٍ عفى منه معهدٌ ☆ وصَوَّح من خضرائه السبط والجعدُ (٣)
٥٥ و آملهم راجٍ وأمَّ لهم رجاً ☆ و حلَّ بناديهم أحلّ له الرفـدُ
زكوا في الورى أُمّاً وجدّاً ووالداً ☆ وطابوا فطاب الأمُّ والأب والجدُّ
بأسمائهم يُستجلب البرُّ و الرضا ☆ بذكرهمُ يُستدفع الضرُّ و الجهدُ
و مـالَ إلـى فتيـانـه و رجـالـه ☆ يقول : لقد طاب الممات ألا اشتدّوا
فسار لأخذ الثار كلّ شمردل ☆ إذا هـاج قـدحٌ للهياج لـه زندُ (٤)
٦٠ وكـلُّ كميٍّ أريحيٍّ غشمشم (٥) تجمّع فيه الفضل و انعدم الضدُّ
إذا ما غدا يوم الندا أسر العـدى ☆ ولمّا بدا يوم النَدى أطلق الوعدُ
ليوث نزالٍ بـل غيوثٌ نـوازلٌ ☆ سراةٌ كاسد الغاب لا بل هم الأُسدُ
إذا طلبوا راموا وإن طَلبوا رَموا ☆ وإن ضُربوا صَدوا وإن ضَربوا قدّوا
فوارس أُسد الغيل منها فرائسٌ ☆ وفتيان صدق شأنها الطعن والطّردُ
٦٥ وجوههم بيضٌ و خضرٌ رُبوعهم ☆ و بيضهمُ حمرٌ إذا النّقع مُسودُّ
إذا ما دُعوا يومـاً لدفع مُلمّة ☆ غدا الموت طوعاً والقضاء هو العبدُ
بها كلُّ ندبٍ يسبق الطرف طِرفه ☆ جوادٌ على ظهر الجواد له أفدُ (٦)

(١) النجد : الدليل الماهر .
(٢) الند بفتح النون وكسرها : عود يتبخر به .
(٣) العافي : الوارد . الضيف . كل طالب فضل أو رزق . عفى : درس وبلى . صوّح : جفف ييس . السبط ضد الجعد . الجعد : القبض خلاف المسترسل .
(٤) الشمردل بالمهملة والشمرذل بالمعجمة : الفتي السريع من الابل وغيره . هاج : ثار و تحرك . القدح : الفولاذة التي تقدح بها النار . الهياج : الحرب . زند النار قدحها واخرجها من الزند
(٥) الكمي : الشجاع أو لابس السلاح . الغشمشم : المغشم وهو الشجاع الذي يركب رأسه فلا يثنيه شيء عما يريد .
(٦) الندب : السريع الى الفضائل ، الظريف النجيب . الطرف بكسر المهملة مرّ ص ١٦ .
الافد : العجلة والسرعة .

كأنّهمُ نبت الرُّبى في سروجهم ✿ لشدَّة حزمٍ لا بحُزمٍ لها شُدّوا [١]

لباسهمُ نسج الحديد إذا بدوا ✿ جبالاً و أقيالاً تقلّهم الجردُ [٢]

إذا لبسوا فوق الدروع قلوبهم ✿ و صالوا فحرُّ الكرّ عندهمُ بَردُ ٧٠

يخوضون تيّار الحمام ظوامياً ✿ و بحر المنايا بالمنايا لها مدُّ

يرون المنايا نيلها غاية المنى ✿ اذااستشهدوام"الرَّدى عندهم شهدُ

إذا فلّلت أسيافهم في كريهةٍ ✿ غدا في رؤس الدارعين لها حَدُّ

فمن أبيض يلقى الأعادي بأبيضٍ ✿ و من أسمرٍ في كفّه أسمر صلدُ

يذبّون عن سبط النبيِّ محمّدٍ ✿ وقدثارعالي النّقع واصطخب الوقدُ ٧٥

يُخال بَريق البيضِ برقاً سجاله ✿ الدماء و أصوات الكماة لها رعدُ

إلى أن تداني العمرواقترب الرَّدى ✿ و شأن اللّيالي لايدوم لها عهدُ

أعدّوا نفوساً للفناء و ما اعتدوا ✿ فطوبى لهم نالوا البقاء بما عَدّوا

أحلّوا جسوماً للمواضي و أحرموا ✿ فحلّوا جنانَ الخلد فيها لهم خلدُ

أمام الإمام السبط جادوا بأنفسٍ ✿ بها دونه جادوا وفي نصره جدّوا ٨٠

شروا عند ما باعوا نفوساً نفائساً ✿ ففي هجرها وصلٌ وفي وصلها نقدُ

قضوا إذقضوا حقَّ الحسين وفارقوا ✿ وما فرّقوابل وافقوا السعد ياسعدُ

فلمّا رأى المولى الحسين رجاله ✿ وفتيانه صرعى وشادي الردى يشدو

غدا طالباً للموت كاللّيث مغضباً ✿ يُحامي عن الأشبال يشتدُّ إن شدّوا

و إن جمعوا سبعين ألفاً لقتله ✿ فيحمل فيهم و هو بينهمُ فردُ ٧٥

إذا كرَّ فرّوا من جريحٍ وواقعٍ ✿ ذبيحٍ و مهزومٍ به طوّح الهدُّ [٣]

ينادي : ألا يا عصبةً عصت الهدى ✿ وخانت فلم يُرعَ الذّمامُ ولاالعهدُ

فبعداً لكم ياشيعةَ الغدر إنّكم ✿ كفرتم فلا قلبٌ يلين ولا وُدُّ

---

(١) الربى جمع الربوة : ما ارتفع من الارض . الحزم بفتح المهملة : ضبطالامر . الحزم بضم الاول والثانى جمع الحزام بالكسر : ما يشدّ به وسط الدابة .

(٢) أقيالج القيل : الرئيس . تقلّهم من قلّ الشيء قلا : أى حمله . وقلّه عن الارض : رفعه . الجرد ج الاجرد : السباق من الخيل .

(٣) طوّح به : حمله على ركوب المهالكوقذفه . الهدّ : الكسر . الصوت الغليظ .

ولايتنا فرضٌ على كلِّ مسلمٍ ✡ وعصياننا كفرٌ وطاعتنا رُشدُ
٩٠ فهل خائفٌ يرجو النَّجاة بنصرنا ✡ ويخشى إذا اشتدَّت سعيرٌ لها وَقدُ ؟
ويرنو لنحو الماء يشتاق ورده ✡ إذا ما مضى يبغي الورود له رَدُّ
فيحمل فيهم حملةً علويَّةً ✡ بها للعوالي في أعالي العدى قصدُ
كفعل أبيه حيدرٍ يوم خيبرٍ ✡ كذلك في بدر ومن بعدها أُحدُ
إذا ما هوى في لبَّة الليث عضبه ✡ فمن نحره بحرٌ ومن جزره مَدُّ
٩٥ وعاد إلى أطفاله وعياله ✡ وغرب المنايا لا يفلُّ لها حَدُّ (١)
يقول : عليكنَّ السَّلام مودِّعاً ✡ فها قد تناهى العمر واقترب الوعدُ
ألا فاسمعي يا اخت إن مسَّني الرَّدى ✡ فلا تلطمي وجهاً ولا يُخمش الخدُّ
وإن برحت فيكِ الخطوب بمصرعي ✡ وجلَّ لديك الحزن والثكل والفقدُ
فارضي بما يرضي إلٰهكِ واصبري ✡ فما ضاع أجر الصابرين ولا الوعدُ
١٠٠ وأوصيكِ بالسجَّاد خيراً فانَّه ✡ إمام الهدى بعدي له الأمر والعهدَ
فضجَّ عيال المصطفى وتعلَّقوا ✡ به واستغاث الاهل بالنَّدب والولدُ
فقال وكرب الموت يعلو كأنَّه ✡ ركام ومن عظم الظما انقطع الجهدُ (٢)
: ألا قد دنى الترحال فالله حسبكم ✡ وخير حسيبٍ للورى الصَّمد الفردُ
وعاد إلى حرب الطغاة مجاهداً ✡ وللبيض والخرصان في قدِّه قَدُّ
١٠٥ إلى أن غدا مُلقىً على التّرب عارياً ✡ يُصافح منه إذ ثوى الثرى خدُّ
وشمَّر شمر الذيلَ في حزِّ رأسه ✡ ألا قُطعت منه الأنامل والزَّندُ
فوا حزن قلبي للكريم علا على ✡ سِنان سَنان والخيول لها وَخدُ (٣)

---

(١) الغرب يوصف به السيف أى قاطع حديد . المنايا ج المنية : الموت . الفلّ : الثلمة فى حدّ السيف . الحد من السيف : مقطعه .

(٢) الركام : المتراكم بعضه فوق بعض . الجهد : الطاقة .

(٣) الوخد من وخد البعير اى اسرع وصار يرمى بقوائمه كالنعام . وهذا البيت فى نسخة :

فوا لهف نفسى للمحيا علا على　　سنان سنان والخيول به تعدو

تزلزلت السبع الطباق لفقده ✡ وكادت له شم الشماريخ تنهد (١)
وأرجف عرش الله من ذاك خيفة ✡ وضجت له الأملاك وانفجر الصلد
وناحت عليه الطير والوحش وحشة ✡ وللجن إذ جن الظلام به وجد ١١٠
وشمس الضحى أمست عليه عليلة ✡ علاها اصفرار إذ تروح وإذ تغدو
فيا لك مقتولاً بكته السما دماً ✡ وثل سرير العز وانهدم المجد
شهيداً غريباً نازح الدار ظامياً ✡ ذبيحاً ومن قاني الوريد له ورد
بروحي قتيلاً غسله من دمائه ✡ سليباً ومن ساقي الرياح له برد
ترض خيول الشرك بالحقد صدره (٢) وترضخ منه الجسم في ركضها جرد ١١٥
ومذراح لما راح للأهل مهره ✡ خليا يخد الأرض بالوجه إذ يعدو
برزن حيارى نادبات بذلة ✡ وقلب غدا من فارط الحزن ينقد
فحاسرة بالردن تستر وجهها ✡ وبرقعها وقد ومدمعها رفد
ومن ذاهل لم تدر أين معزها ✡ تضيق عليها الأرض والطرق تنسد
وزينب حسرى تندب الندب عندها ✡ من الحزن أوصاب يضيق بها العد ١٢٠
تنادي: أخي يا واحدي وذخيرتي ✡ وعوني وغوثي والمؤمل والقصد
ربيع اليتامى يا حسين وكافل ✡ الأيامى زمانا بعد بعدكم البعد
أخي بعد ذاك الصون والخدر والخبا ✡ يعالجنا علج ويسلبنا وغد
بناتك يابن الطهر طاها حواسر ✡ ورحلك منهوب تقاسمه الجند
لقد خابت الآمال وانقطع الرجا ✡ بموتك مات العلم والدين والزهد ١٢٥
وأضحت ثغور الكفر تبسم فرحة ✡ وعين العلى ينخد من سحبها الخد (٣)
وصوح نبت الفضل بعد اخضراره ✡ وأصبح بدر التم قد ضمه اللحد
تجاذبنا أيدي العدا فضلة الردا ✡ كأن لم يكن خير الأنام لنا جد
فأين حصوني والأسود الأولى بهم ✡ يصال على ريب الزمان إذا يعدوا ؟

---

(١) الشمراخ : رأس الجبل . تنهد : تقع وتنهدم . الاوصاب جمع الوصب : المرض والوجع الدائم ونحول الجسم .

(٢) الرض : الدق والجرش . الرضخ : الكسر . الجرد راجع ص ٢٤ .

(٣) ينخد : ينشق . الشحب : الصب المتتابع الغزير .

١٣٠ إذا غربت يابن النبيِّ بدورُكم ☆ فلا طلعت شمسٌ ولا حلّها سعدُ
ولاسحبت سحبٌ ذيولاً على الرُّبى ☆ ولا ضحك النوّار وانبعق الرعدُ (١)
وساروا بآل المصطفى وعياله ☆ حيارى ولمْ يخش الوعيدولاالوعدُ
وتطوي المطايا الأرض سيراً إذا سرت ☆ تجوب بَعيد البيد فيها لها وَخدُ
تأمُّ يزيداً نجلَ هند إمامها ☆ ألا لُعنت هندٌ وما نجلت هندُ
١٣٥ فيا لك من رزءٍ عظيم مصابه ☆ يُشقُّ الحشا منه ويُلتدم الخدُّ
أيُقتل ظمآناً حسين بكربلا ☆ ومن نحره البيض الصقال لها وردُ
وتضحى كريماتُ الحسين حواسراً ☆ يلاحظها في سيرها الحرُّ والعبدُ
فليس لأخذ الثار إلّا خليفة ☆ هو الخلف المأمول والعَلم الفردُ
هوالقائم المهديُّ والسيِّد الذي ☆ إذا سار أملاك السَّماء له جُندُ
١٤٠ يُشيِّد ركنَ الدين عند ظهوره ☆ علوّاً وركنُ الشِّرك والكفر ينهدُّ
وغصن الهدى يضحي وريقاً ونبته ☆ أنيقاً وداعي الحقِّ ليس له ضدُّ
لعلَّ العيون الرمد تحظى بنظرة ☆ إليه فتجلى عندها الأعين الرّمدُ
إليك انتهى سرُّ النبيّين كلّهم ☆ وأنت ختام الأوصياء إذا عُدّوا
بني الوحي ياأُمّ الكتاب ومَن لهم ☆ مناقب لا تحصى وإن كثر العدُّ
١٤٥ إليكم عروساً زفّها الحزن ثاكلاً ☆ تنوح إذا الصبُّ الحزين بها يشدو
لها عبرةٌ في عشر عاشور أرسلت ☆ إذا أُنشدت حادي الدُّموع بها تحدو
رجا (رجبٌ) رَحب المقام بها غداً ☆ إذا ما أتى والحشر ضاق به الحشدُ
بذلت اجتهادي في مديحكمُ وما ☆ قدارُ مديحي بَعدأن مَدح الحمدُ
ولي فيكمُ نظمٌ و نثرٌ غناؤه ☆ فقيرٌ وهذا جهد مَن لا له جهدُ
١٥٠ مصابي وصوب الدَّمع فيكم مجدَّد ☆ و صبري وسلواني به أخلق الجهدُ
تذكّرني يا بن النبيِّ غداً إذا ☆ غدا كلُّ مولىً يستجير به العبدُ
فأنتم نصيب المادحين وإنّني ☆ مدحت وفيكم في غدٍ يُنجز الوعدُ
إذا أصبح الراجي نزيلَ ربوعكم ☆ فقد نجحت منه المطالب والقصدُ

---

(١) سحبت من السحب : الجرّ على وجه الارض . النوار: الزهر او الابيض منه . انبعق : انبعج المطر

فان مالَ عنكم يابني الفضل راغبٌ ✿ يظلُّ و يضحى عنده من لاله عندُ
فيا عدَّتي في شدَّتي يوم بعثتي ✿ بكم غلَّتي من علَّتي حرُّها بردُ ١٥٥
عبيدكم (البرسيُّ) مولى فخاركم ✿ كفاه فخاراً أ َّنه لكمُ عبدُ
عليكم سلام الله ماسكب الحيا ✿ دموعاً على روض وفاح لها َندٌّ

وله في رثاء الامام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله :

دمعٌ يبدّده مقيمٌ نازحُ ✿ و دمٌ يبدِّده مقيمٌ نازحُ
والعين إن أمست بدمع فجرت ✿ فجرت ينابيع هناك ُموانحُ
أظهرت مكنون الشجون فكلما ✿ شجّ الأمون سجا الحَرون الجامحُ (١)
وعليٌّ قد جعل الأسى تجديده ✿ وقفاً يُضاف إلى الرحيب الفاسحُ
وشهود ذلّي مع غريم صبابتي ✿ كتبوا غرامي والسقام الشارحُ ٥
أوهى اصطباري مطلقٌ ومقيّدٌ ✿ غربٌ و قلبٌ بالكآبة بائحُ (٢)
فالجفن ُمنسجمٌ غريقٌ سائحٌ ✿ والقلب ُمضطرمٌ حريقٌ قادحُ
والخدُّ خدَّده طليقٌ فاترٌ ✿ و الوجد جدَّده ُمجدٌّ مازحُ
أصبحت تخفضني الهموم بنصبها ✿ و الجسم ُمعتلٌّ ِمثالٌ لائحُ
حلّت له حلل النحول فبرده ✿ ُبرد الذبول تحلُّ فيه صفائحُ ١٠
وخطيب وجدي فوق منبر وحشتي ✿ لفراقهم لهو البليغ الفاصحُ
ومحرّمٌ حزني وشوّال العَنا ✿ والعيد عندي لاعجٌ و نوايحُ
ومديد صبري في بسيط تفكّري ✿ هزجٌ ودمعي وافرٌ و ُمسارحُ (٣)
ساروا فمعناهم و مغناهم عفا ✿ واليومَ فيه نوايحٌ و صوايحُ
درس الجديد جديدها فتنكّرت ✿ ورنا بها للخطب َطرفٌ طامحُ (٤) ١٥

(١) الشج من شجّ المفازة : قطعها . الامون من الناقة : وثيقة الخلق القوية. سجا يسجو سجواً : مدّ حنينه. الحرون من الدابة الذى لاينقاد ، واذا استدبر جريه وقف . الجامح : المتغلب على راكبه و الذاهب به وهو لاينثني.
(١) بائح من باح يبوح بوحا بسرّه : أظهره كأباحه.
(٣) اشارة الى أنواع الشعر .
(٤) رنا اليه وله : أدام النظر اليه بسكون الطرف . الطامح من طمح البصر : ارتفع و نظر شديداً .

نسج البلى منه محقق حسنه ✫ ففناه ماحي الرسوم الماسحُ
فطفقتُ أندبه رهينَ صبابةٍ ✫ عدم الرفيق وغاب عنه الناصحُ
وأقول والزفرات تذكي جذوةً ✫ بين الضلوع لها لهيبٌ لافحُ
: لاغروَ إن غدر الزمان بأهله ✫ وجفا وحان وخانَ طرفٌ لامحُ
٢٠ فلقد غوى في ظلم آل محمّد ✫ وعوى عليهم منه كلبٌ نابحُ
وسطى على البازي غرابٌ أسحمٌ ✫ وشبا على الأشبال زنجٌ ضابحُ (١)
وتطاول الكلبُ العقورُ فصاول ✫ اللّيث الهصور وذاك أمرٌ فادحُ (٢)
وتواثبت عرج الضباع وروّعت (٣) والسيد أضحى للأسود يكافحُ
آل النبيّ بنو الوصيّ ومنبع ✫ الشرف العليّ وللعلوم مفاتحُ
٢٥ خزّان علم الله مهبط وحيهِ ✫ و بحارُ علم والأنام ضحاضحُ (٤)
التائبونَ العابدونِ الحامدونَ ✫ الذاكرون وجنحُ ليلٍ جانحُ
الصائمونَ القائمون المطعمونَ ✫ المؤثرونَ لهم يدٌ ومَنايح
عند الجدى سحب وفي وقت الهدى ✫ سمتٌ وفي يوم النزال جحاجحُ (٥)
هم قبلةٌ للساجدينَ وكعبةٌ ✫ للطائفين و مَشعرٌ و بَطايحُ
٣٠ طرق الهدى سفن النجاة محبّهم ✫ ميزانه يوم القيامة راجحُ
ما تبلغ الشعراء منهم في الثنا ✫ والله في السّبع المثاني مادحُ
نسب كمنبلج الصّباح و منتمىً ✫ زاكٍ له يعنو السماك الرّامحُ (٦)

(١) البازى من طيور الصيد وله أنواع كثيرة . الاسحم : الاسود . شبا : علا . الزنج : قوم من السودان . الضابح : المتغير اللون كلون الضبح أى الرماد .

(٢) صاوله: واثبه . الهصور من الاسد الذى يهصر فريسته أى يكسرها كسراً . الفادح : الصعب المثقل .

(٣) تواثبت من وثب وثباً : نهض وقام . عرج ج الاعرج : المصاب فى رجله الماشى مشية غير متساوية. الضبع. الضباع ج الضبع.

(٤) الضحضاح : الماء اليسير أو القريب القعر.

(٥) الجدى : العطية . السمت : المحجة والطريق . الجحاجح ج الجحجح : السيد المسارع الى المكارم . المبادر .

(٦) يعنو : يذلّ و يخضع . السماك الرامح : نجم معروف يسمى بذلك لانه يقدمه كوكب يقولون : هو رمحه .

الجدُّ خير المرسلين محمّد الـ — ـهادي الأمين أخو الختام الفاتحُ
هو خاتمٌ بل فاتحٌ بل حاكمٌ ✿ بل شاهدٌ بل شافعٌ بل صافحُ
هو أوّل الأنوار بل هو صفوة الـ — ـجبّار والنشر الأريج الفايحُ ٣٥
هو سيّد الكونين بل هو أشـ ـــرف الثقلين حقّاً والنذير الناصحُ
لولاك ما خُلق الزمان ولابدت ✿ للعالمين مساجدٌ و مصابحُ
والأمُّ فاطمة البتول وبضعة ✿ الهادي الرسول لها المهيمن مانحُ
حوريّةٌ إنسيّةٌ لجلالها ✿ و جمالها الوحي المنزّل شارحُ
والوالد الطهر الوصيُّ المرتضى ✿ علَم الهداية والمنارُ الواضحُ ٤٠
مولىً له النبأ العظيم و حبُّه ✿ النهج القويم به المتاجر رابحُ
مولىً له بغدير خمٍ بيعةٌ ✿ خضعت لها الأعناق وهي طوامحُ
القسور البتّاكُ والفتّاكُ والسـ ـــفّاك في يوم العراك الذّابحُ
أسد الإله و سيفه ووليُّه ✿ وشقيقُ أحمدَ والوصيُّ الناصحُ
و بعضده و بعضبه و بعزمه ✿ حقّاً على الكفّار ناحَ النابحُ ٤٥
يا ناصر الاسلام يا باب الهدى ✿ يا كاسر الأصنام فهي طوامحُ (١)
ياليت عينك والحسين بكربلا ✿ بين الطغاة عن الحريم يُكافحُ
والعاديات صواهلٌ و جوائلٌ ✿ بالشوس في بحر النجيع سوابحُ (٢)
و البيض والسمر اللدان بوارقٌ ✿ و طوارقٌ و لوامعٌ و لوائحُ (٣)
يلقى الردى بحر الندى بين العدى ✿ حتّى غدا مُلقىً وليس مُنافحُ (٤) ٥٠
أفديه محزوز الوريد مرمّلا ✿ ملقىً عليه الترب سافٍ سافحُ (٥)
والماء طامٍ وهو ظامٍ بالعرا ✿ فردٌ غريبٌ مستظامٌ نازحُ

---

(١) مرّ حديث كسره عليه السلام الاصنام فى صفحة ٩ — ١٣ من هذا الجزء .

(٢) الشوس ج الاشوس . راجع ص ٢٤ . النجيع الدم السائل الى السواد . سوابح ج سابح : السريع الغير المضطرب فى جريه .

(٣) البيض ج الابيض : السيف . السمر : الرمح . اللدان ج لدن بفتح اللام : اللين .

(٤) المنافح : المدافع .

(٥) ساف من سفى يسفى سفيا : التراب تذرى وتبدد . سافح : المصبوب الذى لايحبسه شيء .

و الطاهرات حواسر وثواكل ✿ بين العـدا و نوادب و نوائح
في الطف يسحبن الذيول بذلة ✿ والدهر سهم الغدر رام رامح (١)
٥٥ يسترن بالأردان نور محاسن ✿ صوناً وللأعداء طرف طامح
لهفي لزينب وهي تندب ندبها ✿ في ندبها والدمع سار سارح (٢)
تدعو : أخي يا واحدي ومؤملي ✿ من لي إذا ما ناب دهر كالح ؟ (٣)
من لليتامى والحرم ؟ من للأيامى ✿ كافل ؟ من للجفاة مناصح ؟
حزني لفاطم تلطم الخدين من ✿ عظم المصاب لها جوى وتبارح (٤)
٦٠ أجفانها مقروحـة ودموعهـا ✿ مسفوحة والصبر منها جامح
تهوى لتقبيل القتيـل تضمـه ✿ بفتيل معجرها الدماء نواضح
تحنو على النحر الخضيب وتلثم ✿ الثغر التريب لها فؤاد قادح
أسفي على حرم النبوة جئن مطـ ـ ـروحاً هنالك بالعتاب تطارح (٥)
يبدين بدراً غاب في فلك الثرى ✿ وهزبر غاب غيبته ضرائح
٦٥ هذي أخي تدعو وهذي يا أبي ✿ تشكو وليس لها ولي ناصح
والطهر مشغول بكرب الموت من ✿ رد الجواب و للمنية شابح (٦)
ولفاطم الصغرى نحيب مقرح ✿ يذكي الجوانح للجوارح جارح
علج يعالجها لسلب حليها ✿ فتطل في جهد العفاف تطارح (٧)
بالردن تستر وجهها وتمانع الـ ـ ـملعون عن نهب الرداو تكافح
٧٠ تستصرخ المولى الامام وجدها ✿ وفؤادها بعد المسرة نازح
: يا جد قد بلغ العدا ما أملوا ✿ فينا وقد شمت العدو الكاشح
يا جد غاب ولينا وحمينا ✿ وكفيلنا ونصيرنا والناصح

(١) يسحبن من سحب سحباً : جره على وجه الارض . الرامح : الطاعن بالرمح .
(٢) السارح : الجاري جريا سهلا .
(٣) ناب : نزل . الكالح من كلح وجهه : عبس وتكشر فهو كالح .
(٤) الجوى شدة الوجد من حزن او عشق . داء في الصدر . التبارح من البرح : الاذى و العذاب الشديد و المشقة .
(٥) تطارح : تجاوب .
(٦) الشابح من شبح شبحاً الجلد : مده بين اوتاد . الرجل مده كالمصلوب .
(٧) تطارح : تباعد .

ضيّعتمونا و الوصايا ضُيِّعت ☆ فينا وسهمُ الحور سارٍ سارحُ
يا فاطم الزهراء قومي وانظري ☆ وجهَ الحسين له الصعيد مصافحُ
أكفانه نسجُ الغبار وغسله ☆ بدم الوريد ولم تنحه نوائحُ ٧٥
وشبوله نهب السيوف تزورها ☆ بين الطفوف فراعلٌ وجوارحُ (١)
وعلى السنان سَنان رافع رأسه ☆ ولجسمه خيل العداة زوامحُ (٢)
والوحش يندب وحشةً لفراقه ☆ والجنّ إن جنّ الظلام نوايحُ
والأرض ترجف والسماء لأجله ☆ تبكي معاً والطير غادٍ رايحُ
والدهر من عظم الشجى شق الردا ☆ أسفاً عليه وفاض جفنٌ دالحُ (٣) ٨٠
يا للرّجال لظلم آل محمّدٍ ☆ ولأجل ثارهمُ وأين الكادحُ؟ (٤)
يضحى الحسين بكربلاء مرمّلاً ☆ عريان تكسوه التراب صحاصحُ (٥)
وعياله فيها حيارى حسّرٌ ☆ للذلّ في اشخاصهنّ ملامحُ (٦)
يسري بهم أسرى إلى شرّ الورى ☆ من فوق أقتاب الجمال مضابحُ (٧)
و يُقاد زين العابدين مغلّلاً ☆ بالقيد لم يشفق عليه مسامحُ ٨٥
ما يكشف الغمّاء إلّا نفحةٌ ☆ يحيى بها الموتى نسيمٌ نافحُ
نبويّةٌ علويّةٌ مهديّةٌ ☆ يُشفى بريّاها العليل البارحُ
يضحى مناديها ينادي : يا لثا ☆ رات الحسين وذاك يومٌ فارحُ
والجنّ والأملاك حول لوائه ☆ والرعب يقدم والحتوف تناوحُ (٨)

---

(١) فراعل ج الفرعل : ولد الضبع . الجوارح ج الجارحة : ذات الصيد من السباع والطير والكلاب .

(٢) زوامح من زمحته الدابة : رفسته .

(٣) الدالح : الكثير الماء .

(٤) الكادح . الذى جهد نفسه فى العمل .

(٥) صحاصح ج الصحصح : الارض الجرداء المستوية ذات حصى صغار .

(٦) الملاح : ما بدى من محاسن الوجه ومساويه .

(٧) المضابح : المقالى والمخاصم .

(٨) تناوح : تقابل .

٩٠ و و في جذعيهما ✿ خفضاً ونصب الصلب رفعُ فاتحُ
و و والإثم والـ ـ عدوان في ذُلّ الهوان شوائحُ
لعنوا بما اقترفوا وكلُّ جريمة ✿ شبّت لها منهم زنادٌ قادحُ
يابن النبيّ صبابتي لا تنقضي ✿ كمداً وحزني في الجوانح جانحُ (١)
أبكيكمُ بمدامع تترى إذا ✿ بخل السحاب لها انصبابٌ سافحُ
٩٥ فاستجلِ من مولاك عبد ولاك من ✿ لولاك ما جادت عليه قرايحُ
برسيّة كملت عقود نظامها ✿ حليّة ولها البديع وشايحُ (٢)
مدّت إليك يداً وأنت منيلها ✿ يابن النبيّ وعن خطاها صافحُ
يرجو بها (رجب) القبول إذا أتى ✿ وهو الذي بك واثقٌ لك مادحُ
أنت المعاذ لدى المعاد وأنت لي ✿ إن ضاق بي رحب البلاد الفاسحُ
١٠٠ صلّى عليك الله ما سكب الحيا ✿ دمعاً وماهبَّ النسيم الفائحُ

وله في رثاء الامام السبط صلوات الله عليه قوله :

ماهاجني ذكر ذات البان والعلم ✿ ولا السّلام على سلمى بذي سلمِ
ولا صبوت لصبّ صاب مدمعه ✿ من الصبابة صبَّ الوابل الرزمِ (٣)
ولا على طلل يوماً أطلت به ✿ مخاطباً لأُهيل الحيّ والخيمِ
ولا تمسّكت بالحادي وقلت له: ✿ إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلمِ (٤)
٥ لكن تذكرت مولاي الحسين وقد ✿ أضحى بكرب البلا في كربلا ظمي
فغاض صبري وفاض الدمع وابتـ ـ عد الرقاد واقترب السهاد بالسقمِ
وهامَ إذ همت العبرات من عدم (٥) قلبي ولم استطع مع ذاك منعَ دمي •

---

(١) الجوانح : الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر . الجانح من جنحت السفينة : لزقت بالارض فلم تمض .

(٢) وشايح ج وشاح شبه قلادة يرصّع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحيها .

(٣) صبوت من صبا يصبو : حنّ . الصب : العاشق . الصبابة . الشوق ورقة الهوى . الوابل المطر الشديد . الرزم الذى لا ينقطع رعده .

(٤) مطلع بديعية صفى الدين الحلى . راجع ج ٦ : ٤٤ ط ٢ .

(٥) همت من همى يهمي هميا : سال لا يثنيه شيء .

لم أنسه وجيوش الكفر جائشة ✫ والجيش في أمل والدين في ألمِ
تطوف بالطفِّ فرسان الضّلال به ✫ والحقُّ يسمع والأسماع في صممِ
وللمنايا بفرسان المنى عجلٌ ✫ والموت يسعى على ساق بلا قدمِ ١٠
مسائلاً و دموع العين سائلةٌ ✫ وهو العليم بعلم اللوح والقلمِ:
ما إسم هذا الثرى ياقوم! فابتدروا ✫ بقولهم يوصلون الكلم بالكلمِ:
بكربلا هذه تدعى. فقال: أجل ✫ آجالنا بين تلك الهضب والأكمِ
حطوا الرِّحال فحال الموت حلَّ بنا ✫ دون البقاء رغم الله لم يدمِ
يا للرِّجال لخطب حلَّ مخترم الآ ـ ✫ جال معتدياً في الأشهر الحرمِ ١٥
فها هنا تصبح الأكباد من ظمأ ✫ حرَّى وأجسادها نروى بفيض دمِ
وها هنا تصبح الأقمار آفلةً ✫ والشّمس في طفل والبدر في ظلمِ
وها هنا تملك السادات أعبدُها ✫ ظلماً ومخدومها في قبضة الخدمِ
وها هنا تصبح الأجساد ثاويةً ✫ على الثّرى مطعماً للبوم والرّخمِ (١)
وها هنا بُعد بُعد الدار مدفننا ✫ وموعد الخصم عند الواحد الحكمِ ٢٠
وصاح بالصحب هذا الموت فابتدروا ✫ أسداً فرائسها الآساد في الأجمِ
من كل أبيض وضّاح الجبين فتىً ✫ يغشي صلي الحرب لا يخشى من الضرمِ
من كلِّ منتدبٍ لله محتسبٍ ✫ في الله منتجب بالله معتصمِ
وكلِّ مصطلم الأبطال مصطلم ✫ الآجال ملتمس الآمال مستلمِ
وراح ثمَّ جواد السبط يندبه ✫ عالي الصهيل خلياً طالب الخيمِ ٢٥
فمذ رأته النساء الطاهرات بدا ✫ يكادم (٢) الأرض في خدّله وفمِ
برزن نادبةً حسرى وثاكلةً ✫ عبرى ومعلولة بالمدمع السجمِ
فجئن والسبط ملقىً بالنصال أبت ✫ من كفّ مستلمٍ أو ثغر ملتثمِ
والشمر ينحر منه النحر من حنقٍ ✫ والأرض ترجف خوفاً من فعالهمِ

(١) البوم . طائر يسكن الخراب . الرخم : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع .

(٢) يكادم : يعضّ.

٣٠ فتستر الوجهَ في كمّ عقيلته ✫ وتنحني فوق قلبٍ والهٍ كلمٍ[1]
تدعو أخاها الغريب المستظام أخي ✫ ياليت طرف المنايا عن عُلاك عمٍ
مَن إتكلت عليه في النساء و مَن ✫ اوصيت فيناومن يحنوعلى الحرمِ؟
هذي سكينة قد عزّت سكينتها ✫ وهذه فاطمٌ تبكي بفيض دمِ
تهوي لتقبيله و الدمع منهمرٌ ✫ والسبطعنهابكرب الموت في غممِ[2]
٣٥ فيمنع الدمّ والنصل الكسيربه ✫ عنها فتنصلُّ لم تبرح ولم ترمِ
تضمُّه نحوها شوقاً و تلثمه ✫ ويخضب النحرُ منه صدرَها بدمِ
تقول من عظم شكواها ولوعتها ✫ وحزنها غير منقضٍّ وُ منفصمِ
: أخي لقد كنت نوراً يستضاء به ✫ فمالنورالهدى والدين في ظلمِ
أخي لقد كنت غوثاً للأرامل يا ✫ غوث اليتامى و بحرالجودوالكرمِ
٤٠ ياكافلي هل ترى الأيتامَ بعدك في ✫ اسر المذلّة والاوصاب[3] والالمِ
يا واحدي يابن اُمّي يا حسين لقد ✫ نال العدى ما تمنّوا ٍمن طلابهمِ
و بردّوا غلل الأحقاد ِمن ضغنٍ ✫ وأظهروا ما تخفّى في صدورهمِ
أين الشفيقُ و قدبان الشقيقوقد ✫ جارالرفيق ولجُّ الدّهرفي الازمِ[4]
مات الكفيل وغاب اللّيث فابتدرت ✫ عرج الضباع على الأشبال في نهمِ
٤٥ وتستغيث رسول الله صارخــةً : ✫ ياجدُّ أين الوصايافي ذوي الرحمِ؟
يا جدُّ لونظرتْ عيناك مِن حزن ✫ للعترة الغرِّ بعد الصون والحشمِ
مشرّدين عن الأوطان قـد قهروا ✫ ثكلىأسارى حيارى ضرِّجوابدمِ
يسرى بهنَّ سبايـا بعـد عـزِّهمُ ✫ فوق المطاياكسبي الروم والخدمِ
هــذا بقيّـة آل الله سيّد أهــل ✫ الأرض زيـنُ عبـاد الله كلّهمِ

(١) الكلم من كلمه كلما : جرحه .

(٢) غمم بضم العجمة ج الغمة: الحيرة و اللبس.

(٣) الاوصاب ج الوصب راجع ص ٥٥.

(٤) الازم : من أزم الدهر القوم : استأصلهم . و أزم بصاحبه : لزم . وأزم الحبل : احكم فتله . والازم ج الازمة : الشدة.

نجل الحسين الفتى الباقي ووارثه ✡ والسيّد العابد السجّاد في الظلم ٥٠
يُساق في الأسر نحو الشام مهتظماً ✡ بين الأعادي فمن باكٍ و مبتسمِ
أين النبيُّ و ثغر السبط يقرعـه ✡ يزيدُ بغضاً لخير الخلق كلّهم ؟
أيَنكت الرجس ثغراً كان قبّله ✡ من حبّه الطهر خير العرب والعجم ؟
ويدّعي بعدها الإسلام من سفه ✡ و كان أكفر من عـاد و من إرم ؟
يا ويله حين تأتي الطـّهر فاطمةٌ ✡ في الحشر صارخةً في موقف الأمم ٥٥
تأتي فيطرق أهلُ الجمع أجمعهم ✡ منها حياءً و وجه الأرض في قتم
و تشتكي عن يمين العرش صارخة ✡ و تستغيث إلى الجبّار ذي النقم
هناك يظهر حكـم الله في مـلأ ✡ عضّوا و خانوا فيا سحقاً لفعلهم
و في يديهـا قميصٌ للحسين غـدا ✡ مضمّخاً بدم قـرناً إلى قَدم
أيا بني الوحي والذكر الحكيم ومَن ✡ ولاهمُ أملي و البرء من ألمي ٦٠
حزني لكم أبـداً لا ينقضي كمداً ✡ حتى الممات وردّ الروح في رمم
حتّى تعود إليكم دولةٌ وُعدت ✡ مهدّيـة تملأ الأقطـار بالنعم
فليس للدين من حامٍ و منتصر ✡ إلّا الإمام الفتى الكشّاف للظلم
القائم الخلف المهديُّ سيّدنـا ✡ الطاهر العلم ابن الطـاهر العلم
بدر الغياهب تيّار المواهب مَنْـ ✡ صور الكتائب حامي الحلّ والحرم [1] ٦٥
يابن الامام الزكيّ العسكريّ فتى ✡ الهادي التقيّ عليّ الطاهر الشيم
يابن الجواد و يا نجل الرضاء و يا ✡ سليلَ كاظـم غيظ منبع الكرم
خليفة الصّادق المولى الذي ظهرت ✡ علومه فأنـارت غيهب الظلـم
خليفة الباقر المولـى خليفة زيـن ✡ العابدين عليّ طيّب الخيم
نجل الحسين شهيد الطفّ سيّدنا ✡ و حبّذا مفخرٌ يعلو على الأمم
نجل الحسين سليل الطـّهر فاطمة ✡ و ابن الوصيّ عليٍّ كاسر الصنم [2] ٧٠

---

(١) الغياهب جمع الغيهب : الظلمة الشديد السواد من الليل . التيّار : موج البحر الهائج. الكتائب ج الكتيبة : القطعة من الجيش او الجماعة من الخيل .

(٢) راجع من هذا الجزء ص ٩ — ١٣ .

يابن النبيِّ ويابن الطُّهر حيدرة ☆ يابن البتول ويابن الحلِّ والحرمِ
أنت الفخار و معناه و صورته ☆ ونقطة الحكم لا بل خطّة الحِكَمِ
أيّامك البيض خضرٌ فهي خاتمة ☆ الدنيا وختم سعود الدين والامم
٧٥ متى نراك فلا ظُلمٌ ولا ظلم ☆ والدين في رَغَد والكفر في رغم ؟
أقبل فسبل الهدى والدين قد طمست ☆ و مسّها نصبٌ و الحقّ في عدم
يا آل طاها و مَن حبّي لهم شرفٌ ☆ أعدُّه في الورى من أعظم النعم
إليكمُ مِدحةٌ جاءت منظّمةً ☆ ميمونة صغتها مِن جوهر الكلم
بسيطة إن شذت أو انشدت عطرت ☆ بمدحكم كبساط الزهر منخرم
٨٠ بكراً عروساً ثكولاً زفّها حزنٌ ☆ على المنابر غير الدّمع لم تسم
يرجو بها (رجب) رَحب المقام غداً ☆ بعد العناء غناء غير منهدم
يا سادة الحقِّ مالي غيركم أملٌ ☆ وحبّكم عدّتي والمدح معتصمي
ماقدر مدحي والرّحمن مادحكم ☆ في هل أتى قد أتى مع نون والقلم
حاشاكم تحرموا الراجي مكارمكم ☆ و يرجع الجارُ عنكم غير محترم
٨٥ أو يختشي الزلّة (البرسيُّ) وهو يرى ☆ ولاكم فوق ذي القربى وذي الرحم
إليكمُ تحف التسليم واصلةٌ ☆ و منكمُ و بكم أنجو مِن النقم
صلّى الإله عليكم ما بدأ نسمٌ (١) ☆ و ما أتت نسمات الصبح في الحرم

و له قوله :

أما و الّذي لِدَمي حلّلا ☆ و خصّ أُهيل الولا بالبلا
لئن أسق فيه كؤس الحمام ☆ لما قال قلبي لساقيه : لا
فموتي حياتي و في حبّه ☆ يلذُّ افتضاحيَ بين الملا
فمن يسل عنه ؟ فإنَّ الفؤا ☆ د تسلّى و ما قطُّ آناً سلا
مضت سنّة الله في خلقه ☆ بأنَّ المحبَّ هو المبتلى

وله قوله :

لقد أظهرتَ يا حافظُ ☆ سرّاً كان مخفيّاً

(١) نسم ج النسمة : الانسان أو كل دابة فيها روح .

و أبرزت مِن الأنوارِ ✿ نوراً كان مطويّا
به قد صرت عند اللهِ ✿ و السّادات علويّا
و مقبولاً و مسعوداً ✿ و محسوداً و مرضيّا
فطب نفساً وعش فرداً ✿ وكن طيراً سماويّا ٥
غريباً يألف الخلوةَ ✿ لا يقرب إنسيّا
غدا في الناس بالخلوةِ ✿ والوحدة منسيّا
و إن أصبحت مرفوضاً ✿ بسهم البغض مرميّا
فلم يبغضك إلّا مَن ✿ أبوه الزنج بصريّاً
عمانيّاً مراديّاً ✿ مجوسيّاً يهوديّا ١٠
لهذا قد غدا يبغض ✿ ذاك الطين كوفيّا
و في المولد و المحتد ✿ برسيّاً و حليّا

و له في الغزال قوله :

لقد شاع عنّي حبُّ ليلى و إنّني ✿ كلفت بها عشقاً و همت بها وجداً
وأصبحت أُدعى سيِّداً بين قومها ✿ كما أنّني أصبحت فيهم لها عبدا
ألاقي الورى في حبِّها في تنكُّر ✿ فذا مانحٌ صدّاً وذا صاعرٌ خدّا
و ذا عابسٌ وجهاً يطوِّل أنفه ✿ عليَّ كأنّي قد قتلتُ له وُلدا
ولاذنب لي في هجرهم لي و هجرهم ✿ سوى إنّني أصبحتُ في حبِّها فردا
ولو عرفوا ما قدعرفتُ ويمّموا ✿ حماها كما يمّمته أعذروا حدّا
وظنّوا و بعض الظنِّ إثمٌ وشنّعوا ✿ بأنّ امتداحي جاوز الحدَّ والعدّا
فوالله ما وصفي لها جاز حدَّه ✿ ولكنها في الحسن قد جازت الحدّا ٥٤٠

هذه جملة ما وقفنا عليه من شعر شيخنا الحافظ البرسي وهي ٥٤٠ بيتاً ولا يوجد فيها كما ترى شيءٌ ممّا يرمى به من الارتفاع و الغلوّ فالأمر كما قال هو :

وظنّوا وبعض الظنِّ إثمٌ وشنّعوا ✿ بأنَّ امتداحي جاوز الحدَّ والعدّا
فوالله ما وصفي لها جاز حدَّه ✿ ولكنّها في الحسن قد جازت الحدّا

توجد ترجمته في أمل الآمل . ورياض العلماء . ورياض الجنّة في الروضة الرابعة .

و روضات الجنات. و تتميم الأمل للسيد ابن أبي شبانة. الكنى و الألقاب. وأعيان الشيعة. و الطليعة. و البابليات.

و لم نقف على تاريخ ولادة شاعرنا الحافظ و وفاته، غير أنه أرخ بعض تآليفه بقوله: إن بين ولادة المهدي عليه السلام وبين تأليف هذا الكتاب خمسمائة وثمانية عشر سنة. فيوافق ٧٧٣، أخذاً برواية ٢٥٥ في ولادة الإمام المنصور صلوات الله عليه، و مر في تاريخ بعض كتبه أنه أرخه بـ ٨١٣، ولعله توفي حدود هذا التاريخ والله العالم.



﴿ المغالاة في الفضائل ﴾

لمّا وقع غير واحد من شعراء الغدير نظراء المترجم - البرسي - في شبك النقد والاعتراض، و رُموا بالغلوّ؛ و جاء غير واحد من المؤلّفين [1] فشنّ عليهم الغارات بالقذف والسباب المقذع فيهمّنا ايقاف الباحث على هذا المهمّ حتّى لايستهويه اللغب و الصخب، ولايصيخ إلى النعرات الطائفيّة الممقوتة، وقول الزور، فنقول:

الغلوّ على ماصرّح به أئمّة اللغة كالجوهري والفيّومي والراغب وغيرهم هو تجاوز الحدّ، ومنه غلا السعر يغلو غلاء، وغلا الرجل غلوّاً، وغلا بالجارية لحمها وعظمها إذا اسرعت الشباب فجاوزت لِداتها قال الحرث بن خالد المخزومي:

خمصانة قلق موشحها ☆ رود الشباب غلا بها عظم

ومنه قول رسول الله ﷺ: لاتغالوا في النساء فانّما هنّ سقيا الله [2] وقول عمر: لا تغالوا في مهور النساء [3] والغلوّ ممقوت لامحالة أينما كان وحيثما كان في أيّ أمر كان، ولاسيّما في الدّين وعليه ينزّل قوله تعالى في موضعين [4] من الذكر الحكيم: ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم. ويعني في ذلك كماذكره المفسرون [5] غلوّ اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلوّ النصارى فيه حتى جعلوه ربّاً. فالافراط والتقصير كله سيئة. و الحسنة بين السيّئتين كماقاله مطرف بن عبدالله، وقال الشاعر:

و أوف و لاتستوف حقّك كله ☆ وصافح فلم يستوف قطّ كريمُ
ولاتغلُ في شيء من الأمر واقتصد ☆ كلا طرفي قصد الامور ذميمُ

---

(١) كابن تيمية، وابن كثير، و القصيمي، وموسى جارالله. ومن لفّ لفهم.
(٢) البيان و التبيين ٢ ص ٢١.
(٣) راجع الجزء السادس من الكتاب ص ٩٦ ط٢.
(٤) النساء: ١٧١، المائدة: ٧٧.
(٥) تفسير القرطبي ٦ ص ٢١.

وقال آخر :

عليك بأوساط الامور فانّها ✡ نجاةٌ و لاتركب ذلولاً و لا صعبا

وقال مولانا أميرالمؤمنين : إنّ دين الله بين المقصّر والغالي فعليكم بالنمرقة الوسطى فيها يلحق المقصّر ، ويرجع اليها الغالي [1] غيرأنّ من الواجب تعيين الحدّ الذي لايجوز في الدين أن يتجاوزه الإنسان لاستلزام الغلوّ الكذب تارة ، و الإغراء بالجهل اُخرى ، وبخس الحقوق الواجبة آونة ، لامادأبت عليه اُمّة من الرمي بالغلوّ كلّ قائل مالايروقها ، وتحدوها العصبيّة العمياء إلى التجهم أمام القول بمالايلائم ذوقها ، و من هذا الباب أكثر ما ترمى به الشيعة الإماميّة من الغلوّ لاعتقادهم أورواياتهم فضائل لأئمّة أهل البيت عليهم السّلام ، وقدطفحت بهاالصحاح والمسانيد ، و تدفّقت بنقلها الكتب والمؤلّفات ، حيث لم يقم من نبز هم بهلأئمةالهدى وزناً تقيمه الحقيقة ويقتضيه مقامهم الأسمى ، ذلك المقام الشامخ المستنبط من الكتاب والسّنة والإعتبار الصحيح والقضايا الخارجيّة الصادقة المتسالم عليهابين الاُمّة ، لولاأنّ هناك من يتعامى أويتصامم عن رؤية هذه و سماع هاتيك ، أو تقصر مُنّته العلميّة عن تحليل الفلسفة الصحيحة ، أويقصر باعه عن الإحاطة بالكائنات التاريخيّة ، من الذين استأسرهم الهوى وتدهور بهم الجهل إلى هوّة التيه و الضلال ، فعدّوا من الغلوّ الفاحش القول بعلم الغيب فيهم ، أو إخبارهم عمّافي الضمير ، أو تكلّم الموتى معهم ، أوعلمهم بمنطق الطير و الحيوانات ، أو إحياء الله الموتى بدعائهم ، أو استجابة دعواتهم في برء الأكمه والأبرص ، وبلّ كلّ ذي عاهة ، أو القول بالرجعة لهم ، أو ظهوركرامة لهم تخرق العادة ، أوالشخوص إلى زيارةقبورهم والتوسّل بهم ، والتبرّك بتربتهم ، والدعاءوالصّلاة عند مراقدهم ، أو التلهف و التأسف على ما انتابهم من المصائب ، إلى كثير من أمثال هذه من مبادئ تراهاالشيعة في العترة الهادية من فضائلهم المدعومة بالبرهنة الصحيحة والحجج القويّة ممّاأنكرته أبناء حزم وجوزيّ وتيميّة وقيّم وكثيرومن حذا حذوهم ولفّ لفّهم .

ولعلّ لهم العذر في ذلك بأنّ الذي يرتأونه في الخليفة لايزيدعلى أنّه رجلٌ يقطع

---

(١) ربيع الابرار للزمخشري .

السارق ويقتصّ من القاتل، ويحفظ الثغور، ويدحر الهرج في الأوساط، ويجمع الفيء ويقسّم، إلى أمثال هذه ممّا هو شأن الملوك والأمراء في الأمم والأجيال، وتُعرب عنه خطب أبي بكر وعمر لمّا استخلفا [1] واستخلاف عثمان و معاوية و ابنه الطاغي، وهلمّ جرّا، وحديث عبدالله بن عمرو حميد بن عبدالرحمن كما يأتي بيانه.

وهم لا يوجبون في الخليفة قوّة في النفس منبعثة عن نزاهة و قداسة وعصمة يتصرّف بها صاحبها في الكائنات كيفما اقتضته المصلحة، ويبصر المغيّب بعين بصيرته، أو بنور بصره الذي لا يقلّ عن أشعّة (رنتجن) التي يبصر صاحبها الأمعاء من وراء الجلد الغليظ وتري ما في قبضة الممسك بيده من ظهر اليد، و بلغت بها القوّة حتى أخذت بها الصورة الشمسيّة من وراء سياج الصندوق الحديدي.

والذي يخبت في القوى النفسيّة إلى مثل التنويم المغناطيسي الصناعي، أو استحضار الأرواح واستخدامها للجواب عن كلّ مسألة يريدها الإنسان ممّا في وراء عالم الشهود بقوّة نفسه كيف يسعه إنكار ردّ الأرواح إلى الاجسام باذن ربّها لدعاء وليّ، أو مقدرة صدّيق موهوبة له من باريء كيانه؟ وليس على الله بعزيز، هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون.

و كذلك مَن يشهد: انّ الطائرات الجوّية تطوي مئات من الفراسخ في آونة قصيرة، و كان يستدعي ذلك اشغال أشهر من الزمن يوم كانوا يطوونها على الظهور، أنّى يسيغ له حِجاه أن ينكر طيّ الأرض لمن يحمل بين جنبيه قوىً مفاضةً من المبدء الحقّ سبحانه؟ وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السحاب [2].

ومثله: الذي يبصر المذياع وهو ينقل الأصوات من أبعد المسافات فيسمعها كأنّه يتلو القرآن الكريم، أو يُلقي خطابته، أو يسرد أخباره، أو يغنّي بأهازيجه إلي جنبه، فهولا يسعه إنكار ما يشابه ذلك في إمام حقّ مؤيّد من عند الله، إنّ الله يُسمع مَن يشاء و ما أنت بسمع مَن في القبور [3].

---

(١) راجع الجزء السادس من الكتاب ص ١٩١ ط٢ وهذا الجزء فيما يأتى.

(٢) سورة النمل آية ٨٨.

(٣) سورة فاطر آية ٢٢.

و نظيره : المتكلّم الذي تمثّل له بالقوى الممثّلة صورة من يخاطبه ويتكلّم معه (في الهاتف) من صقع شاسع كأنّه يراه وينظر اليه من كثب . وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض (١) .

وأمثال هذه في المكتشفات الحديثة من آثار الكهرباء وغيره كثيرة ذلّلت فيهم المعضلات التي كانت تقصر عنها العقول السذّج قبل هذا اليوم ، ولعلّ في المستقبل الكشّاف يكون ما هو أعظم وأعظم من هذه كلّها ، فإنّ العلم لم يقف على حدّ ، ولا دلّت البرهنة على وصول الكشف إلى غايته المحدودة ، فمن الجائز أن يتدرّج إلى الأمام كما تدرّج في هذه القرون الأخيرة جلّت قدرة بارئها .

أنا لا أحاول جعل تلكم المعاجز و كرامات الأولياء من قبيل ما ذكرته من مجاري الناموس الطبيعي ، ولو أنّها لا يعدوها الاعجاز حتّى لو كانت على تلك المجاري ، لأنّها حدثت يوم لم تكن هذه الآثار مكتشفة ، ولا عرفها أحدٌ من الناس ، حتى أنّه لو فاهَ بها أحدٌ لما كانوا يحفلون به إلّا بالهزء والسخريّة معتقدين بأنّه يلهج بالمحال فصدورها من إنسان هذا ظرفه وتلك أحوال اُمّته ، ولم يعهد أنّه دخل كلّية أو تخرّج على يد استاذ لا يعدوه أن تكون معجزة ، لكنّا نعتقد أنّ اولئك الأئمّة ـ بما أنّهم مقيّضون لإصلاح الأمّة ولا يكون إلّا بخضوعها لهم ، وأقوى الحجج لاستلانة جماحها لذلك الخضوع هو صدور المعجزات والخوارق ـ لهم صلة بالمبدء الأقدس يسدّدهم بها من فوق عالم الطبيعة ، و هو لازم اللطف الواجب على الله سبحانه من تقريب البعيد إلى ما ذكرناه من الإكتشافات الحديثة لتقريب الأذهان و تشحيذها ، وإيقاف المنصف على الحقايق . وقد فصّلنا القول في بعض الموضوع في الجزء الخامس ٥٢ ، ٦٥ ط ٢.

فهلمّ معي إلى اناس يشنّعون على الشيعة باثبات تلكم النسب ، ويقذفونهم بالغلوّ والكفر والشرك وهم يثبتونها لغير واحد من أوليائهم ، وذكروا أضعاف ما عند الشيعة من تلكم الفضائل المرميّة بالغلوّ في تراجم العاديّين من رجالهم ، ونشروها في الملأ واتّخذوها تاريخاً صحيحاً من دون أيّ غمز وإنكار في السند ، ومن غير مناقشة و نظرة صحيحة في المتون ، كلّ ذلك حبّاً وكرامة لأولئك الرجال ، وحبّ الشيئ يعمي

(١) سورة الانعام آية ٧٥ .

و يصمّ ، و هذه السيرة مطّردة فيهم منذ القرن الأول حتّى اليوم ، ولا يسع لأيّ باحث رمي أولئك المؤلّفين الحفّاظ بالضّلال و الشرك و الغلوّ وخروجهم عمّا أجمعت عليه الأمّة الاسلاميّة كما هم رموا الشيعة بذلك ، على أنّ الباحث يجد فيما لفّقته يد الدعاية والنشر ، و نسجته أكفّ المخرقة و الغلوّ في الفضائل ، عجائب و غرائب أو قل : سفاسف وسفسطات ، تبعد عن نطاق العقل السليم ، فضلاً عن أن تكون مشروعة أو غير مشروعة . و إليك البيان :

﴿ الغلوّ في أبي بكر ﴾

ليس من العسير الشديد عرفان حدود أيّ فرد شئت من الصّحابة ، إذ التاريخ ـ مع ما فيه من الخبط والخلط ، مع ما نسجت عليه أيدي المعرّة الآثمة ، مع ما طمس صحيحه بالفتن المظلمة في أدوارها وقرونها الخالية ، مع ما لعبت به الأهواء المضلّة بالتحريف والاختلاق ، مع ما دسّ فيه عباقية الإفك والافتعال ، مع ما سوّدت صفحاته بآراء تافهة ، و نظريّات سخيفة ، ومبادئ فاسدة ، ونعرات طائفيّة ، ومخاريق قوميّة ، وجنايات شعوبيّة ـ فيه رمز من الحقيقة ، لا يختلط للناقد البصير زبده بخاثره ، وصحيحه بسقيمه ، و يسع له أن يستخرج الحق المخض ، يتّخذ منه دروس الحقايق ، ويعرف به حدود الرجال ، ومقاييس السلف ، و مقادير الأمم الغابرة .

و من اللازم المحتوم علينا النظرة في تراجم الشخصيّات البارزة من رجال الإسلام سلفاً و خلفاً بعين الإكبار دون عين رمصة ، ولا سيّما من عرف منهم بالخلافة الراشدة بين الملأ الدينيّ ولو بالإنتخاب الدستوري الذي ليس له أيّ قيمة و كرامة في سوق الإعتبار ، وميزان العدل ، ربّك يخلق ما يشاء و يختار ، ما كان لهم الخيرة [1] و ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم [2] ولله الأمر من قبل ومن بعد ، و هو وليّهم بما كانوا يعملون ، وكذّبوا و اتّبعوا أهواءهم وكلّ أمر مستقر .

---

(١) سورة القصص آية ٦٨ .
(٢) سورة الاحزاب آية ٣٦ .

فصاحب النبيّ الأعظم في الغار ، و المهاجر الوحيد معه في الرعيل الأوّل من المهاجرين السابقين يهمّنا إكباره وإعظامه ، و يُعدُّ من الجنايات الفاحشة بخس حقّه ، و التقصير في تحديد نفسيّاته ، و الخروج عن قضاء العدل فيها ، والنزول على حكم العاطفة .

و نحن لانحوم حول موضوع الخلافة وانّها كيف تمّت ؟ كيف صارت ؟ كيف قامت؟ كيف دامت؟ و انّ الآراء فيهاهل كانت حرّة ؟ ووصايا المشرّع الأعظم هل كانت متّبعة ؟ أو كانت للأهواء والشهوات يوم ذاك حكومة جبّارة هي تبطش وتقبض ، وهي ترفع وتخفض ، وهي ترتق وتفتق ، وهي تنقض وتبرم ، وهي تحلّ وتعقد .

لا يهمّنا البحث عن هذه كلّها بعد ما سمعت اُذن الدنيا حديث السقيفة مجتمع الثويلة ، وقرّطت بنبأ تلك الصاخّة الكبرى ، والتحارش العظيم بين المهاجرين والأنصار ، إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة .

ما عساني أن أقول ؟ والتاريخ بين يدى الباحث يدرسه بانّ كلّ رجل من سواد الناس يوم ذاك كان يرى الفوز والسّلامة لنفسه في عدم التحزّب بأحد من تلكم الأحزاب المتكثّرة ، وترك الإقتحام في تلك الثورات الثائرة ، وكانت الخواطر تهدّده بالقتل مهما أبدى الشقاق ، أو التحيز إلى فئة دون فئة ، بعد ما رأت عيناه فرند الصارم المسلول ، وسمعت اُذناه نداء محزّ[1] يتوعّد بالقتل كلّ قائل بموت رسول الله ، ويقول : لاأسمع رجلاً يقول : مات رسول الله . إلّا ضربته بسيفي . أو يقول : من قال : إنّه مات . علوت رأسه بسيفي ، وإنّما ارتفع إلى السّماء[2] .

يصيح : مَن قال نفس المصطفى قبضت ☆ علّوت هامته بالسيف أبريها[3]

بعد ما تشازرت الاُمّة وتلاكمت وتكالمت وقام الشيخان يعرض كلٌّ منهما البيعة

---

(١) المحز : الرجل الغليظ الكلام .

(٢) تأريخ الطبرى ٣ : ١٩٨ ، شرح ابن ابى الحديد ١ : ١٢٨ ، تاريخ ابن كثير ٥ : ٢٤٢ ، تأريخ ابى الفداج ١ : ١٥٦ ، المواهب اللدنية للقسطلانى ، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ٧ : ١٦٤ ، شرح المواهب للزرقانى ٨ : ٢٨٠ ، السيرة النبوية لزينى دحلان هامش الحلبية ٣ : ٣٧١ - ٣٧٤ ، ذكرى حافظ للدمياطى ص ٣٦ نقلا عن الغزالى .

(٣) من ابيات القصيدة العمرية لحافظ ابراهيم شاعر النيل .

لصاحبه قبل أخذ الرأي عن أيّ أحد ،كأنّ الأمر دبّر بليل ، فيقول هـذا لصاحبه : ابسط يدك فلأُ بايعك . ويقول آخر : بل أنت . وكلٌّ منهما يريد أن يفتح يد صاحبه ويبايعه ، و معهما أبوعبيدة الجراح حفّار القبور بالمدينة (١) يدعو الناس اليهما (٢) والوصيُّ الأقدس والعترةالهادية وبنوهاشم ألهاهم النبيُّ الأعظم وهومسجّى بين يديهم وقدأغلق دونه الباب أهله (٣) وخلّى أصحابه ﷺ بينه و بين أهله فولوا إجنانه (٤) و مكث ثلاثة أيّام لا يُدفن (٥) أومن يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء أوليلته (٦) فدفنه أهله ولم يله إلّا أقاربه (٧) دفنوه في الليل أوفي آخره (٨) ولم يعلم به القوم إلّا بعد سماع صريف المساحي و هم في بيوتهم من جوف الليل (٩) و لم يشهد الشيخان دفنه ﷺ (١٠) .

بعد ما رأى الرجل عمر بن الخطاب محتجراً يهرول بين يدي أبي بكر وقد نبر حتى أزبد شدقاه (١١) .

بعدما قرعت سمعه عقيرة صحابيّ بدريّ عظيم ـ الحباب بن المنذر ـ وقد انتضى سيفه على أبي بكر و يقول : والله لايردّ عليّ أحدٌ ما أقول إلّا حطمت أنفه بالسيف ،

---

(١) راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ٣١٤ ، ٣١٥ ط ٢ .
(٢) تأريخ الطبرى ٣ : ١٩٩ .
(٣) سيرة ابن هشام ٤ : ٣٣٦ ، الرياض النضرة ١ : ١٦٣ .
(٤) طبقات ابن سعد ص ٨٢١ ط ليدن ج ٢ من القسم الثانى ص ٧٦ .
(٥) تأريخ ابن كثير ٥ ص ٢٧١ ، تاريخ ابى الفدا ج ١ : ١٥٢ .
(٦) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٢ ص ٥٨ ، ٧٩ ، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، مسند احمد ٦ : ٢٧٤ ، سنن ابن ماجة ١ ص ٤٩٩ ، سيرة ابن سيد الناس ٢ ص ٣٤٠ ، تأريخ ابى الفداء ١ : ١٥٢ وقال : الاصح دفنه ليلة الاربعاء ، تاريخ ابن كثير ٥ ص ١٧١ وقال : هو المشهور عن الجمهور . وقال : والصحيح انه دفن ليلة الاربعاء ، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٩٤ ، شرح المواهب للزرقانى ٨ ص ٢٨٤ ، سيرة زينى دحلان هامش الحلبية ٣ ص ٣٨٠ .
(٧) طبقات ابن سعد ص ٨٢٤ ، ط ليدن ٢ من القسم الثانى ص ٧٨ .
(٨) سنن ابن ماجة ١ ص ٤٩٩ ، مسند احمد ٦ : ٢٧٤ .
(٩) الطبقات لابن سعد ص ٨٢٤ ط ليدن ٢ من القسم الثانى ص ٧٨ ، مسند احمد ٦ : ٢٧٤ ، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٤٤ ، تأريخ ابن كثير ٥ ص ٢٧٠ .
(١٠) أخرجه ابن ابى شيبة كما فى كنز العمال ٣ ص ١٤٠ .
(١١) طبقات ابن سعد ص ٧٨٧ ، ط ليدن ج ٢ من القسم الثانى ص ٥٣ ، شرح ابن ابى الحديد ١ ص ١٣٣ .

أنا جذيلها المحكك(١) وعذيقها المرجب ، أنا أبو شبل في عرينة الأسد يعزى إلى الاسد ، فيقال عليه : إذن يقتلك الله . فيقول : بل إياك يقتل . أو : بل أراك تقتل (٢) فأخذ ووطىء في بطنه ، ودس في فيه التراب (٣) .

بعد ما شاهد ثالثاً يخالف البيعة لابي بكر وينادي : أما والله أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل ، وأخضب منكم سناني ورمحي ، و أضربكم بسيفي ماملكته يدي ، وأقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي (٤) .

بعد ما رأى رابعاً يتذمر على البيعة ، ويشب نار الحرب بقوله : إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم(٥) .

بعد ما نظر إلى مثل سعد بن عبادة أمير الخزرج وقد وقع في ورطة الهون ينزى عليه ، وينادى عليه بغضب : اقتلوا سعداً قتله الله إنه منافق . أو: صاحب فتنة . وقد قام الرجل على رأسه و يقول : لقد هممت أن أطئك حتى تندر عضوك . أو تندر عيونك(٦)

بعد ما شاهد قيس بن سعد قد أخذ بلحية عمر قائلاً : والله لو حصصت منه شعرة مارجعت وفي فيك واضحة . أو : لو خفضت منه شعرة ما رجعت و فيك جارحة(٧)

---

(١) الجذل بالكسر والفتح : أصل الشجرة والعود الذى ينصب للابل الجربى لتحتك به فتستشفى به ، فالقول مثل يضرب لمن يستشفى برأيه ويعتمد[illegible] ، والتصغير للتعظيم .

وكذلك عذيقها المرجب . والعذق : النخلة بحملها والترجيب أن تدعم الشجرة اذا كثر حملها لئلا تنكسر اغصانها .

(٢) صحيح البخارى ١٠ ص ٤٥، مسند احمد ١ ص ٥٦ ، البيان والتبيين ٣ ص ١٨١ ، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٣٩، العقد الفريد ٢ ص ٢٤٨، الامامة والسياسة ١ ص ٩ ، تأريخ الطبرى ٣ ص ٢٠٩، ٢١٠ ، تاريخ ابن الاثير ٢ ص ١٣٦، ١٣٧، الرياض النضرة ١ ص ١٦٢، ١٦٤ ، تاريخ ابن كثير ٥ ص ٢٤٦، ج ٧ ص ١٤٢، الصفوة ١ ص ٩٧، تيسير الوصول ٢ ص ٤٥، شرح ابن ابى الحديد ١ ص ١٢٨ و ج ٢ ص ٤ ، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٧، ابو بكر الصديق للاستاذ محمد رضا المصرى ص ٢٥ .

(٣) شرح ابن ابى الحديد ٢ ص ١٦.

(٤) الامامة والسياسة ١ ص ١١، تاريخ الطبرى ٣ ص ٢١٠، تاريخ ابن الاثير ٢ ص ١٣٧، شرح ابن ابى الحديد ١ ص ١٢٨، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٧.

(٥) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا صفحة ٢٥٣ ط ٢ .

(٦) مسند احمد ١ ص ٥٦، العقد الفريد ٢ ص ٢٤٩، تاريخ الطبرى ٣ ص ٢١٠، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٣٩، الرياض النضرة ١ : ١٦٢، ١٦٤، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٧.

(٧) تاريخ الطبرى ٣ ص ٢١٠ ، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٧ .

بعدما عاين الزبير وقد اخترط سيفه ويقول : لا أغمده حتى يبايع عليٌّ . فيقول عمر : عليكم الكلب ، فيؤخذ سيفه من يده ويُضرب به الحجر ويُكسر[١] .

بعدما بصر مقداداً ذلك الرجل العظيم وهو يدافع في صدره ، أو نظر إلى الحباب ابن المنذر وهو يحطّم أنفه ، وتُضرب يده . أو إلى اللائذين بدار النبوّة ، مأمن الأمّة ، وبيت شرفها ، بيت فاطمة وعليّ - سلام الله عليهما - وقد لحقهم الإرهاب والترعيد[٢] وبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب وقال لهم : إن أبوا فقاتلهم . فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت : يا بن الخطّاب أجئت لتحرق دارنا ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمّة[٣] .

بعد ما رأى هجوم رجال الحزب السياسيّ دار أهل الوحي وكشف بيت فاطمة[٤] وقد علت عقيرة قائدهم بعد ما دعا بالحطب : والله لتحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة . أو لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّها على من فيها . فيقال للرجل : إنّ فيها فاطمة . فيقول : وإن[٥] .

بعد قول ابن شحنة : إنّ عمر جاء إلى بيت عليّ ليحرقه على من فيه فلقيته فاطمة فقال : ادخلوا فيما دخلت فيه الأمّة « تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ٧ ص ١٦٤ » .

بعدما سمع أنّةً وحنّةً من حزينة كئيبة - بضعة المصطفى - وقد خرجت عن خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها : يا أبت يا رسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة ؟[٦] .

---

(١) الامامة والسياسة ١ ص ١١ ، تاريخ الطبرى ٣ ص ١٩٩ ، الرياض النضرة ١ ص ١٦٧ ، شرح ابن ابى الحديد ١ ص ٥٨ ، ١٣٢ ، ج ٢ ص ١٩، ٥ .

(٢) تاريخ الطبرى ٣ : ٢١٠ ، شرح ابن أبى الحديد ١ : ٥٨ .

(٣) العقد الفريد ٢ : ٢٥٠ ، تاريخ ابى الفداء ١ : ١٥٦ ، اعلام النساء ٣ : ١٢٠٧ .

(٤) الاموال لابى عبيد ص ١٣١ ، الامامة والسياسة لابن قتيبه ١ : ١٨ ، تاريخ الطبرى ٤ : ٥٢ ، مروج الذهب ١ : ٤١٤ ، العقد الفريد ٢ : ٢٥٤ ، تاريخ اليعقوبى ٢ : ١٠٥ .

(٥) تاريخ الطبرى ٣ : ١٩٨ ، الامامة والسياسة ١ : ١٣ ، شرح ابن ابى الحديد ١ : ١٣٤ ، ج ٢ : ١٩ ، اعلام النساء ٣ : ١٢٠٥ .

(٦) الامامة والسياسة ١ : ١٣ ، اعلام النساء ٣ : ١٢٠٦ ، الامام علي لعبد الفتاح عبد المقصود ١ : ٢٢٥ .

بعد ما رآها وهي تصرخ وتولول ومعها نسوة من الهاشميات تنادي : يا أبا بكر ماأسرع ماأغرتم على أهل بيت رسول الله ، والله لا أكلّم عمر حتّى ألقى الله .

«شرح ابن ابي الحديد ١ص ١٣٤ ج ٢ ص ١٩ »

بعد ما شاهد هيكل القداسة والعظمة ـ أمير المؤمنين ـ يُقاد إلى البيعة كما يقاد الجمل المخشوش [١] ويُدفع و يُساق سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون ، ويقال له : بايع . فيقول : إن أنا لم أفعل فمه ؟ فيقال : إذن والله الذي لا إلٓه إلّا هو نضرب عنقك فيقول : إذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله [٢] .

بعد ما رأى صنو المصطفى عليّاً لاذ بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصيح ويبكي و يقول : يا ابن اُمّ ! إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني [٣] .

بعد نداء أبي عبيدة الجرّاح لعليّ عليه السلام يوم سيق إلى البيعة : يابن عمّ إنّك حديث السنّ وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالاُمور ولا أرى أبابكر إلّا أقوى على هذا الأمر منك و أشدّ احتمالاً واستطلالا ، فسلّم لأبي بكر هذا الأمر فإنّك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليقٌ و حقيقٌ في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك و صهرك [٤] .

بعد رفع الأنصار عقيرتهم في ذلك اليوم العصبصب بقولهم : لانبايع إلّا عليّاً . و بعد صياح بدريّهم : منّا أميرٌ و منكم أميرٌ ، و قول عمر له : إذ كان ذلك فمت إن استطعت [٥] .

بعد قول أبي بكر للأنصار: نحن الاُمراء وأنتم الوزراء ، وهذا الأمر بينناوبينكم

---

(١) العقد الفريد ٢ص٢٨٥، صبح الاعشى١ص٢٢٨، شرح ابن ابى الحديد ٣ص٤٠٧ ،

(٢) الامامة والسياسة١ ص١٣ ، شرح ابن ابى الحديد ٢ ص٨ و١٩ ، اعلام النساء ٣ ص١٢٠٦.

(٣) الامامة والسياسة ١:١٤ .

(٤) الامامة والسياسة ١ص ١٣، شرح ابن ابى الحديد ٢ص ٥ .

(٥) صحيح البخارى فى مناقب ابى بكر وفى باب رجم الحبلى ج ١٠ ص ٤٥، طبقات ابن سعد ٢ص٥٥ وج ٣ ص١٢٩ ، البيان والتبيين للجاحظ ٣ ص١٨١ ، سيرة ابن هشام ٤ ص٣٣٩، التمهيد للباقلانى ص١٩٧، تاريخ الطبرى ٣ص٢٠٦ و٢٠٩، مستدرك الحاكم ٣ص ٦٧؛ الرياض النضرة ١ص١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، تاريخ ابن كثير٥ص ١٤٦، تيسير الوصول ٢ص ٤١ ، ٤٥،

نصفان كشق الابلمة - يعني الخوصة - [1].

مدت لها الاوس كفاً كي تناولها ✿ فمدت الخزرج الأيدي تباريها
وظن كل فريق أن صاحبه ✿ أولى بها و أتى الشحناء آتيها [2]

بعد قول ام مسطح بن أثاثة واقفة عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم و هي تنادي: يارسول الله !

قدكان بعدك أنباء و هنبثة [3] ✿ لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ✿ واختل قومك فاشهدهم ولا تغب [4]

هذه كلها كانت تهدد السواد، و تروع عامة الناس وماكان لأحد في إصلاح القوم مطمع، ولا لأي من الأمة بعد ماشاهدالحال يوم ذاك حسبان حرمة ولاكرامة لنفسه يقوم بها تجاه ذلك التيار المتدفق.

و كانت هناك أمة تراها سكارى - وماهي بسكارى - من حراجة الموقف تسارها هواجسها بالتربص إلى حين، حتى تضع الغائلة أوزارها، ويتضح مآل أمر دبر بليل، و يتبين الرشد من الغي، وهواجس تجعل جماعة كالنزيعة تجهش وتحن و تقرع سن الأسف، وكم حنون لايجديه جنينه.

وما عساني أن أقول في تلك الخلافة ؟ بعد ما رآها أبوبكر و عمر بن الخطاب فلتة كفلتة الجاهلية وقى الله شرها [5].

بعد ما حكم عمر بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة [6].

بعد قوله يوم السقيفة: من بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا

(١) صحيح البخاري في مناقب ابي بكر، البيان والتبيين ١ ص ١٨١، عيون الاخبار لابن قتيبة ٢ ص ٢٣٤، طبقات ابن سعد ٢ ص ٥٥، ج ٣ ص ١٢٩، العقد الفريد ٢ ص ١٥٨، تيسير الوصول ٢ ص ٤٥٢، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٦، نهاية ابن الاثير ١ ص ١٣ فيه: كقد الابلمة. تاج العروس ٨ ص ٢٠٥.

(٢) من أبيات القصيدة العمرية لحافظ ابراهيم شاعر النيل.

(٣) الهنبثة: الامر الشديد والاختلاط في القول.

(٤) طبقات ابن سعد ص ٨٥٣، شرح ابن ابي الحديد ٢ ص ١٧، و ج ١ ص ١٣٢، وقد يعزى البيتان مع ابيات اخرى الى الصديقة فاطمة سلام الله عليها.

(٥) التمهيد للباقلاني ص ١٩٦، شرح ابن ابي الحديد ٢ : ١٩، الغدير لنا ج ٥ : ٣٧٠.

(٦) التمهيد ص ١٩٦. شرح ابن ابي الحديد ١ : ١٢٣، ١٢٤، الصواعق لابن حجر ص ٢١.

بيعة للذي بايعه تغرّة أن يقتلا[١].

بعد قوله لابن عباس: لقد كان عليٌّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر[٢]

بعد قوله: إنّا والله ما فعلناه عن عداوة ولكن استصغرناه، وحسبنا أن لا يجتمع عليه العرب و قريش لما قد وترها.

بعد قول ابن عبّاس له في جوابه: كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟[٣].

بعد قول عمر لابن عبّاس: يابن عبّاس! ما أظنّ صاحبك إلّا مظلوماً. و قول ابن عبّاس له: و الله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر. (شرح ابن أبي الحديد ٢ ص ١٨)

بعد قول أبي السبطين أمير المؤمنين: أنا عبدالله وأخو رسول الله، أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا اُبايعكم و أنتم أولى بالبيعة لي، فيقول عمر: لست متروكاً حتى تبايع. فيقول عليٌّ: احلب يا عمر! حلباً لك شطره[٤].

بعد قوله عليه السلام: ألله ألله يا معشر المهاجرين! ألا تخرجوا سلطان محمّد في العرب من داره، وقعر بيته إلى دوركم، وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين فنحن أحقّ الناس به لأنّا أهل البيت ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كان فينا القارئ لكتاب الله، العالم بسنن الله، المتطلّع لأمر الرعيّة، الدافع عنهم الأمور السيّئة، القاسم بينهم بالسويّة، و الله انّه لفينا، فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقّ بعدا[٥].

بعد قوله عليه السلام: لمّا مضى ـ المصطفى ـ لسبيله تنازع المسلمون الأمر بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي، ولا يخطر على بالي أنّ العرب تعدل هذ الأمر بعد محمّد

---

(١) صحيح البخارى ١٠: ٤٤ باب رجم الحبلى من الزنا؛ مسند أحمد ١: ٥٦، سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٨، نهاية ابن الاثير ٣: ١٧٥، تيسير الوصول ٢: ٤٥، شرح ابن ابي الحديد ١: ١٢٨، تاريخ ابن كثير ٥: ٢٤٦.

(٢) شرح ابن ابى الحديد ١: ١٣٤ وج ٢: ٢٠، الغدير كتابنا هذا ج ١: ٣٨٩

(٣) راجع الجزء الاول من كتابنا هذا ص ٣٨٩ ط ٢، كنز العمال ٦ ص ٣٩١.

(٤) الامامة و السياسة ١ ص ١٢، شرح ابن أبى الحديد ٢ ص ٥.

(٥) الامامة و السياسة ١ ص ١٢، شرح ابن أبى الحديد ٢ ص ٥.

عن أهل بيته، ولا إنهم منحوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر، و اجفالهم إليه ليبايعوه، فأمسكت يدي، و رأيت أني أحق بمقام محمد في الناس ممن تولى الأمر من بعده (١).

بعدما خرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يابنت رسول الله! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي كرم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، و أخرج أنازع سلطانه؟ فقالت فاطمة: ماصنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم (٢).

بعد قوله عليه السلام: أما والله لقد تقمصها إبن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، و يكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده.

«ثم تمثل بقول الأعشى».

شتان ما يومي على كورها ✿ و يوم حيان أخي جابر

فيا عجباً يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن اشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم فيا لله وللشورى، متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكني أسففت إذ اسفوا، وطرت إذا طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره مع هن وهن، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً

---

(١) الامامة والسياسة ١ ص ١٢.

(٢) الامامة والسياسة ١ : ١٢، شرح ابن ابي الحديد ١ : ١٣١، ج ٢ : ٥.

حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته . الحديث .

كلمتنا حول هذه الخطبة

هذه الخطبة تسمّى بالشقشقيّة و قد كثر الكلام حولها فأثبتها مَهرَة الفنّ من ـ الفريقين ورأوها من خطب مولانا أمير المؤمنين الثابتة التي لا مغمز فيها ، فلا يُسمع إذن قول الجاهل بأنّها من كلام الشريف الرضي ، وقد رواها غير واحد في القرون الأُولى قبل أن تنعقد للرضي نطفته ، كما جاءت باسناد معاصريه والمتأخّرين عنه من غير طريقه و إليك اُمّة من اولئك :

١ـ الحافظ يحيى بن عبد الحميد الحِماني المتوفّى ٢٢٨ كما في طريق الجلودي في العلل والمعاني .

٢ـ أبو جعفر دعبل الخزاعي المتوفّى ٢٤٦ رواها باسناده عن ابن عبّاس كما في أمالي شيخ الطائفة ص ٢٣٧ ، ورواها عنه أخوه أبو الحسن علي .

٣ـ أبو جعفر أحمد بن محمّد البرقي المتوفّى ٢٧٤/٨٠ كما في علل الشرايع .

٤ـ أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة المتوفّى ٣٠٣ كما في الفرقة الناجية للشيخ ابراهيم القطيفي ، والبحار للعلاّمة المجلسي ٨ : ١٦١ .

٥ ـ وجدتْ بخطٍّ قديم عليه كتابة الوزير أبي الحسن عليّ بن الفرات المتوفّى ٣١٢ كما في شرح ابن ميثم .

٦ـ أبو القاسم البلخي أحد مشايخ المعتزلة المتوفّى ٣١٧ كما في شرح ابن ابي الحديد ١ ص ٦٩ .

٧ـ أبو أحمد عبد العزيز الجلودي البصري المتوفّى ٣٣٢ كما في معاني الأخبار .

٨ـ أبو جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم البلخي المذكور رواها في كتابه (الانصاف) كما في شرح ابن ابي الحديد ١ : ٦٩ ، وشرح ابن ميثم .

٩ـ الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني المتوفّى ٣٦٠ كما في طريق القطب الراوندي في شرح النهج .

١٠- أبوجعفر ابن بابويه القمي المتوفّى ٣٨١ في كتابيه : علل الشرايع ومعاني الأخبار .

١١- أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري المتوفّى ٣٨٢ . حكى عنه شيخنا الصدوق شرح الخطبة في معاني الأخبار والعلل .

○(لفت نظر)○ عدّه السيّد العلاّمة الشهرستاني في (ما هو نهج البلاغة) ص ٢٢ ممّن روى الشقشقيّة فأرّخ وفاته بسنة ٣٩٥ ، وذكره في ص ٢٣ فقال : من أبناء القرن الثالث . لا يتمّ هذا ولا يصحّ ذاك ، وقد خفي عليه أنّ الحسن بن عبدالله العسكري راوي الشقشقية هو أبو أحمد صاحب كتاب الزواجر وقد توفّي سنة ٣٨٢ وولد ٢٩٣ ، وحسبه أبا هلال الحسن بن عبدالله العسكري صاحب كتاب «الأوائل» تلميذ أبي أحمد العسكري والتاريخ الذي ذكره تاريخ فراغه من كتابه الأوائل لاتاريخ وفاته . توجد ترجمة كلا الحسنين العسكريين في معجم الأدباء ٨ : ٢٣٣ - ٢٦٨ ، و بغية الوعاة ص ٢٢١ .

١٢ - أبو عبد الله المفيد المتوفّى ٤١٢ ، استاد الشريف الرضي رواها في كتابه (الإرشاد) ص ١٣٥ .

١٣ - القاضي عبد الجبار المعتزلي المتوفّى ٤١٥ : ذكر في كتابه « المغني » تأويل بعض جمل الخطبة و منع دلالتها على الطعن في خلافة من تقدّم على أمير المؤمنين من دون أيّ إيعاز إلى الغمز في إسنادها .

١٤ - الحافظ أبو بكر ابن مردويه المتوفّى ٤١٦ ، كما في طريق الراوندي في شرح النهج .

١٥ - الوزير أبو سعيد الآبي المتوفّى ٤٢٢ في كتابه (نثر الدرر و نزهة الأديب

١٦ - الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي الأكبر توفّي سنة ٤٣٦ ذكر جملة منها في الشافي ص ٢٠٣ فقال : مشهور . وذكر صدرها في ص ٢٠٤ فقال : معروف .

١٧ - شيخ الطائفة الطوسي المتوفّى ٤٦٠ رواها في أماليه ص ٣٢٧ عن السيّد أبي الفتح هلال بن محمّد بن جعفر الحفّار المترجم في مستدرك العلاّمة النوري ٣ : ٥٠٩ من طريق الخزاعيين . وفي تلخيص الشافي .

م ١٨ - أبو الفضل الميداني المتوفّى ٥١٨ في مجمع الأمثال ص ٣٨٣ قال : و

لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه خطبة تعرف بالشقشقية لان ابن عباس رضي الله عنهما قال له حين قطع كلامه : يا أمير المؤمنين ! لواطردت مقالتك من حيث أفضيت . فقال : هيهات يا ابن عباس ! تلك شقشقة هدرت ثم قرت] .

١٩ ـ أبو محمد عبدالله بن أحمد البغدادي الشهير بابن الخشاب المتوفى ٥٦٧ قرأها عليه أبو الخير مصدق الواسطي النحوي ، وسيوافيك بعيدهذا كلامه فيها .

٢٠ ـ أبوالحسن قطب الدين الراوندي المتوفى ٥٧٣ رواها في شرح نهج البلاغة من طريق الحافظين : ابن مردويه والطبراني وقال : أقول : وجدتها في موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة ، أحدهما : أنها مضمنة كتاب « الانصاف » لأبي جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته قبل مولد الرضي . الثاني : وجدتها بنسخة عليها خط الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله ، وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة ، والذي يغلب على ظني أن تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة .

٢١ ـ أبومنصور الطبرسي أحد مشايخ ابن شهر اشوب المتوفى ٥٨٨ في كتاب « الإحتجاج » ص٩٥ فقال : روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن إبن عباس

٢٢ ـ أبو الخير مصدق بن شبيب الصلحي النحوي المتوفى ٦٠٥ قرأها على أبي محمد ابن الخشاب و قال : لما قرأت هذه الخطبة على شيخي أبي محمد ابن الخشاب ووصلت إلى قول إبن عباس : ما أسفت على شيء قط كأسفي على هذا الكلام . قال : لو كنت حاضراً لقلت لابن عباس : وهل ترك ابن عمك في نفسه شيئاً لم يقله في هذه الخطبة ؟ فانه ما ترك لا الأولين ولا الآخرين . قال مصدق : وكانت فيه دعابة فقلت له : يا سيدي ؛ فلعلها منحولة إليه . فقال : لاوالله إني أعرف أنها من كلامه كما أعرف انك مصدق . قال فقلت : إن الناس ينسبونها إلى الشريف الرضي . فقال : لاوالله ، ومن أين للرضي هذا الكلام وهذا الأسلوب ؟ فقد رأينا كلامه في نظمه و نثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه ثم قال : والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنف قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة ، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء و أهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي « راجع

شرح ابن ميثم . وشرح ابن أبي الحديد ١ : ٦٩ » .

٢٣ ـ مجد الدين أبوالسعادات ابن الأثير الجزري المتوفّى ٦٠٦ ، أوعز إليها في كلمة «شقشق» في النهاية ج ٢ : ٢٩٤ فقال : ومنه حديث عليّ في خطبة له : تلك شقشقةٌ هدرت ثمّ قرّت .

٢٤ ـ أبوالمظفر سبط ابن الجوزي المتوفّى ٦٥٤ في تذكرته ص٧٣ من طريق شيخه أبي القاسم النفيس الأنباري باسناده عن ابن عبّاس فقال : تُعرف بالشقشقيّة ذكر بعضها صاحب نهج البلاغة وأخلّ بالبعض و قد أتيت بها مستوفاة . ثمّ ذكرها مع اختلاف ألفاظها .

٢٥ـ عزّ الدين ابن ابي الحديد المعتزلي المتوفّى ٦٥٥ قال في شرح النهج ١ : ٦٩ : قلت : و قد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديّين من المعتزلة و كان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدّة طويلة . ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر ابن قبة أحد متكلمي الإماميّة وهو الكتاب المشهور بكتاب «الإنصاف» و كان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً .

٢٦ ـ كمال الدين ابن ميثم البحراني المتوفّى ٦٧٩ ، حكاها عن نسخة قديمة عليها خطّ الوزير علي بن الفرات المتوفّى ٣١٢ ، وعن كتاب «الإنصاف» لابن قبة ، وذكر كلمة ابن الخشّاب المذكورة و قراءة أبي الخير إيّاها عليه .

٢٧ ـ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الافريقي المصري المتوفّى ٧١١ قال في مادّة (شقشق) من كتابه (لسان العرب) ج ١٢: ٥٣ : وفي حديث علي رضوان الله عليه في خطبة له : تلك شقشقةٌ هدرت ثمّ قرّت .

٢٨ ـ مجد الدين الفيروزآبادي المتوفّى ٨١٦-١٧ ، أوعز إليها في القاموس ج ٣ : ٢٥١ قال : والخطبة الشقشقية العلويّة لقوله لابن عبّاس لمّا قال له : لو اطّردت مقالتك من حيث أفضيت : يا ابن عبّاس! هيهات تلك شقشقةٌ هدرت ثمّ قرّت .

ثمّ ماعساني أن أقول بعدما يُعربد شاعر النيل[1] اليوم ، و يؤجّج النيران الخامدة

(١) محمد حافظ ابراهيم المتوفى سنة ١٩٣٢ م ١٣٥١ هـ .

ويجدد تلكم الجنايات المنسية (لاهاالله لا تنسى مع الأبد) ويعدها ثناء على السلف، ويرفع عقيرته بعد مضي قرون على تلكم المعرات، ويتبهج ويتبجح بقوله في القصيدة (العمرية) تحت عنوان: عمروعلي:

و قولة لعلي قالها عمر ✫ أكرم بسامعها أعظم بملقيها

: حرقت دارك لاابقي عليك بها ✫ إن لم تبايع و بنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص يفوه بها ✫ أمام فارس عدنان و حاميها

ماذا أقول بعد ماتحتفل الأمة المصرية في حفلة جامعة في أوائل سنة ١٩١٨ بانشاد هذه القصيدة العمرية التي تتضمن ما ذكر من الأبيات؟ و تنشرها الجرائد في أرجاء العالم، ويأتي رجال مصر نظراء أحمد أمين. و أحمد الزين. وابراهيم الأبياري [١] و علي جارم. وعلي أمين [٢] وخليل مطران [٣] و مصطفى الدمياطي بك [٤] وغيرهم [٥] ويعتنون بنشر ديوان هذا شعره، وبتقدير شاعر هذا شعوره، ويخدشون العواطف في هذه الازمة، في هذا اليوم العصبصب، و يعكرون بهذه النعرات الطائفية صفو السلام والوئام في جامعة الإسلام، ويشتتون بها شمل المسلمين، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وتراهم يجدد دون طبع ديوان الشاعر و قصيدته العمرية خاصة مرة بعد اخرى ويعلق عليها شارحها الدمياطي قوله في البيت الثاني: المراد أن علياً لا يعصمه من عمر سكنى بنت المصطفى في هذه الدار.

وقال في ص ٣٩ من الشرح: و في رواية لابن جرير الطبري قال: حدثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علي و به طلحة و الزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقن عليكم أولتخرجن إلى البيعة فخرج عليه

---

(١) ضبط وصحح وشرح هؤلاء الثلاث الديوان طبعة سنة ١٩٣٧ م بدار الكتب فى جزئين والابيات المذكورة توجد فيها ج ١ ص ٨٢.

(٢) هما ومعهما ثالث التزموا تصحيح الديوان فى طبعة اخرى.

(٣) له مقدمة لديوان الحافظ فى طبعة مكتبة الهلال سنة ١٩٣٥ م ١٣٥٣ ه والابيات فيها ص ١٨٤ غير ان الشطر الثانى من البيت الثانى محرف ب: ان لم تبالغ و بنت المصطفى فيها.

(٤) شارح القصيدة العمرية طبع بمطبعة السعادة فى مصر فى ٩٠ صفحة. توجد الابيات فيه مشروحة ص ٣٨.

(٥) فى عدة طبعات اخرى.

الزبير مصلتاً بالسيف فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه . فان كان زياد هذا هو الحنظلي أبو معشر الكوفي فهو موثق . والظاهر أنّ حافظاً رحمه الله عوّل على هذه الرواية . هـ .

و تراهم بالغوافي الثناء على الشاعر وقصيدته هذه كأنّه جاء للأمّة بعلم جمّ ، أو رأي صالح جديد ، أو أتى لعمر بفضيلة رابية تسرّ بها الأمّة و نبيّها المقدّس ، فبشرى بل بشريان لنبيّ الأعظم بأنّ بضعته الصدّيقة لم تكن لها أيّ حرمة وكرامة عند من يلهج بهذا القول ، ولم يكن سكناها في دار طهّر الله أهلها يعصمهم منه ومن حرق الدار عليهم . فزه زه بانتخاب هذا شأنه ، و بخ بخ ببيعة تمّت بذلك الإرهاب ، و قضت بتلك الوصمات .

لا تهمّنا هذه كلّها و إنّما يهمّنا الساعة « بعد أن درسنا تاريخ حياة الخليفة الأوّل فوجدناه لدة غيره من الناس العاديّين في نفسيّاته قبل إسلامه و بعده ، و إنّما سنّمه عرش الخلافة الانتخاب فحسب » البحث في موضوعين أولاهما : فضائله المأثورة . و ملكاته النفسيّة .

-١-

﴿ فضائله المأثورة ﴾

هل صحّ عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيه حديث فضيلة ؟ و هل صحيحٌ ما رووه فيه من الثناء الكثير الحافل ؟ نحن هيهنا نقف موقف المستشفّ للحقيقة ، ولا ننبس في القضاء ببنت شفة ، غير ما ننقله عن أئمّة فنّ الحديث المميّزين بين صحيحه وسقيمه ، ثمّ نردفه بالإعتبار الذي يساعده .

قال الفيروز آبادي في خاتمة كتابه « سفر السعادة المطبوع » : خاتمة الكتاب في الإشارة إلى أبواب روي فيها أحاديث و ليس منها شيءٌ صحيحٌ ، و لم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث شيءٌ . ثمّ عدّ أبواباً إلى أن قال :

باب فضائل أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه . أشهر المشهورات من الموضوعات انّ الله يتجلّى للناس عامّة ولأبي بكر خاصّة . وحديث : ما صبّ الله في صدري شيئاً

إلّا وصبّه في صدر أبي بكر . وحديث : كان ﷺ إذا اشتاق الجنّة قبّل شيبة أبي بكر . وحديث : أنا و أبو بكر كفرسي رهان . وحديث : إنّ الله لمّا اختار الأرواح اختار روح أبي بكر . وأمثال هذا من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل اه .

و عدّ العجلوني في كتابه كشف الخفا ص ٤١٩ ـ ٤٢٤ مائة باب من أبواب الفقه و غيره فقال : لم يصحّ فيه حديثٌ . أو : ليس فيه حديثٌ صحيح . و ما يقاربهما و قال في ص ٤١٩ : فضائل أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات كحديث إن الله يتجلّى للناس عامّة و لأبي بكر خاصّة . إلى آخر عبارة الفيروزآبادي المذكورة .

وذكر السيوطي في «اللئالي المصنوعة» ج ١ ص ١٨٦ ـ ٣٠٢ ثلثين حديثاً من أشهر فضائل أبي بكر « ممّا اتّخذه المؤلّفون في القرون الأخيرة من المتسالم عليه ، و أرسلوه إرسال المسلّم بلا أيّ سند أو أيّ مبالات » وزيّفها وحكم فيها بالوضع وذكر رأي الحفّاظ فيها .

كان السيوطي يهملج وراء القوم فبهظه أن لا يستصحّ حتّى حديثاً واحداً من تلكم الثلثين فقال في ص ٢٩٦ فيما عزى اليه ﷺ من قوله « عُرج بي إلى السّماء فما مررت بسماء إلّا وجدت فيها مكتوباً : محمّد رسول الله ، أبو بكر الصدّيق من خلفي » بعد ما حكم عليه بالوضع لمكان عبدالله بن ابراهيم الغفاري [1] الوضّاع . و كان شيخه عبدالرّحمن بن زيد المتّفق على ضعفه ينصّ منه عليهما بذلك ما لفظه :

قلت : الذي أستخير الله فيه الحكم على هذا الحديث بالحسن لا بالوضع ولا بالضعف لكثرة شواهده . ثمّ ذكر شواهد عن طرق لا يصحّ شيءٌ منها ، وفي كلّ واحد منها وضّاعٌ أو كذّابٌ ، أو من اتّفق على ضعفه ، أو مجهول لا يُعرف يروي عن مجهول مثله ، وقد عزب عنه أنّ الاستخارة لا تقلّب الشرّ خيراً ، ولا يعيد السقيم صحيحاً . ولا المنكر معروفاً .

و راحت إلى العطّار تبغي شبابها ☆ فهل يُصلح العطّار ما أفسد الدهرُ ؟

والله سبحانه لا يجازف في إسداء الخير ، والشواهد المكذوبة لا تقوى الضعف مع

(١) راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ٣٠٣ ط ٢ .

نص الحفاظ على كل واحد منها بالوضع أو الضعف ، وإليك بيان طرق تلك الشواهد .

١ - طريق الخطيب البغدادى مر في الجزء الخامس ص ٣٠٣ ، ٣٢٥ط٣ .

٢ - طريق البزار في مسنده وفيه عبدالله بن إبراهيم الغفاري الوضاع ، وشيخه عبد الرحمن بن زيد المتفق على ضعفه كما في تهذيب التهذيب ٦ ص ١٧٨، واللئالي المصنوعة ١ ص ٢٩٦ .

٣- طريق ابن شاهين في السنة و هو طريق الخطيب البغدادي وحديثه ، وقد حكم الذهبي و ابن حجر ببطلانه كما مر في الجزء الخامس .

٤ -طريق الدار قطني في الافراد قال السيوطي في «اللئالي » ١ ص ٢٩٧ بعد ذكره قال الدارقطني : تفرد به (محمد) بن فضيل عن ابن جريج لا أعلم أحداً حدث به غير هذين . وأورده المؤلف في الواهيات من طريق السري وقال : لا يصح . قال ابن حبان : لا يحل الاحتجاج بالسري بن عاصم .

قال الأميني : السري بن عاصم راوي الحديث أحد الكذابين مرت ترجمته في الجزء الخامس ص ٢٣١ط٢، وللدار قطني طريق آخر وفيه عمر بن اسماعيل بن مجالد أحد الكذابين [1] وبهذا الطريق ذكره السيوطي في « اللئالي ١ ص ٣٠٩ فقال : لا يصح آفته عمر كذاب .

٥ - طريق الديلمي في مسند الفردوس فيه بعد رجال مجاهيل عبد المنعم بن بشير أبو الخير الكذاب الوضاع الذي له مائتا حديث كذب [2] و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المجمع على ضعفه كما مر .

٦- طريق الختلي في ديباجه عن نصر بن حريش [3] عن أبي سهل مسلم الخراساني عن عبدالله بن اسماعيل عن الحسن البصري قال : قال رسول الله ﷺ : مكتوب على ساق العرش : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، محمد رسول الله ،و وزيراه أبو بكر الصديق و عمر الفاروق .

---

(١) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص٢٤٦ ط٢ :

(٢) راجع الجزء الخامس من الكتاب ص ٢٤١ ط٢ .

(٣) فى اللئالى : جريش : والصحيح ما ذكرناه

قال الدار قطني كما في تاريخ بغداد ٣ ص ٢٨٦ : هذا إسنادٌ ضعيفٌ لايثبت ، أبو سهل و نصر بن حريش ضعيفان . و قال العقيلي كما في لسان الميزان ٣ ص ٢٦٠: عبدالله بن اسماعيل منكر الحديث لا يُتابع على شيىء من حديثه . والحديث مع هذا مرسلٌ والحسن البصري لا يروي عن رسول الله و لم يدركه . و للخطيب طريق بهذا اللفظ ليست فيه كلمة (ساق . و وزيراه) و في إسناده أحمد بن رجاء بن عبيدة قال الخطيب في تاريخه ٤ ص ١٥٨ : مجهولٌ .

٧- طريق ابن عساكر فيه عبدالعزيز الكتاني ليّنه الذهبي كما في لسان الميزان ٤ ص ٣٣ ، وفيه الحارث بن زياد المحاربي قال الذهبي و غيره : ضعيفٌ مجهولٌ كما في اللسان ٢ ص ١٤٩ ، و فيه من لا يُعرف و لا توجد له ترجمةٌ في المعاجم .

ولا بن عساكر طريقٌ آخر بالاسناد عن محمّد بن عبد بن عامر المعروف بوضع الحديث [1] عن عصام بن يوسف ضعّفه ابن سعد ، و خطّأه ابن حبّان ، و قال ابن عدي : روى أحاديث لا يُتابع عليها . كما في لسان الميزان ٤ ص ١٦٨ .

ويرشدك إلى صحّة قول الفيروزآبادي والعجلوني ما أوضحناه في الجزء الخامس ص ٢٩٧ - ٣٣٢ ط٢ من تفنيد مائة منقبة مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مختلفة لأبي بكر ولزبائنه بحكم الأئمّة والحفّاظ . وكذا ما زيّفناه من خمس وأربعين رواية موضوعة في الخلافة في صفحة ٣٣٣ - ٣٥٦ ط٢ كلٌّ ذلك بقضاء من رجالات الفنّ نظراء .

ابن عدي ، الطبراني ، ابن حبّان ، النسائي ، الحاكم ، الدار قطني ، العقيلي ، ابن المديني ، أبو عمر ، الجوزقاني ، المحب الطبري ، الخطيب البغدادي ابن الجوزي ، أبو زرعة ، ابن عساكر ، الفيروزآبادي ، اسحاق الحنظلي ، ابن كثير ، ابن القيّم ، الذهبي ، ابن تيميّة ، ابن أبي الحديد ، ابن حجر الهيثمي ، ابن حجر العسقلاني ، الحافظ المقدسي ، السيوطي ، الصغاني ، الملاّ علي القاري ، العجلوني ، ابن درويش الحوت ، وغيرهم .

و يشهد لبطلان تلكم الروايات الجمّة في فضائل الخليفة الأوّل خلوٌّ الصحاح الستّ و السنن والمسانيد القديمة عنها ، فلو كان مؤلّفوها يجدون على شيىء منها مسحة

---

(١) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٢٥٩ ط ٢ .

من الصحة بل لو كانوا واقفين عليها ولو على واحدة منها لما أجمعوا على تركها فيرويها متحروا الزوايا ، ونباشة الدفاين ، فيبرزوها إلى الملأ من تحت غبار الهجر ، أو وراء نسج عناكب النسيان ، فيرشدنا ذلك إلى أن مواليد هذه الروايات متأخر تاريخها عن عهد ارباب الصحاح وحسبها ذلك مهانة وضعة . كما أن ما في الصحاح من النزر اليسير ولا مُد متأخرة عن عهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

على أن الخليفة نفسه لو كان على ثقة من صدور شيء من تلكم الأحاديث ولو يسيراً منها من قائلها صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يرى مثل أبي عبيدة الجراح حفار القبور أولى منه بالخلافة ، و لما قدمه على نفسه ، و لما ترك الاحتجاج بها يوم كانت حاجته إليه مسيسة ، ويوم كان الحوار في أمر الخلافة قائماً على قدم وساق ، وطفق كل ذي فضل يدلي بحججه ، وقد احتدم الجدال حتى كاد أن يكون جلاداً ، واستحر الحجاج حتى عاد لجاجاً ، لكن الرجل لم يكن عنده حجة ولا لزبانيته إلا أنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ثاني اثنين إذهما في الغار ، وأنه أكبر القوم سناً ـ وكان أبوه أكبر منه لا محالة ـ وقد اختارته الجماعة وانعقدت له البيعة بعد هوس وهياج ركوناً إلى أمثال هذه مما لا تثبت بها حجة ، ولا يخضع لها ذو مسكة ، ولا يصلح بها شأن الامة ، ولا يجمع بها شمل ، ولا يتم بها الأمر .

نعم : روي عن أبي بكر أنه ذكر في الحجاج له أشياء حذفتها الرواة ولم يذكروا منها إلا أنه أول من أسلم . أو : أول من صلى . عن أبي سعيد الخدري قال : قال أبو بكر : ألست أحق الناس بها ؟ ألست أول من أسلم ؟ ألست صاحب كذا ؟ ألست صاحب كذا ؟ (١) .

وعن أبي نضرة قال : لما أبطأ الناس عن أبي بكر قال : من أحق بهذا الأمر مني ؟ ألست أول من صلى ؟ ألست ؟ ألست ؟ ألست ؟ فذكر خصالاً فعلها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٢) .

---

(١) أخرجه الترمذي ، والبزار ، وابن حبان ، وابو نعيم في المعرفة ، وابن مندة في غرائب شعبة ، وسعيد بن منصور ، وأبوداود كما في كنز العمال ٣ ص ١٢٥ ، وذكره ابن الاثير في اسد الغابة ٣ : ٢٠٩ ، وابن كثير في تاريخه ٣ : ٢٧ .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط ليدن ٣ : ١٢٩ ، وخيثمة الطرابلسي في فضائل الصحابة كما في كنز العمال ٣ : ١٢٦ .

و نحن لانعرف شيئاً ممّا حذفوه من فضائله المزعومة أواختلقوا نسبته إليه إذ من الممكن - بل المحقق - أنّه لم يقل شيئاً ، وإنّما اصطنعوا له هذه الصورة لإيهام أنّه كانت له يوم ذاك فضائل مسلّمة ، لكن نعطف النظرة على المذكور من تلك المناقب وهو كون الخليفة أوّل من أسلم . أو : أوّل من صلّى ، و لم يكن كذلك . و القول به يخالف رأي النبيّ الأعظم و نصوص الصّحابة ، و قد فصّلنا القول فيه في الجزء الثالث ص٢١٩-٢٤٣ ط٢ و ذكرنا مائة نصّ عن النبيّ الأقدس و أمير المؤمنين صلوات الله عليهما و آلهما ، وعن الصحابة الأوّلين و التابعين لهم باحسان على أنّ أوّل من أسلم وأوّل من صلّى من ذكرهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام . و أوضحنا هنالك أنّ أبابكر ليس أوّل من أسلم . أو : صلّى بل في صحيحة الطبري : أنّه أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً . فراجع .

ولو كانت الصحابة الأوّلون يعرفون شيئاً من تلكم الموضوعات الجمّة لَما تركوا الاحتجاج به يوم ذاك في إخضاع الناس بدلاً عن إشفاع الدعوة بالإرهاب والترعيد ، و لَما يقتصر عمر بن الخطاب يوم السقيفة بقوله : مَن له مثل هذه الثلاث : ثاني اثنين إذهما في الغار. إذ يقول لصاحبه لاتحزن . إنّ الله معنا.

و بقوله : إنّ أولى الناس بأمر نبيّ الله ثاني اثنين إذ هما في الغار . و أبوبكر السبّاق المسنّ .

و بقوله يوم بيعة العامّة : إنّ أبابكر صاحب رسول الله . و ثاني اثنين إذ هما في الغار [1] .

و لَما قال سلمان للصحابة : أصبتم ذا السنّ منكم و لكنكم أخطأتم أهل بيت نبيّكم [2] .

و لَما يكتفي عثمان بن عفّان في الدعوة إلى أبي بكر بقوله : إنّ أبابكر الصدّيق أحقّ الناس بها ، إنّه لصدّيق وثاني اثنين و صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله [3]

---

(١) سيرة ابن هشام ٤ : ٣٤٠ ، الرياض النضرة ١ : ١٦٢ ، ١٦٦ ، تاريخ ابن كثير ٥ : ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، شرح ابن ابي الحديد ٢ : ١٦ ، السيرة الحلبية ٣ : ٣٨٨ .

(٢) شرح ابن ابي الحديد ١ : ١٣١ ، ج ٢ : ١٧ .

(٣) أخرجه الاطرابلسي في فضائل الصحابة كما في كنز العمال ٣ : ١٤٠ .

ولما فاه المغيرة بن شعبة بمقاله لأبي بكر وعمر: تلقوا العباس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقبه فتقطعوا به من ناحية علي ويكون لكم حجة عند الناس على علي إذا مال معكم العباس.

ولما دخل أبوبكر وعمر وأبوعبيدة والمغيرة على العباس ليلاً، ولما قال أبوبكر له: لقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنت عم رسول الله (١).

ولما تم الأمر له ببيعة اثنين فحسب: عمر وأبي عبيدة. أو: ببيعة اربع: هما مع اسيد وبشر. أو بخمسة: هم مع سالم مولى أبي حذيفة كما يأتي تفصيله.

ولما تخلف عن بيعته رؤس المهاجرين والأنصار: علي وابناه السبطان. والعباس وبنوه في بني هاشم. وسعد بن عبادة وولده واسرته. والحباب بن المنذر وتابعوه. والزبير وطلحة. وسلمان. وعمار. وأبوذر. والمقداد. وخالد بن سعيد. وسعد بن أبي وقاص. وعتبة بن أبي لهب. والبراء بن عازب. وأبي بن كعب. وأبوسفيان بن حرب. وغيرهم (٢).

ولما كان مجال لقول محمد بن اسحاق: كان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون ان علياً صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ. شرح ابن ابي الحديد ٢: ٨.

ولما قال عتبة بن ابي لهب يوم ذاك بملأ من مدعي الفضائل:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف ✡ عن هاشم ثم منهم عن ابي حسن

عن أول الناس ايماناً وسابقة ✡ وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وآخر الناس عهداً بالنبي ومن ✡ جبريل عون له في الغسل والكفن

من فيه ما فيهم؟ لايمترون به ✡ وليس في القوم ما فيه من الحسن

ما ذا الذي ردكم عنه؟ فنعلمه ✡ ها إن بيعتكم من أول الفتن (٣)

---

(١) الامامة والسياسة ١: ١٥، تأريخ اليعقوبي ٢: ١٠٣، ١٠٤، شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٢.

(٢) تأريخ اليعقوبي ٢: ١٠٣، الرياض النضرة ١: ١٦٧، تأريخ ابي الفداج ١: ١٥٦، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ٧: ١٦٤، شرح ابن ابي الحديد ١: ١٣٤.

(٣) تأريخ اليعقوبي ٢: ١٠٣، رسائل الجاحظ ٢٢، اسد الغابة ٤ ص ٤٠، تأريخ ابي الفداج ١ ص ١٦٤، شرح ابن ابي الحديد ٣: ٢٥٩، الغدير ٣: ٢٣٢. تعزى هذه الابيات الى عدة شعراء راجع المصادر المذكورة

ولما قال قصيٌّ يوم ذاك :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكمُ ✡ ولا سيّما تيم بن مرّة أو عدي
فما الأمر إلّا فيكمُ وإليكمُ ✡ وليس لها إلّا أبو حسن علي
أبا حسنٍ فاشدد بها كفّ حازمٍ ✡ فانّك بالأمر الذي يُرتجى ملي
وإنّ امرءاً يرمي قصيّاً وراءه ✡ عزيزالحمى والناس من غالب قصي (١)



(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٠٥ .

-٢-

ملكاته ونفسياته

يهمّنا النظر إلى ملكات الخليفة وما انحنت عليه أضالعه من علوم أو نفسيات حتّى نعلم أنّها هل تجعل له صلة بفضيلة ؟ أو تقرّب مبوّأه من التأهّل لهاتيك المرويات ؟ أو تعيّن له حدّاً يكون التفريط منه إجحافاً به ، وبخساً بحقّه ، وتحطيماً لمقامه ؟ أو يعرف الغلوّ بالافراط فيه ؟

أمّا هو قبل الإسلام فلا نفيض عنه قولاً لأنّ الاسلام يجبّ ما قبله ، فلا إلتفات إذن إلى ماجاء به عكرمة رضي الله تعالى عنه من قوله : كان أبوبكر رضي الله عنه يقامر اُبيّ بن خلف وغيره من المشركين وذلك قبل أن يحرم القمار . ذكره الإمام الشعراني في كتابه كشف الغمّة ج ٢ : ١٥٤ .

و قال الامام أبوبكر الجصّاص الرازي الحنفي المتوفّى ٣٧٠ في أحكام القرآن ١ : ٣٨٨ : لاخلاف بين أهل العلم في تحريم القمار و انّ المخاطرة من القمار ، قال ابن عبّاس : إنّ المخاطرة قمار وإنّ أهل الجاهليّة كانوا يخاطرون على المال والزوجة و قد كان ذلك مباحاً إلى أن ورد تحريمه ، وقد خاطر أبوبكر الصدّيق المشركين حين نزلت : الٓم غلبت الروم .

كما لا يلتفت إلي ما ذكره أبوبكر الاسكافي في الردّ على الرسالة العثمانيّة للجاحظ (١) من أنّ أبابكر كان قبل إسلامه مذكوراً و رئيساً معروفاً ، يجتمع إليه كثيرٌ من أهل مكّة فينشدون الأشعار ، و يتذاكرون الأخبار ، ويشربون الخمر ، و قد سمع دلائل النبوّة وحجج الرسالة ، وسافر إلى البلدان ، ووصلت إليه الأخبار .

وأخرج الفاكهي في كتاب مكّة باسناده عن أبي القموص قال : شرب أبوبكر ـ الخمر في الجاهليّة (٢) فأنشأ يقول :

---

(١) رسائل الجاحظ ص ٣٤ ، شرح ابن ابي الحديد ٣ ص ٢٦٤ .
(٢) هذه الكلمة دخيلة في الرواية ، وذيل الرواية يكذبها ايضا وسنوقفك على التاريخ الصحيح

تحيّي أمّ بكر بالسّلام ✿ وهل لي بعد قومك من سلام ؟

الأبيات

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يجرّ ازاره حتّى دخل فتلقّاه عمر وكان مع أبي بكر فلمّا نظر إلى وجهه محمرّاً قال : نعوذ بالله من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لا يلج لنا رأساً أبداً ، فكان أوّل من حرّمها على نفسه .

وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول ص٦٦ فقال : هو ممّا تنكره القلوب . فكأنّ الحكيم وجد الحديث دائراً سائراً في الألسن غير أنّه رأى القلوب تنكره .

وذكره ابن حجر في الاصابة ٤ : ٢٢ فقال : واعتمد نفطويه على هذه الرواية فقال: شرب أبوبكر الخمر قبل أن تحرم ورثى قتلى بدر من المشركين .

وحديث أبي القموص هذا أخرجه الطبري في تفسيره ٢ : ٢٠٣ وفي طبعة ٢١١ عن ابن بشار [١] عن عبد الوهّاب [٢] عن عوف [٣] عن أبي القموص زيد بن علي [٤] قال : أنزل الله عزّ وجلّ في الخمر ثلاث مرّات ، فأوّل ما أنزل قال الله : يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما [٥] قال : فشربها من المسلمين من شاء الله منهم على ذلك حتى شرب رجلان فدخلا في الصّلاة فجعلا يهجران كلاماً لا يدري عوف ماهو فأنزل الله عزّ وجل فيها : يا أيها الّذين آمنوا لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون [٦] فشربها من شربها منهم وجعلوا يتّقونها عند الصّلاة حتى شربها فيما زعم أبو القموص رجلٌ فجعل ينوح على قتلي بدر :

تحيي بالسّلامة أمّ عمرو ✿ وهل لك بعد رهطك من سلام ؟

ذريني أصطبح بكراً فانّي ✿ رأيت الموت نقّب عن هشام

وودّ بنو المغيرة لو فدوه ✿ بألف من رجال أو سوام

(١) الحافظ أبوبكر محمد بن بشار العبدى البصرى . من رجال الصحاح الست .

(٢) ابن عبدالمجيد البصرى . من رجال الصحاح الست .

(٣) ابن أبى جميلة العبدى البصرى . من رجال الصحاح الست .

(٤) ثقة كما فى تهذيب التهذيب ٣ ص ٤٢٠ .

(٥) سورة البقرة . آية : ٢١٩ .

(٦) سورة النساء . آية : ٤٣ .

كأنّي بالطويّ طويّ بدرٍ ✿ من الشيزى يكلّل بالسنامِ
كأنّي بالطويّ طويّ بدرٍ ✿ من الفتيان والحلل الكرامِ

قال : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء فزعاً يجرّ رداءه من الفزع حتّى انتهى إليه فلمّا عاينه الرجل فرفع رسول الله ﷺ شيئاً كان بيده ليضربه قال : أعوذ بالله من غضب الله و رسوله والله لا أطعمها أبداً فأنزل الله تحريمها : يا أيّها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر و الأنصاب والأزلام رجس (١) . إلى قوله : فهل أنتم منتهون .فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنتهينا . إنتهينا (٢) .

و أخرج البزّار عن انس بن مالك قال : كنت ساقي القوم تيناً وزبيباً خلطناهما جميعاً و كان في القوم رجلٌ يقال له : أبو بكر فلمّا شرب قال :

أحيّي أمّ بكر بالسّلامِ ✿ و هل لك بعد قومك من سلامِ ؟
يحدّثنا الرسول بأنّ سحتاً ✿ وكيف حياة أصلٍ أو هشامِ (٣)

فبينا نحن كذلك و القوم يشربون إذ دخل علينا رجلٌ من المسلمين فقال : ما تصنعون ؟ إنّ الله تبارك وتعالى قد نزّل تحريم الخمر . الحديث .

وقال ابن حجر في فتح الباري ١٠ : ٣٠ ، والعيني في عمدة القاري ٢٠ : ٨٤ : من المستغربات ما أورده ابن مردويه في تفسيره من طريق عيسى بن طهمان (٤) عن أنس أنّ أبا بكر و عمر كانا فيهم . وهو منكرٌ مع نظافة سنده ، وما أظنّه إلّا غلطاً .

و قد أخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة شعبة من حديث عائشة قالت : حرّم أبو بكر الخمر على نفسه فلم يشربها في جاهليّة ولا إسلام .

و يحتمل أن كان محفوظاً أن يكون أبو بكر و عمر زارا أبا طلحة في ذلك اليوم

---

(١) سورة المائدة. آية : ٩١ .

(٢) لايخفى على القارىء أن الطبرى حرّف اسم أبى بكر وجعل مكانه : رجل . وحرّف كلمة «أم بكر» فى الشعر وبدّلها بأم عمرو. صوناً للكرامة .

(٣) مجمع الزوائد ٥ : ٥١ .

(٤) وثقه أحمد . و ابن معين . و أبو حاتم .ويعقوب بن سفيان . و أبو داود . والحاكم . والدار قطنى . تهذيب التهذيب ٨ ص ٢١٦ .

و لم يشربا معهم [1] ثمّ وجدت عند البزّار من وجه آخر عن أنس قال : كنت ساقي القوم وكان في القوم رجلٌ يقال له : أبوبكر فلمّا شرب قال :

تحيّي بالسّلامة أمّ بكر . . . . . .

فدخل علينا رجلٌ من المسلمين فقال: قد نزل تحريم الخمر. الحديث . وأبوبكر هذا يقال له : ابن شغوب فظنّ بعضهم انّه أبوبكر الصدّيق وليس كذلك ولكن قرينة ذكر عمر تدلّ على عدم الغلط في وصف الصدّيق فحصّلنا تسمية عشرة . اه‍ .

قال الأميني : ترى ابن حجر يتلعثم في ذكر الحديث ، فلا يدعه حبّه للخليفة أن يقبله ، ولا تخلّيه صحّته أن يصفح عنه ، فجاء يستغرب أوّلا ثمّ يستنكره مع الحكم بنظافة سنده ، ويظنّه غلطاً تارةً ويراه محفوظاً اخرى ، وبالأخير يأخذه صدق النبأ و صحّته فيتخلّص منه بالحكم بأنّ المذكور فيه هو أبو بكر الصدّيق بقرينة عمر ، فيعدّهما من أحد عشر الذين كانوا يشربون الخمر في دار أبي طلحة .

و ابن حجر يعلم بأنّ ما أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عايشة لا يقاوم هذا النبأ الثابت المرويّ بالطرق الصحيحة عن رجال الصحاح ، ذكر أبو نعيم حديثه في الحلية ٧ ص ١٦٠ من طريق عباد بن زياد الساجي عن أبن عدي عن شعبة عن محمّد بن عبدالرحمن أبي الرجال عن اُمّه عمرة عن عائشة . و قال : غريبٌ من حديث شعبة لم نكتبه إلّا من حديث عباد بن أبي عدي . اه‍ . و فيه :

عباد بن زياد الساجي ، يتهم بالقدر . قال موسى بن هارون : تركت حديثه ، و قال ابن عدي : هو من أهل الكوفة الغالين في التشيع له أحاديث مناكير في الفضائل .

«تهذيب التهذيب ٥ : ٢٩٤»

وفيه : شعبة عن محمّد بن عبد الرحمن أبي الرجال . قال الخطيب : هذا وهمٌ شعبة لم يروعن أبي الرجال شيئاً ، وكذلك من قال فيه عن شعبة عن محمّد بن عبد الرحمن عن اُمّه عمرة . «تهذيب التهذيب ٩ : ٢٩٥»

وقال ابن حجر والعيني : وقع عند عبدالرزاق عن معمر بن ثابت وقتادة وغيرهما

(١) هنا ينتهى كلام العينى والبقية كلمة ابن حجر فحسب .

عن أنس : انّ القوم كانوا احد عشر رجلاً (١) .

نادي الخمر هذا كان عام الفتح سنة ثمان من الهجرة بالمدينة المشرّفة في دار أبي طلحة زيد بن سهل و كانت السقاية لأنس كما في صحيح البخاري كتاب التفسير في سورة المائدة في آية الخمر ، وفي صحيح مسلم في كتاب الأشربة باب تحريم الخمر و قال السيوطي في الدرّ المنثور ٢ : ٣٢١ : أخرجه عبد بن حميد . و أبويعلى . و ابن المنذر ، وأبوالشيخ . وابن مردويه عن أنس .

و أخرجه أحمد في المسند ٣ : ١٨١ ، ٢٢٧ ، و الطبري في تفسيره ٧ : ٢٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٨ : ٢٨٦ ، ٢٩٠ . وابن كثير في تفسيره ٢ : ٩٣ ، ٩٤ .

و كان عدّة الحضور في ذلك النادي كما مرّت عن معمر و قتادة أحد عشر رجلاً ذكر منهم ابن حجر في فتح الباري ١٠ : ٣٠ عشرة أنفس و قال كما مرّ ص ٩٨ : فحصّلنا تسمية عشرة . و هم :

١ - أبو بكر بن أبي قحافة . و كان يوم ذاك ابن ثمان و خمسين سنة .

٢ - عمر بن الخطاب . و كان يوم ذاك ابن خمس و أربعين سنة .

٣ - أبو عبيدة الجراح . و كان ابن ثمان و أربعين سنة .

٤ - أبو طلحة زيد بن سهل صاحب النادي ، و كان له أربع و أربعون سنة ، قال ابن الجوزي في الصفوة ١ : ١٩١ : توفي سنة أربع وثلاثين و هو ابن سبعين سنة

٥ - سهيل بن بيضاء . توفي بعد القضيّة بسنة و هو كبير السنّ .

٦ - اُبيّ بن كعب .

٧ - أبو دجانة سماك بن خرشة .

٨ - أبو أيوب الأنصاري .

٩ - أبو بكر بن شغوب .

١٠ - أنس بن مالك ساقي القوم ، كان يوم ذاك ابن ثمانية عشر عاماً على الأصحّ و في صحيحة مسلم في الأشربة في باب تحريم الخمر ، والبيهقي في السنن ٨ : ٢٩ عن انس انّه قال : إنّي لقائمٌ أسقيهم و أنا أصغرهم .

(١) فتح البارى ١٠ ص ٣٠ ، عمدة القارى ١٠ ص ٨٤ .

وقد عزب عن ابن حجر حادي عشر القوم وهو : معاذ بن جبل . كما ورد في حديث قتادة عن أنس ، أخرجه ابن جرير في تفسيره ٧ : ٢٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٥ ٥٢، والعيني في عمدة القاري ٨: ٥٨٩، والسيوطي في الدر المنثور ٢: ٣٢١ نقلاً عن ابن جرير وأبي الشيخ و ابن مردويه ، والنووي في شرح مسلم هامش إرشاد القسطلاني ٨ : ٢٣٢ .

و كان معاذ يوم ذاك ابن ثلاث و عشرين سنة إذ توفي سنة ١٨ وله ٣٣ عاماً كما ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة .

و هؤلاء المذكورين من الذين كانوا يشربون الخمر بعد نزول الآيتين فيها بتأويل فيهما كما مرّ في الجزء السادس ص ٢٥١ ط ٢ ، إلى أن نزل آية المائدة : يا أيّها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر و الأنصاب و الأزلام رجسٌ من عمل الشيطان . إلى قوله تعالى : فهل أنتم منتهون . و كان ذلك في عام الفتح فلمّا رأوا غضب رسول الله ﷺ و علموا من الآية الثلاثة التحذير والوعيد إنتهوا و قال عمر : إنتهينا . إنتهينا .

قال الآلوسي في تفسيره ٢ : ١١٥ : شربها كبار الصحابة رضي الله عنهم بعد نزولها « يعني آية الخمر في البقرة » وقالوا : إنّما نشرب ما ينفعنا و لم يمتنعوا حتى نزلت آية المائدة . اهـ .

و أخرج ابن أبي حاتم من حديث أنس أنّه قال : كنّا نشرب الخمر فأُنزلت : يسألونك عن الخمر والميسر . الآية . فقلنا : نشرب منها ما ينفعنا . فانزلت في المائدة: إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس . الآية . فقالوا : أللّهم قد انتهينا [1] .

و أخرج عبد بن حميد عن عطاء انّه قال : أوّل ما نزل في تحريم الخمر « يسألونك عن الخمر والميسر » الآية فقال بعض الناس: نشربها لمنافعها التي فيها . و قال آخرون لا خير في شيء فيه إثم ثمّ نزل « يا أيّها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة و أنتم سكارى » الآية ، فقال بعض الناس : نشربها و نجلس في بيوتنا . و قال آخرون : لاخير في شيء يحول بيننا و بين الصّلاة مع المسلمين . فنزلت « ياأيّها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر الآية » فانتهوا . [2] .

(١) الدر المنثور ١ : ٢٥٢ ، تفسير الشوكاني ١ : ١٩٧ .
(٢) تفسير الالوسي ٧ ص ١٧ .

و لتعدّد آيات الخمر و اختلاف السلف فيها و تأويل جمع منهم آيتي البقرة و النساء من تلكم الآيات وقع الخلاف في تاريخ حرمتها على أقوال :

م ١ ـ الأخذ بما أخرجه الطبراني من طريق معاذ بن جبل من أنّ اوّل ما نهى عنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين بعث شرب الخمر وملاحاة الرجال[١] فتحريم الخمر كان في اوليات الهجرة إن لم تكن في اوليات البعثة ، ويساعده ما صحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم من أنّ أعظم الكبائر شرب الخمر[٢] ويبرمه النظر في آيات الخمر فالآية الاولى منها من سورة البقرة وهي أوّل سورة نزلت بالمدينة[٣] والآية الثانية في سورة النساء و قد نزلت في أوائل الهجرة[٤]

و لعلّ هذا رأي كلٍّ من رأى حرمة الخمر بآية البقرة ، قالت عائشة : لمّا نزلت سورة البقرة نزل فيها تحريم الخمر فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك[٥] و قد نزلت سورة البقرة بعد زواج عايشة كما مرّ في الجزء السادس ص١٩٧ .

و اختار الجصّاص حرمة الخمر بآية البقرة كما أسلفنا كلامه في الجزء السادس صفحة ٢٥٤ ط٢ ، وقال القرطبي في تفسيره ٣:٦٠ : قال قومٌ من أهل النظر حرّمت الخمر بهذه الآية يعني التي في سورة البقرة ، و قال الرازي في تفسيره ٢ : ٢٢٩ : إنّ هذه الآية «يعنى آية البقرة» دالّةٌ على تحريم شرب الخمر . وذكر في ص ٢٣١ في وجه دلالتها عليه وجوهاً .

٢ ـ رأى البلاذري انّه كان سنة أربع من الهجرة كما في «الإمتاع» للمقريزي ص ١٩٣ ، و ذكر ابن اسحاق : أنه كان في وقعة بني النضير سنة أربع على الراجح[٦] وقال ابن هشام في سيرته ٢ : ١٩٢ : نزل ببني النضير وذلك في شهر ربيع الأوّل ـ سنة أربع ـ فحاصرهم فيها ستّ ليال ، ونزل تحريم الخمر . وذكره ابن سيّد الناس في عيون الأثر ٢ : ٤٨ .

---

(١) أوائل السيوطي ص٩٠ .

(٢) الغدير ٦ : ٢٥٧ ط ٢ .

(٣) تفسير القرطبي ١ : ١٣٢ ، تفسير ابن كثير ١ : ٣٥ ، تفسير الخازن ١ : ١٩ .

(٤) راجع ما يأتي في الجزء الثامن صفحة ١١ من الطبعة الاولى .

(٥) تاريخ الخطيب ٨ : ٣٥٨ ، الدر المنثور ١ : ٢٥٢ .

(٦) فتح الباري ١٠ : ٢٤ ، عمدة القاري ١٠ : ٨٢ .

ويؤيد هذا الرأي ما أخرجه ابن مردويه عن جابر أنه قال: حرمت الخمر بعد أحد[1] وقد وقعت غزوة أحد في سنة ثلاث فبعدها تكون سنة أربع تقريباً.

٣ ـ جزم الدمياطي على أن تحريم الخمر كان في سنة الحديبية سنة ست كما في فتح الباري ١٠ : ٢٤، وعمدة القاري ١٠ : ٨٢ .

٤ ـ حرمتها في سنة الفتح عام ثمان من الهجرة يوم الندوة المذكورة المنعقدة في دار أبي طلحة بآية المائدة التي فيها الإرهاب والتحذير ، وبها كف عمر ومن كان معه في تلك الندوة عن الشرب وقال : إنتهينا ، إنتهينا .

و هذا القول غير مدعوم بحجة ، و ليس إلا لتصحيح شرب اولئك الرجال من الصحابة وجعله قبل التحريم ، فترى مثل ابن حجر لا يحكم به حكماً باتاً بل يستظهره من حديث أحمد قال في فتح الباري ٨ : ٢٧٤ : الذي يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان لما روى أحمد من طريق عبد الرحمن بن وعلة قال : سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال : كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقيف أو من دوس فلقيه بمكة عام الفتح براوية خمر يهديها إليه فقال رسول الله ﷺ : يا أبا فلان ! أما علمت أن الله حرمها ؟ فأقبل الرجل على غلامه فقال : اذهب فبعها ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا فلان! بماذا أمرته؟ قال : أمرته أن يبيعها . قال : إن الذي حرم شربها حرم بيعها . فأمر بها فأفرغت في البطحاء .

وقصارى ما في هذا الحديث أن تحريم الخمر بلغ الرجل في عام الفتح لا أنها حرمت فيه ، لأن الرجل كان في منتىء عن مستوى تبليغ الأحكام ، متخبطاً بين أعراب البوادي ، غير عارف حتى باصول المراودة و التحابب ، و يشهد لذلك إهداؤه الخمر لرسول الله ﷺ ، فانها على فرض عدم حرمتها ليست مما يهدى إلى مثله ﷺ ، لكن الرجل كان من دهماء الناس ، وجرى على ما هو المطرد بين الرعرعة والساقة .

الخليفة في الاسلام

وأما هو « أبوبكر » في الاسلام فلم نعهد له نبوغ في علم، أو تقدم في جهاد ، أو تبرز في الأخلاق ، أو تهالك في العبادة ، أو ثبات على مبدء .

---

(١) تفسير الشوكاني ٢ : ٧١ .

أمّا نبوغه في علم التفسير فلم يؤثر عنه في هذا العلم شيءٌ يُحفل به ، فدونك كتب التفسير و الحديث فلاتكاد تجدفيها عنه ما يروى غُلّة صاد ، أو يُنجع طلبة طالب . نعم : يروى عنه انّه شارك صاحبه ـ عمر بن الخطاب ـ في عدم المعرفة لمعنى الأبّ [١] الذي عرفه كلّ عربيّ صميم حتى أعراب البادية ، و ليس من البدع أن يعرفه حتى الساقة من الناس فانّه لايعدوه أن يكون لدة بقيّة الكلمات العربيّة التي لاتزال العرب تلهج بها في كل حلّ ومرتحل ، ولاهو الدخيل [٢] حتى يعذر فيه الجاهل به ، ولامن شواذّ الكلم التي قلّما تتعاطاه الجامعة العربيّة حتى يشذّ عرفانه عن بعضهم .

و إن تعجب فعجبٌ إعتذار من جنح إليه [٣] بأنّه كان يلتزم الحايطة في تفسير القرآن ، ولذلك تورّع عن الافاضة في معنى الأبّ ، لكن عرف من عرف أنّ الحايطة إنّما تجب في بيان مغازي القرآن الكريم وتعيين إرادته ، وتبيين مجمله ، وتأويل متشابهه ، ومايجري مجرى ذلك ممّا يحظر في الدين التسرّع إليه من دون تثبّت وتوقيف ، وأمّا معاني ألفاظه العربيّة للعريق في لغة الضاد فأيّ حائطة تضرب على يده عن أن يفهمها و هو يعرفها بطبعه وجبلّته .

وهب أنّ الرجل لم يحط خُبراً بلغة قومه فهلاّ تروّى في الذكر الحكيم في ذيل الآية الكريمة من قوله سبحانه : متاعاً لكم ولأنعامكم . بياناً للفاكهة والأبّ ؟ ليعلم أنّه سبحانه وتعالى امتنّ على الناس بالفاكهة ليأكلوها ، وبالأبّ لترعاه أنعامهم ، فتلك فاكهة، وهذا العشب .

أخرج أبو القاسم البغوي عن ابن أبي مليكه قال : سُئل أبو بكر عن آية فقال : أيّ أرض تسعني ؟ أو أيّ سماء تظلّني ؟ اذا قلت في كتاب الله مالم يرد الله ؟ .

و أخرج أبو عبيدة عن ابراهيم التيمي قال : سئل أبو بكر عن قوله تعالى

---

(١) فى قوله تعالى فى سورة عبس: فانبتنا فيها حباً وعنبا وقضبا وزيتوناً ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبّا .

(٢) أما مازعمه ابن حجر فى فتح البارى من ان الكلمة من الدخيل ولذلك لم يعرفها الخليفتان فقدمر الجواب عنه فى الجزء السادس ص ١٠٠ ط ٢.

(٣) نظراء القرطبى والسيوطى .

(و فاكهة و أبّا) ؟ فقال : أيّ سماء تظلّني ؟ أو أيّ أرض تقلّني ؟ إن قلت في كتاب الله مالا أعلم ؟ .

و في لفظ القرطبي : أيّ سماء تظلّني ؟ و أي أرض تقلّني ، وأين أذهب ؟ و كيف أصنع ؟ إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى .

ذكره القرطبي في تفسيره ١ ص٢٩ ، ابن تيميّة في مقدّمة اصول التفسير ص٣٠ ، الزمخشري في الكشاف ٣ ص ٢٥٣ ، ابن كثير في تفسيره ١ ص٥ وصحّحه في ص ٦ ، ابن القيّم في أعلام الموقعين ص ٢٩ وصحّحه ، الخازن في تفسيره ٤ ص ٣٧٤ ، النسفي في تفسيره هامش الرازي ٨ ص ٣٨٩ ، السيوطي في الدرّ المنثور ٦ ص ٣١٧ نقلاً عن أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد ، ابن حجر في فتح الباري ١٣ ص ٢٣٠ ، وأوعز إليه ابن جزي الكلبي في تفسيره ٤ ص ١٨٠ .

الكلالة

وتجد الخليفة على شاكلة صنوه في عدم العلم بالكلالة النازلة في آية الصيف آخر سورة النساء : يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤٌ هلكَ ليسَ له وَلدٌ وله اُختٌ فلها نصف ماترك . الآية .

أخرج أئمّة الحديث بإسناد صحيح رجاله ثقات عن الشعبي قال : سئل أبوبكر رضي الله عنه عن الكلالة ؟ فقال : إنّي سأقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فمنّي ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، أراه ماخلا الولد والوالد ، فلمّا استخلف عمر رضي الله عنه قال : إنّي لأستحيي الله أن أردّ شيئاً قاله أبوبكر .

أخرجه سعد بن منصور ، عبدالرّزاق ، ابن أبي شيبة ، الدارمي في سننه ٢ ص ٣٦٥ ، وابن جرير الطبري في تفسيره ٦ ص ٣٠ ، ابن المنذر ، البيهقي في السنن الكبرى ٦ ص ٢٢٣ ، وحكى عنهم السيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه ٦ ص ٢٠ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ١ ص ٢٦٠ ، والخازن في تفسيره ١ ص ٣٦٧ ، وابن القيّم في أعلام الموقعين ص ٢٩ .

قال الأميني : هذا رأيه الثاني وكان أوّلاً يرى أنّ الكلالة من لاولد له خاصّة ،

وكان يشاركه في رأيه هذا عمر بن الخطاب ثمّ رجاعنه إلى ما سمعت[1] ثمّ اختلفا فيها، قال ابن عبّاس كنت آخر الناس عهداً بعمر بن الخطاب قال: اختلفت أنا وأبوبكر في الكلالة والقول ما قلت[2] وفي صحيحة البيهقي والحاكم والذهبي و ابن كثير[3] عن ابن عبّاس قال: كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعته يقول: القول ماقلت. قلت: وماقلت؟ قال: قلت: الكلالة مالا ولد له.

هذا القول كان من عمر لمّا طعن بعد قوله لمّا استخلف: إنّي لأستحيي أن اُخالف فيه أبابكر كما مرّ. وبعد قوله: أتى عليّ زمانٌ لاأدري ما الكلالة وإذا الكلالة من لا أب له ولا ولد[4] وبعد هذه كلّها قال ما قال وهو على ما يقول بصير.

أنا لا أدري أين ولّت تلك الحائطة التي التزمها الخليفة الأوّل في معنى الأبّ لتلك الحدّة والشدّة؟ وأيّ سماء أظلّته؟ وأيّ أرض أقلته؟ وأين ذهب؟ و كيف صنع لمّا قال في دين الله برأي لا يعرف غيّه من رشده، ولا يعلمه أمن الله أم منه ومن الشيطان؟ و كيف خفيت عليه آية الصيف؟ و قد رأى النبيّ ﷺ فيها الكفاية في عرفان الكلالة كما مرّ ج٦: ١٢٧ط٢، وكيف عزب عنه قوله تعالى: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون؟ ولِمَ لم يسأل و لم يتعلّم ولم يعبأ بأهل الذكر وهو يعرفه لامحالة؟ فكأنّ الأحكام ليست بتوقيفيّة، و كأنّها منوطةٌ بالحظّ والنصيب ولكلٍّ إنسان ما رأى، ولو صدقت هذه الأحلام فيسع لكلِّ امرء أن يُفتي برأيه فيما يُسأل عنه من الكتاب والسنّة ويقول: إن كان صواباً فمن الله، و إن كان خطأ فمنّي و من الشيطان.

نعم هذا الإفتاء بالرأى يفتقر إلى جرأة على الله و على رسوله، و تلك لا تتأتّى لأيّ أحد فتخصّ لامحالة بجماعة دون اخرى، وكأنّ هذا هو معنى الإجتهاد عند القوم لا استنباط الأحكام من أدلّتها التفصيليّة من الكتاب والسنّة و من هنا يرون نظراء

(١) تفسير القرطبى ٥ ص ٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير ١ ص ٥٩٥.

(٣) المستدرك للحاكم ٢ ص ٣٠٤ وصححه، السنن الكبرى للبيهقى ٦ ص ٢٢٥، تلخيص المستدرك للذهبى واقرّ تصحيح الحاكم، تفسير ابن كثير ١ ص ٥٩٥ وذكر تصحيح الحاكم واقرّه.

(٤) السنن الكبرى ٦ ص ٢٢٤

عبد الرّحمن بن ملجم قاتل مولانا أمير المؤمنين[١].

و أبي الغادية قاتل الصحابيّ العظيم عمّار بن ياسر سلام الله عليه[٢].

و معاوية بن أبي سفيان قاتل آلاف من الأبرياء والأزكياء[٣].

و عمرو بن النابغة ، العاصي ابن العاصي[٤].

و خالد بن الوليد قاتل مالك ظلماً والزّاني بامرأته[٥].

وطلحة والزبير[٦] الخارجين على الإمام الحقّ الثابت إمامته بالنصّ والاختيار.

م- ويزيد الخمور والفجور صاحب الطامات والصحائف السوداء][٧].

مجتهدين في دين الله متأوّلين في تلكم الآراء الشاذّة عن حكم الإسلام وشرعة الحقّ ، مأجورين في تلك المظالم العادية . وقال ابن حجر في الإصابة ٤ ص ١٥١: والظنّ بالصحابة في تلك الحروب أنّهم كانوا فيها متأوّلين و للمجتهد المخطىء أجرٌ، وإذا ثبت هذا في حقّ آحـاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى . اهـ .

مرحباً مرحباً بهذا الدين ، وبخٍ وبخٍ ما أكثر المجتهدين من اُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حتى أصبحت غوغاء الشام ، وطغام الاُمّة ، و حثالة الأعراب ، وأجلاف الأحزاب ، و أبناء الطلقاء مجتهدين متأوّلين .

و زهٍ زهٍ باولئك المتحلّين بابراد الاجتهاد جرائيم الفساد ، قتلة صفوة الأبرار المهاجمين على ناموس الإسلام ، و قدس صاحب الرّسالة ، الخارجين عن طوع الكتاب والسنّة ، الفئة الباغية الطاغية ، المدرّبين بالشرّ والفساد و بغض العترة الطاهرة تحت رأية الطليق ابن الطليق ، اللعين ابن اللعين بلسان النبيّ الأعظم[٨] صدق رسول الله

(١) راجع الجزء الاول من كتابنا هذا ص ٣٢٣ ط ٢ .

(٢) راجع الجزء الاول من الكتاب ص ٣٢٨ ط ٢.

(٣) الفصل لابن حزم ٤ ص ٨٩ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٧٩ .

(٤) تاريخ ابن كثير ٧ ص ٢٨٣ .

(٥) تأريخ ابن كثير ٦ ص ٢٢٣ ، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ٧ ص ١٦٧ ، وسيأتي تفصيله .

(٦) التمهيد للباقلاني ص ٢٣٢ .

(٧) تاريخ ابن كثير ٨ : ٢٢٣.

(٨) راجع الجزء الثالث من الكتاب ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ط ٢.

صلى الله عليه وآله وسلم في قوله : آفة الدين ثلاثة : فقيهٌ فاجر . و إمامٌ جائر ، و مجتهدٌ جاهل [١] .

و حسب الإسلام عاراً و شناراً اولئك الأعلام أصحاب هذه الآراء المضلّة والأقلام المسمومة التي تنزّه ساحة المجرمين عن دنس الفجور والنفاق ، وتجعل المحسن والمسيئ والمبطل والمحقّ ، والطيّب والخبيث ، عكمي بعير ، وتضلّ الأمّة عن رشدها بأمثال هذه الكلم التافهة ، والدعاوي الفارغة ، والآراء الساقطة ، وتصغّر في عين المجتمع الديني تلكم الجنايات العظيمة على الله و على رسوله و كتابه و سنّته و خليفتـه و عترته و مواليهم . كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذبا .فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره .

وأوّل من فتح باب التأويل والاجتهاد ، وقدّس ساحة المجرمين بذينك ، وحابى رجال الجرايم والمعرّات بهما هو الخليفة الأوّل ، فقد نزّه بهذا العذر المفتعل ذيل خالد ابن الوليد عن دنس آثامه الخطيرة ، و درأ عنه الحدّ بذلك كما سنوقفك على تفصيله إنشاء الله تعالى .

هذا انموذجٌ من تقدّم الخليفه في علم التفسير على قلّة ماروي عنه في ذلك قال الحافظ جلال الدين السيوطي في «الاتقان» ٢ ص ٣٢٨ :

إشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة . وابن مسعود . وابن عبّاس. وأُبيّ بن كعب . وزيد بن ثابت . وأبوموسى الأشعري . وعبدالله بن الزبير . أمّا الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم عليّ بن أبي طالب ، والرواية عن الثلاثة نزرة جدّاً ، و كان السبب في ذلك تقدّم وفاتهم كما أنّ هو السبب في قلّة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث ، و لا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلاّ آثاراً قليلة جدّاً لا تكاد تجاوز العشرة.

وأمّا عليٌّ فروي عنه الكثير، وقد روى معمر عن وهب بن عبدالله عن أبي الطفيل : شهدت عليّاً يخطب و هو يقول : سلوني فو الله لا تسألون عن شيء إلّا أخبرتكم ، و سلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال : إنّ القرآن اُنزل على سبعة أحرف

---

(١) كنز العمال ٥ ص ٢١٢ .

مامنها حرفٌ إلاّ وله ظهرٌ وبطنٌ ، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن.

و أخرج أيضاً من طريق أبي بكر بن عيّاش عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن عليّ قال : والله مانزلت آية إلاّ وقد علمت فيم اُنزلت وأين اُنزلت إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولا . اه .

قال الأميني : ما هذا التهافت في كلام السيوطي هذا ؟ ألا مسائل الرجل عن أنّ الذي لم يجد له هو نفسه و هو ذلك المتتبّع الضليع عشرة أحاديث في علم التفسير كيف عدّه ممّن اشتهر بالتفسير من الصحابة ؟ نعم راقه أن لا يفرّق بينه و بين مولانا أمير المؤمنين و قد روى فيه ما روى ذاهلاً عن قوله تعالى ، هل يستوي الذين يعلمون والّذين لايعلمون .

تقدّم الخليفة في السنّة

أمّا تقدّمه في السنّة فكلّ ماأثبته عنه إمام الحنابلة أحمد في المسند ١ص ٢-١٤ ثمانون حديثاً ، ويربو المتكرّر منها على العشرين ، فلم يصفُ منها إلاّ مايقرب الستين حديثاً ، وقد التقط ما في مسنده من أكثر من سبعمائة و خمسين ألف حديث ، و كان يحفظ ألف ألف حديث[١].

وجمع ابن كثير بعد جهود جبّارة أحاديثه في اثنين وسبعين حديثاً وسمّى مجموعه : مسند الصدّيق[٢].

واستدرك ماجمعه ابن كثير جلال الدين السيوطي بعد تصعيد وتصويب ومع تضلّع و إحاطة بالحديث ، فأنهى أحاديثه إلى مائة وأربعة ، وذكرها برمّتها في تاريخ الخلفاء ص ٥٩-٦٤ .

وقد يروى أنّ له مائة واثنان وأربعون حديثاً اتّفق الشيخان على ستّة أحاديث منها . وانفرد البخاري بأحد عشر ، ومسلم بواحد[٣].

وفي وسع الباحث المناقشة في غير واحد من تلك الأحاديث سنداً أومتناً ، فانّ

(١) طبقات الحفاظ للذهبي ٢ ص ١٧ ، ترجمة احمد في اخر الجزء الاول من مسنده .
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٢ .
(٣) شرح رياض الصالحين للصديقي ٢ : ٢٣ .

من جملتها ماليس بحديث وإنّما هو قول قاله كقوله : للحسن السبط سلام الله عليه : بأبي شبيه بالنبيّ ليس شبيهاً بعليّ .

وقوله : شاور رسول الله في أمر الحرب .

وقوله : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أهدى جملاً لأبي جهل .

ومنها ما هو محكومٌ عليه بالوضع ، أويخالف الكتاب والسنّة ، و يكذّ به العقل والمنطق وألطبيعة مثل قوله :

١ - لولم أُ بعث فيكم لبعث عمر .

٢ - وقوله : ماطلعت الشمس على رجل خير من عمر .

٣ - وقوله : إنّ الميت ينضح عليه الحميم ببكاء الحيّ .

٤ - وقوله : إنّ نماحرُ جهنّم على امّتي مثل الحمّام .

أمّا الأوّل فله عدّة طرق لايصحّ شيءٌ منها. الطريق الاوّل لابن عدي و في إسناده :

١ - زكريّا بن يحيى الوكار، أحد الكذّابين الكبار مرّت ترجمته في سلسلة الكذّابين في الجزء الخامس ص٢٣٠ ط ٢.

٢ - بشر بن بكر . قال الأزدي منكر الحديث ولايعرف ، لسان الميزان ٢ ص٢٠

٣ - أبوبكر بن عبدالله بن أبي مريم الغساني . قال أحمد : ضعيفٌ كان عيسى بن يونس لايرضاه ، وعن أبي داود عن أحمد : انّه ليس بشيء . و قال أبو حاتم : سألت ابن معين عنه فضعّفه . وقال أبو زرعة : ضعيفٌ منكر الحديث . و قال أبو حاتم : ضعيف الحديث طرقه لصوصٌ فأخذوا متاعه فاختلط[1] وقال الجوزقاني : ليس بالقوي . وقال النسائي : ضعيفٌ . وقال أبو سعد : كان كثير الحديث ضعيفاً . وقال الدارقطني : متروكٌ[2].

الطريق الثاني لابن عدي أيضاً وفي إسناده :

١ - مصعب بن سعيد أبـو خيثمة المصيصي . قال ابن عدي : يحدّث عن الثقات

(١) قال الأميني : لولم يكن لاختلاط الرجل آية غير حديثه هذا لكفي وحسبه
(٢) تهذيب التهذيب ١٢ ص ٢٩ .

بالمناكير ويصحف . وقال : والضعف على رواياته بين و قال ابن حبان : كان مدلساً وقال صالح جزرة : شيخ ضرير لا يدري مايقول . وذكر الذهبي له أحاديث فقال : ما هذه إلّا مناكير وبلايا (١) .

٢ ـ عبدالله بن واقد . قال ابن عدي والجوزقاني والنسائي : متروك الحديث و قال غيرهما : ليس بشيء . و قال الأزدي : عنده مناكير . و قال أحمد : أظنّه كان يدلّس . وقال ابوزرعة : ضعيف الحديث لا يحدّث عنه . وقال البخاري : تركوه منكر الحديث . وقال ابن حبّان : وقع المناكير في حديثه فلايجوز الإحتجاج بخبره . وقال صالح جزرة : ضعيف مهين . وقال أبوأحمد الحاكم : حديثه ليس بالقائم (٢)

٣ ـ مشرح بن عاهان . قال ابن عدي و ابن حبان : لايحتجّ به. وقال غيرهما : يروي عن عقبة مناكير لايتابع عليهما . وقال آخرون : الصواب ترك ما انفرد به (٣)

أورده بهذين الطريقين ابن الجوزي في الموضوعات فقال : هذان حديثان لايصحّان عن رسول الله ﷺ ، أمّا الأوّل، فانّ زكريّا بن يحيى كان من الكذّابين . قال ابن عدي ، كان يضع الحديث . وأمّا الثاني : فقال أحمد ويحيى : عبدالله بن واقد ليس بشيء . و قال النسائي : متروك : و قال ابن حبان : انقلبت على مشرح صحائفه فبطل الاحتجاج به. اه .

الطريق الثالث لأبي العبّاس الزوزني في كتاب شجرة العقل بلفظ : لولم أبعث لبعثت ياعمر!. وفي إسناده :

١ ـ عبدالله بن واقد . وقدمرّ في الطريق الثاني .

٢ ـ راشد بن سعد بن الحمصي ، ذكر الحاكم انّ الدار قطني ضعّفه ، وكذا ضعّفه ابن حزم ، وذكر البخاري انّه شهد صفّين مع معاوية (٤) فالرجل من الفئة الباغية بنصّ من النبي الأعظم ، وذكره الصغّاني فقال : موضوع . كما في كشف

---

(١) ميزان الاعتدال ٣: ١٧٣ ، لسان الميزان ٦ : ٤٤ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦ ص ٦٦ ، ميزان الاعتدال ٢ ص ٨٤ ، لسان الميزان ٣ ص ٣٧٤، اللئالى المصنوعة ١ ص ٢ ٠ ٣ .

(٣) اللئالى المصنوعة ١ : ٣٠٢ ، ميزان الاعتدال ٣ : ١٧٢ .

(٤) تهذيب التهذيب ٣ ص ٢٢٦ .

الخفاء ٢ ص١٦٣ .

الطريق الرابع للديلمي عن أبي هريرة بلفظ : لولم أبعث فيكم لبعث عمر . أيّد الله عمر بملكين يوفّقانه ويسدّدانه ، فاذا أخطأ صرفاه حتى يكون صواباً .

في إسناده إسحاق بن نجيح الملطي أبوصالح الأزدي . قال أحمد : من أكذب الناس . و قال ابن معين : كذّابٌ عدوّ الله رجل سوء خبيث . كان ببغداد قومٌ يضعون الحديث منهم إسحاق الملطي . وقال ابن أبي مريم عنه : من المعروفين بالكذب ووضع الحديث . وقال علي بن المديني : ليس بشيء وضعفه ، روى عجائب . وقال عمر بن علي : كذّابٌ كان يضع الحديث . و قال الجوزقاني : غير ثقة ولا من أوعية الأمانة . وقال : كذّابٌ وضّاعٌ لا يجوز قبول خبره ولا الاحتجاج بحديثه و يجب بيان أمره . و قال الجهضمي والبخاري : منكر الحديث . و قال النسائي : كذّابٌ متروك الحديث . وقال ابن عدي : أحاديثه موضوعات وضعها هو وعامّة ما أتى عن ابن جريج بكلّ منكر ووضعه عليه ، و هو بيّن الأمر في الضعفاء ، و هو ممّن يضع الحديث . و قال ابن حبّان : دجّالٌ من الدجاجلة يضع الحديث صراحاً . و قال إلبرقي : نسب إلى الكذب . و قال أبوسعيد النقّاش : مشهورٌ بوضع الحديث . وقال : وقال ابن طاهر : دجّالٌ كذّابٌ . وقال ابن الجوزي : أجمعوا على انّه كان يضع الحديث (١) .

قال الديلمي بعد ذكر الحديث بالطريق المذكور : وتابعه راشد بن سعد عن المقدام بن معدي كرب عن أبي بكر الصدّيق والله أعلم .

قال الأميني : عرفت في الطريق الثالث ضعف راشد؛ وإنّما الصغّاني حكم على حديثه هذا بالوضع ، وأقرّه العجلوني وزيّفه في كشف الخفاء ٢ ص ١٥٤ ، ١٦٣ . و ذكره السيوطي في اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ ص ٣٠٢ غير أنّه عدّه بهذا الطريق الوعر في تاريخ الخلفاء عن أحاديث أبي بكر ، و لا تخفى عليه تراجم هؤلاء الرجال أمثال إسحاق الملطي ، نعم راقه أن يكثر عدد أحاديث الخليفة ولو بمثل هذا و قد حذف الأسانيد منها حتّى لا يقف القارئ على ما فيها من الوضع و الاختلاق والله من ورائه حسيب .

(١) مرت المصادر في الجزء الخامس ص ٢١٨ ط٢.

أما الحديث الثاني :

فأخرجه الحاكم في المستدرك ٣ ص ٩٠ باسناده عن عبدالله بن داود الواسطي التمّار عن عبدالرحمن ابن أخي محمّد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب ذات يوم لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما : يا خير الناس بعد رسول الله ! فقال أبوبكر : أما انّك إن قلت ذلك سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر .

عقّبه الذهبي في تلخيص المستدرك فقال : قلت عبدالله ضعّفوه ، و عبدالرحمن متكلّم فيه ، و الحديث شبه موضوع . و قال في ميزان الاعتدال ٢ ص ١٢٣ : رواه عبدالله ابن داود التمّار و هو هالكٌ ، عن عبدالرحمن بن أخي محمّد المنكدر لا يكاد يُعرف ، و لا يتابع على حديثه ، و قال الترمذي : ليس إسناده بذلك .

قال الأميني : أمّا عبدالله بن داود التمّار فقال البخاري : فيه نظر . وقال ابوحاتم ليس بقويّ ، في حديثه مناكير ، و قال الحاكم أبو أحمد : ليس بالمتين عندهم ، و قال النسائي : ضعيفٌ . وقال ابن حبّان : منكر الحديث جدّاً يروي المناكير عن المشاهير لا يجوز الاحتجاج بروايته . و قال الدار قطني : ضعيفٌ(١) .

و أمّا عبد الرحمن فقال يحيى بن معين : ماأعرف عبدالرحمن فقرأه إبراهيم بن الجنيد الحديث فقال يحيي : ماأعرف عبدالرحمن . وأنكر الحديث ولم يعرفه(٢) .

جاء العلاّمة الحريفيش في القرن الثامن وأتى في كتابه الروض الفائق ص ٣٨٨ بحديث مختلق في فضيلة مولانا أمير المؤمنين و أبي بكر و جعل هذه الرواية في فضل أبي بكر عن لسان عليّ عليه السلام قال روى أبو هريرة : انّ ابا بكر الصدّيق و عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما قدما يوماً إلى حجرة رسول الله ﷺ فقال عليٌّ لأبي بكر رضي الله عنهما : تقدّم فكن أوّل قارع يقرع الباب و ألحّ عليه ، فقال أبوبكر : تقدّم أنت يا عليّ فقال عليٌّ : ما كنت بالذي يتقدّم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول في حقّه : ما طلعت الشمس ولاغربت من بعدي على رجل أفضل من أبي بكر

(١) تهذيب التهذيب ٤ ص ٢٠٠ .
(٢) لسان الميزان ٣ ص ٤٤٨ .

الصدّيق . فقال أبو بكر : ما كنت بالذي يتقدّم على رجل قال في حقّه رسول الله ﷺ اعطيت خير النساء لخير الرجال . إلى آخره و فيه مناقب ستّ لأبي بكر على لسان عليّ و كذلك لعليّ على لسان أبي بكر لم يذكر السيوطي شيئاً منها في عدّ أحاديث أبي بكر مع اهتمامه باكثار عددها وذلك لبداهة الكذب فيه ، وركّة لفظه ، ووضوح الاختلاق في معانيه وألفاظه ، و ظهور التهافت بين جمله كما ترى .نعم لكلّ من الوضّاعين في وضع الحديث ذوقٌ ،و لكلٍّ واحد منهم طريقة وسليقة ، و ليس أمرهم سلكي

أما الحديث الثالث

فمن المنكر الواضح وهو لِدة ماسبق عن عمر في الجزء السادس صفحة ١٦٢ط٢ من قوله : إن الميِّت يعذَّب ببكاء الحيِّ . وقد أنكرته عليه عائشة ، وهو مخالفٌ للكتاب المجيد حيث يقول : ولاتزر وازرة وزر اُخرى ، وأمثالها وقد فصّلنا القول فيه تفصيلا في الجزء السابق فراجع ص١٥٩ ـ ١٦٧ط ٢ .

و مخالفٌ للعدل فانّ تعذيب أيِّ أحد لما اجترحه غيره من سيّئة ـ بعد تسليم كون البكاء عليه سيِّئة ـ يرفضه ناموس العدل الآلهي ، وتلفظه العقول السليمة ، ويتوجّه إلى قائله اللوم من كلِّ ذي مسكة ، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيراً .

اما الحديث الرابع : انما حرُّ جهنم على اُمتي مثل الحمام .

فانّه أشبه شيء بمخاريق المعتوهين ، أو من يريد تحطيماً من عظمة أمر المولى سبحانه ، أو اغراءً لبسطاء الاُمّة على اقتحام الجرائم بحسبان انّ حرَّ الجحيم الشديد الذي أوقده المنتقم الجبّار للعصاة عامّة لايصيب هذه الاُمّة وإنّما هو للاُمم السابقة ومن لم يعتنق الاسلام من الموجودين ، وأنت إذا تأمّلت في نار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة[١] التي وقودها الناس والحجارة[٢] يوم يُحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم وجنوبهم[٣] إذا الجحيم سُعِّرت[٤] و بُرِّزت الجحيم لمن يرى[٥] ترمي بشرر كالقصر كأنّه جمالةٌ صفر[٦] كلاّ إنّها لظى نزّاعة للشوى[٧] يوم يسحبون

---

(١) سورة الهمزة آية ٧ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٤.
(٣) سورة التوبة آية ٣٥.
(٤) سورة التكوير آية ١٢.
(٥) سورة النازعات آية ٣٦.
(٦) سورة المرسلات آيه ٣٣.
(٧) سورة المعارج آية ١٥ .

في النّار على وجوههم ذوقوا مسَّ سقر[١] وماأدراك ماسقر لاتبقي ولاتذر لوّاحة للبشر عليها تسعة عشر[٢] قالوا ماسلككم في سقر؟ قالوا : لم نك من المصلّين و لم نك نطعم المسكين و كنّا نخوض مع الخائضين[٣] إنَّ شجرة الزّقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم[٤].

أو تأمّلت فيما هدَّد به المولى سبحانه المتثاقلين عن النفر للجهاد في الحرّ بقوله: قل نار جهنّم أشدُّ حرًّا لو كانوا يفقهون[٥] و من يأكل أموال اليتامى بقوله : إنّما يأكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيرا[٦] إلى كثير من أمثال هذه لاترتاب في أنَّ الاُمم كلها بالنسبة إليها شرعٌ سواء ، بل إنّ توجيه تلكم الخطابات إلى الاُمّة المرحومة المعنيّة بالتهذيب وايقافها عن المعصية بالتهديد أولى من توجيهها إلى الاُمم البائدة التي جرى عليها ماجرى من عاقبة طاعة ، أو مغبّة عصيان ، فذهبوا رهائن أعمالهم ، وبه يتمُّ اللطف ، وتحسن التربية ، وهو الذي كان يُبكي الصالح ، ويُفجع المتّقين ، ويدرُّ عبرات الأولياء ، ويجعل سيّدهم أمير المؤمنين يتململ في جنح الليل البهيم تململ السليم قابضاً على لحيته ، يبكي بكاء الحزين وهو يقول : ياربّنا! ياربّنا! - يتضرّع إليه - ثمَّ يقول للدنيا : إليَّ تغرَّرتِ ؟ إليَّ تشوّقتِ ؟ هيهات هيهات ، غرّي غيري قد بتتكِ ثلاثاً ، فعمركِ قصير ، ومجلسكِ حقير ، وخطركِ يسير ، آه آه من قلّة الزاد ، و بُعد السفر ، ووحشة الطريق[٧].

ثمّ أيّ مشابهة بين ذلك اللهب المصطلم وبين الحمّام الذي لايكون الحرُّ فيه إلّا صحيّاً ، تُزاح به الأوساخ ، و تعرق به الأبدان ، وترفع به الأتعاب ، و ترتاح به الأجسام ؟ وهل يهدّد بمثله عصاة البشر الذي خُلق ظلوماً جهولاً جموحاً ، البشر الذي هذا عقله ورشده وحديثه ؟

---

(١) سورة القمر آية ٤٨. (٢) سورة المدثر آية ٢٩ .
(٣) سورة المدثر آية ٤٥. (٤) سورة الدخان آية ٤٦ .
(٥) سورة التوبة آية ٨١. (٦) سورة النساء آية ١٠ .
(٧) حلية الاولياء ١ ص٨٥، الاستيعاب ٢ ص٤٦٣، الرياض النضرة ٢ ص٢١٢، زهر الاداب للقيرواني ١ ص٣٨، تذكرة السبط ص٢٧٠، مطالب السؤول ص ٣٣، اتحاف الشبراوي ص ٠٧.

غاية جهد الباحث

هذه غاية جهد الباحث عن علم الخليفة بالسنّة و هذه سعة إطلاعه عليها ، فنحن إذا قسنا مجموع ماورد عن الخلفية من الصحيح و الموضوع في التفسير والأحكام والفوائد من المائة وأربعة حديثاً أو المائة واثنين وأربعين حديثاً إلى ما جاء عن النبيّ الأقدس من السنّة الشريفة لتجدها كقطرة من بحر لجيّ ، لاتقام بها قائمةٌ للاسلام ، ولا تدعم بها أيّ دعامة للدين ، ولا تُروى بها غلّة صاد ، ولا تنحلّ بها عقدة أيّة مشكلة . هذا أبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وعبدالله عمر ، و عبدالله بن العبّاس ، و عبدالله بن عمرو بن العاص ، و عبدالله بن مسعود ، و و و يروون آلافاً من السنّة النبويّة فقد أخرج تقيّ ابن مخلد في مسنده من حديث أبي هريرة فحسب خمسة آلاف وثلثمائة حديث وكسراً[1] وأبو هريرة لم يصحب النبيّ إلّا ثلاث سنين .

وهذا أحمد بن الفرات كتب ألف الف و خمسمائة ألف حديث ، و انتخب منها ثلاثمائة ألف في التفسير والأحكام والفوائد : «خلاصة التهذيب ص ٩»

وهذا حرمة بن يحيى أبو حفص المصري صاحب الشافعي يروي عن طريق إبن وهب فحسب مائة ألف حديث . « خلاصة التهذيب ص ٦٣ »

و هذا أبو بكر الباغندي يجيب عن ثلثمائة ألف مسئلة في حديث رسول الله ﷺ «تاريخ الطبري ٣ص٢١٠» .

وهذا الحافظ روح بن عبادة القيسي له أكثر من مائة ألف حديث . « ميزان الاعتدال ١ص٣٤٢ »

وهذا الحافظ مسلم صاحب الصحيح عنده ثلاثمائة ألف حديث مسموعة . «طبقات الحفّاظ ٢ص١٥١».

وهذا الحافظ أبو محمّد عبدان الأهوازي يحفظ مائة ألف حديث « تاريخ ابن عساكر ٧ص٢٨٨»

و هذا الحافظ أبو بكر ابن الأنباري يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن

(١) الاصابة ٤ ص ٢٠٥ .

وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدها (شذرات الذهب ٢ص٣١٦).

و هذا الحافظ أبو زرعة حفظ مائة ألف حديث كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد، و يقال : سبعمائة ألف حديث (تاريخ ابن كثير ١١ ص ٣٧ ، تهذيب التهذيب ٧ ص ٣٣) .

و هذا الحافظ ابن عقدة يجيب في ثلاثمائة ألف حديث من حديث أهل البيت عليهم السّلام وبني هاشم حدّث بها عنه الدارقطني (تذكرة الحفّاظ ٣ص٥٦) .

وهذا الحافظ أبو العبّاس احمدبن منصور الشيرازي كتب عن الطبراني ثلاثمائة ألف حديث (تذكرة الحفّاظ٣ص١٢٢) .

وهذا الحافظ أبو داود السجستاني كتب عن النبيّ ﷺ خمسمائة ألف حديث (تذكرة الحفّاظ ٢ص١٥٤).

وهذا عبدالله بن إمام الحنابلة أحمد سمع من أبيه مائة ألف و بضعة أحـاديث (طبقات الحفّاظ٢ص٢١٤) .

و هذا ثعلب البغدادي سمع من القواريري مائة ألف حديث [طبقات الحفّاظ ٢ص٢١٤] .

و هذا أبـو داود الطيالسي يملي من حفظه مائة ألف حديث (شذرات الذهب ٢ص١٢) .

وهذا أبوبكر الجعابي يحفظ أربعمائة ألف حديث بأسانيد ها ومتونها ويذاكر ستمائة ألف حديث ، ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والخطابات قريباً من ذلك (تاريخ ابن كثير ١١ص٢٦١) .

وهذاإمام الحنابلةأحمد عنده أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً (راجع آخر الجزء الأول من مسنده) .

وهذا الحافظ أبو عبدالله الختلي يحدّث من حفظه بخمسين ألف حديث (تاريخ ابن كثير ١١ص٢١٧) .

وهذا يحيى بن يمان العجلي يحفظ عن سفيـان أربعة آلاف حديث في التفسير فقط . (تاريخ الطبري ١٤ ص ١٢١) .

و هذا الحافظ ابن أبي عاصم يملي من ظهر قلبه خمسين ألف حديث بعد ما ذهبت كتبه (تذكرة الحفاظ ٢ ص ١٩٤) .

و هذا الحافظ إبو قلابة عبدالملك حدث من حفظه ستين ألف حديث (طبقات الحفاظ ٢ ص ١٤٣) .

و هذا أبو العباس السراج كتب لمالك سبعين ألف مسألة (تاريخ بغداد ١ ص ٢٥١) .

و هذا الحافظ ابن راهويه يملي سبعين ألف حديث من حفظه (تاريخ ابن عساكر ٢ ص ٤١٣) .

و هذا الحافظ اسحاق الحنظلي يحفظ سبعين ألف حديث (تاريخ الخطيب ٦ ص ٣٥٢) .

و هذا اسحاق بن بهلول التنوخي يحدث من حفظه خمسين ألف حديث (تاريخ الخطيب ٦ ص ٣٦٨) .

و هذا محمد بن عيسى الطباع كان يحفظ نحواً من أربعين ألف حديث (تاريخ بغداد ٢ ص ٣٩٦) .

و هذا الحافظ ابن شاهين يكتب من حفظه بعد ما ذهبت كتبه عشرين أو ثلاثين ألف حديث (تاريخ بغداد ١١ ص ٢٦٨) .

و هذا الحافظ يزيد بن هارون يحفظ أربعة و عشرين ألف حديث باسنادها (شذرات الذهب ٢ ص ١٦) .

فهلم معي نرى أن إسلاماً هذه سعة نطاق علمه ، و كثرة طقوسه و سننه ، وغزارة فنونه و علومه ، و نبياً هذا حديثه و سنته ، و هذه ودايعه المصلحة لامته ، و هذا شأن الأعلام امناء ودايع العلم والدين ، وهذه سيرة حفظة السنة الشريفة ، كيف يجب أن يتحلى خليفة ذلك النبي الأقدس بأبراد علوم الكتاب والسنة ؟ و كيف يحق أن يكون حاملاً بأعباء علوم مستخلفه و معالمه ، وارثاً مآثره و آثاره ؟ أفهل يقتصر منه بمائة و أربعة حديثاً ؟ أو تقبل الامة المسكينة أو تجديها هذه الكمية اليسيرة من ذلك الحوش الحايش ؟ أويسد ذلك الفراغ ، و يمثل تلك العلوم الاسلامية الجمة من هذا شأنه و شعاره ، و هذه سيرته و سنته ، وهذا علمه وحديثه ؟ أو يتلقى

بالقبول عذر المدافع عن الخليفة بأنّ قلّة حديثه لقصر مدّة خلافته؟ أيّ صلة بين قصر العمر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و قلّة الرواية؟ فإنّ رواة الأحاديث على العهد النبويّ ما كان حجر عليها، و لم يكن عقال في ألسن أولئك الصحابة الأوّلين، ولا على الأفواه أوكية عن بثّ العلم من الكتاب والسنّة طيلة حياة النبيّ الأقدس، ولم يكن المكثرون من الرواية قصروا أحاديثهم على ما بعد أيّامه صلى الله عليه وآله وسلم، فقلّة حديث الرجل إن هي إلّا لقلّة تلقّيه، و قصر حفظه، إنّما الإناء ينضح بما فيه و الأوعية إذا طفحت فاضت.

ثمّ أنّى يسوغ للخليفة؟ أن تثقله أعباء الخلافة، و تعييه معضلات المسائل و يتترّس بمثل قوله: أيّ سماء تظلّني. إلخ. أو قوله: سأقول فيها برأيي. أو يخطب بعد أيّام قلائل من خلافته و قد أحرجته المواقف، و يتطلّب الفوز منها بقوله: لوددت أنّ هذا كفانيه غيري، و لئن أخذ تموني بسنّة نبيّكم صلى الله عليه وسلم لا أطيقها، إن كان لمعصوماً من الشيطان، و إن كان لينزل عليه الوحي من السماء[1].

أو بقوله: أما والله ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً، و لوددت أنّ فيكم من يكفيني، أفتظنّون انّي أعمل فيكم بسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إذن لا أقوم بها إنّ رسول الله كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فاذا غضبت فاجتنبوني أن لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم، ألا فراعوني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوّموني

وفي لفظ ابن سعيد: ألا وإنّما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني، فإذا رأيتموني استقمت فاتّبعوني، وإن رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم[2]

أو بقوله: إنّي وليت عليكم و لست بخيركم، فإن رأيتموني على الحقّ فأعينوني و إن رأيتموني على الباطل فسدّدوني[3].

(١) مسند احمد ١ ص ١٤، الرياض النضرة ١ ص ١٧٧، كنز العمال ٣ ص ١٢٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٣ ص ١٥١، الامامة و السياسة ١ ص ١٦، تاريخ الطبرى ٣ ص ٢١٠، الصفوة ١ ص ٩٩، شرح نهج البلاغة: ٣ ص ٨، ج ٤: ١٦٧. كنز العمال ٣ ص ١٢٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٣ ص ١٣٩، المجتنى لا بن دريد ص ٢٧، عيون الاخبار لابن قتيبة ٢ ص ٢٣٤، تاريخ الطبرى ٣ ص ٢٠٣، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٤٠، تهذيب الكامل ١ ص ٦، العقد الفريد ٢ ص ١٥٨، اعجاز القرآن ص ١١٥، الرياض النضرة ١ ص ١٦٧، ١٧٧، تاريخ ابن كثير ٥ ص ٢٤٧ و صححه، شرح ابن ابى الحديد ١ ص ١٣٤، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٤٧، ٤٨، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٨.

و في لفظ ابن الجوزي في الصفوة ١ ، ٩٨ : قد وُليت أمركم ولست بخيركم ، فإنْ أحسنت فأعينوني ، و إن زغت فقوّموني .

و هل الخليفة حريٌّ بأن ترعاه اُمّته ورعيّته فتعينه و تسدّده و تقوّمه عند الخطل والزيغ؟و كيف لا يؤاخذ الخليفة بالسنّةو هو وارث علم النبيّ و حامل سنّته و قد أكمل الله دينه و أوحى إلى نبيّه ما تحتاج إليه اُمّته ، و بلّغ ﷺ كلّ ماجاء به حتى حقّ له اُن ينهى عن الرأي و القياس في دين الله ، أو يقول :ما تركت شيئاًممّا أمركم الله به إلّا و قد اُمرتكم به ، و لا تركت شيئاً ممّا نهاكم عنه إلّا و قد نهيتكم عنه [1] .

وقدفتح الخليفة لقصرباعه فيعلوم الكتاب والسنّة بابالقول بالرأي بمصراعيه بعد ما سدّه النبيّ الأعظم على اُمّته ، و لم تكن عند الخليفة مندوحة سواه ، قال ابن سعد فيالطبقات ، وأبو عمر في كتاب العلم ٢ : ٥١ ، و ابن القيّم في أعلام الموقّعين ص ١٩ ، إنّ أبا بكر نزلت به قضيّة فلم يجد في كتاب الله منها اصلاً ،ولا في السنّة أثراً ، فاجتهدرأيه ثمّ قال : هذا رأيي فان يكن صواباً فمن الله، و إن يكن خطأ فمنّي واستغفر الله . « و ذكرهالسيوطي في تاريخالخلفاء عن ابن سعد ص ٧١ » .

و قال ميمون بن مهران : كانأبو بكر إذ ورد عليه الخصمفإن وجد فيالكتاب أو علم من رسول الله ما يقضي بينهم قضى به ،فان أعياه خرج فسأل المسلمين و قال : أتاني كذا و كذا فهل علمتم أنّ رسول الله قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله فيه قضاءاً ،فيقول أبوبكر : الحمد لله الّذي جعلفينا من يحفظ على نبيّنا ، فإن أعياه أن يجد فيه سنّة من رسول الله جمع رؤس الناس و خيارهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به [2] .

هكذا كان شأن الخليفة في القضاء ، و هذا مبلغ علمه ، وهذه سيرته في العمل بالرأي المجرّد وقد قال عمربنالخطاب : أصبح أهل الرأي اعداءالسنن أعيتهمالأحاديث أن يعوها ، وتفلّتت منهم أن يرووها ، فاشتقّواالرأي ، أيّها الناس إنّالرأي إنكان من

(١) كتاب العلم لابى عمر ، و فى مختصره ص ٢٢٢ .
(٢) سنن الدارمى ١ ص ٥٨ ، و اخرجه البغوى كما فى الصواعق ص ١٠ .

رسول الله مصيباً لأنّ الله كان يريه ، وإنّما هو منّا الظنّ والتكلّف (١)

ثمّ ما المسوّغ لمن سدّ فراغ النبيّ وأشغل منصّته أن يسأل الناس عن السنّة الشريفة ، ويأخذها ممّن هو خليفة عليه ؟ ولماذا خالف سيرته هذه لمّا سُئل عن الأبّ والكلالة و ترك سؤال الصحابة واستشارتهم فأفتى برأيه ما أفتى، وقال بحريّته ما قال .

و فيما اتّفق لأبي بكر من القضايا غير ما مرّ مع قلّته غنية و كفاية في عرفان مبلغ علمه وإليك منها :

-١-

رأي الخليفة في الجدّة

عن قُبيصة بن ذؤيب قال : جاءت الجدّة إلى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها فقال لها أبو بكر: مالك في كتاب الله شيء ، وما علمت لك في سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله شيئاً فارجعي حتى أسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله صلّى الله عليه وآله أعطاها السدس . فقال أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمّد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه . الحديث . (٢)

فانظر إلى ما عزب عنه علم الخليفة في مسألة تكثر بها البلوى و يطّرد الحكم فيها ، حتى اضطرّته الحاجة إلى الركون إلى رواية مثل المغيرة أزنى ثقيف و أكذب الاُمّة (٣) و كان من تغييره للسنّة و لعبه بها انّه صلّى صلاة العيد يوم عرفة مخافة أن يعزل سنة أربعين (٤) و كان ينال من أمير المؤمنين عليه السلام كلّما رقى صهوة المنبر (٥)

-٢-

رأي الخليفة في الجدّتين

عن القاسم بن محمّد انّه قال : أتت الجدّتان إلى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

---

(١) كتاب العلم لابى عمر ٢: ١٣٤ ، وفى مختصره ص ١٨٥ ، اعلام الموقعين ص ١٩ .

(٢) موطأ مالك ١ ص ٣٣٥ ، سنن الدارمى ٢ ص ٣٥٩ ، سنن ابى داود ٢ ص ١٧ ، سنن ابن ماجة ٣ ص ١٦٣ ، مسند احمد ٤ ص ٢٢٤ ، سنن البيهقى ٦ ص ٢٣٤ ، بداية المجتهد ٢ ص ٣٤٤ ، مصابيح السنة ٢ ص ٢٢ .

(٣) راجع الجزء السادس من كتابنا هذا ص ١٤١ ط ٢ .

(٤) الاغانى ١٤ ص ١٤٢ .

(٥) مرّ فى الجزء السادس ص ١٤٣ ، ١٤٤ ط ٢ .

فأراد أن يجعل السدس للّتي من قِبَل الامّ فقال له رجلٌ من الأنصار : أما انّك تترك التي لو ماتتا وهو حيّ كان إيّاها يرث ، فجعل أبو بكر السدس بينهما .

☆(لفظ آخر)☆ :

إنّ جدّتين أتتا أبابكر الصدّيق رضي الله عنه امّ الامّ و امّ الأب فأعطى الميراث امّ الامّ دون امّ الأب فقال له عبدالرحمن بن سهيل - سهل - أخو بني حارثة : يا خليفة رسول الله ! لقد أعطيت التي لو انّها ماتت لم يرثها . فجعله أبوبكر بينهما يعني السدس .

راجع موطأ مالك ١ ص ٣٣٥ ، سنن البيهقي ١ ص ٢٣٥ ، بداية المجتهد ٢ ص ٣٤٤ ، الاستيعاب ٢ ص ٤٠٠ ، الإصابة ٢ ص ٤٠٢ و قال : رجاله ثقاتٌ ، كنز العمال ٦ ص ٦ نقلاً عن مالك ، وسعيد بن منصور، وعبد الرزاق ، و الدار قطني ، والبيهقي .

قال الأمينيّ : أوَلا تعجب عن جهل الرّجل بحكم إرث الجدّتين ، وسرعة انقلابه عمّا ارتآه أوّلاً بنقد رجل من الأنصار أو أخي بني حارثة ؟ وكان ذلك النقد يستدعي حرمان الجدّة من قبل الأُمّ لكنّه شركهما في الميراث و اتّخذته الفقهاء مصدراً لحكمهم ، وأصل الحكم مأخوذٌ من رواية المغيرة المخصوصة بالجدّة الواحدة فانظر واعتبر .

وأمّا رأي الرجل الأنصاري في الجدّة الذي زحزح الخليفة عن حكمه فلم يكن أخذاً بالكتاب والسنّة بل كان مخالفاً لهما وفقاً لقول الشاعر :

بنونا بنوا أبناءنا و بناتُنا ☆ بنوهنّ أبناء الرّجال الأباعدِ

فخصّ القوم به قول الله تعالى : يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الانثيين [(١)] لعقب الأبناء دون من عقبته البنات ، وذهبوا إلى عدم شمول أحكام الأولاد في الفروض وغيرها على وليد بنت الرجل محتجّين بقول الشاعر .

قال ابن كثير في تفسيره ٢ ص ١٥٥ : قالوا : إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فانّه يختصّ بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه واحتجّوا بقول الشاعر :

بنونا بنوا أبناء نا و بنا تُنا ☆ بنوهنّ أبناء الرّجال الأباعدِ اه

و قال البغدادي في خزانة الأدب ١ ص ٣٠٠ : هذا البيت لا يُعرف قائله مع

---

(١) سورة النساء آية : ١١ .

شهرته في كتب النحاة وغيرهم . قال العيني : هذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر ، والفرضيون على دخول أبناء الأبناء في الميراث ، وإن الانتساب إلى الآباء ، و الفقهاء كذلك في الوصية ، وأهل المعاني و البيان في التشبيه ، ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله .

وقال : رأيت في شرح الكرماني في شواهد شرح الكافية للخبيصي [1] انه قال : هذا البيت قائله أبو فراس همام الفرزدق ابن غالب [2] ثم ترجمه و الله اعلم بحقيقة الحال . اه .

سبحانك اللّهم ما أجرأهم على هذا الرأي - السياسي - في دين الله لإخراج آل الله عن بنوّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ما قيمة قول الشاعر تجاه قول الله تعالى : قل تعالوا ندع أبنائنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم ؟ [3] فهو نص صريح على أن الحسنين السبطين ابني النبي الأقدس .

و قد سمى الله سبحانه أسباط نوح ذرية له وليست الذرية إلّا ولد الرجل كما في القاموس ٢ ص ٣٤ فقال سبحانه : ومن ذريته داود و سليمان - إلى قوله - : ويحيى وعيسى [4] فعدّ عيسى من ذرية نوح وهو ابن بنته مريم .

قال الرازي في تفسيره ٢ص٤٨٨ : هذه الآية « يعني آية قل تعالوا » دالّة على أن الحسن والحسين عليهما السّلام كانا ابني رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعد أن يدعو أبناءه فدعا الحسن والحسين فوجب أن يكونا إبنيه ، و ممّا يؤكّد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام : ومن ذريته داود وسليمان - إلى قوله - : وزكريا ويحيى وعيسى ، ومعلوم أن عيسى انما انتسب إلى ابراهيم عليه السلام بالام لا بالأب فثبت ان ابن البنت قد يسمى إبناً و الله أعلم .

و قال القرطبي في تفسيره ٤ ص ١٠٤ : فيها « يعني آية تعالوا » دليل على أن

---

(١) شمس الدين ابوبكر الخبيصى اسمى شرحه بالمرشح .

(٢) نسبه صاحب جامع الشواهد الى عمر فى صفحة ٩١ فقال : هو من ابيات لعمر ابن الخطاب . وهذا أقرب الى ما يشاهد فيه من الالمام بالسياسة .

(٣) سورة آل عمران آية ٦١ .

(٤) سورة الانعام آية ٨٤،٨٥.

أبناء البنات يسمّون أبناءاً . و قال في ج ٧ ص ٣١ . عُدّ عيسى من ذريّة ابراهيم و إنّما هو ابن البنت ، فأولاد فاطمة رضي الله عنها ذريّة النبيّ ﷺ ، و بهذا تمسّك من رأى : أنّ ولد البنات يدخلون في اسم الولد . قال أبوحنيفة و الشافعي : من وقف وقفاً على ولده وولد ولده انّه يدخل فيه و لد ولده و ولد بناته ماتناسلوا . وكذلك إذا أوصى لقرابته يدخل فيه ولدالبنت ، و القرابة عندأبي حنيفة كلّ ذي رحم محرم . إلى أن قال :

و قال مالك : لا يدخل في ذلك ولد البنات ، وقد تقدّم نحو هذا عن الشافعي ج ٤ ص ١٠٤ ـ و الحجّة لهما قوله سبحانه : يوصيكم الله في أولاد كم . فلم يعقل المسلمون [1] من ظاهر الآية إلّا ولدالصلب وولدالابن خاصّة . إلى أن قال : وقال ابن القصّار . وحجّة من أدخل البنات في الأقارب قوله ﷺ للحسن بن علي : إنّ ابني هذا سيّد . و لانعلم أحداً يمتنع أن يقول في ولد البنات لأنّهم ولد لأبي اُمّهم . و المعنى يقتضي ذلك لأنّ الولدمشتقّ من التولّد وهم متولّدون عن أبي اُمّهم لامحالة ، والتولّد من جهة الاُمّ كالتولّد من جهة الأب ، وقد دلّ القرآن على ذلك ، قال الله تعالى : ومن ذريّته داود وسليمان . إلى قوله : من الصالحين . فجعل عيسى من ذريّته و هو ابن بنته . اه .

و أخرج ابن أبي حاتم باسناده عن أبي حرب بن الأسود قال : أرسل الحجّاج إلى يحيى بن يعمر فقال : بلغني انّك تزعم أنّ الحسن و الحسين من ذريّة النبيّ ﷺ تجده في كتاب الله؟ وقدقرأته من أوّله إلى آخره فلم أجده . قال : أليس تقرأ سورة الأنعام : و من ذريّته داود و سليمان . حتّى بلغ : و يحيى و عيسى ؟ قال بلى . قال : أليس عيسى من ذرّية إبراهيم و ليس له أب ؟ قال : صدقت . فلهذا إذا أوصى الرجل لذريّته أووقف على ذريّته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم . الخ . تفسير ابن كثير ٢ ص ١٥٥ .

فبعد كون ذريّة الرجل و لده على الإطلاق و دخل فيهم أولاد البنات لاينبغي

(١) هذه فرية على المسلمين و حاشاهم أن يعقلوا من الاية خلاف ظاهرها من دون اى دليل صارف .

التفكيك في الأحكام عندئذ بين الذريّة و الأولاد ، و لايسع لأيّ أحد أن يرى أبناء البنات أبناء الرّجال الأباعد خارجين عن ولد الرجل على الحقيقة ، ويصحّ له مع ذلك عدّهم عن ذريّته و ليست إلّا ولد الرجل .

ويشهد على لغة القرآن المجيد وانّ ولد البنت ابن أبيها على الحقيقة قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : أخبرني جبريل : انّ ابني هذا ـ يعنى الحسين ـ يُقتل . وفي لفظ : إنّ اُمّتي ستقتل ابني هذا .

طبقات ابن سعد ، مستدرك الحاكم ٣ : ١٧٧ ، اعلام النبوة للماوردى : ٨٣ ، ذخاير العقبى : ١٤٨ ، الصواعق : ١١٥ .

٢ ـ و قوله : إبني هذا يُقتل بأرض من العراق .

دلائل النبوة لابى نعيم ٣ ، ٢٠٢ ، ذخاير العقبى ص ١٤٦ .

٣ ـ و قوله للحسن السبط : ابني هذا سيّد .

المستدرك ٣ : ١٧٥ ، اعلام الماوردى ص ٨٣ ، تفسير ابن كثير ٣ : ١٥٥ .

٤ ـ وقوله لعلي : أنت أخي وأبو ولدي .

ذخاير العقبى ص ٦٦ .

٥ ـ وقوله : إنّ جبريل أخبرني انّ الله عزّ وجلّ قتل بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وهو قاتل بدم ولدك الحسين سبعين ألفاً .

ذخاير العقبى ص ١٥٠ .

٦ ـ و قوله : المهدى من ولدي وجهه كالكوكب الدريّ .

ذخاير العقبى ص ١٣٦ .

٧ ـ هذان إبناي من أحبّهما فقد أحبّني : «الحسن و الحسين»

المستدرك ٣ : ١٦٦ ، تاريخ ابن عساكر ٤ : ٢٠٤ ، كنز العمال ٦ : ٢٢١ .

٨ ـ و قوله لفاطمة الصدّيقة : ادعي لي إبنيّ .

تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣١٦ .

٩ ـ وقوله لأنس : ادع لي إبني .

تاريخ ابن كثير ٨ : ٢٠٥ .

١٠ ـ وقوله ادعوا إبني . فأتى الحسن بن علي .

ذخاير العقبى ص ١٢٢ .

١١ ـ وقوله : أللّهم إنّ هذا إبني ـ الحسن ـ وأنا اُحبّه فاحبّه وأحبّ من يحبّه .

تاريخ ابن عساكر ٤ : ٢٠٣ .

١٢ ـ وقوله لعليّ : أيّ شيء سمّيت إبني ؟ قال : ماكنت لأسبقك بذلك ، فقال : و ما أنا السابق ربي فهبط جبريل فقال : يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السلام و يقول لك : عليّ منك بمنزلة هارون من موسى لكن لانبيّ بعدك ، فسمّ ابنك هذا باسم ولد هارون .

ذخاير العقبى ص١٢٠.

١٣ ـ وقوله : أروني إبني ماسمّيتموه . قاله لمّا ولد الحسن ، وفي ولادة الحسين ، وكذلك في ولادة محسن بن عليّ .

المستدرك ٣ : ١٨٠ ، كنز العمال ٧ : ١٠٧ ، ١٠٨ عن الداو قطنى، وأحمد، وابن أبى شيبة ، وابن جرير، وابن حبان ، والدولابى ، والبيهقى ، والحاكم ، والخطيب .

١٤ ـ وقوله : اطلبوا ابنيّ . لمّا ضلّ الحسن والحسين .

كنز العمال ٧ : ١٠٨ .

١٥ ـ وقوله : إبنيّ هذين ريحانتيّ من الدنيا . يعني الحسنين .

الصواعق ، ١١٤ ،كنزالعمال ٦ : ٢٢٠ ، ج ٧ : ١٠٩ .

١٦ ـ وقوله : إبني إرتحلني .

أخرجه أحمد . والبغوى . والطبرانى . و الحاكم . والبيهقى . و سعيدبن منصور. وابن عساكر فى تاريخه ٤ : ٣١٧ ، و ابن كثير فى تاريخه ٨ : ٣٦ ، وراجع كنز العمال٦ : ٢٢٢ ، وج ٧ : ١٠٩ .

١٧ ـ و قوله : هاتوا إبنيّ اعوّذهما بما عوّذ به ابراهيم إبنيه .

تاريخ ابن عساكر ٤ : ٢٠٩ .

١٨ ـ وقوله لأنس : و يحك يا أنس دع إبني وثمرة فؤادي ـ يعني الحسن ـ .

كنز العمال ٦ : ٢٢٢ .

١٩ ـ وقوله : إبناي هذان : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة .

الصواعق لابن حجرص ١١٤.

٢٠ ـ وقوله في عليّ : هذا أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي .

كنز العمال ٦ : ١٥٤ .

٢١ ـ وقوله : سمّيت إبنيّ هذين باسم ابني هارون شبّر وشبير .

الصواعق ص ١١٥ ، كنز العمال ٦ : ٢٢٢ .

٢٢ ـ وقوله : لولم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث

رجلاً من ولدي إسمه كاسمي . فقال سلمان : من أيّ ولدك يا رسول الله ! قال : من وَلدي هذا . وضرب بيده على الحسين .

ذخاير العقبى ص١٣٦.

٢٣ ـ وقول الحسن السبط سلام الله عليه في خطبة له : أنا الحسن بن علي ، و أنا ابن النبيّ ، و أنا ابن البشير ، و أنا ابن النذير ، و أنا ابن الداعي إلى الله باذنه والسراج المنير .

المستدرك ٣ : ١٧٢ ، ذخاير العقبى ص ١٣٨ ، ١٤٠ ، شرح ابن ابى الحديد٤ : ١١ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٤٦ ، اتحاف الشبراوى ص ٥ .

٢٤ ـ وقوله لأبي بكر وهو في منبر جدّه الأقدس : إنزل عن مجلس أبي فقال أبوبكر : صدقت إنّه مجلس أبيك . وفي لفظ : إنزل عن منبر أبي . فقال أبوبكر : منبر أبيك لا منبر أبي .

الرياض النضرة ١ ، ١٣٩ ، شرح ابن ابى الحديد ٢ : ١٧ ، الصواعق ص ١٠٨ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٥٤ ، كنز العمال ٣ : ١٣٢ .

٢٥ ـ وقوله في وصيّته : ادفنوني عند أبي - يعني المصطفى - .

اتحاف الشبراوى ص ١١ .

٢٦ ـ وقول الحسين السبط عليه السلام لعمر : إنزل عن منبر أبي . فقال عمر : منبر أبيك لامنبر أبي ، مَن أمرك بهذا ؟

تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٢١

٢٧ ـ وقول إبن عبّاس : هذان ـ الحسن والحسين ـ إبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

تاريخ ابن عساكر ٤ : ٢١٢ ، ٣٢٢ .

٢٨ ـ وقول زهير بن قين مخاطباً الحسين عليه السلام : قدسمعنا يابن رسول الله مقالتك.

جمهرة خطب العرب ٢ : ٤٠ .

٢٩ ـ وقول الإمام السبط الحسن الزكيّ كما في الاتحاف للشبراوي ٤٩ :

خيرة الله من الخلق أبي ✡ بعد جدّي وأنا ابن الخيرتين
فضّة قد صيغت من ذهب ✡ فأنا الفضّة ابن الذهبين

٣٠ ـ وقوله كما في الإتحاف ص ٥٧ :

أنا ابن الذي قد تعلمون مكانه ✡ و ليس على الحقّ المبين طحاءُ

أليس رسول الله جدّي و والدي ☆ أنا البدر إن حلّ النجوم خفاءُ

٣١ ـ وقول الفرزدق في مدح الإمام السجّاد عليٍّ بن الحسين عليهما السّلام :

هذا ابن خير عباد الله كلّهم ☆ هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلم

٣٢ ـ و قول ابن بشر في زيد بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب عليهم السّلام يمدحه :

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة ☆ نفى جدبها واخضرّ بالنبت عودها

وزيدٌ ربيع الناس في كلّ شتوةٍ ☆ إذا أخلفت أبراقها و رعودها

٣٣ ـ وقول أبي عاصم ابنِ حمزة الأسلمي يمدح الحسن بن زيد بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب عليهم السّلام كما في زهر الآداب للحصري القيرواني ١ ص ٨٠ .

ستأتي مدحتي الحسن بن زيد ☆ و تشهد لي بصفّين القبورُ

قبورٌ لم تزل مُذغاب عنها ☆ أبو حسنٍ تعاديها الدهورُ

قبورٌ لو بأحمدَ أو عليٍّ ☆ يلوذُ مجيرها حمي المجيرُ

هما أبواكَ من وضعا فضعه ☆ وأنت برفع مَن رفعا جديرُ

٣٤ ـ وقول ابراهيم بن علي بن هرمه لمّا نصحه الحسن بن زيد المذكور كما في زهر الآداب ١ ص ٨١ .

نهاني ابن الرسول عن المدامِ ☆ و أدّبني بآداب الكرامِ

٣٥ ـ وقول أبي تمام الطائي(١) :

فعلتم بأبناء النبيّ و رهطه ☆ أفاعيلَ أدناها الخيانة والغدرُ

٣٦ ـ وقول دعبل الخزاعي :

فكيف و من أنّى بطالب زلفة ☆ إلى الله بعد الصّوم والصّلواتِ ؟

سوا حبّ أبناءِ النبيّ و رهطه ☆ و بغض بني الزرقاء والعبلاتَ

٣٧ ـ وقوله :

ألم يحزنك انّ بني زياد ☆ أصابوا بالتراث بني النبيِّ

٣٨ ـ وقول الحِمّاني :

(١) راجع فيما يلى من الابيات تراجم شعرائها في أجزاء كتابنا هذا .

قومٌ لماء المعالي في وجوههمُ ☆ عند التكرم تصويبٌ وتصعيدُ
يدعون أحمد إن عدّ الفخار أباً ☆ والعود ينسب في أفنائه العودُ

٣٩ - وقول التنوخي :

من ابن رسول الله وابن وصيِّه ☆ إلى مدخل في عقبة الدين ناصبِ

٤٠ - وقول الزاهي :

بنو المصطفى تفنون بالسيف عنوةً ☆ ويسلمني طيف الهجوعِ فأهجعُ

٤١ - وقول الناشي :

بني أحمد قلبي بكم يتقطّعُ ☆ بمثل مصابي فيكمُ ليس يُسمعُ

٤٢ - وقول الصاحب بن عباد :

ما لعليٍّ العليِّ أشباهُ ☆ لا والّذي لا إله إلّا هو
مبناه مبنى النبيِّ تعرفه ☆ وابناهُ عند التفاخر إبناهُ

٤٣ - وقوله :

أيُجزّ رأس ابن النبيِّ وفي الورى ☆ حيٌّ أمام ركابه لم يقتلِ ؟

٤٤ - وقوله :

بمحمّد ووصيّه وابنيهما ☆ وبعابدٍ وبباقرين وكاظمِ

٤٥ - وقوله :

بمحمّد ووصيِّه وابنيهما ☆ الطاهرين وسيّد العبّادِ

٤٦ - وقول الصوري :

فلهذا أبناء أحمد أبناء ☆ عليٍّ طرايدُ الآفاقِ

٤٧ - وقول مهيار الديلمي :

بأيّ حكمٍ بنوهُ يتبعونكمُ ☆ وفخركم أنّكم صحبٌ له تبعٌ ؟

٤٨ - وقوله :

فيوم السّقيفة يا بن النبيِّ ☆ طرّق يومك في كربلا

٤٩ - وقول ابن جابر :

جعلوا لأبناء الرّسول علامةً ☆ إنّ العلامة شأنُ من لم يشهرِ

٥٠ ـ وقال الشبراوي :

يا بن الرّسول بامّك الزهر االبتول ☆ وجدّك المأمول عند الناس
وغدوت في الأشراف يابن المصطفى ☆ كالعقل أو كالرّوح أو كالرّأس

فما المبرّر عندئذ للخليفة في ضفحه عمّا في كتاب الله وسنّة نبيّه وتلقّيه بالقبول قول الانصاريّ الشاذّ عن الكتاب والسنّة ؟ و ماعذر فقيه أو حافظ إتّخذ رأي الأنصاري ديناً محتجّاً بقول شاعر لم يُعرف بعدُ ، و بين يديه القرآن والحديث والأدب ؟

ـ ٣ ـ

رأي الخليفة في قطع السارق

عن صفيّة بنت أبي عبيد : أنّ رجلاً سرق على عهد أبي بكر رضي الله عنه مقطوعة يده ورجله فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يقطع رجله و يدع يده يستطيب بها و يتطهّر بها ، و ينتفع بها ، فقال عمر: لاوالذي نفسي بيده لتقطعنّ يده الأُخرى . فأمر به أبو بكر رضي الله عنه فقطعت يده .

و عن القاسم بن محمّد : أنّ أبابكر رضي الله عنه أراد أن يقطع رجلاً بعد اليد والرّجل فقال عمر رضي الله عنه : السنّة اليد (١) .

إنّ من موارد الحيرة انّ الخليفة لايعلم حدّ السارق الذي هو من أهمّ ما تجب عليه معرفته لحفظ الأمن العامّ ، وتهدأة الحالة ، و قطع جرثومة الفساد ، و من المحيّر ايضاً تسرّعه إلى الحكم قبل ما عزي إليه فيما مرّ ص ١١٩ من الرجوع إلى الكتاب والسنّة ثمّ الإستعلام من الصحابة ثمّ المشورة .

ثمّ إنّ الذي سدّده في هذه القضيّة لِمَ نسي الحكم أبّان خلافته فأراد عين ما أراده صاحبه . راجع الجزء السادس ص ١٣٦ ط ٢ .

ـ ٤ ـ

رأى الخليفة في الجدّ

عن ابن عبّاس و عثمان و أبي سعيد و ابن الزبير قالوا : إنّ أبا بكر جعل الجدّ

(١) سنن البيهقي ٨ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

أباً [1] يعنون انّه كان يحجب الأخوة بالجدّ و لم يشرك بينهما كما أنّ الأب يحجب الأخوة والأخوات .

قال الأميني: لم يكن رأي الخليفة هذا متّخذاً من الكتاب والسنّة ، و لم يكن يعمل به أحدٌ من الصحابة طيلة حياته ، و ما اتّفق لجدّ يرث في أيّامه حتى يؤيّد رأيه و يقال : إنّ أحداً من الصحابة لم يخالف أبا بكر في حياته في رأيه هذا كما قاله البخاري والقرطبي [2] و أوّل جدّ كان في الإسلام فأراد أن يأخذ المال كلّه مال ابن ابنه دون اخوته هو عمر بن الخطاب فأتاه عليٌّ وزيد فقالا : ليس لك ذلك إنّما كنت كأحد الأخوين ، و قد فصّلنا القول فيه في الجزء السادس ص ٢١٥ -٢١٨ ط٢ فأوّل رجل خالف الخليفة في الجدّ هو خليفته بعده ، و قد اتّفق عليٌّ وعمر و عثمان وعبدالله بن عمر و زيد بن ثابت و ابن مسعود على خلاف الخليفة على توريث الأخوة مع الجدّ [3] و هو قول مالك والأوزاعي و أبي يوسف و محمّد و الشافعي وابن أبي ليلي [4] .

و افتعل القوم للخليفة عذراً بأنّه كان يرى الجدّ أباً لمكان قوله تعالى : ملّة أبيكم إبراهيم . و قوله : يا بني آدم بتقرير إطلاق الأب على الجدّ على الحقيقة . و لايخفي على أيّ أحد أنّ صحّة هذا الإطلاق لا توجب اتّحاد الأب والجدّ في جميع الأحكام ، ألا ترى إنّ صحّة إطلاق الأمّ على الجدّة على الحقيقة و قولهم في تعريف الجدّة : إنّها الأمّ العليا [5] لا تستدعي الإشتراك في النصيب فيرون مع هذه للجدّة السدس بالاتّفاق . و فريضة الأمّ هي الثلث بالكتاب والسنّة .

على أنّ الصحابة الأوّلين لم يكن عندهم أيّ ايعاز إلى هذا العذر المنحوت ، ولو كانت لرأي الخليفة قيمةٌ وكرامةٌ لأباحه أحدٌ منهم ، وفاهَ به عندما خالف عليٌّ وزيد عمر بن الخطاب ونهياه عن إعمال هذا الرأي .

---

(١) صحيح البخارى باب ميراث الجدّ، سنن الدارمى ٢ ص ٣٥٢ ، احكام القرآن للجصاص ١ ص ٩٤ ، سنن البيهقى ٦ ص ٢٤٦ ، تأريخ الخلفاء للسيوطى ص ٦٥ .

(٢) راجع صحيح البخارى باب ميراث الجدّ . و تفسير القرطبى ٥ ص ٦٨ .

(٣) صحيح البخارى باب ميراث الجدّ . سنن الدارمى ٢ ص ٣٥٤ ، بداية المجتهد ٢ ص ٣٤٠ .

(٤) احكام القرآن للجصاص ١ ص ٩٤ ، تفسير القرطبى ٥ ص ٦٨ .

(٥) تفسير القرطبى ٥ ص ٦٨ .

بل فيما رواه الدارمي عن الحسن من أنّ الجدّ قد مضت سنّته ، و انّ أبابكر جعل الجدّ أباً ، ولكن الناس تخيّروا (١) ايعازٌ إلى أنّ السنّة في الجدّ ماضيةٌ ثابتةٌ وقد خالفها الخليفة ، وتخيّر الناس فخالفوه وعملوا بالسنّة الشريفة .

- ٥ -

رأي الخليفة في تولية المفضول

قال الحلبي في السيرة النبويّة ٣ ص ٣٨٦ : إنّ أبابكر رضي الله عنه كان يرى جواز تولية المفضول على من هو أفضل منه وهو الحقّ عند أهل السنّة لأنّه قد يكون أقدر من الأفضل على القيام بمصالح الدين ، و أعرف بتدبير الأمر ، و ما فيه انتظام حال الرعيّة .

أجاب الحلبي بهذا عن تقديم أبي بكر عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجرّاح على نفسه في الخلافة وقوله : بايعوا أيّ الرجلين إن شئتم .

وقال الباقلاني في التمهيد ص ١٩٥ عند الجواب عن قول أبي بكر : وليتكم و لست بخيركم : يمكن أن يكون قد اعتقد أنّ في الأمّة أفضل منه إلّا انّ الكلمة عليه أجمع و الأمّة بنظره أصلح ، لكي يدلّهم على جواز إمامة المفضول عند عارض يمنع من نصب الفاضل ، ولهذا قال للأنصار وغيرهم : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أحدهما : عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجراح ، وهو يعلم أنّ أبا عبيدة دونه و دون عثمان وعليّ في الفضل ، غير أنّه قد رأى أنّ الكلمة تجتمع عليه ، وتنحسم الفتنة بنظره . وهذا أيضاً ممّا لا جواب لهم عنه .

قال الأميني : الذي نرتأيه في الخلافة انّها إمرةٌ إلٰهيّةٌ كالنبوّة ، و إن كان الرسول خُصّ بالتشريع والوحي الإلٰهي ، وشأن الخليفة التبليغ و البيان ، وتفصيل المجمل . و تفسير المعضل ، وتطبيق الكلمات بمصاديقها ، و القتال دون التأويل (٢) كما

---

(١) سنن الدارمي ٢ ص ٣٥٣ .

(٢) و بهذا عرّف النبي صلى الله عليه وآله مولانا امير المؤمنين بقوله : انّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله قال أبوبكر : أنا هو يارسول الله ؟! قال : لا . قال عمر: أنا هو يارسول الله ؟! قال : لا. ولكن خاصف النعل ، وكان أعطى علياً نعله يخصفها . اخرجه جمع من الحفّاظ وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي كما يأتي تفصيله .

يقاتل النبيّ دون التنزيل ، واظهار ما لم يتسن للنبيّ الاشادة به إمّا لتأخر ظرفه ، أو لعدم تهيّأ النفوس له ، أو لغير ذلك من العلل ؛ فكلّ منهما داخل في اللطف الآلهي الواجب عليه بمعنى تقريب العباد إلى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية ، و لذلك خلقهم و استعبدهم وعلّمهم مالم يعلموا ، فلم يدع البشر كالبهائم ليأكلوا ويتمتّعوا ويلهيهم الأمل . و لكن خلقهم ليعرفوه ، و ليمكّنهم من الحصول على مرضاته ، وسهّل لهم الطريق إلى ذلك ببعث الرسل ، وإنزال الكتب ، وتواصل الوحي في الفينة بعد الفينة ، وبما أنّ أيّ نبيّ لم ينط عمره بمنصرم الدنيا ، ولا قدّر له البقاء مع الأبد ، وللشرايع ظروف مديدة ، كما أنّ للشريعة الخاتمة أمد لا منتهى له ، فاذا مات الرسول ولشريعته إحدى المدّتين وفي كلّ منهما نفوس لم تكمل بعد ، وأحكام لم تبلّغ وإن كانت مشرّعة ، وأخرى لم تأت ظروفها ، ومواليد قدّر تأخير تكوينها ، ليس من المعقول بعد أن تترك الأمّة سدى والحالة هذه ، والناس كلّهم في شمول ذلك اللطف الواجب عليه سبحانه شرع سواء ، فيجب عليه جلّت عظمته أن يقيّض لهم مَن يكمل الشريعة ببيانه ، ويزيح شبه الملحدين ببرهانه ، و يجلو ظلم الجهل بعرفانه ، ويدرع عن الدين عادية أعدائه بسيفه وسنانه ، ويقيم الأمت والعوج بيده ولسانه .

ومهما كان للمولى جلّت منته عناية بعبيده ، وقد ألزم نفسه باسداء البرّ إليهم ، وأن لا يوليهم إلّا الخير والسعادة ، فعليه أن يختار لهم مَن ينوء بذلك العبأ الثقيل ويمثّل مخلّفه الرسول في الوظايف كلّها ، فينصّ عليه بلسان ذلك النبيّ المبعوث ، ولا يجوز أن يخلي سربهم ، ويتركهم سدى ، ألا ترى أنّ عبدالله بن عمر قال لأبيه : إنّ الناس يتحدّثون انّك غير مستخلف ، ولو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثمّ جاء وترك رعيته رأيت أن قد فرط ـ لرأيت أن قد ضيّع ـ ورعية الناس أشدّ من رعية الابل والغنم ، ماذا تقول لله عزّ وجلّ إذ لقيته ولم تستخلف على عباده ؟ (١)

وقالت عائشة لابن عمر : يا بنيّ ابلغ عمر سلامي و قل له · لا تدع أمّة محمّد بلا

(١) سنن البيهقي ٨ ص ١٤٩ عن صحيح مسلم ، سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٩٠ ، الرياض النضرة ٢ ص ٧٤ ، حلية الاولياء ١ ص ٤٤ ، فتح الباري ١٣ : ١٧٥ عن مسلم .

راع، إستخلف عليهم ولاتدعهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة[1] فترك الناس مهملين فيه خشية الفتنة عليهم.

و قال عبد الله بن عمر لأبيه: لواستخلفت؟ قال: من؟ قال: تجتهد فإنك لست لهم برب، تجتهد، أرأيت لو أنك بعثت إلى قيم أرضك ألم تكن تحب أن يستخلف مكانه حتى يرجع إلى الارض؟ قال: بلى. قال: أرأيت لو بعثت إلى راعي غنمك ألم تكن تحب أن يستخلف رجلاً حتى يرجع؟[2].

م وهذا معاوية بن أبي سفيان يتمسك بهذا الحكم العقلي المسلّم في استخلاف يزيد ويقول: إني أرهب أن أدع امة محمد بعدي كالضان لاراعي لها[3].

ليت شعري هذا الدليل العقلي المتسالم عليه لم أهملته الأمة في استخلاف النبي الأعظم واتهمته بالصفح عنه؟ أنا لا أدري.

ولا يجوز ايضاً توكيل الأمر إلى أفراد الامة، أو إلى أهل الحل والعقد منهم لأن مما أوجبه العقل السليم أن يكون الإمام مكتنفاً بشرايط بعضها من النفسيات الخفية والملكات التي لا يعلمها إلا العالم بالسرائر[4] كالعصمة والقداسة الروحية، والنزاهة النفسية لتبعده عن الأهواء والشهوات، والعلم الذي لايضل معه في شيء من الأحكام إلى كثير من الأوصاف التي تقوم بها النفس، ولايظهر في الخارج منها إلا جزئيات من المستصعب الحكم باستقرائها على ثبوت كلياتها، وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون. (سورة القصص ٦٩) والله يعلم حيث يجعل رسالته.

فالأمة المنكفيء علمها عن الغيوب لا يمكنها تشخيص من تحلّى بتلك الصفات فالغالب على خيرتها الخطأ، فإذا كان نبي كموسى على نبينا و آله و عليه السلام تكون وليدة اختياره من الآلاف المؤلفة سبعين رجلاً، وانهم لما بلغوا الميقات قالوا: أرنا الله جهرة؟ فما ظنك بأفراد عاديين واختيارهم، وأناس ماديين وانتخابهم، وماعساهم أن ينتخبوا غير أمثالهم ممن هو وإياهم سواسية كأسنان المشط في الحاجة إلى المسدد،

---

(١) الامامة والسياسة ١ ص ٢٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٣ ص ٢٤٩.

(٣) تاريخ الطبرى ٦ : ١٧٠، الامامة والسياسة ١ : ١٥١.

(٤) وقد اشبعنا القول في البرهنة على لزوم هذه الملكات الفاضلة في الامامة في غير هذا المورد

وليس من المأمون أن يقع انتخابهم على عائث، أو يكون إلتيائهم بمشاغب، أو يكون إنثيالهم وراء من يسرّ على الأمّة حسواً في ارتغاء[1] أو يقع اختيارهم على جاهل يرتبك في الأحكام فيرتكب العظام، ويأتي بالجرائم، ويقترف المآثم وهو لايعلم، أو يعلم ولا يكترث لأن يقول زوراً، ويحكم غروراً، فيفسدوا من حيث أرادوا أن يصلحوا، و يقعوا في الهلكة وهم لايشعرون، كما وقعت أمثال ذلك في البيعة لمعاوية ويزيد وخلفاء الأمويّين.

فعلى الباري الرؤف الذي يكره كلّ ذلك في خلقه أن لا يجعل لأحد من خلقه الخيرة فيها و قد خلقه ظلوماً جهولاً[2] ألا يعلم من خلق وهو اللّطيف الخبير[3]، و ربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة في الأمر[4] وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينا. (الأحزاب ٣٦)

وقد أخبر به النبيّ الأعظم من أوّل يومه يوم عرض نفسه على القبائل فبلغ بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله فقال له قائلهم: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثمّ أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: إنّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء[5].

أنّى تسوغ أن تكون للخلق خيرة في الأمر مع شيوع الغايات والأغراض والدعاوي و الميول و الشهوات في الناس حول الإنتخاب، مع اختلاف الأنظار و تضارب الآراء والمعتقدات في تحليل نفسيّات الرجال والشخصيّات البارزة، مع كثرة الأحزاب والفرق و الأقوام والطوائف المتشاكسة، مع شقاق القوميّة و الطائفيّة والشعوبيّة الذايع الشايع في المسكين ابن آدم من أوّل يومه.

(١) مثل يضرب لمن يظهر امرا ويريد غيره - تاج العروس ١ ص ١٥٣.
(٢) راجع الاحزاب: ٧٢.
(٣) سورة الملك آية ١٤.
(٤) سورة القصص آية ٦٧.
(٥) سيرة ابن هشام ٢ ص ٣٢، الروض الانف ١ ص ٢٦٤، بهجة المحافل لعماد الدين العامري ١: ١٢٨، السيرة الحلبية ٢ ص ٣، سيرة زيني دحلان ١ ص ٣٠٢ هامش الحلبية، حياة محمد لهيكل ص ١٥٢.

و قد اقترن الإنتخاب من بدء بدءه بالتحارش و التلاكم و التكالم و التشازر و التصاخب والتخاصم حتى قدّت برودٌ يمانيّة[1] ووقع البرح براحاً[2] وكم بالإنتخاب هتكت حرمات؟ و أُهينت مقدّسات، و أُضيعت حقايق، و دُحض الحقّ الثابت، و دُحس الصالح العالم، واختلّ الوئام، و أُقلق السّلام، وسُفحت دماءٌ زكيّة، و تشلشلت اشلاء الإسلام الصحيح، فجاء يطامع في الأمر من لاخلاق له من سوقيٍ بُرديّ، أومبرطش ألهاه الصفق بالأسواق، أوبزّاز يحمل بني أبيه على رقاب الناس، أو حفّار قبور لايعرف عرضه من طوله، أو طليق غاشم، أو خمّار سكّير، أو مستهتر مشاغب، من الّذين اتّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً، ودين الله حولاً.

ومقتضى هذا البيان الضافي أن يكون الخليفة أفضل الخليقة أجمع في أُمّته لأنّه لوكان في وقته من يماثله في الفضيلة أو من ينيف عليه إستلزم تعيينه الترجيح بلا مرجح أو التطفيف في كفّة الرجحان.

على انّ الامام لوقصر في شيء من تلك الصفات لأمكن حصول حاجته إلى المورد الذي نبا عنه علمه، أو تضائلت عنه بصيرته، أو ضعفت عنه مُنّته، فعندئذ الطامّة الكبرى من الفتيا المجرّدة، والرأي لا عن دليل، أو الأخذ عمّن يسدّده، وفي الأوّل العيث و الفشل، وفي الثاني سقوط المكانة، وقد أُخذ في الإمام مثل النبيّ أن يكون بحيث يُطاع، وما أرسلنا من رسول إلّا ليطاع بإذن الله[3] وقرنت طاعة الإمام بطاعة الله ورسوله في قوله تعالى: أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم[4] وذلك ليمكنه إقامة الحدود الآلهيّة، ودحض الأباطيل، وربما تسرّبت الشبهة عن جهله إلى نفس الدعوة و حقيقة الدين إن كان عميده الداعي اليه يقصر عن الدفاع عنه و إزاحة الشكوك المتوجّهة إليه.

فكلّ هذا يستدعي كماله في الصفات الكماليّة كلّها فيفضل على الأُمّة جمعاء،

---

(١) مثل يضرب في شدة الخصومة، اى تخاصموا حتى تشاقوا الثياب الغالية.

(٢) البرح: الشدة والاذى والشر، والبراح: الصراح البين.

(٣) سورة النساء. آية: ٦٤.

(٤) سورة النساء آية ٥٩.

قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون [١] قل هل يستوي الأعمى و البصير ، أم هل تستوي الظلمات والنور [٢] أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون [٣] .

الخلافة عند القوم

نعم الخلافة التي تقول بها الجماعة لا تستدعي كلّ ماذكرنا فإنّهم يحسبون الخليفة أيّ مستحوذ على الأمّة يقطع السارق ، ويقتصّ القاتل ، ويكلأ الثغور ، ويحفظ الأمن العام إلى مايشبه هذه ، و لا يخلع بفسق ، و لا ينتقد بفاحشة مبيّنة ، ولا يعاب بجهل ، ولا يؤاخذ بعثرة ، ولا يشترط فيه أيّ من الملكات الكريمة ، وله العتبى في كلّ ذلك ، وليس عليه من عتب .

كلمة الباقلاني

قال الباقلاني في التمهيد ص ١٨١ : باب الكلام في صفة الإمام الذي يلزم العقد له. فإن قال قائل : فخبرونا ماصفة الامام المعقود له عندكم ؟ قيل لهم : يجب أن يكون على أوصاف : منها أن يكون قرشيّاً من الصميم ، ومنها : أن يكون من العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين ، ومنها : أن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب ، و تدبير الجيوش والسرايا ، وسدّ الثغور ، وحماية البيضة ، وحفظ الأمّة ، والانتقام من ظالمها ، والأخذ لمظلومها ، وما يتعلّق به من مصالحها.

و منها : أن يكون ممّن لا تلحقه رقّة ولا هوادة في إقامة الحدود و لا جزع لضرب الرقاب والأبشار .

ومنها : أن يكون من أمثلهم في العلم وسائر هذه الأبواب التي يمكن التفاضل فيها ، إلّا أن يمنع عارض من إقامة الأفضل فيسوغ نصب المفضول ، وليس من صفاته أن يكون معصوماً ، ولا عالماً بالغيب ، ولا أفرس الأمّة و أشجعهم ، ولا أن يكون من بني هاشم فقط دون غيرهم من قبائل قريش .

وقال في صفحة ١٨٥ : فإن قالوا : فهل تحتاج الأمّة إلى علم الإمام وبيان شيء

---

(١) سورة الزمر آية ٩ .　　(٢) سورة الرعد آية ١٦ .
(٣) سورة يونس آية ١٣٥ .

خُصَّ به دونهم، وكشف ما ذهب علمه عنهم ؟ قيل لهم : لا ؛ لأنَّه هو و هُم في علم الشريعة وحكمها سيَّان. فإن قالوا : فلما ذا يُقام الإمام ؟ قيل لهم : لأجل ماذكرناه من قبل من تدبير الجيوش، و سدِّ الثغور، وردع الظالم، والأخذ للمظلوم، و إقامة الحدود، وقسم الفيء بين المسلمين والدفع بهم في حجِّهم و غزوهم، فهذا الذي يليه و يُقام لأجله، فإن غلط في شيء منه، أو عدل به عن موضعه كانت الأُمَّة من ورائه لتقويمه والأخذله بواجبه.

وقال في ص١٨٦ : قال الجمهور من أهل الاثبات و أصحاب الحديث : لاينخلع الامام «بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرَّمة، و تضييع الحقوق، وتعطيل الحدود» ولايجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه و ترك طاعته في شيء ممَّا يدعو إليه من معاصي الله، واحتجّوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبيِّ ﷺ وعن الصَّحابة في وجوب طاعة الأئمَّة وإن جاروا واستأثروا بالأموال، وأنَّه قال ﷺ : إسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع، ولولعبدحبشيٍّ، وصلّوا وراء كلِّ برٍّ وفاجر. وروى انَّه قال : أطعهم وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهرك، وأطيعوهم ما أقاموا الصَّلاة. في أخبار كثيرة وردت في هذا الباب وقد ذكرناما في هذا الباب في كتاب «إكفار المتأوِّلين» وذكرناما روي في معارضتها وقلنا في تأويلها بمايغني الناظر فيه إن شاء الله.

وقال في ١٨٦ : وليس ممَّا يوجب خلع الامام حدوث فضل في غيره و يصير به أفضل منه، وإن كان لوحصل مفضولاً عند ابتداء العقد لوجب العدول عنه إلى الفاضل، لأنَّ تزايد الفضل في غيره ليس بحدث منه في الدين، ولا في نفسه يوجب خلعه، و مثل هذا ما حكيناه عن أصحابنا أنَّ حدوث الفسق في الإمام بعد العقد له لا يوجب خلعه، وإن كان مالو حدث فيه عند ابتداء العقد لبطل العقد له ووجب العدول.

قال الأميني : و ممَّا او عز إليه الباقلاني من الأخبار الكثيرة الدالَّة على وجوب طاعة الأئمَّة و إن جاروا و استأثروا بالأموال، ولا ينعزل الإمام بالفسق مايلي.

١ - عن حذيفة بن اليمان قال : قلت يا رسول الله ! إنَّا كنَّا بشرٍّ فجاءالله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرٌّ ؟ قال : نعم. قلت : و هل وراء هذا الشرِّ

خيرٌ ؟ قال نعم . قلت : فهل وراء ذلك الخير شرٌ ؟ قال : نعم . قلت : كيف يكون ؟ قال : يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي ، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس . قلت : كيف أصنع يا رسول الله ! إن أدركت ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع .

صحيح مسلم ٢ ص ١١٩ ، سنن البيهقي ٨ : ١٥٧ .

٢ ـ عن عوف بن مالك الأشجعي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم ، وشرار أئمّتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، و تلعنونهم و يلعنونكم ، قال : قلنا : يا رسول الله ! أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصّلاة ، ألا ومن ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا تنزعنّ يداً من طاعة .

صحيح مسلم ٢ ص ١٢٢ ، سنن البيهقي ٨ : ١٥٩ .

٣ ـ سأل سلمة بن يزيد الجعفي النبيّ ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن قامت علينا أمراء يسألونا حقّهم ويمنعونا حقّنا فما تأمرنا ؟ قال : فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثمّ سأله فقال : إسمعوا وأطيعوا فانّما عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حمّلتم .

صحيح مسلم ٢ ص ١١٩ ، سنن البيهقي ٨ : ١٥٨ .

٤ ـ عن المقدام : انّ رسول الله ﷺ قال : أطيعوا أمراءكم ما كان ، فإن أمروكم بما حدّثتكم به ؟ فانّهم يؤجرون عليه و تؤجرون بطاعتكم ، و إن أمروكم بشيءٍ ممّا لم آمركم به فهو عليهم و أنتم منه برءاء ، ذلك بأنّكم إذا لقيتم الله قلتم : ربّنا لا ظلم . فيقول : لا ظلم . فيقولون : ربّنا أرسلتَ إلينا رسلاً فأطعناهم باذنكَ . وَ استخلفتَ علينا خلفاء [1] فأطعناهم باذنكَ . وَ أمّرتَ علينا أمراء فأطعناهم . قال : فيقول : صدقتم هو عليهم وأنتم منه برءاء . سنن البيهقي ٨ ص ١٥٩

٥ ـ عن سويد بن غفله قال : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أبا أميّة لعلّك أن تخلف بعدي ، فأطع الامام وان كان عبداً حبشيّاً ، إن ضربك فاصبر ، و إن

(١) هذا افتراء على الله ، ان الله قطّ لم يستخلف ولم يأمر على الامّة اولئك الخلفاء والامراء وانما هم خيرة امّتهم ، والشكر والعتب عليها مهما صلحوا أو جاروا .

أمرك بأمر فاصبر ، وإن حرمك فاصبر ، وإن ظلمك فاصبر ، وإن أمرك بأمر ينقص دينك فقل : سمع وطاعة ، دمي دون ديني .(١)

و أخذاً بهذه الأحاديث قال الجمهور بعدم عزل الإمام بالفسق قال النووي في شرح مسلم هامش إرشاد الساري ٨ : ٣٦ في ذيل هذه الأحاديث المذكورة عن صحيح مسلم : و معنى الحديث : لا تنازعوا و لاة الأمور في ولايتهم ، و لا تعترضوا عليهم إلّا أن تروا منهم منكراً مُحقّقاً تعلمونه من قواعد اسلام ، فاذا رأيتم ذلك فانكروه عليهم ، وقولوا بالحقّ حيثما كنتم ، وأمّا الخروج عليهم وقتالهم فحرامٌ باجماع المسلمين وإن كانوا فسقةً ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ماذكرته ، وأجمع أهل السنّة أنّه لا ينعزل السلطان بالفسق ـ إلى أن قال : فلو طرأ على الخليفة فسقٌ قال بعضهم : يجب خلعه إلّا أن تترتّب عليه فتنةٌ وحربٌ ، وقال جماهير أهل السنّة من الفقهاء والمحدّثين والمتكلّمين : لا ينعزل بالفسق والظلم و تعطيل الحقوق ، ولا يخلع ، ولا يجوز الخروج عليه بذلك ، بل يجب وعظه و تخويفه .

قال الأميني : فما عذر عائشة و طلحة والزبير و من تبعهم من الناكثين والمارقين في الخروج على مولانا أمير المؤمنين ؟ هبه صلوات الله عليه آوى قتلة عثمان ، و عطّل الحدود « معاذالله » فأين العمل بهذه الأحاديث التي أخذتها الأُمّة المسكينة سنّة ثابتة مشروعة ؟ أنا لا أدري .

كلمة التفتازاني

وقال التفتازاني في شرح المقاصد ٢ : ٢٧١ : ولا يشترط أن يكون « الامام » هاشميّاً و لا معصوماً و لا أفضل مَن يُولّى عليهم .

و قال في ص ٢٧٢ : إذا مات الإمام وتصدّى للامامة مَن يستجمع شرائطها من غير بيعة و استخلاف و قهر الناس بشوكة انعقدت له الخلافة له ، و كذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر إلّا أنّه يُعصى فيما فعل و يجب طاعة الإمام ما لم يخالف حكم الشرع سواء كان عادلاً أو جائراً .

---

(١) سنن البيهقي ٨ : ١٥٩ .

كلمة القاضي الايجي (١)

قال في المواقف : الجمهور على أنّ أهل الإمامة مجتهدٌ في الاصول و الفروع ليقوم بامورالدين ، ذورأي ليقوم بامور الملك ، شجاع ليقوى على الذبّ عن الحوزة وقيل : لايشترط هذه الصفات لأنّها لاتوجد فيكون اشتراطها عبثاً أو تكليفاً بمالايطاق و مستلزماً للمفاسد التي يمكن دفعها بنصب فاقدها .

نعم : يجب أن يكون عدلاً لئلا يجور . عاقلاً ليصلح للتصرفات . بالغاً لقصور عقل الصبيّ . ذكراً إذ النساء ناقصات عقل ودين . حرّاً لئلاّ يشغله خدمة السيّد ، ولئلاّ يُحتقر فيعصي ، فهذه الصفات مشروطٌ بالإجماع .

وهاهنا صفاتٌ في اشتراطها خلافٌ ، الأولى : أن يكون قرشيّاً . الثانية : أن يكون هاشميّاً ، شرطه الشيعة . الثالثة : أن يكون عالماً بجميع مسائل الدين، و قد شرطه الإماميّة . الرابعة : ظهورالمعجزة على يده إذ به يعلم صدقه في دعوى الامامة، والعصمة و به قال الغلاة . و يبطل الثلاثة : انّا ندلّ على خلافة أبي بكر ولا يجب له شيءٌ ممّا ذكر [٢] الخامسة : أن يكون معصوماً اشترطه الإماميّة و الاسماعيليّة ، و يبطله : انّ أبا بكر لا يجب عصمته اتّفاقاً [٣] .

كلمة أبي الثناء

قال في مطالع الأنظار ص ٤٧٠ : صفات الأئمّة هي تسع . الأولى : أن يكون الإمام مجتهداً في أصول الدين و فروعه . الثانية أن يكون ذا رأي و تدبير ، يدير الوقايع ، أمرالحرب والسلم و ساير الاموراالسياسيّة . الثالثة : أن يكون شجاعاً قويّ القلب لا يجبن عن القيام بالحرب ، ولا يضعف قلبه عن إقامة الحدّ ولا يتهوّر بالقاء النفوس في التهلكة . و جمعٌ تساهلوا في الصفات الثلث و قالوا : إذا لم يكن الإمام متّصفاً بالصفات الثلاث ينيب من كان موصوفاً بها .

---

(١) امام الشافعية القاضى عبدالرحمن الايجى المتوفى ٧٥٦ .

(٢) دليل يضحك الثكلى لانه لا يعدوه أن يكون مصادرة بالمطلوب ، و أخذ المدّعى دليلا .

(٣) اقرأ واضحك أو اعطفه على ما قبله .

(٤) شمس الدين بن محمود الاصبهانى المتوفى ٧٤٩ .

الرابعة : أن يكون الامام عدلاً لأنّه متصرّف في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم فلولم يكن عدلاً لايؤمن تعدّيه . إلخ .

الخامسة : العقل . السادسة . البلوغ . السابعة : الذكورة . الثامنة : الحريّة . التاسعة : أن يكون قرشيّاً .

ولايشترط فيه العصمة خلافاً للاسماعيليّة والاثنا عشريّة . لنا إمامة أبي بكر [١] والأُمّة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة ، لاأقول إنّه غير معصوم .

ما تنعقد به الامامة

قال القاضي عضد الايجي في المواقف : المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة : إنّها تثبت بالنص من الرّسول ، ومن الامام السابق بالاجماع ، وتثبت ببيعة أهل الحلّ والعقد خلافاً للشيعة : لنا ثبوت إمامة أبي بكر رضي الله عنه بالبيعة [٢] .

وقال : إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة ، فاعلم أنّ ذلك لا يفتقر إلى الاجماع [٣] إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع بل الواحد والاثنان من أهل الحلّ والعقد كاف لعلمنا أنّ الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر ، وعقد عبدالرّحمن بن عوف لعثمان ، و لم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن اجماع الأُمّة . هذا ولم ينكر عليهم أحد ، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا .

وقال بعض الأصحاب : يجب كون ذلك بمشهد بيّنة عادلة كفّاً للخصام في إدّعاء من يزعم عقد الإمامة له سرّاً قبل من عقد له جهراً ، وهذا من المسائل الاجتهاديّة .

ثمّ إذا اتّفق التعدد تفحص عن المتقدّم فأُمضي ، ولوأصرّ الآخر فهو من البغاة ، ولايجوز العقد لإمامين في صقع متضايق الأقطار ، أمّا في متّسعها بحيث لايسع الواحد تدبيره فهو محل الإجتهاد .

انتهى ملخّص المواقف وقد أقرّه شرّاحه وهم : السيد الشريف الجرجاني ، والمولى حسن چلبي ، والشيخ مسعود الشيرواني راجع شرح المواقف ٣ : ٢٦٥ - ٧ .

---

(١) ما اتقنها من برهنة ويا للعجب .

(٢) انظر الى هذا القول الذى تشابهوا فى النسج عليه .

(٣) قال السيد الشريف الجرجانى : يعنى من جميع اهل الحلّ والعقد .

كلمة الماوردى

و قال الماوردي في الأحكام السلطانيّة ص٤ : اختلفت العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتّى فقالت طائفة : لاتنعقد إلّا بجمهور أهل العقد والحلّ من كلّ بلد ليكون الرضاء به عامّاً ، والتسليم لإمامته اجماعاً ، و هذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر رضي الله عنه على الخلافة باختيار من حضرها و لم ينتظر ببيعة قدوم غائب عنها .

و قالت طائفة أخرى : أقلّ من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضى الأربعة استدلالاً بأمرين : أحدهما : أنّ بيعة أبي بكر رضي الله عنه إنعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثمّ تابعهم الناس فيها ، وهم عمر بن الخطاب . و أبو عبيدة ابن الجراح . وأسيد بن حضير . و بشر بن سعد . و سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم . الثاني : انّ عمر رضي الله عنه جعل الشورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضى الخمسة و هذا قول أكثر الفقهاء والمتكلّمين من أهل البصرة .

وقال آخرون من علماء الكوفة : تنعقد بثلاثة يتولّاها أحدهم برضى الاثنين ليكونوا حاكماً و شاهدين كما يصحّ عقد النكاح بوليّ و شاهدين .

وقالت طائفة أخرى : تنعقد بواحد لأنّ العبّاس قال لعليّ رضي الله عنهما : امدد يدك أبايعك فيقول الناس : عمّ رسول الله بايع ابن عمّه فلا يختلف عليك إثنان . ولأنّه حكمٌ وحكم الواحد نافذٌ . اهـ .

م كلمة الجوينى

قال إمام الحرمين الجويني المتوفى ٤٧٨ في «الارشاد» ص ٤٢٤ : باب في الإختيار وصفته وذكر ما تنعقد الإمامة به .

إعلموا أنّه لايشترط في عقد الإمامة الإجماع ، بل تنعقد الامامة وإن لم تجمع الأمّة على عقدها ، والدليل عليه أنّ الإمامة لمّا عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين ، و لم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار ، و لم ينكر عليه منكر ، ولم يحمله على التريّث حامل ، فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة ، لم يثبت عددٌ معدود ، ولا حدٌّ محدود ، فالوجه الحكم بأنّ الإمامة تنعقد

بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد .

ثمّ قال بعض أصحابنا : لابدّ من جريان العقد بمشهد من الشهود ، فإنّه لو لم يشترط ذلك لم نأمن أن يدّعي مدّع عقداً سرّاً متقدّماً على الحقّ المظهر المعلن . و ليست الإمامة أحطّ رتبة من النكاح ، وقدشرط فيه الاعلان ، ولايبلغ القطع ، إذليس يشهد له عقل ، ولايدلّ عليه قاطعٌ سمعيٌّ ، وسبيله سبيل سائر المجتهدات . اه

وقال الامام ابن العربي المالكي في شرح صحيح الترمذي ١٣ ص ٢٢٩ : لايلزم في عقد البيعة للامام أن تكون من جميع الأنام بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد على الخلاف المعلوم فيه .

كلمة القرطبي

وقال القرطبي في تفسيره ١ص٢٣٠ : فإن عقدها واحدٌ من أهل الحلّ و العقد فذلك ثابت ويلزم الغير فعله خلافاً لبعض الناس حيث قال : لاتنعقد إلّابجماعة من اهل الحلّ والعقد ، ودليلنا أنّ عمر رضي الله عنه عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك[١] ولأنّه عقدفوجب ألّا يفتقر إلىعدد يعقدونه كسائر العقود ، قالالإمام أبو المعالي : من انعقدت له الامامة بعقد واحد فقدلزمت ، ولايجوزخلعه من غيرحدث وتغير أمر ، قال : وهذا مجمعٌ عليه . ا ه] .

قال الأميني : فما المبرّر عندئذ لتخلّف عبدالله بن عمر . وأسامة بن زيد . وسعد ابن أبي وقاص . وأبي موسى الأشعري . وأبي مسعود الأنصاري . وحسّان بن ثابت . والمغيرة بن شعبة . ومحمّدبن مسلمة وبعض آخر من ولاة عثمان على الصدقات و غيرها عن بيعة مولانا أميرالمؤمنين بعد أجماع الأمّة عليها ؟ وماعذر تأخّرهم عن طاعته في حروبه ، وقدعُرفوابين الصحابة وسمّوا المعتزلة لاعتزالهم بيعة عليّ ؟ [٢] .

(١) كأنّ بنى هاشم كلهم ، والانصار باجمعهم الارجلين ، والزبيروعمار وسلمان ومقداداً وأباذر وآخرين كثيرين منالمهاجرين المتخلفين عن بيعة ابى بكرالمنكرين اياهاكمافصلفى محله لم يكونوا من الصحابة عند القرطبى والا فلايجوزللمفسرأن يكذب وهو يعلم أن التاريخ الصحيح سيكشف السترعن دجله .

(٢) المستدرك للحاكم ٣ : ١١٥ ، تأريخ الطبرى ٥ : ١٥٥ ، الكامل لابن الاثير ٣: ٨٠ ، تأريخ ابي الفدا ج ١:١١٥ ، ١٧١ .

رأي الخليفة الثاني

في الخلافة و أقواله فيها

عن عبد الرحمن بن أبزي قال : قال عمر : هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحدٌ ، ثمّ في أهل اُحد مابقي منهم أحدٌ ، و في كذا و كذا ، و ليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولالمسلمة الفتح شيءٌ [طبقات ابن سعد ٣ : ٢٤٨] وفي كلمة له ذكرها ابن حجر في الإصابة ٢ : ٣٠٥ : إنّ هذا الأمر لايصلح للطلقاء ولالأبناء الطلقاء.

و قال : لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبي حذيفة ، وأبي عبيدة الجراح . ولو كان سالم حيّاً ما جعلتها شورى [1].

و قال لمّا طعن : إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق الأجلح المستقيم : يعني عليّاً . فقال له ابن عمر : ما يمنعك أن تقدّم عليّاً ؟ قال : أكره أن أحملها حيّاً وميتاً .

[الأنساب للبلاذري ٥ : ١٦ ، الإستيعاب لأبي عمر ٢ : ٤١٩]

و قال : لو ولّيتها عثمان لحمل آل أبي معيط على رقاب الناس ، والله لو فعلت لفعل ، ولو فعل لأوشكوا أن يسيروا إليه حتّى يجزّوا رأسه . فقالوا : عليٌّ ؟ قال : رجل قُعدد [2] قالوا : طلحة ؟ قال : ذاك رجلٌ فيه بأو [3] قالوا : الزبير ؟ قال . ليس هناك . قالوا : سعد ؟ قال : صاحب فرس و قوس . فقالوا : عبدالرّحمن بن عوف ؟ قال : ذاك فيه إمساكٌ شديدٌ ، و لا يصلح لهذا الأمر إلّا معط في غـير سرف ، و ممسك في غير تقتير .

أخرجه القاضي أبو يوسف الأنصاري المتوفّى ١٨٢ في كتابه « الآثار » نقلاً عن شيخه إمام الحنفيّة أبي حنيفة .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٤٨ ، التمهيد للباقلانى ٢٠٤، الاستيعاب لابى عمر٢:٥٦١، طرح التثريب ١ : ٤٩ ، اسد الغابة ٢ : ٢٤٦ .

(٢) القعدد الجبان الخامل . كأنّ الخليفة نسى سوابق مولانا امير المؤمنين فى المغازى و الحروب و عزمه الماضى و بسالته المشهودة الى غير ها من صفاته الكمالية و تغافل عن ان الذى أقعده عن مناجزته بعدوفاة رسول الله صلى الله عليه و آله هو خوف الردّة من الناس بوقوع الفتنة لا حذاربارقة عمرو راعدته وشجاعته التى هو سلام الله عليه جدّ عليم بكمّها وكيفها ، نعم : الجوّ الخالى يبعث الانسان على أن يقول هكذا .

(٣) البأو : الكبر والتعظيم فيه .

هذه الكلمات و مايتلوها سلسلة بلاء تشذّ عن الحقّ والمنطق غير أنّا نمرّ بها كراما .

و عن ابن عبّاس قال : قال عمر : لا أدري ما أصنع بأُمّة محمّد ؛ وذلك قبل أن يُطعن ، فقلت : ولِم تهتمّ و أنت تجد من تستخلفه عليهم ؟ قال : أصاحبكم ؟ يعني عليّاً قلت : نعم ، هوأهل لها في قرابته برسول الله ﷺ وصهره و سابقته و بلائه . فقال عمر إنّ فيه بطالةً و فكاهةً . قلت : فأين أنت عن طلحة ؟ قال : أين الزهو والنخوة ؟ قلت عبد الرّحمن بن عوف ؟ قال : هو رجلٌ صالحٌ على ضعف . قلت : فسعد ؟ قال : ذاك صاحب مقنب و قتال ، لا يقوم بقرية لو حمّل أمرها . قلت: فالزبير ؟ قال :لقيسٌ مؤمن الرضى كافر الغضب شحيح . إنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا لقويّ في غير عنف ، رفيق في غير ضعف ، جواد في غير سرف . قلت : فأين عن عثمان ؟ قال : لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه .

ذكره البلاذري في الأنساب ٥ : ١٦ ، و في لفظ آخر له ص ١٧ : قيل : طلحة ؟ قال : أنفه في السّماء و إسته في الماء .

نظرة في الخلافة التي جاء بها القوم

قال الأميني : هذاماجاء به القوم من الخلافة الاسلاميّة والإمامة العامّة فهي عندهم ليست إلّا رياسة عامّة لتدبير الجيوش ، وسدّ الثغور ، وردع الظالم ، والأخذ للمظلوم ، وإقامة الحدود ، وقسم الفيء بين المسلمين ، والدفع بهم في حجّهم وغزوهم ، ولايشترط فيها نبوغ في العلم زايداً على علم الرعيّة ، بل هو والأُمّة في علم الشريعة سيّان ، و يكفي له من العلم ما يكون عند القضاة ، و هؤلاء القضاة بين يديك و أنت جدّ عليم بعلمهم و يسعك إمعان النظر فيه من كثب ، ولا ينخلع الإمام بفسقه و ظلمه و جوره و فجوره ، و يجب على الأُمّة طاعته على كلّ حال برّاً كان أوفاجراً ، ولا يسوغ لأحد مخالفته ولا القيام عليه والتنازع في أمره .

فعلى هذا الأساس كان يزحزح خلفاء الانتخاب الدستوري في القضاء و الإفتاء عن حكم الكتاب والسنّة ولم يكن هناك أيّ وازع ، ولم يكن يوجد قطّ أحدٌ يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر ، خوفاً ممّا افتعلته يد السياسة ؛ وجعلت به على الأفواه

أو كية ، من حديث عرفجة مرفوعاً : ستكون هنات ؛ فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأُمّة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان (١) .

ورواية عبدالله مرفوعاً : ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قالوا : يارسول الله ! كيف تأمر من أدرك منّا ذلك ؟ قال : تؤدّون الحقّ الذي عليكم ، و تسألون الله الذي لكم . « صحيح مسلم ٢ ص ١١٨»

وعلى هذا الأساس تمكّن معاوية بن أبي سفيان من أن يجلس بالكوفة للبيعة و يبايعه الناس على البراءة من عليّ بن أبي طالب . «البيان والتبيين ٢ : ٨٥»

وعلى هذا الأساس أقرّ عبدالله بن عمر بيعة يزيد الخمور ، قال نافع : لمّا خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه و مواليه . وفي رواية سليمان : حشمه و ولده وقال : إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : ينصب لكلّ غادر لواء يوم القيامة . زاد الزهراني : قال : وإنّا قد بايعنا هذا الرّجل على بيعة الله ورسوله ، وإنّي لا أعلم غدراً أعظم من أن تبايع رجلاً على بيعة الله ورسوله ثمّ تنصب له القتال ، و إنّي لا أعلم أحداً منكم خلع ولا بايع في هذا الأمر إلّا كانت الفيصل فيما بيني و بينه .

وفي لفظ : انّ عبدالله بن عمر جمع أهل بيته حين انتزى أهل المدينة مع عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ، وخلعوا يزيد بن معاوية ، فقال : إنّا بايعنا هذا الرّجل على بيعة الله ورسوله ، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّ الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غدرة فلان ، وإنّ من أعظم الغدر بعد الإشراك بالله أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ، ثمّ ينكث بيعته ، ولا يخلعن أحدٌ منكم يزيد ، ولا يشرفن أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون صيلماً بيني وبينه (٢) .

وعلى هذا الأساس جاء عن حميد بن عبدالرحمن إنّه قال : دخلت على يسير الأنصاري (الصحابيّ) حين استخلف يزيد بن معاوية فقال : إنّهم يقولون : إنّ يزيد ليس بخير أُمّة محمّد ﷺ ، وأنا أقول ذلك ولكن لإن يجمع الله أمر أُمّة محمّد ﷺ أحبّ إليّ من أن يفترق ، قال النبيّ ﷺ :لا يأتيك في الجماعة إلّا الخير (٣) .

(١) صحيح مسلم ٢ ص ١٢١ ، سنن ابي داود ٢ : ٢٨٣ .
(٢) صحيح البخاري ١٠ : ١٦٦ ، سنن البيهقي ٨ : ١٥٩ ، ١٦٠ ، مسند احمد ٢ : ٩٦ .
(٣) الاستيعاب ٢ ص ٦٣٥ ، أسد الغابة ٥ : ١٢٦ .

وعلى هذا الأساس تكلّمت عائشة فيما رواه الأسود بن يزيد قال: قلت لعائشة: ألا تعجبين من رجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمّد في الخلافة؟ قالت: و ما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتيه البرّ والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة[1]

وعلى هذا الأساس يوجّه قول مروان بن الحكم، قال: ماكان أحدٌ أدفع عن عثمان من عليّ، فقيل له: ما لكم تسبّونه على المنابر؟ قال: إنّه لايستقيم لنا الأمر إلّا بذلك[2].

وعلى هذا الأساس صحّ قتل معاوية عبدالرّحمن بن خالد لمّا أراد البيعة ليزيد، إنّه خطب أهل الشام وقال لهم: يا أهل الشام إنّه قد كبرت سنّي، و قرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم، إنّما أنا رجلٌ منكم فروا رأيكم فأصفقوا واجتمعوا وقالوا: رضينا عبدالرّحمن بن خالد[3] فشقّ ذلك على معاوية و أسرّها في نفسه، ثمّ إنّ عبدالرّحمن مرض فأمر معاوية طبيباً عنده يهوديّاً وكان عنده مكيناً أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات، ثمّ دخل أخوه المهاجر ابن خالد دمشق مستخفياً هو وغلامٌ له فرصدا ذلك اليهودي فخرج ليلاً من عند معاوية فهجم عليه و معه قومٌ هربوا عنه فقتله المهاجر.

ذكره أبو عمر في الاستيعاب ٢ : ٤٠٨ فقال: وقصّته هذه مشهورةٌ عند أهل السير والعلم بالآثار والأخبار اختصرناها، ذكرها عمر بن شبه في أخبار المدينة وذكرها غيره. اهـ. وذكرها ابن الأثير في اُسد الغابة ٣ : ٢٨٩.

وعلى هذا الأساس يتمّ اعتذار شمر بن ذي الجوشن قاتل الإمام السبط فيما رواه أبو اسحاق، قال: كان شمر بن ذي الجوشن يصلّي معنا ثمّ يقول: أللّهم إنّك شريفٌ تحبّ الشرف و إنّك تعلم أنّي شريفٌ فاغفرلي. قلت: كيف يغفر الله لك و قد أعنت على قتل ابن رسول الله ﷺ؟ قال: و يحك فكيف نصنع؟ إنّ اُمراءنا هؤلاء

(١) اخرجه ابن ابى حاتم كما فى الدر المنثور ٦ : ١٩ .

(٢) الصواعق المحرقة ص٣٣ .

(٣) صحابى من فرسان قريش له هدى حسن وفضل وكرم الا انه كان منحرفاً عن على و بنى هاشم . اسد الغابة ٣ : ٢٨٩ .

أمرونا بأمر فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنّا شرّاً من هذه الحمر الشقاة [١].

وفي لفظ: أللهمّ اغفرلي فإنّي كريم لم تلدني اللئام. فقلت له: إنّك لسيّىء الرأي والفكر تسارع إلى قتل ابن بنت رسول الله ﷺ وتدعو بهذا الدعاء، فقال: إليك عنّي فلو كنّا كما تقول أنت وأصحابك لكنّا شرّاً من الحمر في الشعاب.

وعلى هذا الأساس جرى ما جرى على أبي بكر الطائي وأصحابه. قال سليمان ابن ربوة: اجتمعت أنا وعشرة من المشايخ في جامع دمشق فيهم أبوبكر بن أحمد بن سعيد الطائي فقرأنا فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فوثب علينا قريب من مائة يضربونا ويسحبونا إلى الوالي فقال لهم أبوبكر الطائي: يا سادة اسمعوا لنا إنّما قرأنا اليوم فضائل عليّ وغداً نقرأ فضائل أميرالمؤمنين معاوية رضي الله عنه وقد حضرتني أبيات فإن رأيتم أن تسمعوها؟ فقالوا له: هات. فأنشأ بديهاً:

حبُّ عليٍّ كلّه ضربُ ✡ يرجف من خيفته القلبُ
ومذهبي حبُّ إمام الهدى ✡ يزيد والدين هو النّصبُ
من غير هذا قال فهو امرؤ ✡ ليس له عقلٌ ولا لبُّ
والناس مَن يغدُ لأهوائهم ✡ يسلم وإلّا فالقضا نهبُ

قالوا: فخلّوا عنّا. «تمام المتون للصفدي ص١٨٨»

وعلى هذا الأساس هتكت حرمات آل الله، واُضيعت مقدّسات العترة الهادية، وسفكت دماء الأبرياء الأزكياء من شيعة أهل البيت الطاهر، وشاع وذاع لعن سيّد العترة نفس النبيّ الأقدس، والمطهّر بلسان الله، على صهوات المنابر، واتّخذه خلفاء بني اُميّة سنّة متّبعة في أرجاء العالم الاسلامي، حتّى وبّخ معاوية سعد بن أبي وقاص لسكوته عن سبّ أبي السبطين مولانا أميرالمؤمنين [٢] حتّى تمكّن عبدالله بن الوليد ابن عثمان بن عفّان من أن قام إلى هشام بن عبد الملك عشيّة عرفة وهو على المنبر فقال: يا أميرالمؤمنين؛ إنّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحبّ فيه لعن أبي تراب [٣].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٣٨، ميزان الاعتدال للذهبي ١ : ٤٤٩.

(٢) راجع الجزء الثالث ص ٢٠٠ ط٢

(٣) رسائل الجاحظ ص ٩٢، انساب البلاذري ٥ : ١١٦.

و قال سعيد بن عبدالله لهشام بن عبدالملك : ياأمير المؤمنين ! إنَّ أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون أبا تراب فالعنه أنت ايضاً[1].

وعلى هذا الأساس من معنى الخلافة لاعسف ولاحزازة في رأي الخليفة الأوَّل ومن حذا حذوه من صحَّة اختيار المفضول على الفاضل ، وتقديم المتأخّر على المتقدّم باعذار مفتعلة ، وأوهام مختلقة ، ومرجّحات واهية ، و سياسة و قتيّة ، إذ الأمر الذي لايشترط في صاحبه شيءٌ من القداسة الروحيّة ، والملكات الفاضلة ، والخلايق الكريمة ، والنفسيّات الشريفة ، ومعالم ومعارف ، ومدارج ومراتب ، ولا يؤاخذ هو بما فعل ، و لا يخلع بتعطيل الأحكام ، وترك إقامة الحدود ، ولا ينابذ ما دام يقيم في امّته الصّلاة كما سمعت تفصيل ذلك كلّه لا وازع عندئذ من أن يكون أمثال أبي عبيدة الجرّاح حفّار القبور حاملاً لهذا العبء الثقيل ، متحلّياً بأبراد الخلافة ، ولا مانع من تقديم الخليفة الأوَّل إيّاه أو صاحبه على نفسه في بدء الأمر ، ولا حاجز من اختيار أيّ مستأهل لتنفيذ ما ذكر ص ١٣٨ ممّا يقام له الإمام ولو بمعونة سما سرته وجلاوزته ومن يهمّه أمره ، بل من له الشدَّة والفظاظة والعنف والتهوُّر إلى أمثالها ربما يكون أولى من غيره مهما اقتضته السياسة الوقتيّة .

واتّبع الأكثرون الخليفة في تقديم المفضول على الفاضل ، قال القاضي في المواقف : جوَّز الاكثرون إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، إذ لعلّه أصلح للامامة من الفاضل ، إذ المعتبر في ولاية كلّ أمر معرفة مصالحه ومفاسده ، وقوَّة القيام بلوازمه ، وربَّ مفضول في علمه وعمله هو بالزعامة أعرف ، و شرائطها أقوم ، وفصّل قوم فقالوا : نصب الأفضل إن أثار فتنة لم يجب وإلّا وجب . وقال الشريف الجرجاني: كما إذا فرض أنَّ العسكر والرعاية لا ينقادون للفاضل بل للمفضول . « شرح المواقف ٣ . ٢٧٩ »

قال الأميني: إنّا لانريد بالأفضل إلّا الجامع لجميع صفات الكمال التي يمكن اجتماعها في البشر لاالأفضليّة في صفة دون اخرى ، فيكون حينئذ الأفقه مثلاً هو الأبصر بشئون السياسة ، والأعرف بمصالح الامور ومفاسدها ، والأثبت في إدارة الصالح العامّ ، والأبسل في مواقف الحروب ، والأقضى في المحاكمات ، والأخشن في ذات الله ، والأرأف بضعفاء

(١) تاريخ ابن كثير ٩ : ٤٣٢ .

الأمّة، والأسمح على محاويج الملأ الديني، إلى أمثالها من الشرايط و الأوصاف، إذن فلا تصوير لما حسبوه من أنّ المفضول قد يكون أقدر و أعرف و أقوم. إلخ. وعلى المولى سبحانه أن لا يخلي الوقت عن انسان هو كما قلناه، بعد أن أثبتنا انّ تقييضه من اللطف الواجب عليه سبحانه، و هو عديل القرآن الكريم و لا يفترقا حتّى يردا على النبيّ الحوض.

وأمّا مَن لا ينقاد له مِن الجيش وغيره فهو كمن لا ينقاد لصاحب الرسالة، لا يزحزح بذلك صاحب الأمر عمّا قيّضه الله له مِن الولاية الكبرى، بل يجب على بقيّة الأمّة إخضاعهم كما أخضعوا أهل الردّة أو مَن حسبوه منهم، و أن يفوّقوا اليه سهم الجنّ كما فوّقوه إلى سعد بن عبادة أمير الخزرج.

ولم تكن للخليفة مندوحة عن رأيه في تقديم المفضول، وما كان إلّا تصحيحاً لخلافة نفسه، ولتقدّمه على من قدّسه المولى سبحانه في كتابه العزيز، ورآه نفس النبيّ الأقدس وقرن طاعته بطاعته، وولايته بولايته، وأكمل به الدين، وأتمّ به النعمة، وأمر نبيّه بالبلاغ وضمن له العصمة من الناس، وهتف هاتف الوحي بولايته وأولويّته بالمؤمنين من أنفسهم في محتشد رهيب بين مائة ألف أو يزيدون قائلاً: يا أيّها الناس! إنّ الله مولاي، و أنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، أللهمّ وال من والاه، وعاد مَن عاداه.

ولم تكن تخفى لأيّ أحد فضائل أبي السبطين وملكاته وروحيّاته، وطيب عنصره، وطهارة محتده، وقداسة مولده، وعظمة شأنه، وبُعد شأوه في حزمه وعزمه وسبقه في الإسلام، وتفانيه في ذات الله، وأفضليّته في العلم والفضائل كلّها.

نعم: على رأي الخليفة في تقديم المفضول على الفاضل وقع الانتخاب من أوّل يومه، فبويع أبو بكر بعقد رجلين ليس إلّا: عمر بن الخطاب وأبي عبيدة الحفّار ابن الجرّاح، وكان الأمر أمر نهار قضي ليلاً، مدبّراً بين اولئك الرجال مؤسّسي الانتخاب الدستوري، وما اتّبعهما يوم ذاك إلّا اُسيد بن حضير، و بشر بن سعد، ثمّ دَرْدَب النّاس لمّا عضّه الشفاف[1] واتّسع الخرق على الرّاقع، و ما اُدركت القويمة حتّى أكلتها

---

(١) مثل يضرب لمن يمتنع مما يراد منه ثم يذل و ينقاد.

الهويمة[١] وأصبح المصلح الهضيم يقول : دع الرجل واختياره[٢] وإنّ في الشرّ خياراً ، ولا يجتنى من الشوك العنب .

بويع أبو بكر ودبّ قمله[٣] وقسمت الوظايف الدينيّة من أوّل يومه بين ثلاث : له الإمامة ، وقال عمر : وإليّ القضاء . وقال أبو عبيدة : و إليّ الفيء . و قال عمر : فلقد كان يأتي عليّ الشهر ما يختصم إليّ فيه اثنان[٤] ولم يكن هناك من يزعم أو يفوه بأفضليّة أبي بكر و عمر من مولانا أمير المؤمنين ، هذا أبو بكر ينادي على صهوات المنابر : وليت ولست بخيركم ، ولي شيطان يعتريني . ويطلب من اُمّته العون له على نفسه و إقامة أمته وعوجه[٥] .

وهذا عمر بن الخطاب و نصوصه بين يديك على أنّ الأمر كان لعليّ غير أنّهم زحزحوه عنه لحداثة سنّه والدماء التي عليه[٦] أولما قاله لمّا عزم على الاستخلاف : لله أبوك لولا دعابة فيك . كما في « الغيث المنسجم للصفدي ١ : ١٦٨ » و كان يدعو الله ربّه أن لا يبقيه لمعضلة ليس فيها أبو الحسن ، ويرى انّ عليّاً لولاه لضلّ هو[٧] و لولاه لهلك هو ، ولولاه لافتضح هو ، وعقمت النساء أن تلدن مثل عليّ . إلى كثير ممّا مرّ عنه في الجزء السادس في نوادر الأثر ، ولم يكن قطّ يختلج في هواجس ضميره ولن يختلج « وأنّى يختلج » أنّه كان يماثل مولانا عليّاً في إحدى فضائله ، أو يدانيه في شيء منها ، أو يبعد عنه بقليل .

و بعدما عرفت معنى الخلافة عند القوم ، ووقفت على رأي سلفهم فيها وفي مقدّمهم الخليفة الاوّل ، هلمّ معي إلى التهافت بين تلكم الكلمات وبين مزاعم اُخرى جنح إليها

---

(١) أصل المثل : ادرك القويمة لا تأكلها الهويمة . والمراد : ادراك الرجل الجاهل حتى لا يقع فى هلكة .

(٢) مثل يضرب لمن لا يقبل الوعظ .

(٣) مثل يضرب للانسان اذا سمن وحسن حاله .

(٤) طبقات ابن سعد ٣ ص ١٣٠ .

(٥) راجع مامر فى هذا الجزء ص ١١٨ .

(٦) راجع مامر فى الجزء الاول ص ٣٨٩ ، وفى هذا الجزء ص ٨٠

(٧) التمهيد للباقلانى ص ١٩٩ .

لفيفٌ آخر « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ».

قال أحمد بن محمد الوتري البغدادي في روضة الناظرين ص٢: إعلم أنَّ جماهير أهل السنّة والجماعة يعتقدون انَّ أفضل الناس بعد النبيِّ ﷺ أبوبكر ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ عليٌّ رضي الله تعالى عنهم ، وانَّ المتقدّم في الخلافة هو المقدَّم في الفضيلة لاستحالة تقديم المفضول على الفاضل لأنّهم كانوا يراعون الأفضل فالأفضل ، والدليل عليه : إنَّ أبابكر رضي الله عنه لما نصَّ على عمر رضي الله عنه قام إليه طلحة رضي الله عنه فقال له : ما تقول لربّك و قد وليت علينا فظاً غليظاً قال أبو بكر رضي الله عنه : فركتَ لي عينيك ، ودلكت لي عقبيك ، وجئتني تكفّني عن رأيي ، وتصدّني عن ديني. أقول له إذا سألني : خلّفت عليهم خير أهلك. فدلَّ على أنّهم كانوا يُراعون الأفضل فالأفضل . اهـ .

وأنت ترى أنَّ هذه المزعمة فيها دجلٌ لإغراء البسطاء من الأمّة المسكينة وهي تصادم رأى الجمهور و نظريّات علماء الكلام منهم ، وعمل الصحابة و نصوصهم ، و قبل كلِّ شيء رأى الخليفة أبي بكر ، و كأنَّ ما حسبه من الاستحالة قد خفي على الخليفة و على من آزره على أمره ، و اعتنق إمامته في القرون و الأجيال من بعده .

و كأنَّ أفضليّة الرجل الفظّ الغليظ كانت تخفى على الصحابة ، ولم يكن يعلمها أحدٌ فأعرب عنها أبوبكر ، و كأنَّ التاريخ ونوادر الأثر لم تكن بين يدي (الوتري) حتّى يعرف مقادير الرجال ، ولا يغلو فيهم ، و لا يتحكّم ولا يجازف في القول ولا يسرف في الكلام ويعلم بأنَّ عمر لو كان خير الأمّة و تلك سيرته و نوادر أثره فعلى الإسلام السّلام .

نعم : إنّما هي أهواء و شهوات أخذ كلٌّ بطرف منها ، و فتاوى مجرَّدة هملج وراءها كلٌّ حسب ميوله ، و نحن نضع عقلك السليم مقياساً بين هذين الإمامين : من نصفه نحن ، ومن يقول بهؤلاء . فراجعه إلى أيّهما يجنح ، وأيّاً منهما يتّخذه وسيلة بينه و بين ربّه سبحانه ، و أيُّهما يحقُّ له أن يستحوذ على رقاب المسلمين و نفوسهم و نواميسهم و أحكامهم في دنياهم و اُخراهم ؟ إن لم تكن في ميزان نصفته عين . فويلٌ للمطفّفين .

- ٦ -

رأي الخليفة في القدَر

أخرج اللالكائي في السنّة عن عبد الله بن عمر قال: جاء رجلٌ إلى أبي بكر فقال: أرأيت الزنا بقدَر؟ قال: فانّ الله قدَّره عليَّ ثمَّ يعذّبني؟ قال: نعم، يابن اللخناء! أما والله لو كان عندي إنسانٌ أمرت أن يجأ [١] أنفك [٢].

قال الأميني: أترى الخليفة عرف معنى القدَر الصحيح؟ بمعنى ثبوت الأمر الجاري في العلم الأزلي الآلهي، مع إعطاء القدرة على الفعل و الترك، مع تعريف الخير والشرّ و تبيان عاقبة الأوَّل و مغبّة الأخير.

إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً و إمّا كفوراً [٣] إنّا هديناه النجدين [٤] ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه، و من كفر فانَّ ربّي غنيٌّ كريم [٥] و من يشكر فإنّما يشكر لنفسه، و من كفر فإنَّ الله غنيٌّ حميد [٦].

كلُّ ذلك مع تكافؤ العقل والشهوة في الإنسان، مع خلق عوامل النجاح تجاه النفس الأمّارة بالسوء، فمن عاملٍ بالطاعة بحسن اختياره، و من مقترفٍ للمعصية بسوء الخيرة.

فمنهم ظالمٌ لنفسه و منهم مقتصدٌ و منهم سابقٌ بالخيرات [٧] من اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه و من ضلَّ فإنّما يضلُّ عليها [٨] فمن اهتدى فلنفسه و من ضلَّ فإنّما يضلُّ عليها [٩] من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها ثمَّ إلى ربّكم ترجعون. [١٠] فمن أبصر فلنفسه و من عمي فعليها [١١] قل إن ضللت فانّما أضلُّ على نفسي، و إن اهتديت

(١) وجأ عنقه: ضربه، ووجأه: رضه ودقه.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥.

(٣) سورة الانسان: ٣.

(٤) سورة البلد: ١٠.

(٥) سورة النمل: ٤٠.

(٦) سورة لقمان: ١٢.

(٧) سورة فاطر: ٣٢.

(٨) سورة يونس: ١٠٨، الاسراء: ١٥.

(٩) سورة الزمر: ٤١.

(١٠) سورة الجاثية: ١٥.

(١١) سورة الانعام: ١٠٤.

فبما يوحي إليَّ ربِّي [١] إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها [٢] إنَّ ربَّك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى [٣] ربِّي أعلم مَن جاء بالهدى و مَن هو في ضلال مبين .

فالقدَر لا يستلزم جبراً و علم المولى سبحانه بمقادير مايختاره العباد من النجدين و يأتون به من العمل من خير أو شرّ لا ينافي التكليف . كما لا أثر له في اختيار المكلَّفين ، ولا يقبح معه العقاب على المعصية ، و لا يسقط معه الثواب على الطاعة .

فمن يعمل مثقال ذرَّة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرَّة شراً يره [٥] و نضع الموازين القسط يوم القيامة فلاتظلم نفسٌ شيئاً ، وإن كان مثقال حبَّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين [٦] اليوم تجزى كلُّ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم [٧] فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفِّيت كلُّ نفسٍ بما كسبت وهم لايظلمون [٨] .

فهل الخليفة عرف هذا المعنى من القدَر ، فأجاب بما أجاب ؟ لكن السائل لم يفهم ما أراده فانتقده بما انتقد ، غير انَّـه لو كان يريد ذلك لما جابَه المنتقد بالسباب المقذع والتمنِّي بأن يكون عنده من يجأ أنفه قبل بيان المراد فيفيء الرجل إلى الحقِّ .

أو أنَّ الخليفة لم يكن يعرف من القدَر إلاّ ماارتفعت به عقيرة جماهير من أشياعه من القول بخلق الأعمال ؛ فيتَّجه إذن ماقاله المنتقد سبَّه الخليفة أو لم يسبَّه .

والذي يؤثر عن إبنته عائشة هو الجنوح إلى المعنى الثاني يوم اعتذرت عن نهضتها على مولانا أمير المؤمنين ، وتبرّجها عن خدرها المضروب لها تبرُّج الجاهليَّـة الأُولى بعد أن ليمت على ذلك : بأنَّـها كانت قدَراً مقدوراً وللقدَر أسباب ، أخرجه الخطيب البغدادي باسناده في تاريخه ١ : ١٦٠ .

وإن كان يوقفنا موقف السادر ما يؤثر عنها فيما أخرجه الخطيب أيضاً في تاريخه ٥ : ١٨٥ عن عروة قال : ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قطُّ إلاّ بكت حتّى

---

(١) سورة سبأ : ٥٠ .　(٢) سورة الاسراء : ٧ .
(٣) سورة النجم : ٣٠ .　(٤) سورة القصص : ٨٥ .
(٥) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .　(٦) سورة الانبياء : ٤٧ .
(٧) سورة غافر : ١٧ .　(٨) سورة آل عمران : ٢٥ .

تبلّ خمارها وتقول : ياليتني كنت نسياً منسيّا[1] قال سفيان الثوري : النسي المنسيّ : الحيضة الملقاة ·

كأنّها كانت ترى مسيرها حوباً كبيراً جديراً أن تبكي عليه مدى الدهر ، وتبلّ بدمعها خمارها ، وتتمنّى ماتمنّت ، وهذا ينافي ذلك الإعتذار البارد المأخوذ أصله عن رأي أبيها الخليفة الذي لم يجد مساغاً في دفع مايتّجه عليه إلّا السباب ·

-٧-

ترك الخليفة الضحيّة مخافة أن تستنّ

قد مرّ في الجزء السادس ص١٧٧ط٢من الصحيح الوارد في أنّ أبابكر وعمر كانا لا يضحّيان كراهة أن يقتدى بهما ، فيظنّ فيهاالوجوب .

وقد استوفينا حقّ القول هناك فراجع .

-٨-

ردّة بني سليم

عن هشام بن عروة عن أبيه قال :كان في بني سليم ردّة فبعث إليهم أبوبكر خالد بن الوليد فجمع رجالاً منهم في الحظائر ثمّ أحرقها عليهم بالنار فبلغ ذلك عمر فأتى أبا بكر فقال : تدع رجلاً يعذّب بعذاب الله عزّ وجلّ . فقال أبو بكر : والله لاأشيم سيفاً سلّه الله على عدوّه حتى يكون هو الذي يشيمه ، ثمّ أمره فمضى من وجهه ذلك إلى مسيلمة .
الرياض النضرة١ص١٠٠ ·

ليس في هذا الجواب مخرجٌ عن إعتراض عمر فقد جاء في الكتاب العزيز قوله تعالى : إنّماجزاء الذين يحاربون الله ورسوله و يسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم . (المائدة آية ٣٣)

وصحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم النهي عن الإحراق وقوله : لايعذّب بالنار إلاّ ربّ النار

(١) وذكره ابن الاثير فى النهاية ٤ : ١٥١ ، وابن منظور فى لسان العرب ٢ : ١٩٦ ، والزبيدى فى تاج العروس ١٠ : ٣٦٧ ·

وقوله : إنّ النار لايعذّب بها إلّا الله . وقوله : لايعذّب بالنار إلّا ربّها[١] : وقوله : من بدّل دينه فاقتلوه[٢] وقوله : لايحلّ دم امرىء مسلم يشهد أن لااله إلّاالله وانّ محمّداً رسول الله إلّا باحدى ثلاث : زنا بعد احصان فانّه يرجم ، ورجل يخرج محارباً لله و رسوله فانّه يقتل ، أو يصلب ، أو ينفى من الأرض ، أو يقتل نفساً فيقتل بها .

سنن أبي داود ٢ص٢١٩ ، مصابيح السنّة ٢ :٥٩ ، مشكاة المصابيح ص ٣٠٠ .

وأمّا فعل أمير المؤمنين عليه السلام بعبدالله بن سبا و أصحابه فلم يكن إحراقاً ولكن حفرلهم حفائر ، وخرق بعضها إلى بعض ، ثمّ دخن عليهم حتّى ماتوا كما قال عمّار الدهني : فقال عمرو بن دينار : قال الشاعر :

لترم بي المنايا حيث شاءت　✿　إذا لم ترم بي في الحفرتين

إذا ما أجّجوا حطباً وناراً　✿　هناك الموت نقداً غير دين[٣]

وأمّا قول أبي بكر : لا اشيم سيفاً . الخ . فهو تحكّم تجاه النصّ النبويّ ، وما كان السيف أنطق من القول ، ومتى شهر الله سبحانه هذا السيف صاحب الدواهي الكبرى والطامات في يومه هذا ، و يومه الآخر المخزي في بني حنيفة و مع مالك بن نويرة و أهله ، ويومه قبلهما مع بني جذيمة الذي تبرّأ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله من عمله ، إلى غير ها من المخاريق والمخازي التي تغمد بها هذا السيف .

- ٩ -

حرق الخليفة الفجاءة

قدم على أبي بكر رجل من بني سليم يقال له : الفجاءة وهو اياس بن عبدالله بن عبد ياليل بن عميرة بن خفاف فقال لأبي بكر : إنّي مسلم وقد أردت جهاد من ارتدّ من الكفار فاحملني وأعنّي فحمله أبوبكر على ظهر وأعطاه سلاحاً فخرج يستعرض الناس

---

(١) صحيح البخارى ٤ : ٣٢٥ كتاب الجهاد باب : لايعذّب بعذاب الله ، مسند احمد٣ : ٤٩٤ وج٢ :٢٠٧ ، سنن ابى داود٢ : ٢١٩ ، صحيح الترمذى ، سنن البيهقى٩ : ٧١ ، ٧٢ ، مصابيح السنة ٢ص ٥٧ ٥٨ ؛ تيسير الوصول ١ ص ٢٣٦ .

(٢) صحيح البخارى ١٠ ص٨٣ كتاب استتابة المرتدين ، سنن ابى داود ٢ ص٢١٩ ، مصابيح السنة ٢ص ٥٧ .

(٣) سنن البيهقى ٩ ص ٧١ .

المسلم والمرتدّ يأخذ أموالهم ويصيب من امتنع منهم ومعه رجلٌ من بني الشريد يقال له : نجبة بن أبي الميثاء فلمّا بلغ أبابكر خبره كتب إلى طريفة بن حاجز : إنّ عدوّ الله الفجاءة أتاني يزعم انّه مسلمٌ ويسألني أن اُقوّيه على من ارتدّ عن الاسلام فحملته وسلّحته ثمّ انتهى إليّ من يقين الخبر انّ عدوّ الله قد استعرض الناس المسلم والمرتدّ يأخذ أموالهم ويقتل من خالفه منهم فَسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله أو تأخذه فتأتيني به فسار إليه طريفة فلمّا التقى الناس كانت بينهم الرميّا بالنبل فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رُمي به فلمّا رأى الفجاءة من المسلمين الجدّ قال لطريفة : والله ماأنت بأولى بالأمر منّي أنت أمير لأبي بكر وأنا أميره ، فقال له طريفة : إن كنت صادقاً فضع السلاح وانطلق إلى أبي بكر فخرج معه فلمّا قدما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حاجز فقال : أخرج به إلى هذا البقيع فحرّقه فيه بالنار. فخرج به طريفة إلى المصلّى فأوقد له ناراً فقذفه فيها . وفي لفظ الطبري : فأوقد له ناراً في مصلّى المدينة على حطب كثير ثمّ رمي فيها مقموطاً . وفي لفظ ابن كثير : فجمعت يداه إلى قفاه وألقي في النار فحرّقه وهو مقموط[١] .

قال الأميني : القول في هذا كالذي سبقه من عدم جواز الإحراق بالنار والتعذيب بها ، على أنّ الفجاءة كان متظاهراً بالاسلام وتلقّاه الخليفة بالقبول يوم أعطاه ظهراً و سلّحه ، وإن كان فاسقاً بالجوارح على ما انتهى إلى الخليفة من يقين الخبر ، ولم يكن سيف الله مشهوراً هاهنا حتى يتورّع عن اغماده ، ولا يُدّعى مثله لطريفة حتى يكون معذّراً في مخالفة النصّ الشريف ، ولعلّ لذلك كلّه ندم أبو بكر نفسه يوم مات عن فعله ذلك كما في الصحيح الآتي انشاء الله تعالى . فإلى الملتقى .

والعجب كلّ العجب من دفاع القاضي عضد الايجي عن الخليفة بقوله في المواقف : إنّ أبابكر مجتهدٌ ، إذ ما من مسئلة في الغالب إلّا وله فيها قولٌ مشهورٌ عند أهل العلم ، وإحراق الفجاءة لاجتهاده وعدم قبول توبته لأنّه زنديقٌ ولاتقبل توبة الزنديق في الأصحّ

وجاء بعده القوشجي مدافعاً عن الخليفة بقوله في شرح التجريد ص ٤٨٢ : إحراقه فجاءة بالنار من غلطة في اجتهاده فكم مثله للمجتهدين ؟

---

(١) تأريخ الطبرى ٣ ص ٢٣٤ ، تأريخ ابن كثير ٦ ص ٣١٩ ، الكامل لابن الاثير ٢ ص ١٤٦ ، الاصابة ٢ ص ٣٢٢ .

إقرأ واضحك أو ابك زِهِ زِهِ بالاجتهاد تجاه نصّ الكتاب والسُّنّة ، ومرحباً مجتهد يخالف دين الله .

- ١٠ -

رأي الخليفة في قصّة مالك

سار خالد بن الوليد يريد البطاح حتّى قدمها فلم يجد بها أحداً وكان مالك بن نويرة قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع و قال : يا بني يربوع إنّا دُعينا إلى هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نفلح ، وقد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة ، وإذا الأمر لا يسوسه الناس ، فإيّاكم ومناوأة قوم صنع لهم فتفرّقوا وادخلوا في هذا الأمر ، فتفرّقوا على ذلك ، ولمّا قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتوه بكلّ من لم يجب ، وإن إمتنع أن يقتلوه ، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يأذّنوا ويقيموا إذا نزلوا منزلاً فإن أذّن القوم و أقاموا فكفّوا عنهم ، و إن لم يفعلوا فلا شيء إلّا الغارة ثمّ تقتلوا كلّ قتلة ، الحرق فما سواه ، وإن أجابوكم إلى داعية الاسلام فسائلوهم فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلّا الغارة ، ولا كلمة ، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع من عاصم و عبيد و عرين و جعفر فاختلفت السيرة فيهم ، و كان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنّهم قد أذّنوا و أقاموا و صلّوا ، فلمّا اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء و جعلت تزداد برداً ، فأمر خالد منادياً فنادى : ادفئوا أُسراكم. و كانت في لغة كنانة القتل فظنّ القوم أنّه أراد القتل و لم يرد إلّا الدفء فقتلوهم ، فقتل ضرار بن الأزور مالكاً و سمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه ، وتزوّج خالد امّ تميم امرأة مالك ، فقال أبو قتادة : هذا عملك ؟ فزبره خالد فغضب ومضى . وفي تاريخ أبي الفدا : كان عبدالله بن عمرو أبو قتادة الأنصاري حاضرين فكلّما خالداً في أمره فكره كلامهما . فقال مالك : يا خالد إبعثنا إلى ابي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا . فقال خالد : لا أقالني الله إن أقلتك و تقدّم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه .

فقال عمر لأبي بكر : إنّ سيف خالد فيه رَهق و أكثر عليه في ذلك فقال : يا عمر ! تأوّل فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فإنّي لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين .

و في لفظ الطبري و غيره : إنّ أبابكر كان من عهده إلى جيوشه أن إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقموا ، و إن لم تسمعوا أذاناً فشنّوا الغارة فاقتلوا و حرّقوا ، و كان ممّن شهد لمالك بالاسلام أبو قتادة الحارث بن ربعي ، و قد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها ، و كان يحدّث أنّهم لمّا غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح ، قال : فقلنا : إنّا المسلمون . فقالوا : و نحن المسلمون ، قلنا : فما بال السلاح معكم ؟ قالوا لنا : فما بال السلاح معكم ؟ قلنا : فإن كنتم كما تقولون ؟ فضعوا السلاح . قال : فوضعوها ثمّ صلّينا و صلّوا ، و كان خالد يعتذر في قتله : انّه قال و هو يراجعه : ما أخال صاحبكم إلّا وقد كان يقول كذا و كذا . قال : أو ما تعدّه لك صاحباً. ثمّ قدّمه فضرب عنقه و عنق أصحابه .

فلمّا بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلّم فيه عند أبي بكر فأكثر و قال : عدوّ الله عدا على امرئ مسلم فقتله ثمّ نزا على امرأته ،و أقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد و عليه قباء له عليه صدأ الحديد ، معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً فلمّا أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطّمها ثمّ قال : أرئاء ؟ قتلت امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته ، والله لأرجمنّك باحجارك و لا يكلّمه خالد بن وليد و لا يظنّ إلّا أنّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه ، حتّى دخل على أبي بكر فلمّا أن دخل عليه أخبره الخبر و اعتذر اليه فعذره أبو بكر و تجاوز عنه ما كان في حربه تلك . قال : فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر ، و عمر جالسٌ في المسجد فقال خالد : هلمّ إليّ يا بن امّ شملة ؟ قال فعرف عمر أنّ ابا بكر قد رضي عنه ، فلم يكلّمه ودخل بيته .

و قال سويد : كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً وإنّ أهل العسكر اثفوا برؤسهم القدور فما منهم رأس إلّا وصلت النار الى بشرته ما خلا مالكاً فانّ القدر نضجت و ما نزج رأسه من كثرة شعره ، وقى الشعر البشَر حرّها أن يبلغ منه ذلك .

و قال ابن شهاب : إنّ مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس ، فلمّا قتل أمر خالد برأسه فنصب اثفية لقدر فنضج ما فيها قبل أن يخلص النار إلى شؤون رأسه .

و قال عروة : قدم أخو مالك متمم بن نويرة ينشد أبابكر دمه و يطلب اليه في

سبيهم فكتب له بردّ السبي ، و ألحّ عليه عمر في خالد أن يعزله ، وقال : إنّ في سيفه رهقاً . فقال : لا يا عمر ! لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين .

و روى ثابت في الدلائل : انّ خالداً رأى امرأة مالك و كانت فائقة في الجمال فقال مالك بعد ذلك لامرأته : قتلتيني . يعني سأُقتل من أجلكِ [1] .

و قال الزمخشري و ابن الأثير و أبو الفدا والزبيدي : انّ مالك بن نويرة رضي الله عنه قال لامرأته يوم قتله خالد بن وليد : أقتلتني . أي عرّضتني بحسنِ وجهكِ للقتل لوجوب الدفع عنكِ ، والمحاماة عليك ، وكانت جميلة حسناء تزوّجها خالد بعد قتله فأنكر ذلك عبدالله بن عمر . وقيل فيه :

أفي الحق أنّا لم تجفّ دماؤنا ✡ وهذا عروساً باليمامة خالدُ ؟ [2]

و في تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ٧ ص ١٦٥ : أمر خالد ضراراً بضرب عنق مالك فالتفت مالك إلى زوجته و قال لخالد : هذه التي قتلتني . وكانت في غاية الجمال ، فقال خالد : بل قتلك رجوعك عن الإسلام . فقال مالك : أنا مسلم . فقال خالد : يا ضرار ! اضرب عنقه فضرب عنقه وفي ذلك يقول أبو نمير السعدي :

ألا قل لحيّ أوطؤا بالسنابكِ ✡ تطاول هذا الليل من بَعد مالكِ

قضى خالدٌ بغياً عليه بعرسه ✡ وكان له فيها هوىً قبل ذلكِ

فأمضى هواه خالدٌ غير عاطفٍ ✡ عنان الهوى عنها ولا متمالكِ

و أصبح ذا أهل و أصبح مالك ✡ إلى غير أهل هالكاً في الهوالكِ

فلمّا بلغ ذلك أبا بكر وعمر قال عمر لأبي بكر : إنّ خالداً قد زنى فاجلده . قال أبو بكر : لا ، لأنّه تأوّل فأخطأ قال : فإنّه قتل مسلماً فاقتله . قال : لا ، إنّه تأوّل فأخطأ . ثمّ قال : يا عمر ! ما كنت لأغمد سيفاً سلّه الله عليهم ، ورثى مالكاً أخوه متمّم بقصائد عديدة . وهذا التفصيل ذكره أبو الفدا ايضاً في تاريخه ١ : ١٥٨ .

---

(١) تأريخ الطبرى ٣ ص ٢٤١ ، تأريخ ابن الاثير ٣ ص ١٤٩ ، اسد الغابة ٤ : ٢٩٥ ، تأريخ ابن عساكر ٥ ص ١٠٥ ، ١١٢ ، خزانة الادب ١ : ٢٣٧ ، تأريخ ابن كثير ٦ ص ٣٢١ ، تاريخ الخميس ، ٢ : ٢٣٣ ، الاصابة ج ١ ص ٤١٤ وج ٣ ص ٣٥٧ .

(٢) الفائق ٢ ص ١٥٤ ، النهاية ٣ ص ٢٥٧ ، تاريخ أبى الفداج ١ ص ١٥٨ ، تاج العروس ٨ ص ٧٥ .

وفي تاريخ الخميس ٢ : ٢٣٣ : اشتدّ في ذلك عمر وقال لأبي بكر : ارجم خالداً فانّه قد استحلّ ذلك . فقال أبو بكر : والله لاأفعل ، إن كان خالد تأوّل أمراً فأخطأ و في شرح المواقف : فأشار عمر على أبي بكر بقتل خالد قصاصاً ، فقال أبو بكر : لاأغمد سيفاً شهره الله على الكفار . و قال عمر لخالد : لئن وليتُ الأمر لأقيدنّك به .

م وفي تاريخ ابن عساكر ٥ : ١١٢ : قال عمر : إنّي ماعتبت على خالد إلّا في تقدّمه و ما كان يصنع في المال . و كان خالد إذا صار إليه شيئ قسّمه في أهل الغنى ولم يرفع إلى أبي بكر حسابه ، وكان فيه تقدّم على أبي بكر يفعل الأشياء التي لايراها أبو بكر ، واقدم على قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته ، وصالح اهل اليمامة ونكح ابنة مجاعة بن مرارة ، فكره ذلك أبو بكر ، وعرض الدية على متمّم بن نويرة و أمر خالداً بطلاق امرأة مالك ولم ير أن يعزله وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد] .

نظرة في القضية

قال الأميني : يحقّ على الباحث أن يمعن النظرة في القضيّة من ناحيتين . الأولى : ماارتكبه خالد بن الوليد من الطامات والجرائم الكبيرة التي تنزّه عنها ساحة كلّ معتنق بالاسلام ، و تضادّ نداء القرآن الكريم و السنّة الشريفة ، ويتبرّأ منها و ممّن اقترفها مَن آمن بالله ورسوله و اليوم الآخر . أيحسب الإنسان أن يترك سدى؟ (١) أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ؟ (٢) أم : حسب الذين يعملون السيّئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون ؟ (٣) .

بأيّ كتاب أم بأيّة سنّة ساغ للرجل سفك تلكم الدماء الزكيّة من الذين آمنوا بالله ورسوله واتّبعوا سبيل الحقّ وصدّقوا بالحسنى ، وأذّنوا و أقاموا و صلّوا و قد علت عقيرتهم : بأنّا مسلمون ، فما بال السلاح معكم ؟ لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلاتحسبنّهم بمفازة من العذاب و لهم عذابٌ أليم (٤) .

ما عذر الرّجل في قتل مثل مالك الذي عاشر النبيّ الأعظم ، وأحسن صحبته ،

---

(١) سورة القيامة آية : ٣
(٢) سورة البلد آية : ٥
(٣) سورة العنكبوت آية : ٤
(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٨

واستعمله ﷺ على صدقات قومه، وقد عُدّ من أشراف الجاهليّة والإسلام، و من أرداف الملوك. ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض، فكأنّما قتل الناس جميعا[1].

ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنّم خالداً فيها [النساء: ٩٣].

و ما ذا أحلّ للرجل شنّ الغارة على أهل أولئك المقتولين و ذويهم الأبرياء و ايذائهم وسبيهم بغير ما اكتسبوا إثماً، أو اقترفوا سيّئة، أو ظهر منهم فساد في الملأ الديني؟ الّذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبينا[2]

ما هذه القسوة والعنف والفظاظة والتزحزح عن طقوس الإسلام، وتعذيب رؤس أمّة مسلمة، وجعلها أثفية للقدر وإحراقها بالنار؟ فويل للقاسية قلوبهم، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم.

ماخالد وما خطره بعد ما اتّخذ إلهه هواه، و سوّلته نفسه، وأضلّته شهوته، وأسكره شبقه؟ فهتك حرمات الله، وشوّه سمعة الإسلام المقدّس، ونزى على زوجة مالك قتيل غيّه في ليلته[3] انّه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا، ولم يكن قتل الرجل إلّا لذلك السفاح، وكان أمراً مشهوداً وسرّاً غير مستسر، وكان يعلمه نفس مالك ويخبر زوجته بذلك قبل وقوع الواقعة بقوله إيّاها: أقتلتني. فقتل الرجل مظلوماً غيرة و محاماة على ناموسه. وفي المتواتر: من قتل دون أهله فهو شهيد[4] وفي الصحيحة من قتل دون مظلمته فهو شهيد[5].

والعذر المفتعل من منع مالك الزكاة لا يُبرّئ خالداً من تلكم الجنايات، أيصدّق جحد الرجل فرض الزكاة ومكابرته عليها و هو مؤمن بالله و كتابه ورسوله ومصدّق بما جاء به نبيّه الأقدس، يقيم الصلاة ويأتي بالفرائض بأذانها وإقامتها، وينادي بأعلى صوته: نحن المسلمون، و قد إستعمله النبيّ الأعظم على الصدقات ردحاً من الزمن؟ لا ها الله.

---

(١) سورة المائدة آية: ٣٢ (٢) سورة الاحزاب آية: ٥٨.

(٣) الصواعق ص ٢١، تاريخ الخميس ٢: ٣٣٣.

(٤) مسند احمد ١ ص ١٩١، نص على تواتره المناوى فى الفيض القدير ٦ ص ١٩٥.

(٥) أخرجه النسائى والضياء المقدسى كما فى الجامع الصغير، وصححه السيوطى راجع الفيض القدير ٦ ص ١٩٥.

أيوجب الردّة مجرّد إمتناع الرجل المسلم الموحّد المؤمن بالله و كتابه عن أداء الزكاة لهذا الإنسان بخصوصه وهو غير منكر أصل الفريضة ؟ أو يُحكم عليه بالقتل عندئذ؟ و قد صحّ عن المشرّع الأعظم قوله : لايحلّ دم رجل يشهد أن لا إلٓه إلّا الله ، وإنّي رسول الله إلّا باحدى ثلاثة : النفس بالنفس ، والثيّب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة(١) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لايحلّ دم امرئ مسلم إلّا باحدى ثلاث : رجل كفر بعد اسلامه، أوزنى بعد إحصانه ، أوقتل نفساً بغير نفس(٢) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : اُمرت أن اُقاتل الناس حتى يقولوا : لا إلٓه إلّا الله ، فاذا قالوها منعوا منّي دماؤهم وأموالهم ، وحسابهم على الله(٣) .

وعهد أبوبكر نفسه لسلمان بقوله : من صلّى الصلوات الخمس فانّه يصبح في ذمّة الله ويمسي في ذمّة الله تعالى فلا تقتلنّ أحداً من أهل ذمّة الله فتخفر الله في ذمّته فيكبّك الله في النار على وجهك(٤) .

أيسلب امتناع الرجل المسلم عن أداء الزكاة حرمة الاسلام عن أهله وماله وذويه ويجعلهم أعدال أولئك الكفرة الفجرة الذين حقّ على النبيّ الطاهر شنّ الغارة عليهم؟ و يحكم عليهم بالسبي و القتل الذريع و غارة ما يملكون ، والنزو على تلكم الحرائر المأسورات ؟

وأمّا مامرّ من الاعتذار بانّ خالداً قال : ادفئوا اسراكم وأراد الدفء و كانت في لغة كنانة : القتل . فقتلوهم فخرج خالد و قد فرغوا منهم . فلا يفوه به إلّا معتوهٌ استأسر هواه عقله ، و سفه في مقاله ، لِماذا قتل ضرار مالكاً بتلك الكلمة و هو لم

---

(١) صحيح البخاري ١٠: ٦٣ كتاب المحاربين . باب : قول الله تعالى ان النفس بالنفس، صحيح مسلم ٢: ٣٧، الديات لابن ابى عاصم الضحاك ص١٠، سنن ابى داود ٢: ٢١٩، سنن ابن ماجة ٢: ١١٠، مصباح السنة ٢: ٥٠ ، مشكاة المصابيح ص٢٩١

(٢) الديات لابن أبى عاصم الضحاك ص٩، سنن ابن ماجة ٢: ١١٠، سنن البيهقى ٨: ١٩.

(٣) صحيح مسلم ١: ٣٠ ، الديات لابن ابى عاصم الضحاك ص١٧، ١٨، سنن ابن ماجة ٢ : ٤٥٧ ، خصايص النسائى ص٧ ، سنن البيهقى ٨: ١٩، ١٩٦.

(٤) أخرجه أحمد فى الزهد كمافى تاريخ الخلفاء للسيوطى ص٧٠.

يكن من كنانة ولا من أهل لغتها ؟ بل هو أسديٌ من بني ثعلبة ، ولم يكن أميره يتكلم قبل ذلك اليوم بلغة كنانة .

وإن صحت المزعمة فلما ذا غضب أبو قتادة الأنصاري على خالد وخالفه وتركه يوم ذاك وهو ينظر إليه من كثب ، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب ؟

و لِما ذا اعتذر خالد بانَّ مالكاً قال : ما أخال صاحبكم إلّا قال كذا و كذا؟ وهذا اعترافٌ منه بانّه قتله غير أنّه نحت على الرجل مقالاً ، و هو من التعريض الذي لا يجوِّز القتل « بعد تسليم صدوره منه » عند الأمّة الإسلاميّة جمعاء ، و الحدود تُدرأ بالشبهات .

و لِما ذا رآه عمر عدوّاً لله ، وقذَفه بالقتل والزنا ؟ وإن لم يقتل ذلك ذؤابة [1] أبي بكر .

ولِما ذا هتكه عمر في ملأ من الصحابة بقوله إيّاه : قتلتَ امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته ، والله لأرجمنّك بأحجارك ؟ .

ولِما ذا رأى عمر رَهَقاً في سيف خالد وهو لم يقتل مالكاً وصحبه و إنّما قتلتهم لغة كنانة ؟

ولِما ذا سكت خالد عن جوابه ؟ وما أخرسه إلّا عمله ، إنّ الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره .

ولِما ذا صدّق أبو بكر عمر بن الخطاب في مقاله ووقيعته على خالد وما أنكر عليه غير أنّه رآه متأوّلاً تارةً ، ونَحَت له فضيلةً أخرى ؟

ولِماذا أمر خالد بالرؤس فنصبت أثفيةً للقدور ، وزاد وصمة على لغة كنانة ؟

ولِماذا نزى على امرأة مالك ، وسبي أهله ، وفرّق جمعه ، وشتّت شمله ، وأباد قومه ، ونهب ماله ؟ أكلُّ هذه معرّة لغة كنانة ؟

ولِماذا ذكر المؤرّخون انّ مالكاً قُتل دون أهله محاماتاً عليها ؟

ولِماذا أثبت المترجمون ذلك القتل الدريع على خالد دون لغة كنانة ، وقالوا في

---

(١) مثل يضرب يقال: فتل ذؤابة فلان . أي أزاله عن رأيه .

ترجمة ضرار وعبد بن الأزور : إنّه هو الذي أمره خالد بقتل مالك بن نويرة [١] و قالوا في ترجمة مالك : إنّه قتله خالد . أو: قتله ضرارٌ صبراً بأمر خالد ؟ [٢] هذه أسؤلة توقف المعتذر موقف السَدِر ، ولم يحر جواباً .

ماشأن أبناء السلف وقد غرّرت بهم سكرة الشبق ، وغالتهم داعية الهوى ، وجاؤا لايرقبون في مؤمن إلّاً ولاذمّة و اولئك هم المعتدون ؟ فترى هذا يقتل مثل مالك ويأتي بالطامّات رغبةً في نكاح اُمّ تميم .

وهذا يقتل سيِّد العترة أمير المؤمنين شهوةً في زواج قطام .

و آخر [٣] شنّ الغارة على حيّ من بني أسد فأخذ امرأة جميلة فوطئها بهبة من أصحابه ، ثمّ ذكر ذلك لخالد فقال : قد طيّبتها لك « كأنّ تلكم الجنود كانت مجنّدة لوطي النساء وفضّ ناموس الحرائر» فكتب إلي عمر فأجاب برضخه بالحجارة [٤].

وهذا يزيد بن معاوية يدسّ إلى زوجة ريحانة رسول الله الحسن السبط الزكيّ السمّ النقيع لتقتلهَ ويتزّوجها [٥] أو فعله معاوية لغاية له كما يأتي

و وراء هؤلاء المعتدين قومٌ ينزّه ساحتهم بأعذار مفتعلة كالتأويل و الاجتهاد ـ وليتهما لم يكونا ـ و تخطأة لغة كنانة ، والله يعلم ماتكنّ صدورهم وما يعلنون ، وإن حكمتَ فاحكم بينهم بالقسط إنّ الله يحبّ المقسطين .

الناحية الثانية

الثانية من الناحيتين التي يهمّنا أن نولّي شطرها وجه البحث تسليط الخليفة أوّلاً أمثال خالد و ضرار بن الأزور شارب الخمور و صاحب الفجور [٦] على الأنفس و الدماء ، على الأعراض ونواميس الاسلام ، و عهده إلى جيوشه في حرق أهل الردّة

---

(١) الاستيعاب ١ : ٣٣٨ ، أسد الغابة ٣ : ٣٩ ، خزانة الادب للبغدادى ٢ : ٩ ، الاصابة ٢ : ٢٠٩ .

(٢) الاصابة ٣ : ٣٥٧ ، مرآت الجنان ١ : ٦٢ .

(٣) هو ضرار بن الازور زميل خالد بن الوليد وشاكلته فى النزو على الحرائر .

(٤) تاريخ ابن عساكر ٧ : ٣١ ، خزانة الادب ٢ : ٨ ، الاصابة ٢ : ٢٠٩ .

(٥) تاريخ ابن عساكر ٤ : ٢٢٦ .

(٦) تاريخ ابن عساكر ٧ : ٣٠ ، خزانة الادب ٢ : ٨ ، الاصابة ٢ : ٢٠٩ .

و قد عرفت النهي عنه في السنّة الشريفة ص ١٥٥ . و صفحه ثانياً عن تلكم الطامّات والجنايات الفاحشة كأن لم تكن شيئاً مذكوراً ، فما سمعت أُذن الدنيا منه حولها ركزاً ، و ما حُكيت عنه في الانكار عليها ذأمة ، و ما رأى أحدٌ منه حَولا .

لِمَ لم يؤاخذ الخليفة خالداً بقتل مالك و صحبه المسلمين الأبرياء ، و قد ثبت عنده كما يلوح ذلك عن دفاعه عنه و محاماته عليه ؟

لِمَ لم يقتصّ منه قصاص القاتل ؟ ولم يُقم عليه جلدة الزاني ؟ و لم يضرب به حدّ المفترى ؟ و لم يعزّره تعزيز المعتدي على ما ملكته أيدي اولئك المسلمين ؟

لِمَ لم ير عزل خالد وقد كره مافعله ، و عرض الدية على متمم بن نويرة أخي مالك ؟ و أمر خالداً بطلاق امرأة مالك كما في الإصابه ١ ص ٤١٥ ؟

دَع هذه كلّها ولا أقلّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوبيخ الرجل وعتابه على تلكم الجرائم ، و أقلّ الانكار كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة .

ما للخليفة يتلعثم و يتلعذم في الدفاع عن خالد و جناياته ؟ فيرى تارةً انّه تأوّل و أخطأ ، ويعتذر أُخرى بانّه سيفٌ من سيوف الله ،و ينهي عمر بن الخطاب عن الوقيعة فيه ، و يأمره بالكفّ عنه و صرف اللسان عن مغايظته ، ويغضب على أبي قتادة لانكاره على خالد كما في شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٨٧ .

و نحن نقتصر في البحث عن هذا الجانب على توجيه القارئ اليه ، و لم نذهب به قُصاه ، ولم نبتغ فيه مُداه ، إذ لم نر أحداً تخفى عليه حزازة أيّ من العذرين ، هلاّ يعلم متشرّعٌ في الاسلام انّ تلكم الطامّات والجرائم الخطيرة لايتطرّق اليها التأوّل والاجتهاد ؟ ولا يسوغ لكلّ فاعل تارك أن يتترّس بأمثالهما في معرّاته ، ويتدرّع بهافي أحنائه ، ولا تُدرأ بها الحدود ، ولاتطلّ بها الدماء ، ولا تحلّ بها حرمات الحرائر ، و لايرفض بها حكم الله في الأنفس و الأعراض والأموال ، ولم يصخ الحاكم لمدّعيها كما ادّعى قدامة بن مظعون في شربه الخمر بأنّه تأوّل واجتهد فأقام عمر عليه الحدّ وجلده ولم يقبل منه العذر . كما في سنن البيهقي ٨ : ٣١٦ وغيره .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن محارب بن دثار : انّ ناساً من أصحاب النبيّ

صلى الله عليه وآله وسلم شربوا الخمر بالشام وقالوا : شربنا لقول الله : ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناحٌ فيما طعموا . الآية . فأقام عمر عليهم الحدَّ (١).

وجلد أبوعبيدة أبا جندل العاصي بن سهيل وقد شرب الخمر متأوِّلاً لقوله تعالى: ليس على الذين آمنوا وعملوا الصّالحات جناحٌ فيما طعموا . الآية : كما في الروض الانف للسهيلي ٢ : ٢٣١ .

وهل يرتاب أحدٌ في أنَّ سيفاً سَلّه المولى سبحانه لايكون فيه قطُّ رهقٌ ولا شغب ، ولا تُسفك به دماءٌ محرَّمة ، ولا تُهتك به حرمات الله ، ولا يُرهف لنيل الشهوات ، ولا يُنضى للشبق ، ولا يُفتك به ناموس الإسلام ، ولا يحمله إلاّ يد اناس طيّبين ، و رجال نزهين عن الخنابة والعيث والفساد ؟

فما خالد وما خطره حتّى يهبه الخليفة تلك الفضيلة الرابية ويراه سيفاً سلّه الله على أعدائه ، وهو عدوُّ الله بنصّ من الخليفة الثاني كما مرَّ في ص ١٥٩ ؟ أليست هذه كلّها تحكّماً وسرفاً في الكلام ، وزوراً في القول ، و اتّخاذ الفضائل في دين الله مهزئةً و مجهلة ؟

كيف يسعنا أن نعدَّ خالداً سيفاً من سيوف الله سلّه على أعدائه ؟ و قد ورد في ترجمته وهي بين أيدينا: أنّه كان جبّاراً فاتكاً ، لايراقب الدين فيما يحمله عليه الغضب وهوى نفسه ، ولقد وقع منه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع بني جذيمة بالغميصا أعظم ممّا وقع منه في حق مالك بن نويرة وعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن غضب عليه مدّة وأعرض عنه ، وذلك العفو هو الذي أطمعه حتى فعل ببني يربوع مافعل بالبطاح (٢).

إن كان عفو النبيِّ الأعظم عن الرجل بعد ماغضب عليه وأخذه بذنبه ، وأعرض عنه ردحاً من الزمن أطمعه حتّى فعل مافعل ، فانظر ماذا يصنع صفح الخليفة عنه من دون أيِّ غضب عليه وإعراض عنه ؟ وما الذي يأثّر دفاعه عنه من الجرأة والجسارة ، في نفس الرجل ونفوس مشاكليه من اُناس العيث والفساد ، وشعب الشغب والفتن ؟

أنّى لنا أن نرى خالداً سيفاً سلّه الله على أعدائه وفي صفحة التاريخ كتاب أبي بكر

(١) الدر المنثور ٢ : ٣٢١ .
(٢) شرح ابن ابى الحديد ٤ ص ١٨٧ .

إليه وفيه قوله : لعمري يا ابن ام خالد ! انك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجفف بعد[١] كتبه إليه لما قال خالد لمجاعة : زوجني ابنتك فقال له مجاعة : مهلاً انك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك قال : ايها الرجل زوجني فزوجه فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه الكتاب فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول : هذا عمل الأعيسر . يعني عمر بن الخطاب .

وليست هذه بأول قارورة كسرت في الاسلام بيد خالد ، و قد صدرت منه لدة هذه الفحشاء المنكرة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وتبرأ صلى الله عليه وآله من صنيعه . قال ابن اسحاق : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب فوطئوا بني جذيمة ابن عامر فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فأن الناس قد أسلموا .

قال : حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم[٢] : ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلا الاسار ، و ما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً قال : فأخذه رجال من قومه فقالوا : ياجحدم ! أتريد أن تسفك دماءنا إن الناس قد أسلموا ، و وضعوا السلاح ، ووضعت الحرب ، و أمن الناس ؟ فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد ، فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله رفع يديه إلى السماء ثم قال : أللهم اني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد . قال أبو عمر في الاستيعاب ١ : ١٥٣ : هذا من صحيح الأثر .

قال ابن هشام : حدث بعض أهل العلم عن ابراهيم بن جعفر المحمودي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : رأيت كأني لقمت لقمة من حيس[٣] فالتذذت طعمها فاعترض

---

(١) تاريخ الطبرى ٣ ص ٢٥٤ ، تاريخ الخميس ٣ : ٣٤٣ .

(٢) في الاصابة جحدم . في ١ ص ٢٢٧ ، وجذيم بن الحارث في ١ ص ٢١٨ . والصحيح هو الاول

(٣) الحيس . بفتح فسكون . أن يخلط السمن والتمر والاقط فيؤكل . والاقط : ما يعقد من اللبن ويجفف .

في حلقي منها شيء حين ابتلعتها فأدخل علي يده فنزعه . فقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه : يارسول الله ! هذه سرية من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب ويكون في بعضها اعتراض فتبعث علياً فيسهله .

قال ابن اسحاق : ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال : يا علي ! اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك . فخرج علي حتى جاءهم و معه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء و ما أصيب لهم من الأموال حتى انه ليدى لهم ميلغة [1] الكلب إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال . فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقي لكم (بقية من)دم أومال لم يود لكم . قالوا : لا . قال : فاني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم و لا تعلمون ، ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فاخبره الخبر، فقال : أصبت وأحسنت. قال : ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى انه ليرى ماتحت منكبيه يقول : أللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالدبن وليد .ثلاث مرات .

وقدكان بين خالد وبين عبدالرحمن بن عوف كلام في ذلك فقال له عبدالرحمن ابن عوف : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام [2] وفي الاصابه : أنكر عليه عبدالله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة ، و قد تعد هذه الفضيحة أيضاً من جنايات لغة كنانة كما في الاصابة ٢ : ٨١ .

فهذا الرهق و السرف في سيف خالد على عهدأبي بكر من بقايا تلك النزعات الجاهلية ، و هذه سيرته من أول يومه ، فأنى لناأن نعده سيفاً من سيوف الله و قد تبرأ منه نبي الاسلام الأعظم غير مرة ، مستقبل القبلة شاهرأيديه و أبوبكر ينظرإليه من كثب .

---

(١) الميلغة : خشبة تحفر ليلغ فيها الكلب .

(٢) سيرة ابن هشام ٤ ص ٥٣ -٥٧ ، طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ٦٥٩ ، صحيح البخارى شطرا منه فى كتاب المغازى باب بعث خالد الى بنى جذيمة ' تاريخ ابى الفدا ج١ ص١٤٥ ' اسد الغابة ٣ : ١٠٢ ' الاصابة ١ ص ٣١٨ ' ج ٢ ص ٨١ .

- ١١ -

ثلاثةٌ و ثلاثةٌ و ثلاثةٌ

عن عبدالرّحمن بن عوف قال: إنّه دخل على أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه في مرضه الذي توفّي فيه فأصابه مهتمّاً، فقال له عبدالرحمن: أصبحت والحمدلله بارئاً فقال أبوبكر رضي الله عنه: أتراه؟ قال: نعم: إنّي ولّيت أمركم خيركم في نفسي فكلّكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه، و رأيتم الدنيا قد أقبلت و لمّا تقبل و هي مقبلة حتى تتّخذوا ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألّموا الاضطجاع على الصوف الأذري كما يألم أحدكم أن ينام على حسك، والله لإن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خيرٌ له من أن يخوض في غمرة الدنيا، وأنتم أوّل ضالّ بالناس غداً فتصدّونهم عن الطريق يميناً أو شمالاً، يا هادي الطريق إنّما هو الفجر أو البحر. فقلت له: خفّض عليك رحمك الله، فإنّ هذا يهيضك في أمرك، إنّما الناس في أمرك بين رجلين: إمّا رجلٌ رأى ما رأيت فهو معك. و إمّا رجلٌ خالفك فهو مشيرٌ عليك و صاحبك كما تحبّ، ولا نعلمك أردت إلّا خيراً، ولم تزل صالحاً مصلحاً، وإنّك لاتأسى على شيء من الدنيا. قال أبوبكر رضي الله عنه: أجل أنّي لا آسي على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهنّ وددت انّي تركتهنّ. و ثلاث تركتهنّ وددت انّي فعلتهنّ. و ثلاث وددت انّي سألت عنهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأمّا الثلاث اللاّتي وددت انّي تركتهنّ: فوددت انّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب. ووددت انّي لم أكن حرقت الفجاءة السلمي وأنّي كنت قتلته سريحاً، أوخلّيته نجيحاً. ووددت إنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً

و أما اللاّتي تركتهنّ فوددت انّي يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنّه تخيّل إليّ انّه لايرى شرّاً إلّا أعان عليه. ووددت انّي حين سيّرت خالد بن الوليد إلى أهل الرّدة كنت أقمت بذي القصّة فإن ظفر المسلمون ظفروا، و إن

هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد . ووددت أنِّي إذا وجَّهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجَّهت عمر بن الخطاب إلى العراق ، فكنت قد بسطت يدي كلتيهما في سبيل الله . و مدَّ يديه .

و وددت أنِّي كنت سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الأمر ؟ فلا ينازعه أحدٌ ، و وددت أنِّي كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب ؟ و وددت أنِّي كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمَّة فإنَّ في نفسي منهما شيئاً .

أخرجه أبو عبيد في الأموال ص ١٣١ ، والطبري في تاريخه ٤ ص ٥٢ ، و ابن قتيبة في الامامة والسياسة ١ ص ١٨ ، والمسعودي في مروج الذهب ١ : ٤١٤ ، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٢ : ٢٥٤ .

والاسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقاتٌ أربعة منهم من رجال الصِّحاح السِّتّ .

قال الأميني : إنَّ في هذا الحديث اموراً تسعة ، ثلاثة منها فات الخليفة فقهها يوم عمل بها ، وقد بسطنا القول في إحراق الفجاءة منها .

و أمَّا تمنِّي قذف الأمر في عنق أحد الرجلين فإنَّه ينمُّ عن أنَّ الخليفة انكشف له في اُخريات أيَّامه انَّ ماناء به من الأمر لم يكن على القانون الشرعيِّ في الخلافة و الوصيَّة ، لأنَّ المخلِّف والموصي يجب أن يكون هو المعيِّن لمن ينهض بأمره من بعده ، وهو الذي تنبَّه له الخليفة الثاني بعد ردح من الزمن فقال : كانت بيعة أبي بكر فلتة كفلتة الجاهليَّة وقى الله شرَّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه [1] .

ولأدري أنَّ ما تنبَّها له هل هو قصورٌ في المختار « بالفتح » أو فيه « بالكسر » أو فيهما معاً ؟ أو في كون الاختيار موجباً لتعين الخليفة ؟ وأيّاً ما أراد فلنا فيه المخرج . وهؤلاء زمر الأنبياء والرسل لم يعدهم التنصيص بالخليفة من بعدهم ، ولن انتخبت اُممهم خلفاء لهم .

وهل هنا لك ذو حجىً يزعم أنَّ وصاية الفقيد المبيحة للتصرُّف فيما تركه من بعده موكولةٌ إلى اناس أجانب لا يعرفون ما يرتأيه في شئونه ، بعداء عن مغازيه و ما يروقه في ماله وأهله ، والفقيد عاقلٌ رشيدٌ يعرف الصالح من غيره ، ويعلم بنوايا مَن

(١) راجع الجزء الخامس ص ٣٧٠ ط ٢ وهذا الجزء ص ٧٩ .

يلتاث به، ومَن يحدوه الجشع ، و ترقل به النهمة ، ويستفزّه الطمع ، أفتراه والحالة هذه يترك الوصيّة ؟ فيدع ما تركه اُكلة للآكل ؟ ومطمعاً للناهب ؟ لا .

لايفعل ذلك و هو يريد خيراً بآله و صلاحاً في ماله ، و على ذلك جرت سنّة المسلمين منذ عهد الصحابة إلى يومنا الحاضر ، وأقرّته الشريعة الإسلاميّة ، وشرّعت للوصايا أحكاماً ، وجاء في الصحيحين[1] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : ما حقّ امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلّا ووصيّته مكتوبةٌ عنده . كذا في لفظ البخاري ، وفي لفظ مسلم : يبيت ثلاث ليال ، قال ابن عمر : ما مرّت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك إلّا وعندي وصيّتي . قال النووي في رياض الصالحين ١٥٦ : متّفقٌ عليه .

وصّى الإلٰه وأوصت رسله فلذا ✿ كان التأسّي بهم من أفضل العمل

لولا الوصيّة كان الخلق في عمَه ✿ و بالوصيّة دام الملك في الدّول

فاعمل عليها ولا تهمل طريقتها ✿ إنّ الوصيّة حكم الله في الأزل

ذكرت قوماً بما أوصى الإلٰه به ✿ وليس إحداث أمر في الوصيّة لي[2]

فإذا كانت الوصية ثابتة في حطام زائل ؟ فمابالها تنفى في خلافة راشدة ، وشريعة خالدة ، مكتفّلة بصلاح النفوس والنواميس والأموال والأحكام والأخلاق والصالح العام والسّلام والوئام ؟ ومن المسلّم قصور الفهم البشريّ العاديّ عن غايات تلكم الشئون فلا منتدح والحالة هذه عن أن يعيّن الرسول الأمين عن ربّه خليفته من بعده ليقتصّ أثره في اُمّته .

و قد مرّ في صفحة ١٣٢ رأي عائشة و عبد الله بن عمر و معاوية و حديث الناس بأنّ راعي إبل أو غنم أو قيّم أرض لأيّ أحد لا يسعهم ترك رعيتهم هملاً ، و رعية الناس أشدّ من رعية الإبل والغنم. فالاُمّة لماذا صفحت يوم السقيفة عن هذا الحكم المتسالم عليه بينها ؟ و لماذا نبأت عنه الأسماع ؟ و خرست الألسن ؟ و ذهلت الأحلام عنه يوم ذاك ، ثمّ حدّث به الناس و نبّأته الاُمّة ؟ و لماذا ترك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اُمّته سُدىً هملاً ؟ و فتح بذلك أبواب الفتن المضلّة المدلهمّة ؟ و استحقر اُمّته و رأى

(١) صحيح البخاري ٤ : ٢ كتاب الوصية ، وصحيح مسلم ٢ : ١٠ .

(٢) الجزء الاخير من الفتوحات المكية لابن العربى ص ٥٧٥ .

رعيتها أهون من رعية الإبل والغنم؟ حاشا النبي الأعظم عن هذه الأوهام، فإنه ﷺ وصى واستخلف و نص على خليفته و بلغ أمته غير أنه عهد إلى وصيه من بعده: ان الأمة ستغدر به بعده كما ورد في الصحيح [١] و قال له ايضاً: أما إنك ستلقي بعدي جهدا، قال (علي): في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك [٢] و قال لعلي: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها إلا من بعدي [٣] و قال له: يا علي إنك ستبتلى بعدي فلا تقاتلن. «كنوز الدقائق للمناوي ص ١٨٨»

ثم إن الخليفة النادم لما ذا تمنى التسلل عن الأمر يوم السقيفة؟ و قذفه في عنق أحد الرجلين: أبي عبيدة أوعمر؟ أكان ندمه عن حق وقع؟ فالحق لاندم فيه. و إن كان عن باطل سبق؟ فهو يهدم أساس الخلافة الراشدة.

ثم الذي وده من قذفه إلى عنق أحد الرجلين فإنا لا نعرف وجهاً لتخصيصهما بالقذف و في الصحابة أعاظم و ذووفضائل لا يبلغ الرجلان شأو أي منهم، و هذان بالنظر إلى ما عرفناه من أحوال الصحابة إن لم نقل إنهما من ساقتهم، فإنا نقول بكل صراحة إنهما لم يكونا من الأعالي منهم و فيهم من فيهم، و قبل جميعهم سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام صاحب السوابق والمناقب والصهر والقرابة والغناء والعناء، و صاحب يوم الغدير، والأيام المشهودة، والمواقف المشهورة، نفس النبي الأعظم بنص من الكتاب العزيز [٤] المطهر من كل رجس بآية التطهير [٥].

فهلا ود أن يقذفه إليه؟ فيسير بالأمة سيراً سجحا، و يحملهم على المحجة البيضاء، و يأخذ بهم الطريق المستقيم، ويجدونه هادياً مهدياً، يدخلهم الجنة. كما أخبر بهذه كلها النبي الأعظم ﷺ وقدم شطر منها في الجزء الأول صفحة ١٢ ،١٣ ط ٢.

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٠، ١٤٢، و صححه هو والذهبي في تلخيصه، تاريخ الخطيب ١١ ص ٢١٦، تاريخ ابن كثير ٦: ٢١٩، كنز العمال ٦: ١٥٧.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٠ و صححه هو واقره الذهبي.

(٣) اخرجه ابن عساكر، و المحب الطبري في الرياض ٢: ٢١٠ نقلا عن احمد في المناقب و الحافظ الكنجي في الكفاية ص ١٤٢، والخوارزمي في المقتل ١: ٣٦.

(٤) بآية المباهلة في سورة آل عمران: ٦١.

(٥) في سورة الاحزاب: ٣٣.

و أمّا كشف بيت فاطمة سلام الله عليها فانّه لايروقنا هاهنا خدش العواطف بتلكم النوائب، غيرانّه سبقت منّابعض القول في الجزء الثالث ص١٠٢- ١٠٤ط٢ وفي هذا الجزء ص ٧٧، ٨٦ .

و فذلكة ذلك النبأ العظيم أنّ الصدّيقة سلام الله عليها قضت و هي واجدةٌ على من ارتكبه، وكانت صلوات الله عليها تدعو عليه بعد كلّ صلاة صلّتها [١] .

وإن تعجب فعجبٌ انّ القوم ارتكب ما ارتكب من تلكم الفظايع و ارتبك فيها و ملأ الاسماع هتاف النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: من عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهي بضعةٌ منّي، هي قلبي و روحي التي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني .

و بقوله: فاطمة بضعةٌ منّي يريبني ما رابها، و يؤذيني ما آذاها .

و بقوله: فاطمة بضعةٌ منّي فمن أغضبها فقد أغضبني .

و بقوله: فاطمة بضعةٌ منّي يقبضني ما يقبضها، و يبسطني ما يبسطها [٢] .

و بقوله: فاطمة بضعةٌ منّي يسرّني ما يسرّها [٣] .

و بقوله: يا فاطمة إنّ الله يغضب لغضبكِ، و يرضى لرضاكِ [٤] .

وبهذا الهتاف تعلم أنّ ندم الخليفة كان في محلّه، غير أنّه ندمٍ ولات حين مندم، ندمٍ وقد قضى الأمر و وقع ما وقع، ندمٍ والصدّيقة الطاهرة مقبورةٌ و ملأ اهابها موجدة .

الثلاثة الوسطى

وأمّا الثلاثة من هاتيك الاُمور التسعة التي ندم عليها الخليفة على تركها فانّها تعرب عن أنّه ارتكب ما ارتكب فيها لاعن تروٍّ أو بصيرة في الأمر، أو إستنادٍ إلى حكم شرعيّ، حتى كشف له الخطأ فيها جمعاء، وقد وقعت فيها عظائم، وأعقبتها طامّات، و خليفة المسلمين يجب أن لايرتكب ما يستتبعها، ولا يفعل مايوجب الندم في مغبّته، و قصّة الأشعث بن قيس تعرب عن أنّ ندم الخليفة كان في محلّه، فأنّ الرجل بعد ما ارتدّ

(١) الامامة والسياسة ١ : ١٤ ، رسائل الجاحظ ص ٣٠١ ، أعلام النساء ٣ ص ١٢١٥ .

(٢) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٠ ، وسنوقفك على تفصيلها في هذا الجزء انشاءالله

(٣) الاغاني ٨ : ١٥٦ .

(٤) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ١٨٠ ط٢ ، وسنفصل فيه القول انشاءالله .

وأتى بمعرّات وقاتل المسلمين وأُخذ وأُتي به أسيراً إلى الخليفة فقال: ماذا تراني أصنع بك؟ فإنك قد فعلت ماعلمت. قال: تمنّ عليّ فتفكّني من الحديد، وتزوّجني اختك، فإنّي قد راجعت وأسلمت. فقال أبوبكر: قد فعلت فزوّجه أمّ فروة ابنة أبي قحافة، فاخترط سيفه ودخل سوق الإبل فجعل لايرى جملاً ولا ناقة إلّا عرقبه، فصاح الناس: كفر الأشعث. فلمّا فرغ طرح سيفه وقال: إنّي والله ماكفرت ولكن زوّجني هذا الرجل أُخته ولو كنّا في بلادنا كانت وليمة غير هذه، ياأهل المدينة! كلوا، ويا أصحاب الابل! تعالوا خذوا شرواها، فكان ذلك اليوم قد شبّه بيوم الأضحى وفي ذلك يقول وبرة بن قيس الخزرجي:

لقد أولم الكنديّ يوم ملاكه ✡ وليمة حمّال لثقل الجرائم
لقد سلّ سيفاً كان مذ كان مغمداً ✡ لدى الحرب منها في الطلا والجماجم
فأغمده في كلّ بكرٍ و سابحٍ ✡ وعير وبغل في الحشا والقوائم
فقل للفتى الكنديّ يوم لقائه ✡ ذهبت بأسنى مجد أولاد آدم

وقال الأصبغ بن حرملة الليثي متسخّطاً لهذه المصاهرة:

أتيت بكنديٍّ قد ارتدّ و انتهى ✡ إلى غاية من نكث ميثاقه كفرا
فكان ثواب النكث إحياء نفسه ✡ وكان ثواب الكفر تزويجه البكرا
و لو أنّه يأبى عليك نكاحها ✡ و تزويجها منه لأمهرته مهرا
و لو أنّه رام الزيادة مثلها ✡ لأنكحته عشراً وأتبعته عشرا
فقل لأبي بكر: لقد شنت بعدها ✡ قريشاً وأخملت النباهة والذكرا
أما كان في تيم بن مرّة واحد ✡ تزوّجه؟ لولا أردت به الفخرا؟
و لو كنت لمّا أن أتاك قتلته ✡ لأحرزتها ذكراً و قدّمتها ذخرا
فأضحى يرى ما قد فعلت فريضة ✡ عليك فلا حمداً حويت ولا أجرا[1]

الثلاثة الاخر

انّ الثلاثة الأُخر التي تمنّى الخليفة أن يكون استعلمها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانّها تنبأنا بقصوره في علم الدين، وإنّه كان نابياً في فقهه، لا يعرف أحكام المواريث

(١) تاريخ الطبرى ٣: ٢٧٦ ثمار القلوب للثعالبى ص ٦٩، الاستيعاب ١: ٥١، الكامل لابن الاثير ٢: ١٦٠، مجمع الامثال للميدانى ٢: ٣٤١، الاصابة ١: ٥١، و ج ٣: ٦٣٠.

التي يكثر إبتلاء خليفة المسلمين بها طبعاً ، وإنّه كان شاكّاً في أصل الخلافة هل هي بالنصّ أو الاختيار ؟ وعلى الثاني هل تخصّ المهاجرين فحسب ؟ أو أنّه يشاركهم فيها الأنصار ؟ وعلى أيّ فهو في تسنّمه عرش الخلافة غير متيقّن بالرشد من أمره ، ولا نُحكّم هاهنا غير ضميرك الحرّ ، وليس في الحقّ مغضبة .

ثمّ إنّي لا أعرف لهذا التمنّي محصّلاً لأنّه لو كان سأله ﷺ عن ذلك لما كان يجيبه إلاّ بمثل قوله : من كنت مولاه فعليّ مولاه . غ ج ١ [1] .

وقوله : إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي [2] .

وقوله : إنّي تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي [3] .

وقوله : عليٌّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي غ ٣ : ١٩٩ .

وقوله لعليّ : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّك لست بنبيّ ، انّه لا ينبغي أن أذهب إلاّ و أنت خليفتي . غ٣ : ١٧٢ .

وقوله : أوحي إليّ في علي ثلاث : انّه سيد المسلمين . وإمام المتّقين . وقائد الغرّ المحجلين : مستدرك الحاكم ٣ : ١٣٨ .

وقوله : إن الله اطّلع على أهل الأرض فاختار منه أباكِ فبعثه نبيّاً ، ثمّ اطّلع الثانية فاختار بعلكِ فأوحى اليّ فأنكحته واتّخذته وصيّاً . غ٢ : ٣١٨ وج ٣:٢٣.

وقوله : عليٌّ الصدّيق الأكبر وفاروق هذه الأمّة ، يفرق بين الحقّ والباطل ، ويعسوب المؤمنين، وهو بابي الذي أوتي منه ، وهو خليفتي من بعدي.غ٢ : ٢١٣.

وقوله : عليٌّ راية الهدى ، وامام أوليائي ، ونور من أطاعني ، والكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبّه أحبّني ومن أبغضه أبغضني.غ ٣ : ١١٨.

وقوله : عليٌّ أخي ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي.غ٢: ٢٧٩-٢٨١.

وقوله : عليٌّ سيّدٌ مبجّل ، مؤمل المسلمين ، وأمير المؤمنين ، وموضع سرّي وعلمي، وبابي الذي يؤوى اليه، وهو الوصيّ على أهل بيتي، وعلى الأخيار من أمّتي، وهو أخي في الدنيا والآخرة .غ٣ : ١١٦.

---

(١) هذا رمز كتابنا هذا (الغدير) في هذا الجزء وبقية الاجزاء.

(٢) (٣) مرّ الايعاز الى حديث الثقلين غير مرة وسنفصل القول فيه انشاء الله .

وقوله : عليٌّ أخي ووزيري وخير من أترك بعدي . غ ٢: ٣١٣.

وقوله : عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض . غ ٣: ١٧٧.

وقوله : عليٌّ مع الحقّ والحقّ معه وعلى لسانه يدور حيثما دار عليٌّ . غ ٣: ١٧٨.

وقوله : عليٌّ مع القرآن و القرآن معه لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض . غ ٣: ١٨٠.

وقوله : عليٌّ منّي وأنا منه ، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي . غ ٣ : ٢٢، ٢١٥.

وقوله : عليٌّ مولى كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة . غ ١: ١٥، ٥١ .

وقوله : عليٌّ أنزله الله منّي بمنزلتي منه . غ ١: ٢٢.

وقوله : عليٌّ وليّي في كلّ مؤمن بعدي . مسند أحمد ١ : ٢٣١ .

وقوله : عليٌّ منّي بمنزلتي من ربّي . السيرة الحلبيّة ٣ : ٣٩١ .

وقوله : عليٌّ وليّ المؤمنين من بعدي . تاريخ الخطيب ٤ : ٣٣٩ .

وقوله : من كان الله ورسوله وليّه فعليٌّ وليّه . غ ١ : ٣٨.

وقوله : لا يُبلّغ عنّي إلّا أنا أو رجل منّي . غ ٦ : ٣٣٨-٣٥٠.

وقوله : ما من نبيّ إلّا وله نظير وعليٌّ نظيري . غ ٣ : ٢٣ .

وقوله : أنا وعليّ حجّة على اُمّتي يوم القيامة . تاريخ الخطيب ٢ : ٨٨.

وقوله : من أطاع عليّاً فقد أطاعني ، ومن عصى عليّاً فقد عصاني . مستدرك الحاكم ٣ : ١٢١، ١٢٨.

كيف تمنّى الخليفة ما تمنّى مع هذه النصوص ؟ أو كان في الآذان وقرٌ يوم هتف صلى الله عليه وآله وسلم بهاتيك الكلم الجامعة المعربة عن الخلافة بكلّ ما يمكن من التعبير ؟ أم أنّ في القوم من تصامم عنها لأمر دبّر بليل.

أو لم يكف الخليفة انّه صلى الله عليه وآله وسلم لمّا عرض نفسه على القبائل و كان معه عليٌّ أمير المؤمنين ومعهما أبو بكر وبلغ بني عامر بن صعصعة و دعاهم إلى الله فقال له قائلهم : أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثمّ أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : إنّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء[1] ؟

---

(١) مرّت مصادره في هذا الجزء ص ١٣٤.

أفكان يزعم الخليفة ؛ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله الذي أناط الأمر بعده إلى المولى سبحانه ومشيئته كان لو سأله عن ذلك أجابه بالترديد بين اختيار الأمّة ولو لم تكتمل فيه شرايط الإجماع والانتخاب الصحيح كما في البيعة الأولى؛ و بين وصيّة الخليفة واستخلافه كما وقع في أمر الثاني؛ وبين الشورى مع إرهاب المخالف بالقتل كما كان في منتهى الثلاثة؛ لكنّه لو كان يحسب ذلك لماودّ أن لو كان سأله صلى الله عليه وآله وكان يعلم ايضاً انّ الترديد في الجواب على فرضه إغراءٌ للأمّة بالفوضى ، و في ذلك مسرح لكل مدّعٍ محقّ أو مبطل ، ولاحتجّ به كلّ ناعبٍ وناعقٍ حتّى تنتهي النوبة إلى الطلقاء وأبناء الطلقاء أمثال معاوية و يزيد وهلمّ جرّا .

تحفظ على كرامة

حذف أبو عبيد من الحديث ذكر الأمر الأوّل من الثلاثة الأول وهو : كشف بيت فاطمة وجعل مكانه قوله : فوددت انّي لم أكن فعلت كذا وكذا ـ لخلّة ذكرها ـ فقال : لا أريد أذكرها . وماحرّف ماحرّف إلّا تحفّظاً على كرامة الخليفة ، والأسف على انّ غيره ما شاركه فيما فعل ، فظهرت خيانته على ودائع التاريخ .

-١٢-

سؤال يهودي أبابكر

عن أنس بن مالك قال : أقبل يهوديٌّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فأشار القوم إلى أبي بكر فوقف عليه فقال : أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبيٌّ أو وصيٌّ نبيّ قال أبو بكر : سل عمّا بدالك . قال اليهودي : أخبرني عمّا ليس لله ، وعمّا ليس عند الله ، وعمّا لا يعلمه الله . فقال أبو بكر : هذه مسائل الزنادقة يا يهوديّ ؛ وهمّ أبو بكر والمسلمون رضي الله عنهم باليهودي ، فقال ابن عبّاس رضي الله عنهما : ما أنصفتم الرجل . فقال أبو بكر : أما سمعت ما تكلّم به ؟ فقال ابن عبّاس إن كان عندكم جوابه وإلّا فاذهبوا به إلى عليّ رضي الله عنه يجيبه فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبي طالب : أللهم اهد قلبه ، وثبّت لسانه . قال : فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا عليّ بن ابي طالب

فاستأذنوا عليه فقال أبو بكر : يا أباالحسن ! إنّ هذا اليهودي سألني مسائل الزنادقة . فقال علي : ماتقول يايهودي؟ قال : اسألك عن أشياء لايعلمها إلاّ نبي أووصي نبي . فقال له : قل. فرد اليهودي المسائل : فقال علي رضي الله عنه : أمّا لايعلمه الله فذلك قولكم يامعشر اليهود ! : إنّ العزير ابن الله ، والله لايعلم أنّ له ولداً . و أمّا قولك: أخبرني بماليس عندالله . فليس عنده ظلم للعباد ، وأمّا قولك : أخبرني بماليس لله فليس له شريك . فقال اليهودي: أشهدأن لاإله إلاالله ، وأنّ محمّداًرسول الله ، وأنّك وصي رسول الله ﷺ . فقال أبو بكروالمسلمون لعلي عليه السلام : يا مفرّج الكرب . « المجتنى لابن دريد ص ٣٥ »

قال الأميني : إقرأ واحكم .

-١٣-

وفد النصارى وأسؤلتهم

أخرج الحافظ العاصمي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : لمّا قبض النبي ﷺ اجتمعت النصارى إلى قيصر ملك الروم فقالوا له : أيّها الملك أنّا وجدنا في الإنجيل رسولاً يخرج من بعد عيسى إسمه أحمد و قد رمقنا خروجه و جائنا نعته فأشر علينا فانّا قد رضيناك لديننا و دنيانا قال : فجمع قيصر من نصارى بلاده مائة رجل و أخذ عليهم المواثيق أن لايغدروا ولا يخفوا عليه من امورهم شيئاً وقال : انطلقوا إلى هذا الوصيّ الذي من بعد نبيّهم فسلوه عمّا سئل عنه الأنبياء عليهم السّلام و عمّا أتاهم به من قبل ، والدلايل التي عرفت بها الأنبياء ، فان أخبركم فآمنوا به و بوصيّه واكتبوا بذلك إليّ ، وإن لم يخبركم فاعلموا انّه رجل مطاع في قومه ، يأخذ الكلام بمعانيه ، ويردّه على مواليه ، وتعرّفوا خروج هذا النبيّ . قال: فسار القوم حتّى دخلوا بيت المقدس واجتمعت اليهود الى رأس جالوت فقالوا له مثل مقالة النصارى بقيصر ، فجمع رأس جالوت من اليهود مائة رجل ، قال سلمان فاغتنمت صحبة القوم فسرنا حتى دخلنا المدينة وذلك يوم عروبة[1] وأبوبكر قاعدٌ في المسجد رضي الله عنه يفتي الناس فدخلت عليه فأخبرته بالذى قدم له النصارى واليهود فأذن لهم بالدخول عليه فدخل عليه رأس جالوت

(١) يعني يوم الجمعة و كان يسمى قديماً بيوم عروبة ، و يوم العروبة . والافصح ترك الالف واللام .

فقال : يا أبا بكر إنّا قومٌ من النصارى واليهود جئناكم لنسألكم عن فضل دينكم فان كان دينكم أفضل من ديننا قبلناه وإلّا فديننا أفضل الأديان ؟ قال أبو بكر : سل عمّا تشاء اُجبك إن شاء الله قال : ما أنا وأنت عند الله ؟ قال أبو بكر : أمّا أنا فقد كنت عند الله مؤمناً وكذلك عند نفسي إلى الساعة ولا أدري مايكون من بعد . فقال اليهودي : فصف لي صفة مكانك في الجنّة ، وصفة مكاني في النار ، لأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني . قال : فأقبل أبو بكر ينظر إلى معاذ مرّة و إلى ابن مسعود مرّة ، وأقبل رأس جالوت يقول لأصحابه بلغة اُمّته : ما كان هذا نبيّاً : قال سلمان : فنظر إليّ القوم ، قلت لهم : أيّها القوم ! ابعثوا إلى رجل لو ثنيتم الوسادة لقضى لأهل التوراة بتوراتهم ؛ ولأهل الإنجيل بانجيلهم ، ولأهل الزبور بزبورهم ، ولأهل القرآن بقرآنهم ، ويعرف ظاهر الآية من باطنها ، و باطنها من ظاهرها . قال معاذ : فقمت فدعوت عليّاً بن أبي طالب وأخبرته بالذي قدمت له اليهود والنصارى فأقبل حتّى جلس في مسجد رسول الله ﷺ قال ابن مسعود : وكان علينا ثوب ذلّ : فلمّا جاء عليٌّ بن أبي طالب كشفه الله عنّا قال عليٌّ : سلني عمّا تشاء اخبرك إن شاء الله قال اليهودي : ما أنا وأنت عند الله ؟ قال أمّا أنا فقد كنت عند الله وعند نفسي مؤمناً إلى الساعة فلا أدري ما يكون بعدُ . وأمّا أنت فقد كنت عند الله وعند نفسي إلى الساعة كافراً ولا أدري ما يكون بعد قال رأس جالوت : فصف لي صفة مكانك في الجنّة وصفة مكاني في النار فأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني قال : عليٌّ : يا يهودي ! لم أرَ ثواب الجنّة ولا عذاب النار فأعرّف ذلك ، ولكن كذلك أعدّ الله للمؤمنين الجنّة وللكافرين النار ، فان شككت في شيء من ذلك فقد خالفتَ النبيَّ ﷺ ولست في شيء من الإسلام . قال : صدقت رحمك الله فإنّ الأنبياء يوقنون على ما جاؤا به فإن صدقوا آمنوا ، وإن خولفوا كفروا . قال : فأخبرني أعرفت الله بمحمّد أم محمّداً بالله ؟ فقال عليٌّ : يا يهودي ! ما عرفت الله بمحمّد ولكن عرفت محمّداً بالله لأنّ محمّداً محدودٌ مخلوقٌ و عبدٌ من عباد الله اصطفاه الله و اختاره لخلقه وألهم الله نبيّه كما ألهم الملائكة الطاعة ،وعرّفهم نفسه بلا كيف ولا شبه . قال: صدقت قال : فاخبرني الربّ في الدنيا أم في الآخرة ؟ فقال عليٌّ : إنّ «في» وعاءٌ فمتى ما كان بفي كان محدوداً ولكنه يعلم ما في الدنيا والآخرة ، وعرشه في هواء الآخرة و هو محيطٌ بالدنيا ، والآخرة بمنزلة القنديل في وسطه إن خليت يكسر ، وإن أخرجته لم يستقم

مكانه هناك فكذلك الدنيا وسط الآخرة. قال: صدقت قال: فأخبرني الرب يحمل أو يُحمل؟ قال علي بن أبي طالب: يَحمل. قال رأس جالوت: فكيف؟ و إنّا نجد في التوراة مكتوباً و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية. قال علي: يا يهودي: إنّ الملائكة تحمل العرش، والثرى يحمل الهواء، والثرى موضوع على القدرة وذلك قوله تعالى: له ما في السموات وما في الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى. قال اليهودي: صدقت رحمك الله. الحديث. «زين الفتى في شرح سورة هل أتى للحافظ العاصمي»

﴿ هلمّ معي الى الغلو ﴾

هذه جملة ممّا وقفنا عليه من فتاوى أبي بكر و آرائه وهي على قلّتها تدلّك على مكانته من علم الكتاب، و عرفان السنّة، وفقه الشريعة، واحكام الدين، أو ليس من المغالاة إذن أن يُقال: عَلِم كلّ ذي حظّ من العلم أنّ الذي كان عند أبي بكر من العلم أضعاف ما كان عند عليّ منه؟ (١)

أليس من المغالاة؟ أن يُقال: إنّ المعروف انّ الناس قد جمع الأقضية والفتاوى المنقولة عن أبي بكر وعمر و عثمان و عليّ فوجدوا أصوبها و أدلّها على علم صاحبها امور أبي بكر ثمّ عمر، و لهذا كان ما يوجد من الأمور التي و جد نصّ يخالفها عن عمر أقلّ ممّا وجد عن عليّ، و أمّا أبو بكر فلا يكاد يوجد نصّ يخالفه؟.

أليس من المغالاة؟ أن يُقال: لم يكن أبو بكر وعمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يخصّان عليّاً بسؤال، والمعروف: أنّ عليّاً أخذ العلم عن أبي بكر؟ (٢).

أليس من المغالاة أن يقال: إنّ أبا بكر من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على الاطلاق؟. قاله ابن حجر في الصواعق ص١٩.

أليس من المغالاة؟ أن يقال: إنّ أبا بكر أعلم الصحابة و أذكاهم، و كان مع ذلك أعلمهم بالسنّة كما رجع إليه الصحابة في غير موضع، يبرز عليهم بنقل سنن عن النبيّ صلى الله عليه وآله يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها ليست عندهم، و كيف لا يكون

---

(١) قاله ابن حزم في الفصل ٤ : ١٣٦. راجع ما مر في الجزء الثالث ص ٩٥ ط٢.

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ٣ : ١٢٨. راجع ما اسلفناه في ج ٦ ص ٣٢٩ ط٢.

كذلك وقد واظب على صحبة الرسول صلى الله عليه وآله من أول البعثة الى الوفاة [١] .

أليس من المغالاة ؟ ما عزوه إلى النبيّ الأقدس من قيله صلى الله عليه وآله ما صبّ الله في صدري شيئاً إلّا صببته في صدر أبي بكر [٢] .

أليس من المغالاة ؟ ما رووه عنه صلى الله عليه وآله انّه قال : رأيت كأنّي أُعطيت عسّاً مملوّاً لبناً فشربت منه حتّى امتلأت ، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم ففضلت منها فضلة فأعطيتها أبابكر . قالوا : يارسول الله ! هذا علم أعطاكه الله حتّى إذا امتلأت ففضلت فضلة فأعطيتها أبابكر ، قال صلى الله عليه وآله : قد أصبتم «الرياض النضرة ١ : ١٠١»

أليس من المغالاة ؟ ماجاء به ابن سعد عن ابن عمر من انّه سُئل عمّن كان يفتي في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : أبوبكر وعمر ولا أعلم غيرهما .

راجع اسد الغابة ٣:٢١٦، الصواعق ص١٠،٢٠ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣٥.

قال الأميني : ليتني أدري وقومي ما بال القوم ؟ في نحت هذه الدعاوي الفارغة ، واختلاق هذه الأكاذيب المكردسة ، وزعق بسطاء الأُمّة إلى المزالق والطامّات ، و ردعهم عن مهيع الحقّ ، وَجدد الصّدق في عرفان الرجال ، ومقادير السلف .

أليست هذه الآراء تضادّ نداء المشرّع الأقدس وقوله لفاطمة : أما ترضين إنّي زوّجتك أوّل المسلمين إسلاماً وأعلمهم علماً ؟

وقوله لها : زوّجتكِ خير أُمّتي أعلمهم علماً .

وقوله : إنّ عليّاً لأوّل أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً .

وقوله : أعلم أُمّتي من بعدي عليّ .

وقوله : أنا مدينة العلم وعليّ بابها .

وقوله: عليّ وعاء علمي .

وقوله : عليّ باب علمي .

وقوله : عليّ خازن علمي .

وقوله : عليّ عيبة علمي .

وقوله : أنا دار الحكمة وعليّ بابها .

---

(١) تأريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٩ .

(٢) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣١٦ ط٢ و هذا الجزء ص ٨٧ .

وقوله : أنا دار العلم وعليٌّ بابها .

وقوله : أنا ميزان العلم وعليٌّ كفتاه .

وقوله : أنا ميزان الحكمة وعليٌّ لسانه .

وقوله : أقضى أمّتي عليٌّ .

وقوله : أقضاكم عليٌّ [١] إلى أمثال هذه من الكثير الطيّب ،

أليست تلكم الآراء المجرّدة تخالف ما أسلفناه في الجزء الثالث ص ٩٥ - ١٠١ وفي نوادر الأثر في الجزء السادس من أقوال الصحابة الأوّلين و التابعين باحسان في علم عليٍّ ؟ نظراء عائشة . وعمر . ومعاوية . وابن عبّاس . وابن مسعود . وعديّ بن حاتم . وسعيد بن المسيب . وهشام بن عتبة . وعطاء . وعبدالله بن حجل .

أنّى يسوغ القول بأعلميّة أيّ أحد من الأمّة غير عليٍّ أمير المؤمنين بعد ما مرَّ في الجزء الثالث ص ١٠٠ من إجماع أهل العلم أنّ عليّاً عليه السلام هو وارث علم النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم دونهم . وما أسلفناه هناك من الصحيح الوارد عن مولانا أمير المؤمنين من قوله : والله إنّي لأخوه ووليّه وابن عمّه ووارث علمه ، فمن أحقّ به منّي ؟ .

ثمّ أيُّ نُجفة من العلم كانت آية فضلة عسٍّ شربها الخليفة من يد النبيِّ الأعظم إن صحّت الأحلام ؟ أقوله في الأبِّ ؟ أم رأيه في الكلالة والجدِّ والجدّتين والخلافة و وغيرها ؟ أبمثل هذه كان هو وصاحبه يفتيان في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

وأيُّ صدر هذا لم يك ينضح بشيء من العلم - والاناء ينضح بما فيه - بعد ما صبَّ فيه رسول الله كلّما صبّ الله في صدره صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

وأنت جدُّ عليم بأنّ الأخذ بمجامع تلكم الصحاح المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال الصحابة والتابعين في علم أمير المؤمنين عليه السلام و الجمع بينها و بين تلكم الآراء في علم أبي بكر يستلزم القول بأعلميّته من رسول الله ايضاً بعد كونه وعليٌّ صلى الله عليهما وآلهما صنوين في الفضائل ، بعد كون عليٍّ رديف أخيه الأقدس ونفسه في مآثره ، بعد كونه وارث علمه و بابه و عيبته و وعاءه و خازنه ، ولا أحسب كلَّ القوم و لا أجلّهم يقول بذلك . نعم : مَن لم يتحاش عن الغلوِّ في أبي حنيفة والقول بأعلميّته من رسول الله

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٩٥ ط ٢ ، والجزء السادس ص ٦١ / ٨١ ط ٢ .

صلى الله عليه وآله وسلم في القضاء كما مرّ في الجزء الخامس ص ٢٧٩ ط ٢ لايكترث للقول بذلك في أبي بكر الأفضل من أبي حنيفة .

هذا هو الغلوّ الممقوت الّذي تصكّ به المسامع لا ماتقول به الشيعة ياأتباع أبناء حزم وتيميّة وكثير وجوزيّة ! .

مظاهر علم الخليفة

وأوّل مظهر من مظاهر علم الخليفة عند الباقلاني من المتقدّمين كما في تمهيده ص١٩١ ، وعند السيد أحمد زيني دحلان من المتأخّرين كما في سيرته هامش الحلبيّة ٣ : ٣٧٦ هو إعلامه الناس بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحجاجه عمر بن الخطاب بقول العزيز الحكيم : و ما محمّد إلّا رسولٌ قد خلت من قبله الرّسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . الآية[1] .

ما أذهل الرجلين عن انّ الأمر لم يعضل على أيّ امرىء من الصحابة ، وحاشاهم عن أن يكون هذا مبلغ علمهم ، وقد كان حملة القرآن الكريم بأسرهم على علم من موته صلى الله عليه وآله وسلم أخذاً بما أجرى الله بين البشر من الطبيعة المطّردة و قضى أجلاً وأجل مسمّى وماكان لنفس أن تموت إلّا باذن الله كتاباً مؤجّلاً ، و لكلّ أمّة أجل فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون . وتمسّكاً بالقرآن العظيم ، ونصوصه صلى الله عليه وآله وسلم الكثيرة عليه في مواقف لاتحصى ، أحفلها حجّة الوداع ومن هنا سمّيت تلك الحجّة بحجّة الوداع .

ولم يكن إنكار عمر موته صلى الله عليه وآله وسلم لجهله بذلك ، وقد قرأ عمر و بن زائدة عليه و على الصحابة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآية المذكورة قبل تلاوة أبي بكر إيّاها وأشفعها بقوله تعالى إنّك ميّت وإنّهم ميّتون[2] فضرب الرجل عنها وعن قارئها صفحاً ، وعمرو بن زائدة صحابيّ عظيم استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرّة في غزواته كما في الاصابة ٢ ص٥٢٣ .

وإنّما كان إنكاره ذلك وإرهابه الناس لسياسة مدبّرة ، وذلك صرف فكرة الشعب

(١) آل عمران . آية : ١٤٤.

(٢) راجع تاريخ ابن كثير ٥ : ٢٤٣ ، شرح المواهب للزرقاني ٨ . ٢٨١.

عن الفحص عن الخليفة إلى أن يحضر أبوبكر وكان غائباً بالسنح[١] خارج المدينة، وكان الأمرُ يمر بليل،

ألا ترى أنّ غير واحد من أعلام القوم قد اعتذروا عن إنكار عمر موته صلى الله عليه وآله وسلم بغير الجهل فمنهم من قال: إنّ ذلك كان لتشوّش البال، واضطراب الحال، والذهول عن جليّات الأحوال[٢] ومنهم من اعتذر بقوله: خَبَل عمر في وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يقول: إنّه والله مامات ولكنّه ذهب إلى ربّه[٣]

(المظهر الثاني) و جاء ابن حجر من علم الخليفة بمظاهر اُخرى واحتجّ بها على كونه أعلم الصحابة على الإطلاق. منها: ما أخرجه البخاري في صحيحه في صلح الحديبيّة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتيت نبيّ الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقلت: يانبيّ الله ألست نبيّ الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحقِّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلِمَ نعطي الدنيّة في ديننا إذن؟ قال: إنّي رسول الله، ولست أعصيه، و هو ناصري. قلت: أوليس كنتَ تحدّثنا أنّا سنأتي البيت و نطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك انّك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنّك آتيه ومطوّف به. قال: فأتيت أبابكر رضي الله عنه فقلت: يا أبابكر: أليس هذا نبيّ الله حقّاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الله وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى. قات: فلِمَ نعطي الدنيّة في ديننا إذن. فقال: أيّها الرجل! إنّه رسول الله ولن يعصي ربّه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله انّه على الحقّ. فقلت: أليس كان يحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك انّك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فانّك آتيه ومطوّفٌ به.

قال الأميني: هل في هذه الرواية غير أنّ أبابكر كان مؤمناً بنبوّة رسول الله، وبطبع الحال انّ كلّ منْ اعتنق هذا المبدء يرى انّه صلى الله عليه وآله وسلم لايعصي ربّه وهو ناصره و أنّ كلّ ميعاد جاء به لابدّ وأن يقع في الأجل المضروب له إن كان موقّتاً وإلّا فهو يقع

---

(١) تاريخ الطبرى ٣ ص ١٩٧، طبقات ابن سعد رقم التسلسل ط مصر: ٧٨٦، تفسير القرطبى ٤: ٢٢٣، عيون الاثر ٢: ٣٣٩.

(٢) شرح المقاصد للتفتازانى ٢: ٢٩٤.

(٣) عيون الاثر لابن سيدالناس ٣: ٣٣٩.

لامحالة في ظرفه الخاصّ به ، فلا يخالجه شكٌ إذا لم يعجّل .

هذه غاية مايوصف به أبو بكر بهذا الحديث ، وهو معنى يشترك فيه جميع المسلمين وليس من خاصّته ، فأيّ دلالة فيه على كون أبي بكر أعلم الصحابة على الإطلاق ؟ ولو كان عمر يسأل أيّ صحابي بسؤاله هذا لماسمع إلا لدنة ماأجاب به أبو بكر ومثل ماأجاب به رسول الله ﷺ ، وكذلك المسلمون كلّهم إلى منصرم الدنيا ، فانّك لاتجد عند أحدهم ضميراً غير هذا ، واذا فاتحته بالكلام عن مثله فلاتسمع جواباً غيره ، فهل فاتح عمر به غير أبي بكر أحداً من الصحابة وسمع جواباً غير ما أجاب به ؟ حتى يستدلّ به على أعلميّته على الإطلاق أو على التقييد .

وهل كان رسول الله ﷺ في صدد بيان غامض من علومه لمّا أجاب عمر حتّى يكون إذا وافقه أبو بكر في الجواب يصبح به أعلم الصحابة على الإطلاق ؟

وابن حجر يعلم ذلك كلّه ولذلك تعمّد باسقاط لفظ الرّواية وقال في الصواعق ص ١٩ : هو (ابو بكر) من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق للأدلّة الواضحة على ذلك منها : ماأخرجه البخاري وغيره انّ عمر في صلح الحديبيّة سأل رسول الله ﷺ عن ذلك الصلح وقال : علام نعطي الدنيّة في ديننا فأجابه النبيّ ﷺ ثمّ ذهب الى أبي بكر فسأله عمّا سأل عنه ﷺ من غير أن يعلم بجواب النبيّ ﷺ فأجابه بمثل ذلك الجواب سواء بسواء . ا هـ .

يوهم ابن حجر انّ هناك معضلة كشفها أبو بكر ، أو عويصة من العلوم حلّها ممّا يعدّ الخوض فيه من الأدلّة الواضحة على أعلميّة صاحبه من الصحابة على الإطلاق فليفعل ابن حجر ماشاء ، فأنّ نظّارة التنقيب رقيبة عليه ، والله من ورائه حسيب .

☆(المظهر الثالث)☆ ومن الأدلّة الواضحة عند ابن حجر على انّ الخليفة أعلم الصحابة على الإطلاق ماروى في الصواعق ص ١٩ عن عايشة مرسلاً انّها قالت : لمّا توفّي رسول الله ﷺ : اشرأبّ النفاق ، أي رفع رأسه ، وارتدّت العرب ، وانحازت الأنصار ، فلو نزل بالجبال الراسيات مانزل بأبي لهاضها ، اي فتتها ، فما اختلفوا في لفظة إلاطار أبي بعبأها وفصلها ، قالوا : أين ندفن رسول الله ﷺ ؟ فماوجدنا عند أحد في ذلك علماً فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مامن نبيّ يقبض إلادفن تحت مضجعه الذي مات فيه .

واختلفوا في ميراثه فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً فقال أبوبكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة.

ثمّ قال: قال بعضهم: وهذا أوّل اختلاف وقع بين الصحابة فقال بعضهم: ندفنه بمكّة مولده ومنشأه، وبعضهم بمسجده، وبعضهم بالبقيع، وبعضهم ببيت المقدس مدفن الأنبياء، حتّى أخبرهم أبوبكر بما عنده من العلم، قال ابن زنجويه: وهذه سنّة تفرّد بها الصدّيق من بين المهاجرين والأنصار ورجعوا اليه فيها.

قال الأميني: غاية ما في هذه المرسلة عن عايشة أنّ أبابكر روى حديثين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شذّت روايتهما عن الحضور في ذينك الموقفين، فان يكن بهما أبوبكر أعلم الصحابة على الإطلاق حتّى مَن لم يحضرهما ولو بنحو من التجشّم والرجم بالغيب. فكيف بمن روى آلافاً مؤلّفة من الأحاديث شذّت عن أبي بكر روايتها بجملة أو رواية أكثرها؟ و مع ذلك لا يُعدُّ أحدٌ منهم أعلمَ الصحابة أو أعلمَ من أبي بكر على الأقلّ.

أليس هو صاحب نادرة الأبّ والكلالة والجدّ والجدّتين إلى نوادر اُخرى؟ أليس هو الآخذ بالسنّة الشريفة من نظراء المغيرة بن شعبة ومحمّد بن مسلمة وعبد الرحمن بن سهيل إلى اُناس آخرين عاديّين؟

كأنّ ابن حجر يقيس الناس إلى نفسه ويحسبهم ولا يدَ حَجَر لا يعقلون شيئاً و هم يسمعون، ألا يقول الرجل ما الذي فهمه الصحابة من هتاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم هتف بقوله:

١- ما بين قبري ومنبري روضةٌ من رياض الجنّة وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

٢- ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنّة. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

٣- ما بين حجرتي إلى منبري روضةٌ من رياض الجنّة. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

٤- ما بين المنبر وبيت عائشة روضةٌ من رياض الجنّة. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

٥- من سرّه أن يصلّي في روضة من رياض الجنة فليصلّ بين قبري ومنبري؟

و هذه الأحاديث أخرجها باللفظ الأوّل البخاري[1] و أحمد، و عبد الرزاق،

(١) حكاه الانصاري عن نسخة من صحيحه في تحفة الباري المطبوع في ذيل ارشاد الساري ٤ : ٤١٢.

و سعيدبن المنصور ، والبيهقي في شعب الايمان ، والخطيب ، والبزار ، والطبراني ، و الدارقطني ، وأبونعيم ، وسمويه ، وابن‌عساكرمن طريق جابر ، وسعدبن أبي‌وقاص ، و عبد الله بن عمر ، وأبي سعيد الخدري .

راجع تاريخ الخطيب ١١ : ٢٢٨ ، ٢٩٠ ، إرشاد الساري للقسطلاني ٤ : ٤١٣ وصحّح إسناد البزّاروقال : عندالبزّاربسند رجاله ثقات ، كنزالعمال٦ : ٢٥٤ ، شرح النووي لمسلم‌هامش الارشاد ٦ : ١٠٣، تحفة الباري في‌ذيل‌الارشاد ٤ : ٤١٢ ، وحكاه السمهودي في وفاء الوفا ١ : ٣٠٣ عن الصحيحين ، وصحّحه من طريق البزّار .

وأخرجهاباللفظ الثاني البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وأحمد ، والدارقطني ، و أبويعلي ، والبزّار ، والنسائي ، وعبدالرزّاق ، والطبراني ، وابن‌النجّار، من‌طريق‌جابر وعبدالله‌بن‌عمر، وعبدالله المازني ، وأبي‌بكر .

راجع صحيح البخاري كتاب الصّلاة : باب فضل مابين القبر و المنبر ، و كتاب الحجّ ،وصحيح مسلم كتاب الحجّ ،باب : فضل‌مابين قبره ﷺ ومنبره ، تيسيرالوصول ٣ : ٣٢٣ ، تمييز الطيب ص ١٢٩ ، فقال : متّفقٌ عليه ، كنوز الدقائق ص ١٢٩، كنز العمّال ٦ : ٢٥٤ ، الجامع‌الصغيرو صحّحه وقال :حديثٌ متواترٌ كما في الفيض‌القدير ٥ : ٤٣٣ ، تحفة الباري في ذيل الإرشاد ٤: ٤١٢ ، وفاء الوفا ١ :٣٠٢ ، ٣٠٣وصحّحه باسناد أحمد والبزّار.

وأخرجه باللفظ‌الثالث أحمد ، والشاشي ، وسعيدبن‌منصور ، والخطيب من‌طريق جابر وعبدالله المازني كمافي تاريخ الخطيب ٣ :٣٦٠ ، وكنزالعمال ٦ ، ٢٥٤ ، وشرح النووي لمسلم هامش الإرشاد ٦ :١٠٣ .

واللفظ الرابع تجده في الأوسط للطبراني من طريق‌أبي سعيدالخدري كمافي ارشاد الساري ٤ـ ٤١٣ ، ووفاءالوفا ١ ٣٠٣٠ .

والخامس منها أخرجه الدّيلمي من طريق عبيد الله بن لبيد كما في كنزالعمال ٦ص ٢٥٤ .

و قال ابن أبي‌الحديد في شرحه٣ : ١٩٣: قلت : كيف اختلفوا في موضع دفنه و قد قال‌لهم : فضعوني على سريري في بيتي هذاعلى شفير قبري . وهذا تصريح بانّه

دفن في البيت الذى جمعهم فيه وهو بيت عايشة . اهـ .

وهذا الحديث أخرجه ابن سعد ، وابن منيع ، والحاكم ، والبيهقي ، والطبراني في الأوسط من طريق ابن مسعود كما في الخصايص الكبرى للحافظ السيوطي ٢ : ٢٧٦.

أيرى ابن حجر انّ الصحابة بعد تلكم الأحاديث كانوا غير عارفين تلك الروضة المقدّسة التي أنبأهم بها نبيّهم الأقدس ، وأمرهم بالصّلاة عليها ؟ أو يراهم إنّهم عرفوا القبر والمنبر وما بينهما من الروضة ، ووقفوا على حدودها من كَثَب أخذاً منه صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ اختلفوا في المدفن الشريف ، فباح به أبو بكر فأصبح بذلك أعلمهم على الإطلاق ؟

على انّه لو صحّت رواية الدفن لوجب أن يبوح بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن أوصاه بغسله و دفنه [١] لمن ولي غسله و كفنه وإجنانه [٢] لمن يعلم أنّه يباشر دفنه ويلي إجنانه في منتصف الليل من دون حضور غير أهله كما مرّ في ص ٧٥ لا الذي يغيب عن ذلك المشهد ، وغلبت على أجفانه عند ذاك سنة الكرى ، وتعيين المدفن من أهمّ مايوصى به عند كلّ أحد فضلاً عن سيّد البشر ، وهذا الاعتبار يعاضد ما أخرجه أبو يعلى من حديث عايشه ايضاً وإن يعارض حديثها عن أبيها . قالت : اختلفوا في دفنه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال عليّ : إنّ أحبّ البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيّه .

(الخصايص الكبرى ٢:٢٧٨) ولعلّ تجاه هذا الحديث اُختلفت رواية الدفن .

ولو كان عند دفن جثمان القداسة حوارٌ كما نصفه ابن حجر لتناقلته الألسن و تداولته السير والمدوّنات نقلاً عن الصحابة الحضور يوم ذاك الواقفين على الجلبة ، و المستمعين للّغط ، و َلما اختصّت بوصفه صفحات الصواعق أو مايشاكله من كتب المتأخّرين ولا تفرّدت برواية شيء منها عائشة ، وكيف تفرّدت بها ؟ وهي التي تقول : ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل [٣] .

ثمّ إنّ أوّل مفنّد لهذه السنّة المزعوم إطّرادها هو مدفن أوّل الأنبياء آدم عليه السلام فإنه توفي بمكّة ودفن عند الجبل الذي اهبط منه في الهند ، و قيل بجبل

(١) طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٧٩٨ ، ٨٠١ ، الخصايص الكبرى ٢: ٢٧٦، ٢٧٧ .
(٢) طبقات ابن سعد ص ٧٩٨ .
(٣) راجع ما مر فى ٧٥ .

أبي قبيس بمكّة [١].

و قد اشترى إبراهيم الخليل على نبيّنا و آله و عليه السلام مغارة في حبرون [٢] من عفرون بن صخر فدفن فيها سارة ثمّ دفن فيها هو و إبنه اسحاق.

و توفي يعقوب عليه السلام في مصر واستأذن يوسف سلام الله عليه ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله فأذن له و خرج معه أكابر مصر فدفنه في المغارة بحبرون [٣].

☆(المظهر الرابع)☆ أمّا رواية الإرث فسرعان ما ناقض ابن حجر فيها نفسه. فتراه يحسب ها هنا في ص ١٩ : أنّها مختصّة بأبي بكر، وهي من الأدلّة الواضحة على أعلميّته، و هو يعتقد في صفحة ٢١ : أنّه رواها عليّ والعبّاس وعثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد وأمّهات المؤمنين وقال : كلّهم كانوا يعلمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال ذلك : وإنّ أبابكر إنّما انفرد باستحضاره أوّلاً ثمّ استحضره الباقون.

ما هذا التهافت بين كلامي الرّجل؟ و ما أذهله أخيراً عمّا جاء به أوّلاً ؟ و هل الأعلميّة مترشّحة من محض الاستحضار أوّلاً ؟ أو السبق إلى الهتاف به ؟ و كلٌّ منهما كما ترى لايفيد مزيّة إلّا في الحفظ دون العلم.

ثمّ لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك لوجب أن يفشيه إلى آله وذويه الذين يدّعون الوراثة منه ليقطع معاذيرهم في ذلك بالتمسك بعمومات الإرث من آي القرآن الكريم والسنّة الشريفة، فلايكون هناك صخبٌ و حوارٌ تتعقّبهما محنٌ وإحنٌ، ولاتموت بضعته الطاهرة وهي واجدة على أصحاب أبيها [٤] ويكون ذلك كلّه مثاراً للبغضاء والعداء في الأجيال المتعاقبة بين أشياع كلٍّ من الفريقين، وقد بُعث هو صلى الله عليه وآله لكسح تلكم المعرّات وعقد الإخاء بين الأمم والأفراد.

ألم يكن صلى الله عليه وآله على بصيرة ممّا يَحدث بعده من الفتن الناشئة من عدم أيقاف

(١) تاريخ الطبرى ١ : ٨٠، ٨١، العرائس للثعلبى ص ٢٩، الكامل لابن الاثير ١ :٢٢، تاريخ ابن كثير ١ : ٩٨.

(٢) فى تاريخ الطبرى : جيرون. والصحيح : حبرون.

(٣) تاريخ الطبرى ١ : ١٦١، ١٦٩، معجم البلدان ٣ : ٢٠٨، تاريخ ابن كثير ١ : ١٧٤، ١٩٧، ٢٢٠.

(٤) سيوافيك فى هذا الجزء تفصيل ذلك.

أهله وذويه على هذاالحكم المختصّ به صلى الله عليه وآله المخصّص لشرعة الإرث؛ حاشاه . و عنده علم المنايا والبلايا والقضايا والفتن والملاحم .

و هل ترى أنّ دعوى الصدّيق الأكبرأميرالمؤمنين وحليلته الصدّيقة الكبرى. صلوات الله عليهما و آلهما على أبي بكر ما استولت عليه يده ممّا تركه النبيّ صلى الله عليه وآله من ماله كانت بعد علم، وتصديق منهما بتلك السنّة المزعومة صفحاً منهما عنها لاقتناء حطام الدنيا؛أو كانت عن جهل منهما بما جاءبه أبوبكر؟ نحن نقدّس ساحتهما [أخذاً بالكتاب والسنّة] عن علم بسنّة ثابتة والصفح عنها ، وعن جهل يربكهما في الميزان .

و لماذا يصدّق أبوبكر في دعواه الشاذّة عن الكتاب والسنّة ، فيما لا يعلم إلّا من قبل ورثته صلى الله عليه وآله ووصيّه الذي هتف صلى الله عليه وآله به وبوصايته من بدء دعوته في الأندية والمجتمعات ؟ (١) ولم تكن أُذنٌ واعية لدعوى الصدّيقة وزوجها الطاهر بكون فدك نحلة لها من رسول الله صلى الله عليه وآله وهي لا تعلم إلّا من قبلهما ؟قال مالك بن جعونة عن أبيه انّه قال : قالت فاطمة لأبي بكر : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل لي فدك فاعطني إيّاها ، و شهد لها عليّ بن أبي طالب ، فسألها شاهداً آخر فشهدت لها أُمّ أيمن : فقال : قدعلمت يابنت رسول الله ؛ انّه لاتجوز إلّا رجلين أورجل وامرأتين وانصرفت .

و في رواية خالدبن طهمان : إنّ فاطمة رضي الله عنها قالت لأبي بكر رضي الله عنه : اعطني فدك فقدجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لي فسألها البيّنة فجاءت بأُمّ أيمن ورباح مولى النبيّ صلى الله عليه وسلم فشهد لها بذلك فقال : إنّ هذا الأمر لا تجوز فيه إلّا شهادة رجل و امرأتين (٢) .

ثمّ مِمّ كان غضب الصدّيقة الطاهرة سلام الله عليها ؛ وهي التي جاء فيها عن أبيها الأقدس : انّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها (٣) أمن حكم صدع به والدها وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى ؛ وحاشاها . أم لأنّ ذلك الحكم البات رواه عنه صدّيق أمين يريد بثّ حكم الشريعة وتنفيذه وهي مصدّقة له ؟ تحاشي ساحة البضعة

(١) راجع الجزء الثاني صفحة ٢٧٨ ط٢.
(٢) فتوح البلدان للبلاذرى ص ٣٨ .
(٣) راجع ج ٣ ص ٢٠ وسيأتيك في هذاالجزء .

الطاهرة بنصّ آية التطهير عن هذه الخزاية ، فلم يبق إلّا شقٌ ثالثٌ وهو : انّها كانت تتّهم الراوي ، أوتعتقد خللاً في الرواية ، وتراه حكماً خلاف الكتاب والسنّة ، وهذا الذي دعاها إلى أن لاثت خمارها على رأسها ، واشتملت بجلبابها ، وأقبلت في لمّة من حفدتها و نساء قومها تطأ ذيولها ، ماتخرم مشيتهامشية رسول الله ، حتى دخلت على أبى بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار و غيرهم ، فنيطت دونها ملاءة ، ثم أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء ، وارتجّ المجلس ، ثمّ مهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم ، وهدأت فورتهم ، إفتتحت كلامها بالحمد لله عزّوجلّ والثناء عليه والصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثمّ قالت ماقالت وفيماقالت : أنتم الآن تزعمون أن لاإرث لنا ، أفحكم الجاهليّة يبغون و مَن أحسن مِن الله حكماً لقوم يوقنون ؟ يابن أبي قحافة ! أترث أباك ولاأرث أبي ؟ لقد جئت شيئاً فريّا ، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك . فنعم الحَكَم الله ، والزعيم محمّد ، والوعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون . ثمّ انكفأت إلى قبر أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فقالت :

قد كان بعدك أنباءٌ و هنبثة ✿ لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ✿ واختلّ قومك فاشهدهم ولاتغب

فليت بعدك كان الموت صادفنا ✿ لمّاقضيت وحالت دونك الكثب (١)

وهذا الذي تركها غضباء على مَن خالفها و تدعو عليه بعدكلّ صلاة حتى لفظت نفسها الاخيرة صلّى الله عليها كما سيوافيك تفصيله .

و هل هذا الحكم مطّردٌ بين الأنبياء جميعاً ؟ أوأنّه من خاصّة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم ؟ والأوّل ينقضه الكتاب العزيز بقوله تعالى : و ورث سليمان داود . ـ النمل ١٦ ـ و قوله سبحانه عن زكريّا : فهب لي من لدنك وليّاً يرثني و يرث من آل يعقوب ـ مريم ٦ ـ .

ومن المعلوم أنّ حقيقة الميراث إنتقال ملك الموروث إلى ورثته بعد موته بحكم المولى سبحانه ، فحمل الآية الكريمة على العلم والنبوّة كما فعله القوم خلاف الظاهر لأنّ النبوّة والعلم لا يورثان ، والنبوّة تابعةٌ للمصلحة العامّة، مقدّرة لأهلهامن أوّل

(١) بلاغات النساء لابن طيفور ص١٢ ، شرح ابن ابي الحديد ٤ : ٩٣ ، أعلام النساء ٣ : ١٢٠٨ .

يومها عند بارئها ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، و لا مدخل للنسب فيها كما لا أثر للدعاء والمسألة في اختيار الله تعالى أحداً من عباده نبيّاً ، والعلم موقوفٌ على من يتعرّض له ويتعلّمه .

على أنّ زكريّا سلام الله عليه إنّما سأل وليّاً من ولده يحجب مواليه « كما هو صريح الآية » من بني عمّه وعصبته من الميراث ، وذلك لا يليق إلّا بالمال ، ولا معنى لحجب الموالي عن النبوّة والعلم .

ثمّ إنّ إشتراطه عليه السلام في وليّه الوارث كونه رضيّاً بقوله : و اجعله ربّ رضيّاً . لا يليق بالنبوّة ، إذ العصمة والقداسة في النفسيّات والملكات لا تفارق الأنبياء ، فلا محصّل عندئذ لمسألته ذلك . نعم يتمّ هذا في المال ومَن يرثه فإنّ وارثه قد يكون رضيّاً وقد لا يكون .

وأمّا كون الحكم من خاصّة رسول الله صلى الله عليه وآله فالقول به يستلزم تخصيص عموم آي الإرث مثل قوله تعالى: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الانثيين « النساء ١١ » و قوله سبحانه : و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله « الأنفال ٧٥ » و قوله العزيز : إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين و الأقربين بالمعروف « البقرة ١٨٠ » و لا يسوغ تخصيص الكتاب إلا بدليل ثابت مقطوع عليه لا بالخبر الواحد الذي لم يصحّ الأخذ بعموم ظاهره لمخالفته ما ثبت من سيرة الأنبياء الماضين صلوات الله على نبيّنا و آله وعليهم .

لا بالخبر الواحد الذي لم يخبت اليه صدّيقة الأُمّة وصدّيقها الذي ورث علم نبيّها الأقدس ، وعدّه المولى سبحانه في الكتاب نفساً لنبيّه صلى الله عليهما و آلهما .

لا بالخبر الواحد الذي لم يُنبّأ عنه قطّ خيرٌ من الأُمّة وفي مقدّمها العترة الطاهرة وقد اختصّ الحكم بهم و هم الّذين زُحزحوا به عن حكم الكتاب والسنّة الشريفة ، وحرموا من وراثة أبيهم الطاهر ، وكان حقّاً عليه صلى الله عليه وآله أن يخبرهم بذلك ، ولا يأخّر بيانه عن وقت حاجتهم ، ولا يكتمه في نفسه عن كلّ أهله وذويه و صاحبته و أُمّته إلى آخر نَفَس لفظه .

لا بالخبر الواحد الذى جرّ على الأُمّة كلّ هذه المحن و الإحن ، و فتح عليها

باب العداء المحتدم بمصراعيه ، وأجّج فيها نيران البغضاء و الشحناء في قرونها الخالية ، وشقّ عصا المسلمين من أوّل يومهم ، وأقلق من بينهم السّلام والوئام و توحيد الكلمة . جزى الله محدّثه عن الاُمّة خيراً .

ثمّ إن كان أبوبكر على ثقة من حديثه فلِمَ ناقضه بكتاب كتبه لفاطمة الصدّيقة سلام الله عليها ، بفدك ؟ غير أنّ عمر بن الخطاب دخل عليه فقال : ما هذا ؟ فقال : كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها . فقال : ممّا ذا تنفق على المسلمين ، وقد حاربتك العرب كما ترى ؟ ثمّ أخذ عمر الكتاب فشقّه . ذكره سبط ابن الجوزي كما في السيرة الحلبية ٣ : ٣٩١ .

وإن كان صحّ الخبر و كان الخليفة مصدّقاً فيما جاء به فما تلكم الآراء المتضاربة بعد الخليفة ؟ وإليك شطراً منها :

١ - لمّا ولي عمر بن الخطاب الخلافة ردّ فدكاً إلى ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان عليّ بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطلب يتنازعان فيها . فكان عليّ يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلها في حياته لفاطمة . و كان العبّاس يأبى ذلك ويقول : هي ملك رسول الله و أنا وارثه . فكانا يتخاصمان إلى عمر ، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول : أنتما أعرف بشأنكما أمّا أنا فقد سلّمتها إليكما .

راجع صحيح البخاري كتاب الجهاد و السير باب فرض الخمس ج ٥ : ٣-١٠ ، صحيح مسلم كتاب الجهاد و السير ، باب : حكم الفيء ، الأموال لابي عبيد ص ١١ ذكر حديث البخاري و بتره ، سنن البيهقي ٦: ٢٩٩ ، معجم البلدان ٦ : ٣٤٣ ، تفسير ابن كثير ٤: ٣٣٥ ، تاريخ ابن كثير ٥ : ٢٨٨ ، تاج العروس ٧ : ١٦٦ .

☆(لفت نظر)☆ نحن لانناقش فيما نجده من المخازي في أحاديث الباب كأصل التنازع المزعوم بين عليّ والعبّاس ، وما جاء في لفظ مسلم في صحيحه من قول العبّاس لعمر: ياأمير المؤمنين ! اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن.

أهكذا كان العبّاس يقذف سيّد العترة الطاهر المطهّر بهذا السباب المقذع ؟ وبين يديه آية التطهير وغيرها ممّا نزل في عليّ أمير المؤمنين في آي الكتاب العزيز ؟ فما العبّاس و ما خطره عندئذ ؟ وبماذا يُحكم عليه أخذاً بقول النبيّ الطاهر: من سبّ عليّاً فقد سبّني، و

من سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله كبّه الله على منخريه في النار؟ (١).

لاها الله. نحن نحاشي العبّاس عن هذه النسب المخزية، ونرى القوم راقهم سبُّ مولانا أمير المؤمنين فنحتوا هذه الأحاديث وجعلوها للنيل منه قنطرة ومعذرة والله يعلم ما تكنُّ صدورهم وما يعلنون. وإلى الله المشتكى.

٢ - أقطع مروان بن الحكم فدكاً في أيّام عثمان بن عفان كما في سنن البيهقي ٦ : ٣٠١ وما كان إلّا بأمر من الخليفة.

٣ - لمّا ولي معاوية بن أبي سفيان الأمر أقطع مروان بن الحكم ثلث الفدك، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها، وذلك بعد موت الحسن بن عليّ فلم يزالوا يتداولونها حتّى خلصت لمروان بن الحكم أيّام خلافته فوهبها لعبد العزيز إبنه فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز.

٤ - ولمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب فقال: إنّ فدك كانت ممّا أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فسألته إيّاها فاطمة فقال: ما كان لك أن تسأليني وما كان لي أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل، ثمّ ولي أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ﷺ ثمّ ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك فصارت لي وللوليد وسليمان فلمّا ولي الوليد سألته حصّته منها فوهبها لي، وسألت سليمان حصّته منها فوهبها لي فاستجمعتها، وما كان لي من مال أحبّ إليّ منها، فاشهدوا أنّي قد رددتها إلى ما كانت عليه.

٥ - فكانت فدك بيد أولاد فاطمة مدّة ولاية عمر بن عبد العزيز فلمّا ولي يزيد بن عبد الملك قبضها منهم فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها حتى انتقلت الخلافة عنهم.

٦ - ولمّا ولي أبو العباس السفّاح ردّها على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي أمير المؤمنين.

٧ - ثمّ لمّا ولي أبو جعفر المنصور قبضها من بني حسن.

---

(١) مر الايعاز اليه في الجزء الثاني ص ٢٩٩ ط ٢ وسيوافيك تفصيل مصادره انشاء الله.

٨ـ ثمّ ردّها المهدي بن المنصور على ولد فاطمة سلام الله عليها.

٩ ـ ثمّ قبضها موسى بن المهدي و أخوه من أيدي بني فاطمة فلم تزل في أيديهم حتّى ولي المأمون.

١٠ـ ردّها المأمون على الفاطميّين سنة ٢١٠ وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة:

أمّا بعد: فإنّ أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسوله ﷺ والقرابة به، أولى من استنّ بسنّته، ونفّذ أمره، وسلّم لمن منحه منحة، وتصدّق عليه بصدقة منحته وصدقته وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته، وإليه ـ في العمل بما يقرّب به إليه ـ رغبته، وقد كان رسول الله ﷺ أعطى فاطمة بنت رسول الله فدك، وتصدّق بها عليها، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله ﷺ، ولم تزل تدّعي منه ماهو أولى به من صدّق عليه، فرأى أمير المؤمنين أن يردّها إلى ورثتها، ويسلّمها إليهم تقرّباً إلى الله تعالى باقامة حقّه وعدله، وإلى رسول الله ﷺ بتنفيذ أمره وصدقته، فأمر باثبات ذلك في دواوينه، والكتاب إلى عمّاله، فلئن كان ينادى في كلّ موسم بعد أن قبض نبيّه ﷺ أن يذكر كلّ من كانت له صدقة أوهبة أوعدة ذلك، فيقبل قوله، وتنفّذ عدته، إنّ فاطمة رضي الله عنها لأولى بأن يصدّق قولها فيما جعل رسول الله ﷺ لها.

وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبرى مولى أمير المؤمنين يأمره بردّ فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله ﷺ بحدودها و جميع حقوقها المنسوبة اليها، وما فيها من الرقيق والغلّات و غير ذلك، و تسليمها إلى محمّد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، و محمّد بن عبدالله بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، لتولية أمير المؤمنين إيّاهما القيام بها لأهلها.

فاعلم ذلك من رأي اميرالمؤمنين، وما ألهمه الله من طاعته، ووفّقه له من التقرّب اليه وإلى رسول الله ﷺ، وأعلمه من قِبَلك، وعامل محمّد بن يحيى ومحمّد بن عبدالله بما كنت تعامل به المبارك الطبري، وأعنهما على مافيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلّاتها إن شاء الله، والسلام.

وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة ٢١٠ هـ.

١١ ـ ولمّا استخلف المتوكّل على الله أمر بردّها إلى ما كانت عليه قبل المأمون.

راجع فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٩ ـ ٤١، تاريخ اليعقوبي ٣ : ٤٨، العقد الفريد ٢ : ٣٢٣، معجم البلدان ٦ : ٣٤٤، تاريخ ابن كثير ٩ : ٢٠٠ وله هناك تحريف دعته إليه شنشنة أعرفها من أخزم، شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٠٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٤، جمهرة رسائل العرب ٣ : ٥١٠، أعلام النساء ٣ : ١٢١١.

كلّ هذه تضادّ ماجاء به الخليفة من خبره الشاذّ عن الكتاب والسنّة، فأنّى لابن حجر ومن لفّ لفّه أن يعدّه من الأدلّة الواضحة على علمه وهذا شأنه، فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا؟.

التمسك بالافائك

والعجب العجاب قول ابن حجر في الصواعق ص ٢٠ : لايقال بل عليّ أعلم من أبي بكر للخبر الآتي في فضائله : أنا مدينة العلم وعليّ بابها. لأنّا نقول : سيأتي انّ ذلك الحديث مطعونٌ فيه، وعلى تسليم صحّته أو حسنه فأبوبكر محرابها. و رواية فمن أراد العلم فليأت الباب لاتقتضي الأعلميّة فقد يكون غير الأعلم يُقصد لما عنده من زيادة الايضاح و البيان والتفرّغ للناس بخلاف الأعلم. على انّ تلك الرواية معارضة بخبر الفردوس : أنا مدينة العلم، وأبوبكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها، وعليّ بابها. فهذه صريحةٌ في أنّ أبابكر أعلمهم، وحينئذ فالأمر بقصد الباب إنّما هو لنحو ماقلناه لالزيادة شرفه على ماقلته لما هو معلومٌ ضرورة انّ كلاً من الأساس والحيطان والسقف أعلى من الباب. اهـ.

قال الأميني : إنّ الطعن في حديث أنامدينة العلم لم يصدر إلّا من ابن الجوزي ومن يشاكله من رماة القول على عواهنه، وقد عرفت في الجزء السادس ص ٦١ ـ ٨١ ط ٢ نصوص العلماء على صحّة الحديث، واعتبار قوم حسنه، وتقرير آخرين ماصدر ممّن تقدّمهم إلى ذينك الوجهين وتزييف ماارتآه ابن الجوزي.

وأمّا ما ذكره من رواية الفردوس فلا يختلف اثنان في ضعفها وضعف ما يقاربها في اللفظ ممّا تدرّج نحته في الأزمنة المتأخّرة تجاه ما يثبته هتاف النبيّ الأعظم من

فضيلة العلم الرابية لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام و ابن حجر نفسه من اولئك الذين زيّفوه وحكموا عليه بالضعف كما في كتابه الفتاوى الحديثيّة ص ١٩٧ فقال : حديث ضعيف، و معاوية حلقتها فهو ضعيف ايضاً . فأذهله لجاجه في حجاجه عن حكمه ذاك ، و رأى ما حكم عليه بالضعف نصّاً في أعلميّة أبي بكر .

و قال العجلوني في كشف الخفاء ج ١ : ٢٠٤ : روى الديلمي في « الفردوس » بلا إسناد عن ابن مسعود رفعه : أنا مدينة العلم ، وأبوبكر أساسها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ؛ وعليّ بابها . وروى ايضاً عن أنس مرفوعاً : أنا مدينة العلم ، وعليّ بابها ، ومعاوية حلقتها . قال في المقاصد : وبالجملة فكلّها ضعيفة وألفاظ أكثرها ركيكة .

وقال السيّد محمّد درويش الحوت في أسنى المطالب ص ٧٣ : أنا مدينة العلم ، و أبوبكر أساسها ، وعمر حيطانها وذلك لا ينبغي ذكره في كتب العلم لاسيّما مثل ابن حجر الهيتمي ذكر ذلك في الصواعق والزواجر وهو غير جيّد من مثله . اه‍ .

فلم يبق إذن مجال للمناقشة بالتعبير بالباب لمولانا صلوات الله عليه وبالأساس و الحيطان والسقف والحلقة لغيره ، حسب المسكين ناحت هذه المهزأة مدينة خارجيّة يرمق إليها ، ويتجوّل بين جدرانها ، ويتفيّأ تحت سقفها ، ويدقّ بابها بالحلقة ، و قد عزب عنه أنّه صلى الله عليه وآله يريد أنّ السبب الوحيد للاستفادة من علوم النبوّة هو خليفته مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، كما أنّ المدخل الوحيد للمدينة بابها ، فهو معنى كنائيّ جيىء به لإفادة ما ذكرناه ، والأساس لافضيلة له غير أنّه يقوم عليه سياج المدينة المشاد للوقاية عن الغارات والسرقات ، و أمّا معنويّات المدينة فلا صلة لها بشيئ من ذلك ، و الاستفادة بالسقف على فرض تصويره في المدن ليس إلّا الإستظلال ودفع عايدة الحرّ والقرّ ولذلك لايسقف إلّا المحالّ التي يتصوّر فيها ذلك كالبيوت والحمامات والحوانيت والربط وأمثالها . فقاصد المدينة للاستفادة ممّا فيها من علم أو ثروة أو أيّ من أقسام النفع معنويّة و ماديّة لا يتوصّل بها إلّا بالدخول من الباب ، فهو أهمّ ممّا جاء به ابن حجر من الأساس والجدار والسقف . وأمّا الحلقة فيحتاج إليه لفتح الباب و سدّه و الدقّ إذا كان مرتجاً غير أنّ باب علم النبوّة غير موصود ، ولا يزال مفتوحاً على البشر بمصراعيه أبد الدهر .

ثمّ إنّ من الواضح انّ المراد من التعبير بالباب ليس الولوج والخروج فحسب وإنما هو الاستفادة والأخذ، ولايتمّ هذا إلّا أن يكون عنده كلّ علم النبوّة الذي أراد صلى الله عليه وآله وسلم سوق الأمّة إليه، وحصر الطريق إلى ذلك بمن عبّر عنه بالباب تأكيداً للحصر ثمّ زاد في التأكيد بقوله: فمن أراد المدينة فليأت الباب.

فعليّ أمير المؤمنين هو الباب المبتلى به الناس، ومن عنده كلّ علم النبوّة وكلّ ما يحتاج إليه البشر من فقه أو عظة أو خلق أو حُكم أو حِكم أو سياسة أو حزم أو عزم، فهو أعلم الناس لا محالة، وأمّا زيادة الايضاح والبيان والتفرّغ للناس، فلا يجوز أن تنفكّ عمّن سيق إليه البشر لغاية التفهّم، وإزاحة الجهل، لا لمحض البيان وجودة السرد، لأنّ وضوح البيان بمجرّده غير واف للغرض، لارتباك صاحبه عند الجهل بما يقدّم إليه من المعضلات، كارتباك الأعلم عند التفهيم إذا أعوزه البيان عن الافهام، فمن الواجب أن يجتمعا في إنسان واحد الذي هو مرجع الأمّة جمعاء، وهو قضيّة اللطف الواجب عليه سبحانه، فذلك الإنسان هو عِدل الكتاب العزيز وهما الثقلان خليفتا النبيّ الأقدس لايتفرّقا حتّى يردا عليه الحوض، فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر



-٢-

شجاعة الخليفة

لم يؤثر عن الخليفة قبل الإسلام مشهد يدل على فروسيته ، كما أنه لم نجده في مغازي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كثرتها وشهوده فيها موقفاً يشهد له بالبسالة ، أو وقفة تخلد له الذكر في التاريخ ، أو خطوة قصيرة في ميادين تلك الحروب الدامية تعرب عن شيء من هذا الجانب الهام غير ما كان في واقعة خيبر من فراره عن مناضلة مرحب اليهودي كصاحبه عمر بن الخطاب ، قال علي وابن عباس : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر إلى خيبر فرجع منهزماً و من معه ، فلما كان من الغد بعث عمر فرجع منهزماً يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه .

أخرجه الطبراني والبزار كما في مجمع الزوائد ٩ : ١٢٤ ورجال اسناد البزار رجال الصحيح غير محمد بن عبد الرحمن ومحله الصدق ، وذكر انهزام الرجلين يوم خيبر القاضي عضد الايجي في المواقف وأقره شراحه كما في شرحه ٣ : ٢٧٦ ، و ذكره القاضي البيضاوي في طوالع الأنوار كما في المطالع ص ٤٨٣ .

ويعرب عن فرارهما يوم ذاك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما فرا : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله و رسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرار . وفي لفظ : كرار غير فرار . وفي لفظ : و الذي كرم و جه محمد لأعطينها رجلاً لا يفر ، وفي لفظ : لأدفعن إلى رجل لن يرجع حتى يفتح الله له . وفي لفظ : لا يولي الدبر (١) .

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي فيما يعزى إليه من القصيدة العلوية :

(١) صحيح البخاري ٦ : ١٩١ ، صحيح مسلم ٢ : ٣٢٤ ، طبقات ابن سعد ص ٦١٨ ، ٦٣٠ رقم التسلسل ط مصر ، مسند احمد ١ : ٢٨٤ ، ١٨٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، خصائص النسائي ص ٤ - ٨ ، سيرة ابن هشام ٣ : ٣٨٦ ، مستدرك الحاكم ٣ : ١٠٩ ، حلية الاولياء ٢ : ٦٢ ، أسد الغابة ٤ : ٢١ ، الامتاع للمقريزي ص ٣١٤ ، تاريخ ابن كثير ٤ : ١٨٥ - ١٨٧ ، تيسير الوصول ٣ : ٢٢٧ ، الرياض النضرة ٢ : ١٨٤ - ١٨٨ . و هناك مصادر كثيرة تأتي في محلها انشاء الله تعالى .

وما أنسَ لا أنس اللّذين تقدّما ☆ وفرّهما والفرّ قد علما حوبُ (١)
و للراية العظمى و قد ذهبا بها ☆ ملابسُ ذلّ فوقها و جلابيب
يشلّهما من آل موسى شمردلٌ ☆ طويل نجاد السيف أجيد يعبوبُ (٢)
يمجّ منوناً سيفه و سنانه ☆ و يلهب ناراً غِمده والأنابيبُ
أحضرُ هما أم حضر أخرج خاضبٍ ☆ و ذان هما أم ناعم الخدّ مخضوبُ (٣)
عذرتكما إنّ الحمام لمبغضٌ ☆ و إنّ بقاء النفس للنفس محبوبُ
ليكره طعم الموت والموت طالب ☆ فكيف يلذّ الموت والموت مطلوبُ

وممّا ينبأ نا عن هذا الجانب حديث كعّ الخليفة عن ذي الثدية لمّا أمره رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله وهو في صلاته غير شاك السلاح ، فرأى مخالفة الأمر النبويّ أهون من قتل الرجل ، فآب إليه صلى الله عليه وآله معتذراً بما سيوافيك تفصيله إن شاء الله .

نعم يراه ابن حزم في كتاب «المفاضلة بين الصحابة» ومن لفّ لفّه أشجع الصحابة على الإطلاق و نحتوا له حديثاً على أمير المؤمنين انّه قال : أخبروني من أشجع الناس؟ فقالوا : أنت ، قال : أما انّي ما بارزت أحداً إلاّ انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس ؟ قالوا : لا نعلم : فمن ؟ قال : أبوبكر ، أنّه لمّا كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله صلى الله عليه وآله عريشاً فقلنا : من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وآله لئلاّ يهوي إليه أحدٌ من المشركين ؟ فوالله ما دنا منّا أحدٌ إلّا أبابكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله لا يهوي إليه أحدٌ إلّا هوى إليه ، فهو أشجع الناس . الحديث (٤).

ليت القوم لم يحذفوا سند هذه الأثارة المفتعلة و كانوا يروونها بالإسناد حتّى نعرّف الملأ العلمي بالذي اختلقها ، و حسبنا أنّ الحافظ الهيثمي ذكرها بلا إسناد في

(١) الحوب : الاثم .

(٢) شمردل مرّ فى ص ٥٢ ، يريد من طول النجاد طول القامة . الاجيد : الطويل الجيد و هو العنق . اليعبوب ، الفرس الكثير الجرى . اطلق على مرحب هذه اللفظة لشدته وسرعة حركته .

(٣) الحضر : العدو . الاخرج : ذكر النعام الذى فيه بياض وسواد . الخاضب : الذى أكل الربيع فاحمرّ ظنبوباه أو اصفر . ناعم الخد مخضوب : كناية عن المرأة . يعنى : هما رجلان أم امرأتان فى ضعفهما ورقّة قلوبهما ؟

(٤) الرياض النضرة ١ : ٩٢ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٥ .

مجمع الزوايد ٩ : ٤٦١ وضعّفه وقال : فيه من لم أعرفه .

وتكذّبها صحيحة ابن اسحاق قال : كان رسول الله ﷺ «يوم بدر» في العريش وسعد بن معاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشح السيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كرّة العدوّ[١] .

ثمّ إنّ حراسة النبيّ ﷺ لم تكن تنحصر بيوم بدر ولا بأبي بكر بل في كلّ موقف من مواقفه ﷺ كان يتعهّد أحدٌ من الصحابة بحراسته ، فكانت الحراسة لسعد بن معاذ ليلة البدر وفي يومه لأبي بكر على ماذكره الحلبي في السيرة ٣ : ٣٥٣ ، ولمحمّد بن مسلمة يوم أُحد ، وللزبير بن العوام يوم الخندق ، وللمغيرة بن شعبة يوم الحديبيّة ، ولأبي أيوب الأنصاري ليلة بنى بصفيّة ببعض طرق خيبر ، ولبلال وسعد بن أبي وقّاص وذكوان بن عبد قيس بوادي القرى ، ولابن أبي مرثد الغنوي ليلة وقعة حنين[٢] .

وكانت هذه السيرة في الحراسة مستمرّة إلى أن نزل قوله تعالى في حجّة الوداع والله يعصمك من الناس . فترك الحرس[٣] فأبو بكر رديف اولئك الحرسة بعد تسليم ما جاء في حراسته .

ولو صدق النبأ وكانت يوم بدر لأبي بكر تلك الأهميّة الكبرى لكان هو أولى و أحقّ بنزول القرآن فيه يوم ذاك دون عليّ وحمزة وعُبيدة لمّا نزل فيهم ذلك اليوم : هذان خصمان إختصموا في ربهم . سورة الحج : ١٩[٤] .

و لو صحّت المزعمة لما خُصّ عليّ وحمزة وعُبيدة بقوله تعالى : من المؤمنين رجالٌ

(١) عيون الاثر لابن سيد الناس ١ : ٢٥٨ .

(٢) عيون الاثر ٢ : ٣١٦ ، المواهب اللدنية ١ : ٢٨٣ ، السيرة الحلبية ٣ : ٣٥٤ ، شرح المواهب للزرقانى ٣ : ٢٠٤ .

(٣) مستدرك الحاكم ٢ : ٣١٣ ، تفسير القرطبى ٦ : ٢٤٤ ، تفسير ابن جزى الكلبى ١ : ١٧٣ ، تفسير ابن كثير ٢ : ٧٨ ، الخصايص الكبرى ١ : ١٢٦ عن الترمذى والحاكم البيهقى و أبى نعيم .

(٤) صحيح البخارى ٦ : ٩٨ كتاب التفسير ، صحيح مسلم ٢ : ٥٥٠ ، طبقات ابن سعد ص ٥١٨ ، مستدرك الحاكم ٢ : ٣٨٦ وصححه هو والذهبى ، تفسير القرطبى ١٢ : ٢٥ ، ٢٦ ، تفسير ابن كثير ٣ : ٢١٢ ، تفسير ابن جزى ٣ : ٣٨ ، تفسير الخازن ٣ : ٢٩٨ .

صدقوا ماعاهدوا الله عليه . الآية . الأحزاب : ٢٣ [1] .

ولما نزل في علي أمير المؤمنين قوله تعالى : هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين « سورة الأنفال : ٦٢ » ولما وردفيها ماوردعن النبي الأعظم ممّا أسلفناه في الجزء الثاني ص ٤٦ ـ ٥١ .

ولما خصّ لمولانا عليّ قوله : ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله « سورة البقرة : ٢٠٧ » كما ذكره القرطبي في تفسيره ٣ : ٢١ و فصّلنا القول فيه في الجزء الثاني ص ٤٧ ـ ٤٩ ط ٢ .

و كان حقاً على رضوان منادي الله يوم بدر بقوله :

لا سيف إلّا ذو الفقار ✿ ولا فتى إلّا عليّ

أن ينوّه باسم أبي بكر و بسيفه المشهور على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ هل تنحصر مغازي النبي الأعظم و حروبه الدامية ببدر ؟ وهل العريش كان في البدر فحسب دون ساير الغزوات ؟ وهل سيد العريش النبيّ الأعظم كان يلازم عريشه و لم يحضر قطّ في ميادين القتال ؟ أو كان ينزل بالمعارك و يستخلف صاحبه على العريش ؟

ما أعوز النبيّ الأعظم يوم خيبر مجاهدٌ كرّارٌ غير فرّار لا يولّي الدبر ، و كان معه الخليفة الأشجع ؟ أكان فرّاراً غير كرّار ؟ و من المعنيّ في قول المورّخين من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً ؟ [2] أهذا الرجل وصاحبه نكرتان لا يعرفان ؟ لاها الله .

و أين كان الأشجع ؟ يوم خرجت كتائب اليهود يقدمهم ياسر فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في موقفه ، فاشتدّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أمسى مهموماً [4] .

ولماذا بعث صلى الله عليه وآله وسلم يوم ذاك ـ وكان الأشجع معه ـ سلمة بن الأكوع إلى عليّ ؟

---

(١) راجع ما مر فى الجزء الثانى ص٥١ ط٢ .

(٢) راجع ما أسلفناه فى الجزء الثانى صفحة ٥٩ ـ ٦١ ط٢ .

(٣) الامتاع للمقريزى ص٣١٣ ، السيرة الحلبية ٣ص ٣٩ .

(٤) الامتاع للمقريزى ص ٣١٤ ، السيرة الحلبية ٣ص ٣٩ .

وكان قد تخلّف بالمدينة لرمد عينيه، وكان لا يبصر موضع قدمه فذهب اليه سلمة وأخذ بيده يقوده[1] وملأ المسامع قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأعطين الراية إلى رجل كرّار غير فرّار.

أكان الأشجع في العريش يوم خيبر؟ لمّا قاتل المصطفى بنفسه يومه ذلك أشدّ القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر، وهو على فرس يقال له: الظرب[2] وفي يده قناة وترس كما في السيرة الحلبية ٣ ص ٣٩.

أكان الأشجع في العريش يوم أحد يوم بلاء وتمحيص؟ حتى خلص العدوّ إلى رسول الله فدثّ بالحجارة حتّى وقع لشقّه فأصيبت رباعيته، وشجّ في وجهه، وكلمت شفته، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم وهو يدعوهم إلى ربّهم[3].

أكان الأشجع في العريش؟ يوم قال فيه عليّ: لمّا تخلّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد نظرت في القتلى فلم أر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: والله ما كان ليفرّ وما أراه في القتلى، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا، فرفع نبيّه، فما في خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسرت جفن سيفي ثمّ حملت على القوم فأفرجوا لي فإذا برسول الله بينهم. وقد أصابت عليّاً يوم ذاك ستة عشر ضربة كلّ ضربة تلزمه الأرض فما كان يرفعه إلّا جبريل.

«أسد الغابة ٤ : ٢٠»

أكان الأشجع في العريش يوم وقع رسول الله في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون؟ فأخذ عليّ بن أبي طالب بيده صلى الله عليه وآله وسلم واحتضنه ورفعه طلحة حتّى استوى قائماً[4].

---

(١) صحيح مسلم ٢ : ١٠٢، سنن البيهقي ٩ : ١٣١، الرياض النضرة ٢ : ١٨٦، السيرة الحلبية ٣ : ٤١، شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٢٣.

(٢) من اشهر خيله صلى الله عليه وآله وأعرفها، سمّي بذلك لكبره أو لسمنه أو لقوّته وصلابته تشبيها له بالجبل. قالوا: أهداه له صلى الله عليه وآله وسلم فروة ابن عمرو الجذامي. أو: ربيعة بن ابي البراء. أو: جنادة بن المعلى.

(٣) سيرة ابن هشام ٣ : ٢٧، طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٤٩، تاريخ ابن كثير ٤ : ٢٣، ٢٩، امتاع المقريزي ص ١٣٥، شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٣٧.

(٤) سيرة ابن هشام ٣ : ٢٧، الامتاع للمقريزي ص ١٢٥، تاريخ ابن كثير ٤ ص ٢٤، عيون الاثر ٢ : ١٢.

أكان الأشجع في العريش يوم رُأي رسول الله في ميدان النزال وهو لابسٌ درعين : درعه ذات الفضول ودرعه فضة ، أو يوم حنين وله درعان : درعه ذات الفضول والسعديّة .

«شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٤»

أكان الأشجع في العريش يوم ضُرب وجه النبيّ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرّها كلها ؟ . « المواهب اللدنية ١ : ١٢٤»

أكان الأشجع في العريش يوم بايع رسول الله على الموت ثمانية ؟ هم : عليٌّ ، والزبير ، وطلحة ، وأبودجانة ، والحارث بن الصمة ، وحباب بن المنذر ، وعاصم بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، ورسول الله يدعوهم في أخراهم . «الإمتاع للمقريزي ص١٣٢»

أكان الأشجع في العريش يوم كان عليٌّ يذبٌّ عن رسول الله من ناحية ، وأبو دجانة مالك بن خرشة من ناحية ، وسعد بن أبي وقاص يذبٌّ طائفة ، والحباب بن المنذر يحوش المشركين كما تُحاش الغنم ؟ «الإمتاع للمقريزي ص ١٤٣ »

أكان الأشجع في العريش يوم حمي الوطيس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت راية الأنصار ؟ وأرسل إلى عليّ أن قدِّم فقدّم عليٌّ وهو يقول : أنا أبو القصم[٢]

أكان الأشجع في العريش يوم انتهى رسول الله إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: اغسلي عن هذا دمه يا بنيّة فوالله صدقني اليوم ؟ يوم ملأ عليٌّ درقته ماءً من المهراس فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليشرب منه ، وغسل عن وجهه الدّم وصبّ على رأسه ، و أخذت فاطمة (سلام الله عليها) قطعة حصير فاحرقته فألصقته عليه فاستمسك الدم[٣] .

أكان الأشجع في العريش لمّا ملأ الفضاء نداء جبرئيل ؟ .

لا سيف إلّا ذوالفقار ☆ و لا فتى إلّا عليّ

أكان الأشجع في العريش يوم نظم حسّان بن ثابت .

جبريل نادى معلنـاً ☆ والنقع ليس بمنجلي

---

(٢) سيرة ابن هشام ٣ : ١٩ ، شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٣١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣ : ٩٠ رقم التسلسل ٢٥٢ ، سيرة ابن هشام ٣ : ٣٤ ، ٥١ ، الامتاع ص ١٣٨ ، تاريخ ابن كثير ٤ : ٣٥ ، عيون الاثر ٢ : ١٥ ، المواهب اللدنية ١ : ١٢٥ ، شرح الزرقانى ٢ : ٥٦ .

والمسلمون قد أحدقوا ✰ حول النبيّ المرسلِ
لا سيف إلّا ذو الفقار ✰ و لا فتى إلّا عليّ (١)

أكان الأشجع في العريش يوم حمراء الأسد ؟ وقد خرج ﷺ وهو مجروحٌ في وجهه ، مشجوجٌ في جبهته ، ورباعيته قد شظيت ، و شفته السفلى قد كلمت في باطنها ، وهو متوهّن منكبه الأيمن من ضربة ابن قميئة ، وركبتاه مجحوشتان . (طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٥٣) .

أكان الأشجع في العريش يوم حنين ؟ لمّا حمى الوطيس وفرّ الناس عن النبيّ ﷺ و لم يبق معه إلّا أربعة : ثلاثةٌ من بني هاشم ورجلٌ من غيرهم : عليّ ابن أبي طالب والعبّاس وهما بين يديه ، وأبوسفيان بن الحارث آخذ بالعنان ، وابن مسعود من جانبه الأيسر ، ولا يقبل أحدٌ من المشركين جهته ﷺ إلّا قتل . (السيرة الحلبية ٣ : ١٢٣) .

أكان الأشجع في العريش يوم الأحزاب ؟ و كان رسول الله ﷺ ينقل مع صحبه من تراب الخندق و قد وارى التراب بياض بطنه و يقول :

لاهمّ لولا أنت ما اهتدينا ✰ ولا تصدّقنا و لا صلّينا
فأنزلن سكينةً علينا ✰ وثبّت الأقدام إن لاقينا
إنّ الاولى لقد بغوا علينا ✰ إذا أرادوا فتنة أبينا

(طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٧٥ ، تاريخ ابن كثير ٤ : ٩٦) .

أكان الأشجع في العريش يوم قال ﷺ : لضربة عليّ خيرٌ من عبادة الثقلين و في لفظ : قتل عليّ لعمرو أفضل من عبادة الثقلين . و في لفظ : لمبارزة عليّ لعمرو بن ودّ أفضل من أعمال اُمّتي إلى يوم القيامة ؟ (٢) .

نعم : للرجل موقفٌ يوم اُحد لمّا طلع يومئذ عبدالرّحمن بن أبي بكر (و كان من المشركين) فقال : من يبارز وارتجز يقول :

---

(١) راجع ما مرّ في الجزء الثاني صفحة ٥٩ - ٦١ ط ٢ .
(٢) مستدرك الحاكم ٣ : ٣٢ ، المواقف للقاضي الايجي ٣ : ٢٧٦ ، كنزالعمال ٦ : ١٥٨ ، السيرة الحلبية ٢ : ٣٤٩ وهناك كلمة رداً على ابن تيمية في ردّه على هذا الحديث ، هداية المرتاب في فضايل الاصحاب ص ١٤٨ .

لم يبق إلّا شكّة و يعبوب ✿ و صارم يقتل ضلّال الشيب

فنهض إليه أبوبكر رضي الله عنه و هو يقول : أنا ذلك الأشيب ثمّ ارتجز فقال

لم يبق إلّا حسبي وديني ✿ وصارمٌ تقضي

فقال له عبد الرّحمن : لولا أنّك أبي لم أنصرف . الإمتاع ص ١٤٤ .

حجاج بالعريش

قال المحاملي : كنت عند أبي الحسن بن عبدون وهو يكتب لبدر ، وعند جمع فيهم أبو بكر الداودي واحمد بن خالد المادرائي ـ فذكر قصّة مناظرته مع الداودي في التفضيل إلى أن قال ـ : فقال الداودي : والله ما نقدر نذكر مقامات عليّ مع هذه العامّة . قلت : أنا والله أعرفها مقامه ببدر ، وأُحد ، والخندق ، ويوم حنين ، ويوم خيبر . قال : فإن عرفتها ينفعني أن تقدّمه على أبي بكر وعمر ، قلت : قد عرفتها ومنه قدّمت أبا بكر وعمر عليه . قال : من أين ؟ قلت : أبوبكر كان مع النبيّ ﷺ على العريش يوم بدر مقامه مقام الرئيس ، و الرئيس ينهزم به الجيش ، وعليّ مقامه مقام مبارز ، والمبارز لا ينهزم به الجيش .

ذكره الخطيب في تاريخه ٨ : ٢١ ، وابن الجوزي في المنتظم ٦ : ٣٢٧ ، و أحسب أنّ مبتدع هذه الباكورة ، ومؤسّس فكرة العريش والاستدلال بها في التفضيل هو الجاحظ قال في خلاصة كتاب العثمانيّة ص١٠ : والحجّة العظمى للقائلين بتفضيل عليّ قتله الأقران وخوضه الحروب ، وليس له في ذلك كبير فضيلة ، لأنّ كثرة القتل و المشي بالسيف إلى الأقران لو كان من أشد المحن و أعظم الفضائل وكان دليلاً على الرياسة والتقدّم ، لوجب أن يكون للزبير وأبي دجانة ومحمّد بن مسلمة وابن عفراء و البراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله ﷺ ؛ لأنّه لم يقتل إلّا رجلاً واحداً ولم يحضر الحرب يوم بدر ولا خالط الصفوف ، وإنّما كان معتزلاً عنهم في العريش و معه أبوبكر . وأنت ترى الرجل الشجاع قد يقتل الأقران ، ويجندل الأبطال ، وفوقه من العسكر من لا يقتل ولا يبارز وهو الرئيس ، أو ذو الرأي والمستشار في الحرب ، لأنّ للرؤساء من الاكترات والاهتمام وشغل البال والعناية والتفقّد ما ليس لغيرهم ، ولأنّ الرئيس هو المخصوص بالمطالبة وعليه مدار الأمور ، وبه يستبصر المقاتل ويستنصر ، وباسمه ينهزم العدوّ ، ولو لم يكن له إلّا أنّ الجيش لو ثبت وفرّ هو لم يغن ثبوت الجيش كلّه وكانت الدّبرة

عليه، ولو ضيع القوم جميعاً وحفظ هو لانتصر وكانت الدولة له، ولهذا لايضاف النصر والهزيمة إلاّ إليه. ففضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسول الله يوم بدر أعظم من جهاد عليّ ذلك اليوم وقتله أبطال قريش. ا هـ.

قال الأميني: نحن لانبس في الجواب عن هذه الأساطير المشمرجة ببنت شفه، وإنّما نقتصر فيه بما أجاب به عنها أبوجعفر الاسكافي المعتزلي البغدادي المتوفّى ٢٤٠ قال في الردّ عليها[1]:

لقد اُعطي أبو عثمان مِقولاً وحرم مَعقولاً، إن كان يقول هذا على اعتقاد و جدّ، و لم يذهب به مذهب اللعب واللهو، أوعلى طريق التفاصح والتشادق و إظهار القوّة والسلاطة و ذلاقة اللسان و حدّة الخاطر والقوّة على جدال الخصوم. ألم يعلم أبوعثمان انّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان أشجع البشر وأنّه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الألباب، وبلغت القلوب الحناجر؟ فمنها يوم اُحد ووقوفه بعد أن فرّ المسلمون بأجمعهم ولم يبق معه إلّا أربعة: عليٌّ. والزبير. و طلحة. وأبودجانة، فقاتل و رمى بالنبل حتى فنيت نبله و انكسرت سِية قوسه، وانقطع وتره، فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها فقال: يارسول الله لايبلغ الوتر، فقال: أوتر ما بلغ. قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحقِّ لقد أوترت حتّى بلغ و طويت منه شبراً على سِية القوس، ثمّ أخذها فما زال يرميهم حتّى نظرت إلى قوسه قد تحطّمت، و بارز اُبيّ بن خلف فقال له أصحابه: إن شئت عطف عليه بعضنا؟ فأبى وتناول الحربة من الحارث بن السمت ثمّ إنتفض باصحابه كما ينتفض البعير قالوا: فتطاير نا عنه تطاير الشعارين فطعنه بـالحربة فجعل يخور كما يخور الثور، ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلّا قوله: «إذ تصعدون ولاتلوُن على أحد والرسول يدعوكم في اُخراكم» فكونه صلى الله عليه وآله في اُخراهم وهم يصعدون ولايلوُن هاربين دليلٌ على أنّه ثبت ولم يفرّ. وثبت يوم حنين في تسعة من أهله ورهطه الأدنين، وقد فرّ المسلمون كلهم والنفر التسعة محدقون به، العبّاس آخذٌ بحكمة بغلته، وعليٌّ بين يديه مصلتٌ سيفه، والباقون حول بغلته يُمنةً ويُسرةً، وقد انهزم المهاجرون والأنصار، وكلّما فرّوا أقدم هو صلى الله عليه وآله وصمّم مستقدماً يلقى السيوف و النبال بنحره

(١) رسائل الجاحظ ص ٥٤، شرح ابن ابي الحديد ٣ ص ٢٧٥.

وصدره ، ثمّ أخذ كفّاً من البطحاء وحصب المشركين وقال : شاهت الوجوه . والخبر المشهور عن عليّ وهو أشجع البشر : كنّا إذا اشتدّ البأس وحمي الوطيس إتّقينا برسول الله ﷺ ولذنا به . فكيف يقول الجاحظ : إنّه ماخاض الحروب ولاخالط الصفوف ؟ وأيّ فرية أعظم من فرية من نسب رسول الله ﷺ إلى الاحجام واعتزال الحرب ؟ ثمّ أيّ مناسبة بين أبي بكر ورسول الله في هذا المعنى ؟ ليقيسه وينسبه إلى رسول الله صاحب الجيش والدعوة ورئيس الاسلام والملّة ، والملحوظ بين أصحابه واعدائه بالسيادة ، وإليه الايماء والاشارة ، وهو الذي أحنق قريشاً والعرب ، وورى أكبادهم بالبراءة من آلهتهم وعيب دينهم وتضليل أسلافهم ، ثمّ وترهم فيمابعد بقتل رؤسائهم وأكابرهم ، وحقّ لمثله إذا تنحّى عن الحرب واعتزلها أن يتنحّى و يعتزل ، لأنّ ذلك شأن الملوك والرؤساء إذ كان الجيش منوطاً بهم و ببقائهم ، فمتى هلك الملك هلك الجيش ، ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه ، وإن عطب جيشه بأن يستجدّ جيشاً آخر ، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك الحرب بنفسه ، و خطّأوا الاسكندر لمّا بارز فور ملك الهند ونسبوه إلى مجانبة الحكمة ومفارقة الصواب والحزم ، فليقل لنا الجاحظ : أيّ مدخل لأبي بكر في هذا المعنى ؟ و من الذي كان يعرفه من أعداء الإسلام ليقصده بالقتل ؟ وهل هو إلّا واحدٌ من عرض المهاجرين حكمه حكم عبد الرّحمن بن عوف و عثمان بن عفان و غيرهما ؟ بل كان عثمان أكثر منه صيتاً ، وأشرف منه مركباً ، والعيون إليه طمح ، والعدوّ عليه أحنق وأكلب . ولو قتل أبوبكر في بعض تلك المعارك هل كان يؤثّر قتله في الاسلام ضعفاً ؟ أو يحدث وهناً ؟ أو يخاف على الملّة لو قتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تندرس و تعفى آثارها وتنطمس منارها ؟ ليقول الجاحظ إنّ ابابكر كان حكمه حكم رسول الله ﷺ في مجانبة الحروب واعتزالها . نعوذ بالله من الخذلان . وقد علم العقلاء كلّهم ممّن له بالسير معرفة و بالآثار والأخبار ممارسة حال حروب رسول الله ﷺ كيف كانت ، وحاله عليه الصّلاة والسّلام فيها كيف كان ، ووقوفه حيث وقف وحربه حيث حارب ، و جلوسه في العريش يوم جلس ، وأنّ وقوفه ﷺ وقوف رئاسة وتدبير ، ووقوف ظهر وسند ، يتعرّف اُمور أصحابه و يحرس صغيرهم و كبيرهم بوقوفه من ورائهم و تخلّفه عن التقدّم في أوائلهم ، لأنّهم متى علموا أنّه في اُخراهم إطمأنّت قلوبهم و لم تتعلّق

بأمره نفوسهم، فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوّهم، و لا يكون لهم فئة يلجئون إليها و ظهراً يرجعون إليه، ويعلمون أنّه متى كان خلفهم تفقّد أُمورهم وعلم مواقفهم و آوى كلّ انسان مكانه في الحماية والنكاية و عند النازلة في الكرّ والحملة، فكان وقوفه حيث وقف أصلح لأمرهم، وأحمى وأحرس لبيضتهم، ولأنّه المطلوب من بينهم، إذ هو مدبّر أُمورهم ووالي جماعتهم، ألا ترون أنّ موقف صاحب اللواء موقف شريف؟ وأنّ صلاح الحرب في وقوفه، وأنّ فضيلته في ترك التقدّم في أكثر حالاته، فللرئيس حالات: الأُولى حالة يتخلّف ويقف آخراً ليكون سنداً وقوّة ورِداءاً وعُدّة، وليتولّى تدبير الحرب و يعرف مواضع الخلل. والحالة الثانية: يتقدّم فيها في وسط الصفّ ليقوى الضعيف ويُشجّع الناكس: وحالة ثالثة: و هي إذا اصطدم الفيلقان، وتكافح السيفان، إعتمد ما يقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح، أو من مباشرة الحرب بنفسه فانّها آخر المنازل وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد، وفسالة الجبان المموّه. فأين مقام الرئاسة العظمى لرسول الله ﷺ؟ وأين منزلة أبي بكر ليسوّى بين المنزلتين، ويناسب بين الحالتين؟ ولو كان أبو بكر شريكاً لرسول الله في الرسالة و ممنوحاً من الله بفضيلة النبوّة، و كانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمّداً ﷺ؟ لكان للجاحظ أن يقول ذلك، فأمّا وحاله حاله وهو أضعف المسلمين جناناً وأقلّهم عند العرب تِرةً لم يَرمِ قَطّ بسهمٍ، ولا سلّ سيفاً، ولا أراق دماً، و هو أحد الأتباع غير مشهور و لا معروف و لا طالب و لا مطلوب، فكيف يجوز أن يجعل مَقامه و منزلته مقام رسول الله ﷺ و منزلته؟ و لقد خرج ابنه عبدالرّحمن مع المشركين يوم أُحد فرآه أبوبكر فقام مغيظاً عليه فسلّ من السيف مقدار إصبع يروم البروز إليه فقال له رسول الله ﷺ: يا أبابكر! شِم سيفك وامتعنا بنفسك. ولم يقل له (وامتعنا بنفسك) إلّا لعلمه بأنّه ليس أهلاً للحرب وملاقاة الرجال وأنّه لو بارز لقتل.

وكيف يقول الجاحظ: لا فضيلة لمباشرة الحروب ولقاء الأقران وقتل أبطال الشرك؟ وهل قامت عمد الإسلام إلّا على ذلك؟ وهل ثبت الدين واستقرّ إلّا بذلك؟ أتراه لم يسمع قول الله تعالى «إنّ الله يحبّ الذين يُقاتلون في سبيله صفّاً كأنّهم بنيانٌ مرصوص»؟ والمحبّة من الله تعالى هي إرادة الثواب، فكلّ من كان أشدّ ثبوتاً في هذا الصفّ و أعظم

قتالاً كان أحبّ إلى الله ، ومعنى الأفضل هو الأكثر ثواباً ، فعلي عليه السلام إذا هو أحبّ المسلمين إلى الله لأنّه أثبتهم قدماً في الصفّ المرصوص ، لم يفرّ قطّ باجماع الأمّة ، ولا بارزه قرنٌ إلّا قتله ، أو تراه لم يسمع . قول الله تعالى : « وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما » ؛ و قوله « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن ثمّ قال سبحانه: مؤكّداً لهذا البيع والشراء « ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الّذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » وقال الله تعالى : « ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطؤن موطئاً يغيظ الكفار و لا ينالون من عدوّ نيلاً إلّا كُتب لهم به عملٌ صالح » فمواقف الناس في الجهاد على أحوال ، و بعضهم في ذلك أفضل من بعض ، فمن دلف إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنّة كان أثقل على أكتاف الأعداء لشدّة نكايته فيهم ممّن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم ، و كذلك مَن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم إلّا انّه بحيث تناله السهام والنبل أعظم عناءً و أفضل ممّن وقف حيث لا يناله ذلك ، ولو كان الضعيف و الجبان يستحقّان الرئاسة بقلّة بسط الكفّ و ترك الحرب و إنّ ذلك يشاكل فعل النبيّ صلى الله عليه وآله ، لكان أوفر الناس حظّاً في الرئاسة وأشدّهم لها استحقاقاً حسّان بن ثابت ، وإن بطل فضل عليّ في الجهاد لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان أقلّهم قتالاً ـ كما زعم الجاحظ ـ ليبطلنّ على هذا القياس فضل أبي بكر في الإنفاق ، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان أقلّهم مالاً ، وأنت إذا تأمّلت أمر العرب وقريش ونظرت السير وقرأت الأخبار عرفت أنها تطلب محمّداً صلى الله عليه وآله وتقصد قصده وتروم قتله، فان أعجزها وفاتها طلبت عليّاً وأرادت قتله ، لأنّه كان أشبهم بالرسول حالاً ، وأقربهم منه قرباً ، وأشدّهم عنه دفعاً ، و إنّهم متى قصدوا عليّاً فقتلوه أضعفوا أمر محمّد صلى الله عليه وآله وكسروا شوكته ، إذ كان أعلى من ينصره في البأس والقوّة والشجاعة والنجدة والإقدام والبسالة .ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر ـ وقد خرج هو وأخوه شيبة وإبنه الوليد بن عتبة فأخرج إليهم الرّسول نفراً من الأنصار فاستنسبوهم فانتسبوا لهم فقالوا : إرجعوا إلى قومكم ، ثمّ نادوا : يا محمّد ! ـ أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لأهله الأدنين : قوموا يا بني هاشم ! فانصروا حقّكم الذي آتاكم الله على باطل

هؤلاء، قم يا عليّ! قم يا حمزة! قم يا عبيدة! ألا ترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم أُحد لأنّه اشترك هو و حمزة في قتل أبيها يوم بدر؟ ألم تسمع قول هند ترثي أهلها:

ما كان لي من عُتبة من صبر ✿ أبي و عمّي و شقيق صدري

أخي الذي كان كضوء البدر ✿ بهم كسرت يا عليّ ظهري

و ذلك لأنّه قتل أخاها الوليد بن عتبة وشرك في قتل أبيها عتبة، وأمّا عمّها شيبة فانّ حمزة تفرّد بقتله. وقال جبير بن مطعم لوحشي مولاه يوم أُحد: إن قتلت محمّداً فأنت حرّ، و إن قتلت عليّاً فأنت حرّ، و إن قتلت حمزة فأنت حرّ، فقال أمّا محمّد فسيمنعه أصحابه، وأما عليّ فرجل حذر كثير الالتفات في الحرب، ولكنّي سأقتل حمزة. فقعد له و زرقه بالحربة فقتله.

و لما قلنا من مقاربة حال عليّ في هذا الباب لحال رسول الله ﷺ و مناسبتها إيّاه ما وجدناه في السيرة والأخبار من إشفاق رسول الله ﷺ وحذره عليه ودعائه له بالحفظ والسلامة، قال رسول الله ﷺ يوم الخندق وقد برز عليّ إلى عمرو ورفع يديه إلى السّماء بمحضر من أصحابه: اللّهمّ إنّك أخذت منّي حمزة يوم أُحد؛ و عبيدة يوم بدر، فاحفظ اليوم عليّ عليّاً، ربّ لاتذرني فرداً وأنت خير الوارثين. و لذلك ضنّ به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً في كلّها يحجمون ويقدم عليّ فيسأل الإذن له في البراز حتى قال له رسول الله ﷺ: إنّه عمرو فقال: وأنا عليّ. فأدناه وقبّله وعمّمه بعمامته وخرج معه خطوات كالمودّع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه. ثمّ لم يزل ﷺ رافعاً يده إلى السّماء مستقبلاً لها بوجهه و المسلمون صموت حوله كأنّما على رؤسهم الطير حتّى ثارت الغبرة وسمعوا التكبير من تحتها فعلموا أنّ عليّاً قتل عمراً. فكبّر رسول الله ﷺ وكبّر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين. و لذلك قال حذيفة بن اليمان: لو قسّمت فضيلة عليّ بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لو سعتهم. و قال ابن عبّاس: في قوله تعالى «و كفى الله المؤمنين القتال»: قال: بعليّ بن أبي طالب. اهـ.

الغريق يتشبث بكل حشيش

أعيت القوم شجاعة الخليفة ، وأضلّتهم عن المذاهب ، وجعلتهم في الرونة ، وأركبتهم على الزحلوقة تسفّ بهم تارةً و تُعليهم أخرى ، فلم يجدوا مهيعاً يوصلهم إلى ما يرومون من إثباتها له مهما وجدوا غضون التاريخ خاليةً عن كلّ عين و أثر يسمعهم الركون إليه في الحجاج لها ، فتشبّثوا بالتفلسف فيها فهذا يبني فلسفة العريش ، والآخر ينسج نسج العناكيب و يعدّ ثباته في موت رسول الله ﷺ وعدم تضعضعه في تلك الهاملة دليلاً على كمال شجاعته ، قال القرطبي في تفسيره ٤ : ٢٢٢ في سورة آل عمران ١٤٤ عند قوله تعالى : « وما محمّدٌ إلّا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، و مَن ينقلب على عقبه فلن يضرّ الله شيئاً » : هذه الآية أدلّ دليل على شجاعة الصدّيق وجرأته فانّ الشجاعة والجرأة حدّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت النبيّ ﷺ فظهرت عنده شجاعته وعلمه و قال الناس : لم يمت رسول الله ﷺ منهم عمر ، و خرس عثمان ، واستخفى عليّ ، و اضطرب الأمر فكشفه الصدّيق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسُنح[1] .

و هذا الإستدلال أقرّه الحلبي في سيرته ٣ : ٣٥ وقال : لمّا توفّي رسول الله ﷺ طاشت العقول فمنهم مَن خبَل ، ومنهم من أقعد ولم يطق القيام ، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ، و منهم من أضنى ، و كان عمر رضي الله عنه ممّن خبل ، و كان عثمان رضي الله عنه ممّن أخرس ، فكان لا يستطيع أن يتكلّم ، وكان عليّ رضي الله عنه ممّن أقعد فلم يستطع أن يتحرّك ، و أضنى عبد الله بن أنيس فمات كمداً ، وكان أثبتهم : أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ـ إلى أن قال ـ : قال القرطبي : و هذا أدلّ دليل على كمال شجاعة الصدّيق . الخ .

قال الأميني : يوهم القرطبي انّ في كتاب الله العزيز ما يدلّ على شجاعة الخليفة وعلمه ، و ليس فيما جاء به أكثر من أنّه استدلّ بالآية الشريفة يوم ذاك على موت رسول الله ﷺ فأيّ صلة بها إلى شجاعة الرجل ؟! و أيّ قسم فيها من أنحاء الدلالة الثلاثة فضلاً عن أن تكون أدلّ دليل ؟ فإن يكن هناك شيءٌ من الدلالة ـ وأين وأنّى

(١) بضم اوله وسكون النون وقد تضم : موضع خارج المدينة بينها وبين منزل النبى ميل .

فهوفي ثبات جأشه وتمسّكه بالآية الكريمة لافي الآية نفسها .

ثمّ كيف خفي على الرجل وعلى من تبعه الفرق بين ملكتي الشجاعة والقسوة ؟ وأنّ هذا النسج الذي أوهن من بيت العنكبوت إنّما نسجته يد السياسة لدفع مشكلات هناك ، فخبّلوا عمر بن الخطاب « وحاشاه الخبل » تصحيحاً لإنكاره موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنّه كان من ذلك القلق كما مرّ في ص ١٨٤ ، و أقعدوا عليّاً لإيهام العذر في تخلّفه عن البيعة ، وأخرسوا عثمان لأنّه لم ينبس في ذلك الموقف ببنت شفة .

على أنّ ما جاء به القرطبي من ميزان الشجاعة يستلزم كون الخليفة أشجع من رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً إذ لم يُروَ عن أبي بكر في رزيّة النبيّ الأعظم اكثر من أنّه كشف عن وجه النبيّ وقبّله وهو يبكي وقال : طبت حيّاً وميّتاً[1] وقد فعل صلى الله عليه وآله وسلم أكثر وأكثر من هذا في موت عثمان بن مظعون فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم إنكبّ عليه ثلاث مرّات مرّة بعد أُخرى وقبّله باكياً عليه وعيناه تذرفان والدموع تسيل على وجنتيه وله شهيق[2] وشتّان بين عثمان بن مظعون وبين سيّد البشر روح الخليقة وعلّة العوالم كلّها ، وشتّان بين المصيبتين .

كما يستدعي مقياس الرجل كون عمر بن الخطاب أشجع من النبيّ الأقدس لحزنه العظيم في موت زينب وبكائه عليها ، و عمر كان يوم ذاك يضرب النسوة الباكيات عليها بالسوط كما مرّ في الجزء السادس ص ١٥٩ ط٢ فضلاً عن عدم تأثّره بتلك الرزيّة .

وعلى هذا الميزان يغدو عثمان بن عفّان أشجع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوجده صلى الله عليه وآله وسلم لموت إحدى بنتيه : رقية أو امّ كلثوم زوجة عثمان . وبكائه عليها ، وعثمان غير متأثّر به ولا بانقطاع صهره من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، غير مشغول بذلك عن مقارفة بعض نسائه في ليلة وفاتها كما في صحيحة أنس[3] .

وقبل هذه كلّها ما ذكره أعلام القوم في موت أبي بكر من طريق ابن عمر من قوله : كان سبب موت أبي بكر موت رسول الله صلى الله عليه وآله مازال جسمه يجري حتّى مات . وقوله :

(١) صحيح البخارى ٦ : ٢٨١ : كتاب المغازى ، سيرة ابن هشام ٤ : ٣٣٤ ، طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ٧٨٥ ، تاريخ الطبرى ٣ : ١٩٨ .

(٢) سنن البيهقى ٣ : ٤٠٦ ، حلية الاولياء ١ : ١٠٥ ، الاستيعاب ٢ : ٤٩٥ ، اسد الغابة ، الغدير ٣ ٣٨٧ ، الاصابة ٢ : ٤٦٤ .

(٣) مستدرك الحاكم ٤ : ٤٧ ، الاستيعاب ٢ : ٧٤٨ وصححه ، الاصابة ٤ : ٣٠٤ ، ٤٨٩ الغدير ٣ : ٢٤ .

كان سبب موته كمداً لحقه على رسول الله صلى الله عليه وآله مازال يذيبه حتّى مات . و في لفظ القرماني : مازال جسمه ينقص حتّى مات .

راجع مستدرك الحاكم ٣ : ٦٣ ، اسد الغابة ٣ : ٢٢٤ ، صفة الصفوة ١ : ١٠٠ ، الرياض النضرة ١ : ١٨٠ ، تاريخ الخميس ج ٢ : ٢٦٣ ، حياة الحيوان للدميري ١ : ٤٩ ، الصواعق ص ٥٣ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٥ ، أخبار الدول للقرماني بهامش الكامل ١ : ١٩٨ ، نزهة المجالس للصفوري ٢ : ١٩٧ ، مصباح الظلام للجرداني ٢ : ٢٥ .

كأنّ هذا الحديث عزب عن القرطبي و الحلبي ، فأخذاً بهذا مشفوعاً بكلامهما المذكور في شجاعة أبي بكر يكون هوشا كلة عبدالله بن أنيس في موتهما كمداً على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم ينبأ قطّ خيبر بموت أحدٍ من الصحابة غيرهما بموته صلى الله عليه وآله ، و هذا دليلٌ على ضعف قلبهما عند حلول المصائب ، فهما أجبن الصحابة على الإطلاق إذا وُزنا بميزان القرطبي وفيها عين .

ووراء هذه المغالاة في شجاعة الخليفة وعدّه أشجع الصحابة ما عزاه القوم إلى ابن مسعود من انّه قال : أوّل من أظهر الاسلام بسيفه محمّد صلى الله عليه وآله و أبوبكر. و الزبير بن العوام رضي الله عنهم (١) وما يُعزى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من انّه قال : لو لا أبوبكر الصدّيق لذهب الإسلام (٢) .

قال الأميني : لقد كانت على الأبصار غشاوة عن رؤية هذا السيف الذي كان بيد الخليفة ، فلم يُؤثر أنه تقلّده يوماً ، أوسلّه في كريهة ، أوهابه إنسان في معمعة ، حتّى يقرن برسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان منذ بعث سيفاً لله تعالى مجرّداً .

إنّ الرسول لنورٌ يستضاء به ✡ مهنّدٌ من سيوف الله مسلولُ (٣)

أويقرن بمثل الزبير الذي عرفته و سيفه الحرب الزّبون فشكرته ، و قد سجّل التاريخ مواقفه المشهودة ، وسجّل للخليفة يوم خيبر و أمثاله .

وأنا لا أدري بأيّ خصلة في الخليفة نيط بقاء الاسلام ، أبشجاعته هذه ؟ أم بعلمه الذي عرفت كميّته ؟ أم بماذا ؟ « فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر » .

(١) نزهة المجالس للصفوري ٢ : ١٨٢ .
(٢) نور الابصار للشبلنجي ص ٥٤ .
(٣) البيت من قصيدة لكعب بن زهير المشهورة بيانت سعاد .

- ٣ -

ثبات الخليفة على المبدء

عن أبي سعيد الخدري : إنّ أبابكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ! إنّي مررت بوادي كذا و كذا فاذا رجلٌ متخشّعٌ حسن الهيئة يصلّي . فقال له رسول الله ﷺ : إذهب إليه فاقتله . قال : فذهب اليه أبو بكر فلمّا رآه على تلك الحالة كره أن يقتله فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال النبيُّ ﷺ لعمر : إذهب إليه فاقتله . قال فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبوبكر فكره أن يقتله فرجع فقال : يارسول الله ! إنّي رأيته متخشّعاً فكرهت أن أقتله قال : ياعليُّ ! إذهب فاقتله . فذهب عليٌّ فلم يره فرجع فقال : يا رسول الله ! إنّي لم أره . فقال النبيُّ ﷺ : إنّ هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثمّ لايعودون فيه حتّى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شرُّ البريّة (١) .

و عن أنس بن مالك قال : كان في عهد رسول الله ﷺ رجلٌ يعجبنا تعبّده و اجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه فوصفناه بصفته فلم يعرفه فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل قلنا : هو هذا . قال : إنّكم لتخبروني عن رجل إنّ في وجهه لسفعةً من الشيطان فأقبل حتّى وقف عليهم ولم يسلّم فقال له رسول الله ﷺ أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس : ما في القوم أحدٌ أفضل منّي أوخير منّي ؟ قال : أللّهم نعم . ثمّ دخل يصلّي فقال رسول الله ﷺ : من يقتل الرجل ؟ فقال أبو بكر أنا ، فدخل عليه فوجده يصلّي فقال : سبحان الله ! أقتل رجلاً يصلّي ؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلّين ، فخرج . فقال رسول الله ﷺ : مافعلت ؟ قال : كرهت أن أقتله وهو يصلّي وأنت قد نهيت عن قتل المصلّين . قال : مَن يقتل الرجل ؟ قال عمر : أنا . فدخل فوجده واضعاً جبهته فقال عمر : أبوبكر أفضل منّي فخرج فقال له النبيُّ ﷺ مَه ؟ قال : وجدته واضعاً وجهه لله فكرهت أن أقتله . فقال : مَن يقتل الرجل ؟ فقال عليٌّ : أنا . فقال : أنت

(١) مسند أحمد ٣ : ١٥ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٩٨ .

إن أدركته . فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : مَه ؟ قال : وجدته قد خرج . قال : لو قُتل ما اختلف من أُمتي رجلان كان أولهم وآخرهم[1] .

صاحب القصة هو ذو الثُديّة رأس الفتنة يوم النهروان قتله أمير المؤمنين الامام علي يوم ذاك كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود ، قال الثعالبي في ثمار القلوب ص ٢٣٢: ذو الثُديّه شيخ الخوارج و كبيرهم الذي علّمهم الضلال ، و كان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتله و هو في الصلاة فكع عنه ابوبكر وعمر رضي الله عنهما ، فلما قصده علي رضي الله عنه لم يره ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أما انك لو قتلته لكان أول فتنة و آخرها ، ولما كان يوم النهروان وجد بين القتلى فقال علي رضي الله عنه : ائتوني بيده المخدجة . فأُتي بها فأمر بنصبها .

قال الأميني: هلمّ معي نسائل الرّجلين ممّن أخذا أنّ الصلاة تحقن دم صاحبها؟ هل أخذاها عن شريعة غاب الصادع بها ، فارتبكا بين قوليه ؟ أليست هي الشريعة المحمّدية وصاحبها هو الذي أمر بقتل الرجل ؟ وهو ينظر إليه من كثب ، و يعلم أنه يصلّي ، و قد أخبرته الصحابة و فيهم الرجلان بخضوعه و خشوعه في صلاته ، و إعجابهم بتعبّده و اجتهاده ، وفي المخبرين أبو بكر نفسه ، غير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرف بواسع علمه النبويّ أنّ كلّ ذلك عن دهاء وتصنّع يريد به إغراء الدهماء للحصول على اُمنيته الفاسدة التي لم يتمكّن منها إلّا على عهد الخوارج فأراد صلى الله عليه وآله وسلم قمع تلك الجرثومة الخبيثة بقتله ، ولقد أراد صلى الله عليه وآله وسلم تعريف الناس بالرجل و إيقافهم على ما انطوت عليه أضالعه فاستحفاه عمّا دار في خلده حين وقف على القوم وفيهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأراد أن يعلموا أنه يجد نفسه خيراً أو أفضل منهم ومنه صلى الله عليه وآله وسلم .

أيّ كافر هذا يجب قتله لاسيّما بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ في وجهه لسفعةً من الشيطان ؟ وأيّ شقيّ هذا يقف على المنتدى وقد ضمّ صدره نبيّ العظمة ولم يسلّم ؟ و أيّ صفيق يُعرب عن سوء ماهجس في ضميره بكلّ صراحة ، غير محتشم عن موقفه ، و لا مكترث لمقاله ؟ .

---

(١) حلية الاولياء ٢: ٣١٧ ، ج ٣ : ٢٢٧ ، مسند البزار من طريق الاعمش ، و ابو يعلى في مسنده كما في تأريخ ابن كثير ٧ ص ٢٩٨ ، الاصابة ١ : ٤٨٤ .

نعم لذلك كله أمر صلى الله عليه وآله وسلم بقتله وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، لكن الشيخين رؤفا به حين وجداه يصلي تثبتاً على المبدء، وتحفظاً على كرامة الصلاة ومن أتى بها، وزاد عمر: ان أبابكر خير مني ولم يقتله. أو لم يكن النبي الآمر بقتله خيراً منهما؟ أو لم يكن هو مشرع الصلاة والآتي بحرمتها؟ أو لم يكن مصدقاً لدى الصديق وصاحبه في قوله حول الرجل وإعرابه عن نواياه؟.

كان خيراً للشيخين أن يتركا هذا التعلل الواضح فساده و يتعللا بما في لفظ أبي نعيم في الحلية من أنهما هابا أن يقتلاه، وبما أسلفناه عن ثمار القلوب للثعالبي من أنهما كعا عن الرجل. أي جبنا وضعفا وتهيبهما الرجل وإن كان مصلياً غير شاك السلاح، فلعله يكون معذراً لهما عن ترك الإمتثال، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لكنهما يوم عرفا نفسهما كذلك والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لماذا أقدما على قتل الرجل، ففوتا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلبته و على الأمة السلام والأمن ولو بعد لأي من عمر الدهر عند ثورات الخوارج؟ وأبو بكر هذا هو الذي يحسبه ابن حزم والمحب الطبري والقرطبي والسيوطي أشجع الناس كما مر ص ٢٠٠ وقد يهابه ظل الرجال في مصلاهم.

وللرجل (ذي الثدية) سابقة سوء عند الشيخين من يوم قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غنيمة هوازن قال ذو الثدية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: لم أرك عدلت. أو: لم تعدل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فقال عمر: يا رسول الله ألا أقتله؟ قال: لا، سيخرج من ضيضىء هذا الرجل قوم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم تراقيهم. تاريخ أبي الفدا ج١ ص١٤٨، الامتاع للمقريزي ص ٤٢٥.

- ٤ -

تهالك الخليفة في العبادة

لم يؤثر عن الخليفة دؤب على العبادة على العهد النبوي أو بعده غير أشياء لا تنجع من أثبتها له إلا بعد تحمل متطاول ، أو تفلسف في القول لو أجدت الفلسفة على لا شيء .

روى المحب الطبري في الرياض النضرة ١ ص ١٣٣ : ان عمر بن الخطاب أتى إلى زوجة أبي بكر بعد موته فسألها عن أعمال أبي بكر في بيته ما كانت فأخبرته بقيامه في الليل و أعمال كان يعملها ثم قالت : ألا انه كان في كل ليلة جمعة يتوضأ و يصلي ثم يجلس مستقبل القبلة رأسه على ركبتيه فإذا كان وقت السحر رفع رأسه و تنفس الصعداء فيشم في البيت روائح كبد مشوي . فبكا عمرو قال : أنى لابن الخطاب بكبد مشوي .

و في مرآة الجنان ١ ص ٦٨ : جاء ان أبابكر كان إذا تنفس يشم منه رائحة الكبد المشوية .

و في عمدة التحقيق للعبيدي المالكي ص ١٣٥ : لما مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه و استخلف عمر رضي الله عنه كان يتبع آثار الصديق رضي الله عنه و يتشبه بفعله فكان يتردد كل قليل إلى عائشة واسماء رضي الله تعالى عنهما و يقول لهما : ما كان يفعل الصديق إذا خلا بيته ليلاً ؟ فيقال له : ما رأيناله كثير صلاة بالليل ولا قيام إنما كان إذا جنه الليل يقوم عند السحر و يقعد القرفصاء و يضع رأسه على ركبتيه ثم يرفعها إلى السماء و يتنفس الصعداء ويقول : اخ . فيطلع الدخان من فيه . فيبكي عمر ويقول: كل شيء يقدر عليه عمر إلا الدخان . فقال :

وأصل ذلك أن شدة خوفه من الله تعالى أو جبت إحتراق قلبه ، فكان جليسه يشم منه رائحة الكبد المشوي ، و سببه ان الصديق لم يتحمل أسرار النبوة الملقاة إليه و في الحديث : أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه . فالمعرفة التامة تكشف عن جلال

المعروف و جماله ، وكلاهما أمرٌ عظيم جداً تتقطّع دونه الغايات و لولا أنّ الله تعالى ثبت من أراد ثباته و قوّاه على ذلك ما استطاع أحدٌ الوقوف ذرّة على كليهما جلالاً و جمالاً ، و الغاية في الطرفين قد نالها الصدّيق رضي الله عنه . فقد ورد : ما صُبَّ في صدري شيءٌ إلّا صببته في صدر أبي بكر . ولو صبّه جبريل عليه السلام في صدر أبي بكر ما أطاقه لعدم مجراه من المماثل ، لكن لما صبّ في صدر النبي صلى الله عليه وآله وهو من جنس البشريّة فجرى في قناة مماثلة للصدّيق ، فبواسطتها أطاق حمله ، ومع ذلك احترق قلبه . الخ .

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الاصول ص٣١ و ٢٦١ ، عن بكر بن عبدالله المزني قال : لم يفضل أبوبكر رضي الله عنه الناس بكثرة صوم و لا صلاة إنّما فضلهم بشيء كان في قلبه . وذكر أبو محمّد الأزدي في شرح مختصر صحيح البخاري ٢ : ٤١ ، ١٠٥ ، وج ٣ : ٩٨ . وج٤ : ٦٣ ، والشعراني في اليواقيت و الجواهر ٢ : ٢٢١ ، واليافعي في مرآة الجنان ١ : ٦٨ ، والصفوري في نزهة المجالس ٢ ص ١٨٣ : انّ في الحديث ما فضلكم أبوبكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره .

قال الأميني : لو صحّ حديث الكبد المشوي لوجب اطّراده في الأنبياء والرسل و يقدمهم سيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله لأنّهم أخوف من الله من أبي بكر وخاتم النبيّين أخوفهم ، ولوجب أن تكون الرائحة فيهم أشدّ وأنشر ، فانّ الخوف فرع الهيبة المسبّبة عن إحاطة العلم بما هناك من عظمة وقهر وجبروت ومنعة ، وينبأ نا عن ذلك قوله تعالى : إنّما يخشى الله من عباده العلماء (١) قال ابن عبّاس : يريد إنّما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزّتي وسلطاني . وقيل : عظّموه وقدّروا قدره ، وخشوه حقّ خشيته ، ومن ازداد به علماً ازداد به خشية . « تفسير الخازن ٣ : ٥٢٥ »

و في الحديث : أعلمكم بالله أشدّكم له خشية . « تفسير ابن جزي ٣ : ١٥٨ »

و في خطبة له صلى الله عليه وآله : فوالله انّي لأعلمهم بالله و أشدّهم له خشية (٢) .

وفي خطبة اُخرى له صلى الله عليه وآله : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً (٣) .

---

(١) سورة فاطر . آية : ٢٨ .

(٢) صحيح مسلم كتاب المناقب . باب علمه بالله وشدة خشيته ؛ تفسير الخازن ٣ : ٥٢٥ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الرقاق . باب لو تعلمون ما أعلم ؛ مسند احمد ٦ : ١٦٤ ؛ تيسير الوصول ٢ : ٢٦ ؛ تفسير الخازن ٣ : ٥٢٥ .

وقال مولانا أمير المؤمنين : أعلمكم أخوفكم . « غرر الحكم للآمدي ص ٦٢»

وقال مقاتل : أشدّ الناس خشية لله أعلمهم . « تفسير الخازن ٣ : ٥٢٥ »

وقال الشعبي ومجاهد : إنّما العالم من خشي الله[1].

وقال الربيع بن أنس : من لم يخش الله تعالى فليس بعالم[2].

ومن هنا قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنّي أعلمكم بالله وأخشاكم لله[3] ولذلك تجد انّ أزلف الناس إلى السلطان يتهيّبه أكثر ممّن دونه في الزلفة · فترى الوزير يكبره ويخافه أبلغ ممّن هو أدنى منه ، والأمر على هذه النسبة في رجال الوظايف ، حتّى تنتهي إلى أبسطها كالشرطي مثلاً ، ثمّ إلى سائر أفراد الرعيّة .

وهلمّ معي إلى الأولياء والمقرّبين والمتهالكين في الخشية من الله والمتفانين في العبادة وفي مقدّمهم سيّدهم مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي كان في حلك الظلام يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويتأوّه ويتفوّه بما ينمّ عن غاية الخوف والخشية ، وهو قسيم الجنة والنار بنصّ من الرّسول الأمين كما مرّ في الجزء الثالث ص ٢٩٩ ط ٢ ، وكان يُغشى عليه عدّة غشوات في كلّ ليلة ، ولم يشم أحدٌ منه و لا منهم رائحة الكبد المشويّ .

ولو اطّرد مايزعمونه لوجب تكيّف الفضاء من لدن آدم إلى عهد الخليفة بتلك الرائحة المنتشرة من تلكم الأكباد المشويّة ، ولاسودّ وجه الدنيا بذلك الدخان المتصاعد من الأكباد المحترقة .

أيحسب راوي هذه المهزأة أنّ على كبد المختشي ناراً موقدة يعلوها ضرمٌ ، و يتولّد منها دخانٌ ؟ فلِمَ لم تُحرق مافي الحشى كلّه ويكون إنضاجها مقصوراً على الكبد فحسب ؟ و هل للكبد حالُ المعذّبين الّذين كلّما نضجت جلودهم بُدّلوا جلوداً اُخرى ؟ وإلّا فالعادة قاضيةٌ بفناء الكبد بذلك الحريق لمتواصل .

وإن تعجب فعجب بقاء الإنسان بعد فناء كبده ، ولعلّك إذا أحفيت الراوي السؤال

---

(١) تفسير القرطبى ١٤ : ٣٤٣ ، تفسير الخازن ٣ : ٥٢٥ .

(٢) تفسير القرطبى ١٤ : ٣٤٣ ، تفسير الخازن ٣ : ٥٢٥ .

(٣) تفسير البيضاوى ٢ : ٣٠٢ ، اللمع لابى نصر ص ٩٦ .

عن هذه لأجابك بأنّها كلّها معاجز تخصّ بالخليفة .

و أحسب انّ صاحب المزاعم من المتطفّلين على موائد العربيّة فإنّ العربيّ الصميم جِدّ عليم بكثير الكناية والاستعارة في لغة الضاد فاذا قالوا: إنّ نار الخوف أحرقت فلاناً لايريدون لهباً متّقداً يصعد منه الدخان أوتشمّ منه رائحة شيّ الأكباد ، و انّما يعنون لهفةً شديدة ، وحرقةً معنويّة تشبّه بالنيران .

وأمّا ماسرده العبيدي من فلسفة ذلك الحريق في كبد الخليفة فانّها من الدعاوي الفارغة وفيها الغلوّ الفاحش وإن شئت قلت : إنّما هي أوهام لم تقم لها حجّة ؛ و ليس من السهل أن يدعمها ببرهنة يمسكها عن التزحزح ، فهي كالريشة في مهبّ الريح تجاه حِجاج المجادل ، ووِجاه سيرة الخليفة نفسه ، وما عزاه إلى الرواية من حديث خرافة : ماصبّ الله في صدري شيئاً إلّاوصببته في صدر أبي بكر. فهوعلى تنصيص العلماء على وضعها كما مرّ في ج ٥ ص ٣١٦ لايلزم به الخصم ، ولا يثبت به المدّعى ، وفيه من سَرَف القول مالا يخفى على العارف بالرجال وتاريخهم .



— ٥ —

تبرّز الخليفة في الاخلاق

لم نقف من أخلاقيّات الخليفة على شيء يرفع الإنسان من هذه الناحية عدا ما في صحيح البخاري في كتاب التفسير من طريق ابن أبي مليكة عن عبدالله بن الزبير قال : قدر كب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وآله فقال أبو بكر: أمّر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : أمّر الأقرع بن حابس[1]. فقال أبو بكر: ما أردت إلّا خلافي ، فقال عمر: ما اردتُ خلافك . فتماريا حتّى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك : يا أيّها الذين آمنوا لاتقدّموا بين يدي الله و رسوله واتّقوا الله إنّ الله سميعٌ عليم . سورة الحجرات : ١.

واخرج البخاري من طريق ابن أبي ملكية ايضاً قال : كاد الخيّران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبيّ صلى الله عليه وآله حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع . و أشار الآخر برجل آخر. قال نافع : لا أحفظ اسمه . فقال أبو بكر لعمر : ما أردتَ إلّا خلافي . قال : ما أردتُ خلافك . فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله : ياأيّها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ولا تجهر و اله بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم و أنتم لا تشعرون .[2] الحجرات : ٢.

قال الأميني: ألا تعجب من الرجلين انّهما طيلة مصاحبتهما هذا النبيّ المعظّم صلى الله عليه وآله لم يحدهما التأثّر بأخلاقه الكريمة إلى الحصول على أدب محاضرة العظماء والمثول بين أيديهم لاسيّما هذا العظيم ، العظيم خلقه بنصّ الذكر الحكيم ، وما عرفا أنّ الكلام بين يديه لابدّ وأن يكون تخافتاً وهمساً إكباراً لمقامه و إعظاماً لمرتبته . وأن لايتقدّم

---

(١) الاقرع بن حابس هو ذلك الاعرابى الذى رآه النبى صلى الله عليه وآله وهو يبول فى المسجد ، وقد أخرج حديثه البخارى فى صحيحه . راجع ارشاد السارى ١ :٢٨٤].

(٢) صحيح البخارى ٧ ص ٢٢٥ ، الاستيعاب فى ترجمة القعقاع ٢ : ٥٣٥ ، تفسير القرطبى ١٦ : ٣٠٠ ، تفسير ابن كثير ٤ : ٢٠٥ ، تفسير الخازن ٤ : ١٧٢ ، الاصابة ١ : ٥٨ و ج ٣ : ٢٤ .

أحدٌ إليه بالكلام إلّا أن يكون جواباً عن سؤال، أو ماينمّ عن امتثال أمر، أو إخباراً عن مهمّة، أو سؤالاً عن حكم لكنّهما تقدّما بالكلام الخارج عن ذلك كلّه، و تماريا و احتدم الحوار بينهما، وارتفعت أصواتهما في ذلك، وكاد الخيّران أن يهلكا حتّى جعلا أعمالهما في مظنّة الإحباط فنزلت الآية الكريمة.

وما أخرجه ابن عساكر عن المقدام انّه قال: استبّ عقيل بن أبي طالب وأبوبكر وكان أبوبكر سبّاباً. وكأنّ ابن حجر استشعر من هذه الكلمة ما لا يروقه فقال: سبّاباً او نسّاباً لكن الرجل أنصف في الترديد وقد جاء بعده السيوطي فحذف كلمة: سبّاباً. وجعلها نسّاباً بلا ترديد [(١)] والمنقّب يعلم أنّ لفظة نسّاباً لاصلة لها بقوله استبّا بل المناسب كونه سبّاباً، وكأنّ الراوي يريد بذلك انّه فاق عقيلاً بالسبّ لأنّه كان ملكة له، وإن كان يسع المحوّر أن يقول بإرادة كونه نسّاباً انّه كان عارفاً بحلقات الأنساب و مواقع الغمز فيها، فكان إذا استبّ يطعن مستابّه في عرضه ونسبه، لكنه لا يجدي المتمحّل نفعاً فانّه من أشنع مصاديق السبّ، وفيه القذف وإشاعة الفحشاء.

و يظهر من لفظ الحديث كما في الخصايص الكبرى ٢ ص ٨٦ انّ السباب بين أبي بكر وعقيل كان بمحضر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ذلك في اُخريات أيّامه صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن شواهد كونه سبّاباً (وسباب المسلم فسوق) [(١)] ما مرّ في صفحة ١٥٣ من قوله للسائل عن القدر: يابن اللخناء. وقوله لعمر: ثكلتك امّك وعدمتك يابن الخطاب. لمّا بلّغه طلب الانصار أن يولّي عليهم رجلاً أقدم سنّاً من اُسامة فأخذ بلحيته فقال: استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأمرني أن أنزعه؟ [(٣)].

على أنّه وهم في قوله هذا من ناحيتين: إحداهما أنّ الذي يجب أن لا يعزل من منصوبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الخليفة فحسب لا يتسرّب إليه الرأي والمقاييس، كما لا يتطرّقان إلى الأحكام والسنن المشرّعة، لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم نصبه يوم نصب بأمر من المولى

---

(١) الصواعق ص ٤٣، تاريخ الخلفاء ص ٣٧.

(٢) مسند أحمد ١ ص ٤١١، سنن ابن ماجة ٢ : ٤٦١، تاريخ الخطيب ٥ : ١٤٤، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير، و قال النووى في رياض الصالحين ص ٣٢٣ : متفق عليه.

(٣) التمهيد للباقلانى ص ١٩٣، تاريخ الطبرى ٣ : ٢١٢، تاريخ ابن عساكر ١ : ١١٧، الكامل لابن الاثير ٢ : ١٣٩، تاريخ ابى الفداج ١ : ١٥٦، الروض الانف ٢ : ٣٧٥.

سبحانه رئيساً عالمياً مدى أمد حياته، كما أنّه شرّعها أحكاماً عالميّة مدى أمد الدهر. بخلاف أمراء الجنود والولاة والعمّال فانّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يولّيهم الأمر لمصالح وقتيّة بعد الفراغ من تأهّلهم للإمارة والولاية والعمل، وإذا انقضى ظرف المصلحة أو تبدّلت بأخرى إو سلب التأهّل من أحدهم كان يزحزحه من عمل إلى عمل، أو يسقطه عن الوظيفة نهائيّاً، أو إلى أمد تعود بعده إليه جدارته، و كذلك شأن الخليفة من بعده فانّه قائم مقامه صلى الله عليه وآله وسلم وله النصب والنزع، والخفض والرفع، ولذلك أمّر أبو بكر نفسه خالد بن سعيد على مشارق الشام في الردّة، وكان قد استعمله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على ما بين زمع وزبيد إلى حدّ نجران أو على صدقات مذحج ومات صلى الله عليه وآله وسلم وهو على عمله.

واستعمل أبو بكر نفسه أيضاً يعلى بن اُميّة على حلوان، ثمّ عمل لعمر على بعض اليمن، ثمّ استعمله عثمان على صنعاء، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد استعمله على الجند وتوفي وهو على عمله.

واستعمل أبو بكر عكرمة على عمّان ثمّ عزله و استعمل عليها حذيفة بن محصن وكان قد استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن العاص على عمان فمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو أميرها، واستعمل عكرمة على صدقات هوازن عام وفاته.

واستعمل عمر عثمان بن أبي العاص على عمّان والبحرين سنة ١٥، وكان قد استعمله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على الطائف وأقرّه أبو بكر بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم.

واستعمل عمر عبد الله بن قيس أبا موسى الأشعري على البصرة، ثمّ عزله عثمان و أقرّه على الكوفة، ثمّ عزله عليّ عليه السلام عنها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولّاه مخاليف اليمن.

وقال أبو الفدا في تاريخه ١ : ١٦٦ : أقرّ عثمان ولاة عمر سنة لأنّه كان أوصى بذلك ثمّ عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة، وولّاها سعد بن أبي وقاص، ثمّ عزله وولّى الكوفة الوليد بن عقبة وكان أخا عثمان من اُمّه.

راجع تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير، والاستيعاب، واُسد الغابة، وتاريخ أبي الفدا، وتاريخ ابن كثير، والاصابة، وغيرها من كتب التاريخ ومعاجم التراجم.

وكم وكم لهؤلاء الولاة المذكورين من نظير، فليس اُسامة ببدع من هؤلاء، وإنّما هو كأحدهم، له مالهم وعليه ما عليهم.

فاقتصار الخليفة في الاحتجاج بنصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسامة في غير محلّه، إلّا أن يقيّده بأنّ ما ارتآه صلى الله عليه وآله وسلم من المصلحة يوم ذاك باقية بعدُ من غير حاجة إلى أيٍ من القول والفعل الذين ارتكبهما.

الناحية الثانية: انّ طلبة الأنصار هذه متّخذةٌ عن عمل الخليفة نفسه وصاحبيه حيث قدّماه يوم السقيفة بكبر سنّه وشيبته كما مرّ في صفحة ٩١، ٩٢ فلا غضاضة على الأنصار إذن أن يتحرّوا للامارة عليهم مَن هو أقدم سنّاً من اسامة تأسّياً بالخلافة. و إذا كان تولية الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم اسامة للقيادة مانعة عن نزعه فما بالُ منصوبه صلى الله عليه وآله وسلم للخلافة يوم غدير خمّ بمشهد من مائة ألف أو يزيدون، و في مواقف أُخرى متكثّرة يعزل عن الأمر؟ ولا منكرٌ يُصاخ إليه: ولا وازعٌ يُسمع منه، هب انّ قيساً أخذ بلحية عمر يوم ذاك كما أخذ بها أبوبكر يوم اسامة، واحتجّ آخرون لأمير المؤمنين عليه السلام واحتدم الحوار، لكن: لا رأي لمن لا يطاع.

نعم: أخرج ابن حبّان في خلق الخليفة من طريق اسماعيل بن محمّد الكذّاب الوضّاع مرفوعاً عن جبرئيل انّه قال: أبوبكر لفي السّماء أشهر منه في الأرض فإنّ الملائكة لتسمّيه حليم قريش. الخ. وقد أسلفناه في الجزء الخامس ص٣٤٤ ط ٢ وبيّنّا هناك انّه كذبٌ موضوعٌ.

ولو كان الخليفة حليم قريش أو كان يرث النبيّ الأعظم شيئاً من خلقه العظيم لَما توفّيت بضعته الطاهرة سلام الله عليها وهي واجدةٌ عليه من جرّاء ما تلقّت منه من غلظة وعنف في كشف بيتها الذي تمنّى تركه عند وفاته، ولم يكن يأمر بقتال من فيه[1] إلى هنات وهنات.

أخرج البخاري في باب فرض الخمس ج ٥ ص ٥ عن عائشة: انّ فاطمة عليها السّلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبوبكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث ما تركنا صدقة. فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبابكر فلم تزل مهاجرة حتّى توفّيت.

---

(١) راجع صفحة ٧٧ و ١٧٤.

وأخرج في الغزوات باب غزوة خيبر ج ٦ ص ١٩٦ عن عائشة قالت : إنّ فاطمة « إلى أن قالت » : فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفيت ، و عاشت بعد النبيّ ﷺ ستّة أشهر فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر و صلّى عليها .

و يوجد الحديث في صحيح مسلم ٢ ص ٧٢ ، مسند أحمد ١ ص ٦ ، ٩ ، تاريخ الطبري ٣ ص ٢٠٢ ، مشكل الآثار للطحاوي ١ ص ٤٨ ، سنن البيهقي ٦ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، كفاية الطالب ص ٢٢٦ ، تاريخ ابن كثير ٥ ص ٢٨٥ و قال في ج ٦ ص ٣٣٣ : لم تزل فاطمة تبغضه مدّة حياتها ، و ذكره بلفظ الصحيحين الدياربكري في تاريخ الخميس ٢ : ١٩٣ .

و لأيّ الامور تدفن ليلاً ✿ بضعة المصطفى و يُعفى ثراها ؟

بلغت من موجدتها انّها أوصت بأن تُدفن ليلاً ، وأن لايدخل عليها أحد ، ولا يصلّي عليها أبو بكر ، فدفنت ليلاً ولم يشعر بها أبوبكر ، وصلّى عليها عليّ و هو الذي غسّلها مع أسماء بنت عميس (١) .

و قال الواقدي كما في السيرة الحلبيّة ٣ س ٣٩٠ : ثبت عندنا أنّ عليّاً كرم الله وجهه دفنها رضي الله عنها ليلاً و صلّى عليها ومعه العبّاس والفضل ولم يعلموا بها أحداً .

وقال ابن حجر في الاصابة ٤ ص ٣٧٩ ، والزرقاني في شرح المواهب ٣ ص ٢٠٧ : روى الواقدي من طريق الشعبي قال : صلّى أبوبكر على فاطمة . وهذا فيه ضعف و انقطاع ، وقد روى بعض المتروكين عن مالك عن جعفر بن محمّد عن أبيه نحوه ووهّاه الدارقطني وابن عدي ، وقد روى البخاري عن عائشة : انّها لمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً ، ولم يأذن بها أبابكر وصلّى عليها .

قال الأميني : حديث مالك عن جعفر بن محمّد أسلفناه في الجزء الخامس صحيفة ٣٥٠ ط ٢ ولفظه : توفّيت فاطمة ليلاً فجاء أبوبكر وعمر وجماعة كثيرة فقال أبوبكر لعليّ :

(١) طبقات ابن سعد ، رسائل الجاحظ ص ٣٠٠ ، حلية الاولياء ٢ : ٤٣ ، مستدرك الحاكم ٣ : ١٦٣ ، طرح التثريب ١ ص ١٥٠ ، اسد الغابة ٥ : ٢٥٤ ، الاستيعاب ٢ : ٧٥١ ، مقتل الخوارزمي ١ ص ٨٣ ، ارشاد الساري للقسطلاني ٦ : ٣٦٢ ، الاصابة ٤ ص ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، تاريخ الخميس ١ ص ٣١٣ .

تقدّم فصلّ . قال : لا والله لا تقدّمت وأنت خليفة رسول الله ، فتقدّم أبوبكر فصلّى أربعاً .
وقد بيّنا هنا لك أنّه من موضوعات عبدالله بن محمّد القدامي المصيصي كما عدّه الذهبي في الميزان ٢ : ٧ من مصائبه .

ومن جرّاء تلك الموجدة مُنعت عن أن تدخلها يوم ذاك عائشة كريمة أبي بكر فضلاً عن أبيها ، فجاءت تدخل فمنعتها أسماء فقالت : لا تدخلي . فشكت إلى أبي بكر و قالت : هذه الخثعميّة تحول بيننا و بين بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف أبوبكر على الباب وقال : يا أسماء ؛ ماحملك على أن منعت أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله أن يدخلن على بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد صنعت لها هودج العروس ؟ قالت : هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحدٌ ، و أمرتني أن أصنع لها ذلك .

راجع الاستيعاب ٢ : ٧٧٢ ، ذخاير العقبى ص ٥٣ ، اُسد الغابة ٥ : ٥٢٤ ، تاريخ الخميس ١ : ٣١٣ ، كنز العمال ٧ : ١١٤ ، شرح صحيح مسلم للسنوسي ٦ : ٢٨١ ، شرح الآبي لمسلم ٦ : ٢٨٢ ، أعلام النساء ٣ : ١٢٢١ .

✩(إعتذار الخليفة إلى الصدّيقة)✩

هذه المذكورات كلّها و بعضُ سواها تكذّب ما اختلقته رُماة القول على عواهنه من رواية الشعبي أنّه قال : جاء أبوبكر إلى فاطمة وقد أشتدّ مرضها فاستأذن عليها فقال لها عليٌّ : هذا أبوبكر على الباب يستأذن فإن شئت أن تأذني له ؟ قالت : أو ذاك أحبّ إليك ؟ قال : نعم . فدخل فاعتذر اليها و كلّمها فرضيت عنه .

وعن الأوزاعي قال : بلغني انّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله غضبت على أبي بكر فخرج أبو بكر حتّى قام على بابها في يوم حارّ ثمّ قال : لا أبرح مكاني حتى ترضى عنّي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل عليها عليٌّ فأقسم عليها لترضى فرضيت (١) .

ماقيمة هذه الرواية تجاه تلكم الصحاح ؟ ولا يوجد لها أثر في أيّ أصل من اصول الحديث ومسانيد الحفّاظ ، وقد بلغت إلى الأوزاعي المتوفّى ١٥٧ وأرسل بها الشعبي المتوفى ١٠٤/١٠/٩/٧/٦/٥/٦ و لا يُعرف من بلّغها ، و من أتى بها ، و من أوحاها إلى الرجلين . نعم تساعد نصوص الصحاح ما أتى به ابن قتيبة والجاحظ قال الأوّل : إنّ

(١) الرياض النضرة ٢ ص ١٢٠ ، تاريخ ابن كثير ٥ ص ٢٨٩ .

عمر قال لأبي بكر رضي الله عنهما : انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا عليّاً فكلّماه فأدخلهما عليها ، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط فسلّما عليها فلم تردّ عليهما السّلام فتكلّم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله ! والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة إبنتي، ولوددت يوم مات أبوك انّي متّ ولاأبقى بعده ، أفتراني أعرفك و أعرف فضلك وشرفك وامنعكِ حقّكِ وميراثكِ من رسول الله ؟ إلّا إنّي سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول : لا نورث ما تركنا فهو صدقة . فقالت أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به ؟ قالا : نعم : فقالت : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة إبنتي فقد أحبّني ، و من أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ . قالت : فانّي اُشهد الله وملائكته إنّكما اسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه . فقال أبوبكر. أنا عائذٌ بالله تعالى من سخطه وسخطكِ يافاطمة ! ثمّ انتحب أبوبكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق و هي تقول : والله لأدعونّ عليك في كلّ صلاة اُصلّيها . ثمّ خرج باكياً فاجتمع الناس اليه فقال لهم : يبيت كلّ رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وماأنا فيه ، لاحاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي (١) .

وقال الجاحظ في رسائله ص ٣٠٠ : وقد زعم اُناس انّ الدليل على صدق خبرهما « يعنى أبا بكر و عمر » في منع الميراث وبراءة ساحتهما ترك أصحاب رسول الله ﷺ النكير عليهما .. ! قد يقال لهم : لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ، أنّ ترك المتظلّمين والمحتجّين عليهما والمطالبين لهما دليلٌ على صدق دعواهم ، أو استحسان مقالتهم، ولاسيّما وقد طالت المناجات، وكثرت المراجعة والملاحات ، وظهرت الشكيّة ،واشتدّت الموجدة ، وقد بلغ ذلك من فاطمة إنّها أوصت أن لايصلّي عليها أبوبكر . ولقد كانت قالت له حين أتته مطالبة بحقّها و محتجّة لرهطها : من يرثك ياأبابكر إذا متّ ؟ قال :

(١) الامامة والسياسة ١ ص ١٤ ، اعلام النساء ٣ ص ١٢١٤ .

أهلي وولدي قالت : فما بالنا لانرث النبي ﷺ ؟[1] فلمّا منعها ميراثها ، وبخسها حقّها واعتلّ عليها ، وجلح أمرها ، و عاينت التهضّم ، وأيست في التورّع ، و وجدت نشوة الضعف وقلّة الناصر ، قالت : والله لأدعونّ الله عليك . قال : والله لأدعونّ الله لكِ . قالت والله لاكلّمتك أبداً قال : والله لأهجركِ أبداً . فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعها ، أنّ في ترك النكير على فاطمة دليلاً على صواب طلبها ؟ وأدنى ماكان يجب عليهم في ذلك تعريفها ماجهلت ، وتذكيرها مانسيت ، وصرفها عن الخطأ ، ورفع قدرها عن البذاء ، وأن تقول هجرا ، وتجوّر عادلاً ، أو تقطع واصلاً ، فإذا لم نجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأمور واستوت الأسباب ، والرجوع إلى أصل حكم الله في المواريث أولى بنا وبكم ،و أوجب علينا وعليكم .

فإن قالوا : كيف تظنّ به ظلمها والتعدّي عليها ، وكلّما ازدادت عليه غلظة ازداد لها ليناً ورقّة . حيث تقول له : والله لا اكلّمك أبداً . فيقول : والله لأهجركِ أبداً . ثمّ تقول : والله لأدعونّ الله عليك . فيقول : والله لأدعونّ الله لكِ . ثمّ يتحمّل منها هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه ومايجب لها من الرفعة والهيبة ، ثمّ لم يمنعه ذلك عن أن قال معتذراً متقرّباً كلام المعظّم لحقها ، المكبّر لمقامها ، الصائن لوجهها ، المتحنّن عليها : ما أحدٌ أعزّ عليّ منك فقراً ، و لا أحبّ إليّ منكِ غنى ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّا معاشر الأنبياء لانورث ماتركناه فهو صدقة .

قيل لهم : ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم والسّلامة من الجور ، وقد يبلغ من مكر الظالم ودها، الماكر إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم ، و ذلّة المنتصف ، و حدب الوامق ، و مقت المحقّ . و كيف جعلتم ترك النكير حجّة قاطعة و دلالةً واضحة ؟ و قد زعمتم أنّ عمر قال على منبره : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ : متعة النساء ومتعة الحجّ ، أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما[2] فما وجدتم

---

(١) هذا الحديث أخرجه احمد فى المسند ١ ص ١٠ ، والبلاذرى فى فتوح البلدان ص ٣٨ ، وابن كثير فى تأريخه ٥ ص ٢٨٩ .

(٢) راجع الجزء السادس من كتابنا هذا ص ٢١١ ط٢ .

أحداً أنكر قوله ، و لا استشنع مخرج نهيه ، و لا خطّأه في معناه ، ولا تعجّب منه ولا استفهمه .

و كيف تقضون بترك النكير ؟ وقد شهد عمر يوم السقيفة و بعد ذلك أنّ النبيّ ﷺ قال : الأئمّة من قريش [1] ثمّ قال في شكايته : لو كان سالم حيّاً ما تخالجني فيه الشك [2] حين أظهر الشكّ في إستحقاق كلّ واحد من الستّة الذين جعلهم شورى وسالم عبدٌ لامرأة من الأنصار وهي اعتقته وحازت ميراثه ، ثمّ لم ينكر ذلك من قوله منكرٌ ، ولاقابل إنسانٌ بيّن قوله ولا تعجّب منه ، وإنّما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وصواب عمله ، فأمّا ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة والأمر والنهي و القتل و الاستحياء و الحبس و الإطلاق فليس بحجّة تشفي ولادلالة تضيء . إنتهت كلمة الجاحظ .

نظرة في كلمة قارصة

لايسعنا أن نفوه في الدفاع عن الخليفة بما قال إبن كثير في تاريخه ٥ ص ٢٤٩ من أنّ فاطمة حصل لها ـ وهي امرأة من البشر ليست براجية العصمة ـ عتبٌ وتغضّب ، ولم تكلّم الصدّيق حتّى ماتت . وقال في ص ٢٨٩ : وهي امرأةٌ من بنات آدم تأسف كما يأسفون ، وليست بواجبة العصمة ، مع وجود نصّ رسول الله ﷺ ومخالفة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما . اهـ

أنّى لنا السرف والمجازفة في القول بمثل هذا تجاه آية التطهير في كتاب الله العزيز النازلة فيها و في أبيها وبعلها وبنيها ؟ .

أنّى لنا بذلك وبين يدينا هتاف النبيّ الأقدس ﷺ : فاطمة بضعةٌ منّي فمن أغضبها أغضبني ؟ .

وفي لفظة : فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها ، ويغضبني ما أغضبها .

---

(١) أخرجه غير واحد من الحفاظ و صححه ابن حزم في الفصل ٤ : ٨٩ فقال : هذه رواية جاءت مجيء التواتر، ورواها أنس بن مالك وعبد الله بن عمر ومعاوية ، وروى جابر بن عبدالله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها، ومما يدل على صحة ذلك اذعان الانصار به يوم السقيفة . هـ.

(٢) أخرجه ابن سعد ، والباقلاني، وأبوعمر، والحافظ العراقي كما مرّ ص ٤٤ .

وفي لفظة : فاطمة بضعةٌ منّي يقبضني مايقبضها ، ويبسطني ما يبسطها .

و في لفظة : فاطمة بضعةٌ منّي يؤذيني ما آذاها ، وينصبني ما أنصبها . في تاج العروس : أي يتعبني ما أتعبها .

وفي لفظة : فاطمة بضعةٌ منّي يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها .

وفي لفظة : فاطمة بضعةٌ منّي يسعفني ما يسعفها . في تاج العروس : أي ينالني ما ينالها ، ويلمّ بي ما يلمّ بها .

وفي لفظة : فاطمة شجنةٌ منّي يبسطني ما يبسطها ، و يقبضني ما يقبضها .

و في لفظة : فاطمة مضغةٌ منّي فمن آذاها فقد آذاني .

وفي لفظة فاطمة مضغةٌ منّي يقبضني ما قبضها ، و يبسطني ما بسطها .

وفي لفظة : فاطمة مضغةٌ منّي يسرّني ما يسرّها .

أخرجها على اختلاف ألفاظها أئمّة الصحاح الستّ وعدّةٌ اُخرى من رجال الحديث في السنن والمسانيد و المعاجم وإليك جملةٌ ممّن رواها .

١ ـ ابن أبي مليكة المتوفى ١١٧ كما في رواية البخاري ومسلم و ابن ماجة و ابن داود وأحمد والحاكم .

٢ ـ أبو عمر بن دينار المكي المتوفّى ١٢٥/٦ كما في صحيحي البخاري ومسلم .

٣ ـ الليث بن سعد المصري المتوفّى ١٧٥ كما في إسناد ابن ماجة و ابن داود و أحمد .

٤ ـ أبو محمّد ابن عيينة الكوفي المتوفّى ١٩٨ كما في الصحيحين .

٥ ـ أبو النضر هاشم البغدادي المتوفّى ٢٠٥/٧ كما في مسند أحمد .

٦ ـ أحمد بن يونس اليربوعي المتوفّى ٢٢٧ كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود .

٧ ـ الحافظ أبو الوليد الطيالسي المتوفّى ٢٢٧ كما في صحيح البخاري .

٨ ـ أبو المعمّر الهذلي المتوفّى ٢٣٦ كما في صحيح مسلم .

٩ ـ قتيبة بن سعيد الثقفي المتوفّى ٢٤٠ روى عنه مسلم وأبو داود .

١٠ ـ عيسى بن حمّاد المصري المتوفّى ٢٤٨/٩ روى عنه ابن ماجة .

١١ ـ إمام الحنابلة أحمد المتوفّى ٢٤١ في مسنده ٤ : ٣٢٣ ، ٣٢٨ .

١٢ ـ الحافظ البخاري أبو عبد الله المتوفّى ٢٥٦ في صحيحه في المناقب ٥:٢٧٤.
١٣ ـ الحافظ مسلم القشيري المتوفّى ٢٦١ في صحيحه، في الفضائل ٢: ٢٦١.
١٤ ـ الحافظ أبو عبدالله ابن ماجة المتوفّى ٢٧٣ في سننه ١ ص ٢١٦.
١٥ ـ الحافظ أبو داود السجستاني المتوفّى ٢٧٥ في سننه ١ ص ٣٢٤.
١٦ ـ الحافظ أبو عيسى الترمذي المتوفّى ٢٧٥ في جامعه ٢ ص ٣١٩.
١٧ ـ الحكيم أبو عبدالله الترمذي المحدّث المتوفّى ٢٨٥ في نوادر الاصول ٣٠٨
١٨ الحافظ أبو عبدالرحمن النسائي المتوفّى ٣٠٣ في خصايصه ص ٣٥.
١٩ ـ أبو الفرج الاصبهاني المتوفّى ٣٠٣ في الأغاني ٨ ص ١٥٦.
٢٠ ـ الحاكم أبو عبد الله النيسابوري المتوفّى ٤٠٥ في المستدرك ٣ ١٥٤، ١٥٨، ١٥٩.
٢١ ـ الحافظ أبو نعيم الاصبهاني المتوفّى ٤٣٠ في حلية الأولياء ٢ : ٤٠.
٢٢ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي » ٤٥٨ في السنن الكبرى ٧ : ٣٠٧.
٢٣ ـ أبو زكريا الخطيب التبريزي » ٥٠٢ في مشكاة المصابيح ص ٥٦٠.
٢٤ ـ الحافظ أبو القاسم لبغوي » ٥١٠/١٦ في مصابيح السنّة ٢ : ٢٧٨.
٢٥ ـ القاضي أبو الفضل عياض » ٥٤٤ في الشفاء ٢ : ١٩.
٢٦ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي » ٥٦٨ في مقتله ١ ص ٥٣.
٢٧ ـ الحافظ أبو القاسم ابن عساكر » ٥٧١ في تاريخه ١ ص ٢٩٨.
٢٨ ـ أبو القاسم السهيلي » ٥٨١ في الروض الانف ٢ : ١٩٦.

وقال: إنّ أبا لبابة رفاعة بن عبدالمنذر ربط نفسه في توبة وإنّ فاطمة أرادت حلّه حين نزلت توبته فقال: قد أقسمت ألا يحلّني إلّا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ فاطمة مضغة منّي. فصلّى الله عليه وعلى فاطمة، فهذا حديث يدلّ على أنّ من سبّها فقد كفر، و من صلّى عليها فقد صلّى على أبيها صلى الله عليه وسلم.

٢٩ ـ ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفّى ٥٨٦ في شرح النهج ٢ ص ٤٥٨.
٣٠ ـ أبو الفرج ابن الجوزي المتوفّى ٥٩٧ في صفة الصفوة ٢ :٥.
٣١ ـ الحافظ أبو الحسن بن الأثير الجزري المتوفّى ٦٣٠ في اسد الغابة ٥ ص ٥٢١

٣٢ ـ أبو سالم ابن طلحة الشافعي المتوفّى ٦٥٢ في مطالب السئول ص٦ : ٧ .
٣٣ ـ سبط ابن الجوزي الحنفي » ٦٥٤ في التذكرة ص١٧٥ .
٣٤ ـ الحافظ الكنجي الشافعي » ٦٥٨ في الكفاية ص ٢٢٠ .
٣٥ ـ الحافظ محبّ الدين الطبري » ٦٩٤ في ذخاير العقبى ص٣٧ .
٣٦ ـ الحافظ أبي محمّد الازدي الاندلسي » ٦٩٩ في شرح المختصر صحيح البخارى ٣ : ٩١ .
٣٧ ـ الحافظ الذهبي الشافعي » ٧٤٧ في تلخيص المستدرك .
٣٨ ـ القاضي الايجي » ٧٥٦ في المواقف كما في شرحه ٣ : ٢٦٨ .
٣٩ ـ جمال الدين محمّد الزرندي الحنفي المتوفّى في بضع و ٧٥٠ في درر السمطين
٤٠ ـ أبو السعادات اليافعي » ٧٦٨ في مرآة الجنان ١ : ٦١ .
٤١ ـ الحافظ زين الدين العراقي » ٨٠٦ في طرح التثريب ١ : ١٥٠ .
٤٢ ـ الحافظ نور الدين الهيثمي » ٨٠٧ في مجمع الزوائد ٩ : ٢٠٣ .
٤٣ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني » ٨٥٢ في تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٤١
٤٤ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي » ٩١١ في الجامع الصغير والكبير
٤٥ ـ الحافظ ابو العبّاس القسطلاني » ٩٢٣ في المواهب اللدنية ١ : ٢٥٧
٤٦ ـ القاضي الديار بكري المالكي » ٨٢/٩٦٦ في الخميس ١ : ٤٦٤ .
٤٧ ـ ابن حجر الهيتمي » ٩٧٤ في الصواعق ١١٢ ، ١١٤ .
٤٨ ـ صفيّ الدين الخزرجي » ٠٠٠ في الخلاصة ص ٤٣٥ .
٤٩ ـ زين الدين المناوي » ١٠٣١/ ٥ في كنوز الدقائق ص٩٦ .

وقال في شرح الجامع الصغير ٤ ص٤٢١ : استدلّ به السهيلي على أنّ مَن سبّها كفر لأنّه يغضبه ، وأنّها أفضل من الشيخين قال الشريف السمهودي : ومعلومٌ أنّ أولادها بضعةٌ منها فيكونون بواسطتها بضعة منه ، ومن ثمّ لمّا رأت امّ الفضل في النوم أنّ بضعة منه وضعت في حجرها أوّل لها رسول الله ﷺ بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها ، فولدت الحسن فوضع في حجرها ، فكلّ مَن يشاهد الآن من ذرّيتها بضعة من تلك البضعة ، و إن تعدّدت الوسائط ، ومن تأمّل ذلك إنبعث من قلبه داعي

الإجلال لهم وتجنّب بغضهم على أيّ حال كانوا عليه .

قال ابن حجر : وفيه تحريم أذى من يتأذّى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بتأذّيه ، فكلّ من وقع منه في حقّ فاطمة شيء فتأذّت به فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يتأذّى به بشهادة هذا الخبر ، ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قِبَل ولدها ، ولهذا عرف بالاستقرار معاجلة من تعاطي ذلك بالعقوبة في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشدّ .

٥٠ ـ الشيخ أحمد المغربي المالكي المتوفّى ١٠٤١ في فتح المتعال ص ٣٨٥ . قال في قصيدة كبيرة يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

فما كسبطي رسول الله من أحد ✡ ولا يضاهيهما في الفخر مفتخرُ
وهل كفاطمة الزهراء اُمّهما ✡ بنت النبيّ المصطفى بشرُ ؟
فانّها بضعةٌ منه وما أحدٌ ✡ كبضعة اصطفى إن حقّق النظرُ

٥١ ـ الشيخ أحمد باكثير المكي الشافعي المتوفّى ١٠٤٧ في وسيلة المال .

٥٢ ـ أبو عبدالله الزرقاني المالكي المتوفى ١١٢٢ في شرح المواهب ٣ : ٢٠٥ فقال : استدلّ به السهيلي على أنّ من سبّها كفر . و توجيهه انّها تغضب ممّن سبّها و قد سوّى بين غضبها وغضبه ومن أغضبه كفر .

٥٣ ـ الزبيدي الحنفي المتوفّى ١٢٠٥ في تاج العروس ٥ : ٢٢٧ وج ٦ : ١٣٩ .

٥٤ ـ القندوزي الحنفي » ١٢٩٣ في ينابيع المودّة ص ١٧١ .

٥٥ ـ الحمزاوي المالكي » ١٣٠٣ في النور الساري هامش البخاري ٥ : ٢٧٤ .

٥٦ ـ الشيخ مصطفى الدمشقي ... في مرقاة الوصول ص ١٠٩ .

٥٧ ـ السيّد حميد الدين الآلوسي المتوفّى ١٣٢٤ في نثر اللئالي ص ١٨١ .

٥٨ ـ السيّد محمود القراغولي البغدادي الحنفي في جوهرة الكلام ص ١٠٥ .

٥٩ ـ عمر رضا كحالة في أعلام النساء ٣ ص ١٢١٦ .

ثمّ أنّى لنا القول بمقال ابن كثير و ملأ الأسماع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيّ فمن آذاها فقد آذاني[1] . و قوله : إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها . أو : إنّ الله يغضب لغضبكِ ويرضى لرضاكِ قاله لفاطمة ؟!!

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٠ .

راجع معجم الطبراني ، مستدرك الحاكم ٣ : ١٥٤ وصححه ، مسند ابن النجار ، مقتل الخوارزمي ١ : ٥٢ ، تذكرة السبط ص ١٧٥ ، كفاية الطالب للكنجي ص٢١٩ ، ذخاير العقبى للمحب الطبري ص ٣٩ ، ميزان الاعتدال ٢ : ٧٢ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٠٣ ، تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٤٣ ، كنز العمال ٧ : ١١١ ، أخبار الدول هامش الكامل ١ : ١٨٥ ، كنوز الدقايق للمناوي ص ٣٠ ، شرح المواهب للزرقاني ٣ : ٢٠٢ ، الاسعاف ص ١٧١ ، ينابيع المودة ١٧٣ ، ١٧٤ ، الشرف المؤبد ص ٥٩ .

هذه مطلقات تشمل جميع موجبات الرضا والغضب من الصدِّيقة سلام الله عليها حتّى المباحات شأن أبيها الأقدس كما فهمه القسطلاني والحمزاوي في شرح البخاري ، وذلك يكشف عن أنّها صلوات الله عليها لا ترضى إلّا لما فيه مرضاة المولى سبحانه ، ولا تغضب إلّا على ما يغضبه ، حتّى أنّها لو رضيت أو غضبت على أمر مباح فانّ هناك جهة شرعيّة تدخله في الراجحات ، أو يجعله من المكروهات ، فلن تجد منها في أيّ من الرضا والغضب وجهة نفسيّة أو صبغة شهويّة ، وذلك معنى العصمة التي نفاها المتحذلق - ابن كثير - بعد أن تصامم أو تعامى عن دلالة آية التطهير النازلة فيها وفي أبيها و بعلها وبنيها : إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا .



بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث الغلوّ أو قصص الخرافة

هذه أبحاث مجملة تمثّل لنا نفسيّات الخليفة، وملكاته الفاضلة، نقتصر بها في هذه العجالة و إن لم تزحفنا و لم يتأتّ بها القصوى، غير انّ فيها بلغةً في ايقاف الباحث على حدّ الخليفة، ومقياساً يُعرف به القالي له من الغالي فيه، والمقتصد فيه من القاسط عليه، ويمتاز به سرف القول في امتداحه عن جزاف الامتداح عليه، فيهمّنا عندئذ ذكرُ نزرٍ يسير ممّا سرده القوم من فضائله التي فيها من الغلوّ الفاحش مالا يخفى على أيّ احدٍ ثمّ نشفعه بما جاء في غيره حتى يُعرف أهل الغلوّ في الفضائل.

— ١ —

الشمس على العجلة

ذكر الشيخ ابراهيم العبيدي المالكي في كتابه « عمدة التحقيق » في بشائر آل الصدّيق[١] نقلاً عن كتاب «العقائق» والصفوري في « نزهة المجالس» ٢ص١٨٤ نقلاً عن « عيون المجالس » قالوا:

روي ان النبيّ ﷺ قال يوماً لعائشة رضي الله عنها: إنّ الله تعالى لمّا خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مائة وأربعين مرّة وجعلها على عجلة، وخلق للعجلة ثمانمائة وستّين عروة، وجعل في كلّ عروة سلسلة من الياقوت الأحمر، وأمر ستّين ألفاً من الملائكة المقرّبين أن يجرّوها بتلك السلاسل مع قوّتهم التي إختصّهم الله بها، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة وهي تدور في القبّة الخضراء، و تجلو جمالها على أهل الغبراء، و في كلّ يوم تقف على خطّ الإستواء فوق الكعبة لأنّها مركز الأرض و تقول: يا ملائكة ربّي إنّي لأستحي من الله عزّ وجلّ إذا وصلت إلى محاذاة الكعبة التي هي قبلة المؤمنين أن أجوز عليها، والملائكة تجرّ الشمس لتعبر على الكعبة بكلّ قوّتها

(١) ص ١٨٤ هامش روض الرياحين لليافعي المطبوع بمصر سنة ١٣١٥.

فلا تقبل منهم وتعجز الملائكة عنها ، فالله تعالى يوحي إلى الملائكة وحي إلهام فينادون : أيّتها الشمس بحرمة الرّجل الذي إسمه منقوش على وجهك المنير إلّا رجعت إلى ما كنت فيه من السير . فإذا سمعت ذلك تحرّكت بقدرة المالك ، فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ! من هو الرّجل الذي إسمه منقوش عليها ؟ قال : هو أبو بكر الصدّيق يا عائشة ! قبل أن يخلق الله العالم علم بعلمه القديم أنّه يخلق الهواء ، ويخلق على الهواء هذه السّماء ، ويخلق بحراً من الماء ، ويخلق عليه عجلة مركباً للشمس المشرقة على الدنيا ؛ وإنّ الشمس تتمرّد على الملائكة إذا وصلت إلى الاستواء ، وإنّ الله تعالى قدّر أن يخلق في آخر الزمان نبيّاً مفضّلاً على الأنبياء وهو بعلك يا عائشه ! على رغم الأعداء ، ونقش على وجه الشمس اسم وزيره أعني أبا بكر صدّيق المصطفى ، فإذا أقسمت الملائكة عليها به زالت الشمس ، وعادت إلى سيرها ، بقدرة المولى ، وكذلك إذا مرّ العاصي من اُمّتي على نار جهنّم وأرادت النار على المؤمن أن تهجم ، فلحرمة محبة الله في قلبه ونقش اسمه على لسانه ترجع النار إلى ورائها هاربة ، ولغيره طالبة .

قال الأميني : إنّ ممّا يغمرني في الحيرة أنّ هذه العجلة ، لِم لم يكتشف عنها علماء الهيئة قديماً وحديثاً ، مع توفّر أدوات الكشف ومحصّلاته لأهل الهيئة الجديدة خاصّة ؟ وانّهم لِماذا استقرّت آرائهم بعد تقدّم العلم واستفحال أمره وكثرة اكتشافاته على دوران الأرض على الشمس ؟

وتعلمنا الرّواية عن أنّ البخار لم يكن مستخدماً عند إنشاء تلك العجلة فيمدّها الله سبحانه به حتى لا يشعر بارادة مريد ، ولا حياء من يستحي ، فيمضي بالعجلة ويوصله في أسرع وقت إلى حيث شيء لَـها قدما ، ولكنّ العجب انّ الله سبحانه لِم لَم يستبدل بالبخار عن الملائكة بعد اكتشافه فيطلق صراح اولئك الآلاف المؤلّفة المقيّدة بسلاسل بلاء العجلة ، ويعتقهم عن مكابدة تمرّد الشمس في كلّ يوم ؟

وهناك مسئلةٌ لا أدري من المجيب عنها وهي : انّ ارادة الله سبحانه الفائقة على كلّ قوّة جامحة وهي تمسك السّماء بغير عمد ترونها ، وتسير الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب ، صنع الله الذي أتقن كلّ شيء ، لِمَ لم تقم مقام اولئك المسخّرين لجرّ الشمس حتّى لا يوقفها تمرّد ، ولا تحتاج إلى عرى وسلاسل ، أو الاقسام بمن

كتب اسمه عليها ؟ وما الذي أحوج المولى سبحانه في تسيير الشمس إلى هذه الأدوات من العجلة والعرى والسلاسل، وخلق اولئك الجم الغفير من الملائكة واستخدامهم بالجر الثقيل، وهو الذي إذا أراد شيئاً أن يكون يقول له: كن . فيكون ؟

ثم إن الشمس هلا كانت تعلم ان إرادة الله سبحانه ماضية عليها بجريها إلى الغاية المقصودة ؟ فما هذا التوقف والتمرد ~~لله~~ والله تعالى أعلم بعظمة الكعبة وشرفها منها و قد جعلها في خطة سيرها . أنى للشمس أن تجهل بها ؟ و هي هي الشاعرة بخط الاستواء، ومحاذاة الكعبة ووصولها إلى تلك النقطة المقدسة، و هي العارفة بمقامات الصديق، وان اسمه منقوش عليها، وان من واجبها أن تنقاد ولا تجمح على من أقسم به عليها .

ومن عويصات لا تنحل: تجديد الشمس تمردها كل يوم، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم[1] لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار و كل في فلك يسبحون[2] .

وأعوص من ذلك: انشاد الملائكة إياها في كل نهار بتلك الأنشودة الضخمة و وحي الله إليهم بها طيلة عمر الدنيا .

هكذا تشوه رواة السوء سمعة السنة الشريفة، وهي مقدسة عن هذه الأوهام الخرافية وان هذه كلها من جراء الغلو الممقوت في الفضائل، و لو كان مختلق هذه المرسلة المقطوعة عن الاسناد يعلم ما ذكرناه من الفضايح المترتبة على افتعالها لما اقتحم هذا الاقتحام المزري .

-٢-

التوسل بلحية أبي بكر

ذكر اليافعي في روض الرياحين[3] عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال: بينما

---

(١) سورة يس . آية ٣٨ . (٢) سورة يس . آية ٤٠ .

(٣) طبع بمصر فى المطبعة السعيدية هامش العرائس للثعلبى توجد الرواية فى ص ٤٤٣ ينقل عنه القسطلانى فى المواهب، وقال الزرقانى فى شرح المواهب ٣ ص ١٥٧ : مؤلف حسن، و طبع لليافعى كتاب آخر مستقلا فى مصر سنة ١٣١٥ باسم روض الرياحين ايضاً، وهو تأليفه الاخر غير المطبوع فى حاشية العرائس .

نحن جلوسٌ بالمسجد وإذا نحن برجل أعمى قد دخل علينا و سلّم فرددنا عليه السّلام وأجلسناه بين يدي النبيّ ﷺ فقال : من يقضيني حاجة في حبّ النبيّ ﷺ ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما حاجتك يا شيخ ؟ فقال : إنّ لي أهلاً ولم يكن عندي ما نقتات به ، واريد من يدفع لنا شيئاً نقتات به في حبّ رسول الله ﷺ . قال فنهض أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وقال : نعم أنا أعطيك ما يقوم بك في حبّ رسول الله ﷺ . ثمّ قال : هل من حاجة اُخرى ؟ فقال : نعم إنّ لي ابنة اُريد من يتزوّج بها في حياتي حبّاً في محمّد ﷺ . فقال أبو بكر رضي الله عنه : أنا أتزوّج بها في حياتك حبّاً في رسول الله ﷺ ؛ هل من حاجة اُخرى ؟ فقال : نعم اُريد أن أضع يدي في شيبة أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه حبّاً في محمّد ﷺ . فنهض أبو بكر رضي الله عنه ووضع لحيته في يد الأعمى و قال : امسك لحيتي في حبّ محمّد ﷺ . قال : فقبض الأعمى بلحية أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه و قال : يا ربّ أسألك بحرمة شيبة أبي بكر ألا رددت عليّ بصري . قال : فردّ الله عليه بصره لوقته ، فنزل جبريل عليه السلام على النبيّ ﷺ وقال : يا محمّد ! السّلام يقرئك السّلام ، ويخصّك بالتحيّة والإكرام ، و يقول لك : وعزّته وجلاله لو أقسم عليّ كل أعمى بحرمة شيبة أبي بكر الصدّيق لرددت عليه بصره ، و ما تركت على وجه الأرض أعمى ، و هذا كلّه ببركتك وعلوّ قدرك وشأنك عند ربّك .

قال الأميني : إنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . حقّاً أنّ هذا الضرير قد عمي قلبه قبل بصره ، فلم يعقل إنّ القسم بشيبة رسول الله ﷺ أولى من شيبة أبي بكر ، فهي مقدّمة قداسةً وشرفاً وزلفةً عند الله سبحانه ، وهو ﷺ أكبر من أبي بكر سنّاً وأكثر شيبة ، فما أعمى الرجل عنها إن كان يريد مقسماً به يبرّ الله سبحانه به قسمه ؟ أو أنّه كان له في شيبة أبي بكر غاية لم نعرفها ؟ ثمّ أين عن هذه الشيبة عميان أهل السنّة ؟ وما أغفلهم عن الوحي المنزل فيها ؟ فيقسمون على الله بها فيكشف عن أبصارهم ، وما بال الحفّاظ وأئمّة الحديث أرجأوا نشر هذه الرواية إلى القرن الثامن عهد اليافعي ؟ هل بخلوا على عميان الاُمّة بمثل هذا النجاح الباهر وفي الوحي المزعوم قوله سبحانه : وعزّتي وجلالي لو أقسم عليّ كل أعمى . الخ ؟ أو أنّهم وجدوا مولد هذا الحديث بعد

عصورهم فلم يشيدوا بذكره ؟ أو رؤافيه غلواً فاحشاً بتقديم لحية أبي بكر على شيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فطووا عن روايته كشحاً ؟ أوعقلوا فيه مهزأة بالله ووحيه وأمينه ونبيه فضربوا عنه صفحاً ؟.

وللقوم حول شيبة أبي بكر روايات منها ما أسلفناه في الجزء الخامس ص ٢٧٠ من أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا اشتاق إلى الجنّة قبّل شيبة أبي بكر. ومرّ هنالك أنّها من أشهر المشهورات من الموضوعات، ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل كما قاله الفيروز آبادي والعجلوني.

و منها ما ذكره العجلوني في كشف الخفا ١ ص ٢٣٣ من أنّ لابراهيم الخليل وأبي بكر الصدّيق شيبةٌ في الجنّة.

ثمّ قال: في المقاصد نقلاً عن شيخه ابن حجر: لم يصحّ أنّ للخليل في الجنّة لحية و لا للصدّيق، ولا أعرف ذلك في شيءٍ من كتب الحديث المشهورة ولا الأجزاء المنثورة. ثمّ قال: وعلى تقدير ثبوت وروده فيظهر لي أنّ الحكمة في ذلك: أمّا في حقّ الخليل فلكونه منزّلاً منزلة الوالد للمسلمين لأنّه الذي سمّاهم بالمسلمين و أُمروا باتّباع ملّته، وأمّا في حقّ الصدّيق فلأنّه كالوالد الثّاني للمسلمين، إذ هو الفاتح لهم باب الدخول على الإسلام.

قال الأميني: إنّ الذي سمّى الأمّة المرحومة بالمسلمين هو الله سبحانه كما في قوله تعالى. جاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم. هو سمّاكم المسلمين من قبلُ وفي هذا. (الحج ٧٨).

وإن أمكنت التسمية من ابراهيم من قبلُ فإنّها غير ممكنة منه في هذا و هو القرآن الكريم، وإنّما وقع ذكر ملّة ابراهيم في البين إمتناناً منه سبحانه على الأمّة بجعل الإسلام شريعة سهلة لاحرج فيها ترغيباً في الدخول فيه. فالقول بأنّ ابراهيم سمّاهم مسلمين لايتمّ مع قوله تعالى: « وفي هذا » يعني في القرآن، قال القرطبي: هذا القول مخالفٌ لقول عظماء الامّة. و قال القرطبي: هذا لاوجه له لأنّه من المعلوم انّ ابراهيم لم يسمّ هذه الأمّة في القرآن المسلمين.

و قال ابن عبّاس: الله سمّاكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدّمة و في

الذكر . وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل وقتادة وابن مبارك .

وتدلّ على تعيّن هذا القول قراءة اُبيّ بن كعب : أللهُ سمّاكم المسلمين . كما في تفسير البيضاوي ٢ص ١١٢ ، وكشّاف الزمخشري ٢ ص ٢٨٦ ، وتفسير الرازي ٦ ص ٢١٠ ، وتفسير ابن الجزي الكلبي ٣ ص ٤٧ .

واستقربه الرازي في تفسيره فقال : لأنّه تعالى قال : ليكون الرسول شهيداً عليكم ويكونوا شهداء على الناس . فبيّن أنّه سمّاهم بذلك لهذا الغرض وهذا لايليق إلّا بالله .

واستصوبه إبن كثير في تفسيره ٣ ص ٢٣٦ و قال :لأنّه تعالى قال : هواجتباكم و ما جعل عليكم في الدين من حَرَج . ثمّ حثّهم وأغراهم على ماجاء به الرّسول صلوات الله عليه بأنّه ملّة أبيهم الخليل ، ثمّ ذكر منّته تعالى على هذه الاُمّة بما نوّه به من ذكرها والثناء عليه في سالف الدهر و قديم الزمان في كتب الأنبياء يُتلى على الأحبار و الرهبان فقال : هوسمّاكم المسلمين من قبلُ . أي من قبل هذا القرآن . و في هذا .

وبهذا تعرف قيمة ماحسبه المتفلسف من أنّ تنزيل ابراهيم منزلة الأب للمسلمين لمحض التسمية فانّه ممّا لايُقام له وزنٌ وإلّا لوجب إتّخاذ من سمّى أحداً باسمٍ أباً تنزيليّاً ومن المعلوم بطلانه ، و إنّما سمّاه الله أباً للمسلمين لأنّه عليه السلام أب الرسول الأمين وإنّ قريشاً من ذريّته و هو صلى الله عليه وآله وسلم أبو الاُمّة واُمّته في حكم أولاده وأزواجه أمّهاتهم كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : إنّما أنا لكم كالوالد . أو : مثل الوالد[1] .

أنا لا أدري ما هي الخاصّة في الأب التنزيليّ لاُمّة خاصّة أن تكون له لحية في الجنّة دون الأب الحقيقيّ للاُمم جمعاء ، وهو أبو البشر آدم عليه السلام ، ولالحية له ؟ مع ما ورد عن كعب الأحبار أنّه قال : ليس أحدٌ في الجنة له لحية إلّا آدم ، له لحية سوداء إلى سرّته . ذكره ابن كثير في تاريخه ١ : ٩٧ .

و إن كانت الحكمة في لحية ابراهيم الخليل وأبي بكر ما زعمه العجلوني من الاُبوّة فما الحكمة في لحية موسى بن عمران ؟ وقد جاء في الحديث: ليس أحدٌ يدخل الجنّة إلّا جرد مرد إلّا موسى بن عمران فانّ لحيته إلى سرّته (السيرة الحلبيّة ١ : ٤٢٥) .

(١) تفسير الخازن ٣ ص ٣١٤ ، تفسير النسفي هامش الخازن ٣ ص ٣١٤

ثم إنّ للامّة المسلمة أباً تنزيلياً روحياً هو أحقّ بالأبوّة من الخليل عليه السلام وهو نبيّها الأقدس محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما مرّ حديثه ، وبها حياتها الحقيقيّة ، وهو الذي يدعوهم لما يحييهم ، ومنه كيانها المستقرّ ، وعزّها الخالد ، فهو أولى باللحية من أبيه الخليل وصاحبه أبي بكر .

والعجب كلّ العجب في عدّ أبي بكر أباً ثانياً للامّة لأنّه فتح لها باب الدخول إلى الاسلام ، وإنّ الذي فتح باب الاسلام بمصراعيه لدخول الاُمم فيه ، و رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدعوته الكريمة ، وبراهينه الصادقة ، ومعاجزه المعلومة ، ونواميسه المقدّسة ، وخلايقه الرضيّة ، ومغازيه الدامية . فهو أولى بأن تكون له لحية في الجنّة .

على ان الامّة قطّ لم تعرف باباً فتحه الخليفة لها إلى الاسلام ، و لم يدر أيّ أحد أنّه متى فتحه ، وأين فتحه ، ولماذا فتحه ، وأيّ باب هو . نعم لاتخفى على الامّة جمعاء انّه غلّق باباً عليها وحرمها من خير أهله وعلمه ورشده وهداه ، ألا : وهو باب مدينة علم النبيّ مولانا أمير المؤمنين بالنصّ المتواتر ، وهو الباب الذي منه يؤتى إلى الله ، و اليه يتوجّه الأولياء ، فلولا انتزاع الأمر منه لانتشرت علومه ، وزهرت معالمه ، وتبلّغت حكمه ، وعمل باحكامه ، فأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، منهم امّة مقتصدة وكثير منهم ساء مايعملون ، لكنه عليه السلام منع عن حقّه فجهلت العباد ، وأجدبت البلاد ، وصوّحت المرابع ، وظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ، وإلى الله المشتكى .

وإن أراد القائل من فتح الباب بدئة الفتوح في أيام الخليفة ؟ فالخليفة الثاني على ذلك أجدر باللحية منه ، لأنّ عمدة الفتوح وقعت في أيّامه .

نعم : إن يكن هناك من يحقّ أن يعدّ للامّة أباً ثانياً تنزيلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي به كان تمام الدعوة والنجاح في المغازي ، وهو نفس النبيّ القدسيّة و خليفته المنصوص عليه ، و لذلك جاء من طريق أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله : حقّ عليّ على هذه الامّة كحقّ الوالد على الولد ، و من طريق عمّار و أبي أيّوب الأنصاري قوله : حقّ عليّ على كلّ مسلم حقّ الوالد على ولده [1]

(١) الرياض النضرة ٢ ص ١٧٢ نقلا عن الحاكمى ، كنوز الدقائق ص ٦٤ نقلا عن الديلمى ، مناقب الخوارزمى ص ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، فرائد السمطين لشيخ الاسلام الحموينى ، نزهة المجالس ٢ ص ٢١٢ .

ـ٣ـ

شهادة أبي بكر و جبرئيل

ذكر النسفي انّ رجلاً مات بالمدينة فـأراد النبيّ ﷺ أن يصلّي عليه فنزل جبريل وقال : يامحمّد لا تصلّ عليه . فامتنع فجاء أبوبكر فقال : يانبيّ الله صلّ عليه فما علمتُ منه إلّاخيراً . فنزلجبريل وقال : يامحمّد صل عليه ، فإنّ شهادة أبي بكر مقدّمة على شهادتي . مصباح الظلام للجرداني ٢ ص ٢٥ ، نزهةالمجالس ٢ ص ١٨٤ .

قال الأميني : هلمّ معي نناقش راوي هذه السفسطة الحساب بعد أن لم نقف لها على اسناد نناقش رجاله ، ونسائله عن أنّ ماأدّاه جبريل من الشهادة أكان من عند نفسه ؟ ولم يكن لأمين الله على وحيه أن يأتي رسوله بشيء من قِبَل نفسه فحابا أبابكر بتقديم شهادته أم كان وحياً من المولى سبحانه ؟ـ وهوالمطّرد في كلّ هبوط له إلى الرسول الأمين ـ فأبطل ذلك الوحي المبين مجازفةً لمحض انّ أبا بكر شهد بضدّ ماجاء به ؟ وأيّاً ماكان فإنّ اخباره كان لامحالة عن عدم تأهّل الرجل في الواقع للصّلاة عليه في صورة نهي مفيد للتحريم ، ومؤدّاه انّ الله سبحانه يبغض أن ترفع اليه صلاةٌ على مثله من نبيه المحبوب ، فهل يكون قول أبي بكر بتأهّله المستنبط من ظاهر الحال الذي يخطأ ويصيب ، ولاشكّ انّه مخطأ في هذاالمورد بالخصوص لنزول الوحي بخلافه ، فهل يكون قولٌ هذا شأنه مبطلاً للوحي المبين ؟ تبصّر واحكم .

ـ٤ـ

خاتم النبيّ وسجلّه

روي أنّ النبيّ ﷺ دفع خاتمه الى أبي بكر وقال : اكتب عليه : لا إلـه إلّا الله ، فدفعه أبوبكر إلى النقّاش وقال : اكتب عليه : لاإله إلّاالله ، محمّد رسول الله . فكتب عليه . فلمّاجاء به أبوبكر إلى النبيّ ﷺ وجد عليه لاإلـه إلّا الله محمّد ، رسول الله ، أبوبكر الصدّيق . فقال : ما هذه الزيادة ياأبابكر؟ فقال : مارضيت أن افرّق اسمك عن اسم الله ، و أمّا الباقي فما قلته فنزل جبريل و قال : إنّ الله سبحانه و تعالى يقول : إنّي كتبت اسم أبي بكر لأنّه ما رضي أن يفرّق اسمك عن اسمي ، فأنا ما رضيت أن افرّق

إسمه عن اسمك. نزهة المجالس للصفوري ٢ ص ١٨٥ نقلاً عن تفسير الرازي، مصباح الظلام للجرداني ص٢٥.

قال الأميني: المتسالم عليه بين المحدّثين انّ نقش خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان «محمّد رسول الله» بلا أيّ زيادة ففي الصّحاح عن أنس انّه صلى الله عليه وسلم صنع خاتماً من ورق ونقش فيه: محمّدٌ رسول الله. وقال: فلا ينقش أحدٌ على نقشه.

صحيح البخاري ٨: ٣٠٩، صحيح مسلم ٢: ٢١٤، ٢١٥، صحيح الترمذي ١: ٣٢٤، سنن ابن ماجة ٢: ٣٨٤، ٣٨٥، سنن النسائي ٨: ١٧٣.

وفي رواية البخاري والترمذي عن انس قال: كان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: محمّد، سطر. ورسول، سطر. والله، سطر. «صحيح البخاري ٨: ٣٠٩، صحيح الترمذي ١: ٣٢٥».

و روى ابن سعد في طبقاته من مرسل ابن سيرين انّ نقشه كان: بسم الله محمّدٌ رسول الله. و قال ابن حجر: ولم يتابع على هذه الزيادة. ذكره عنه الزرقاني في شرح المواهب ٥: ٣٩.

وأخرج أبو الشيخ في الأخلاق النبويّة من رواية عرعرة بن البرند عن انس قال: كان مكتوباً على فصّ خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا إله إلّا الله، محمّدٌ رسول الله. قال ابن حجر في فتح الباري ١٠: ٢٧٠: عرعرة ضعّفه ابن المديني و زيادته هذه شاذّة. و قال الزرقاني في شرح المواهب ٥: ٣٩: كان نقش الخاتم النبويّ كما في الصحيحين وغيرهما. محمّدٌ رسول الله. فلا عبرة بهذه الرّواية كرواية انّه كان فيه كلمتا الشهادة معاً؛ ورواية ابن سعد عن أبي العالية أنّ نقشه: صدق الله. ثمّ ألحق الخلفاء: محمّدٌ رسول الله.

فما قيمة ماجاء به من النقش صوّاغ القرون المتأخّرة، وصاغته يد الإفك والغلوّ بعد لاي من وفاة النبيّ الأعظم و انقطاع الوحي عنه، و لا يوجد في تآليف الأوّلين منه عين ولا أثر؟ و أنت ترى السلف حاكمين في حديث زيادة كلمة الاخلاص والبسملة بالشذوذ و انّه لا عبرة به و لا يتابع عليه، ولا يبحث أيّ متضلع في الفنّ عن هذه الزيادة المختلقة التي لا صلة لها بالموضوع، وليست هي إلّا إستهزاءً بالله ونبيه ووحيه وأمين وحيه.

ثمّ قد صحّ عند القوم انّ ذلك الخاتم المنقوش الخاصّ بالنبيّ ﷺ «وكان يتختم به ويختم ﷺ ولم يكن له خاتم غيره ولم يحتمل التعدّد قطّ أحدٌ في رفع اختلاف أحاديث النقش» كان عند أبي بكر في يمينه بعد رسول الله ﷺ، و بعده في يد عمر، و بعده عند عثمان في يمينه وسقط سنة ثلاثين من يده أو: من يد غيره. في بئر أريس[١]. واتّخذله خاتماً آخر[٢] وفي رواية ابن سعد عن الأنصاري كما في فتح الباري ١٠:٢٧٠ وسنن النسائي ٨: ١٧٩: انّه كان في يد عثمان ستّ سنين من عمله. فلو كانت تلكم الأسطورة صحيحة وكان إسم الخليفة منقوشاً في خاتم كان يلبسه النبيّ الأقدس طيلة حياته وتنظر اليه الصحابة من كثَب وترى بريقه في خنصره كما في صحيح البخاري ٨: ٣٠٨، ٣٠٩ كان حقّاً علىٰ الخليفة و الخاتم بيده أن يحتجّ بها يوم تسنّم عرش الخلافة، وكان هناك حوارٌ وصخبٌ، لكنّه لم يحتج لأنّ ذلك الخاتم ما كان مصوغاً بعدُ ولا منقوشاً، و لم يُعط من المغيّب انّه يُستنحت له ذلك بعد قرون متطاولة. وكان حقّاً على الصحابة الملتاثين به أن يحتجّوا بذلك النقش المصنوع في عالم الملكوت، فإنّ الاحتجاج به أولى من الاحتجاج بكبر السنّ وأمثاله، لكنّهم تركوا الحِجاج لأنّ هذا المولود لم يكن يولد بعدُ، و إنّما ولدته أمّ الغلوّ في الفضائل في آخر الدهر.

ولا يتأتّى لأحد عرفان سرّ ما جاء به جبريل الخيالي من القران بين اسم النبيّ الأعظم و بين اسم أبي بكر في ذلك النقش المصوغ في عالم الغيب، أكان أبو بكر نفس النبيّ الاعظم بنصّ القرآن الكريم؟ أم كان قرينه في العصمة والقداسة في الذكر الحكيم؟ أم نزلت فيه آية التبليغ مع ذلك الإرهاب؟ أم أكمل الله به الدين، و أتمّ به النعمة كما بدء بالنبيّ الطاهر؟ ام كان رديف النبيّ الأقدس في الإسلام والدعوة إلى الله من أوّل يومه؟ أم كان وصيّه وخليفته المنصوص عليه من بدء الدعوة؟ أم قُرنت طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته كما في صحاح جاءت عنه ﷺ؟ أم كان نظيره في أمّته بنصّ منه

(١) هي ميلين من المدينة وهي من أقل الآبار ماء.

(٢) صحيح البخارى ٨: ٣٠٦، صحيح مسلم ٢: ٢١٤، سنن النسائى ٨: ١٧٩، تاريخ الطبرى ٥: ٦٥، تاريخ ابن كثير ٨: ١٥٥، تاريخ الخميس ٢: ٢٢٣، ٢٦٩، تاريخ ابى الفداء ١: ١٦٨.

صلى الله عليه وآله ؛ أم ؟ أم ؟ إلى مائة أم . لما ذا ذلك القران ؟ أنا لا أدري ، و مختلق الرواية ايضاً لايدري .

- ٥ -

عرض جنّة أبي بكر

قال الصفوري في نزهة المجالس ٢ ص ١٨٣ : رأيت في الحديث انّ الملائكة اجتمعت تحت شجرة طوبى فقال ملكٌ : و ددت انّ الله تعالى أعطاني قوّة ألف ملك ، وكساني ريش ألف طير، فأطير حول الجنّة حتى أبلغ طرفها ، فأعطاه الله ذلك فطار ألف سنة حتّى ذهبت قوّته وتساقط ريشه ، ثمّ أعطاه الله تعالى قوّةً و أجنحة فطار الف سنة ثانية حتّى ذهبت قوّته وتساقط ريشه ، ثمّ أعطاه الله تعالى قوّةً وأجنحة فطار ألف سنة ثالثة حتّى ذهبت قوّته و تساقط ريشه ، فوقع على باب قصر باكياً فأشرفت عليه حوراء فقالت : أيّها الملك مالي أراك باكياً وليست هذه بدار بكاء وحزن ، وإنّما هي دار فرح و سرور ؟ فقال : لأنّي عارضت الله في قدرته . ثمّ أعلمها بحديثه ، فقالت له : لقد خاطرت بنفسك أتدري كم طرت في هذه الثلاثة آلاف سنة ؟ قال : لا . قالت : و عزّة ربّي ماطرت أكثر من جزء واحد من عشرة آلاف جزء ممّا أعدّه الله تعالى لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه . وذكره الجرداني في مصباح الظلام ٢ ص ٢٥ .

قال الأميني : فمجموع ماأعدّه الله تعالى لأبي بكر في الجنّة هو مسير ثلاثين ألف ألف سنة لطائر يطير بقوّة ألف ملك وريش ألف طير، جلّت قدرة الباري .

أنا أكل حساب هذه الرواية إلى الشباب النابه العصري المتخرّج من المدارس العالية في أرجاء العالم . كما أرى النظرة في رجال سندها من وظائف رجال الغيب إذ من المستحيل أن يقف عليه متتبّع ، ويعرفه حافظٌ ضليع ، أو محدّثٌ بعيد الطناء ؛ أو رجاليٌّ واسع الخطوة من رجال عالم الشهود .

- ٦ -

الله يستحيي من أبي بكر

عن انس بن مالك قال : جاءت امرأةٌ من الأنصار فقالت : يا رسول الله ! رأيت في المنام كأنّ النخلة التي في داري وقعت ، و زوجي في السفر . فقال : يجب عليك الصبر

فلن تجتمعي به أبداً . فخرجت المرأة باكيةً فرأت أبابكرَ، فأخبرته بمنامها و لم تذكر له قول النبي ﷺ ، فقال : إذهبي فانّك تجتمعين به في هذه الليلة . فدخلت إلى منزلها وهي متفكّرة في قول النبيِّ ﷺ وقول أبي بكر ،فلمّا كان الليل وإذا بزوجها قدأتى، فذهبت إلى النبي ﷺ وأخبرته بز وجها ، فنظر إليها طويلاً فجاءه جبريل و قال : يا محمّد ؛ الذي قلتَه هو الحقُّ ، ولكن لمّا قال الصدّيق إنّك تجتمعين به في هذه الليلة إستحيا الله منه أن يجري على لسانه الكذب ، لأنّه صدِّيقٌ فأحياه كرامةً له .

نزهة المجالس ٢ص ١٨٤

قال الأميني : ليتنا كنّا نقف على رجال هذا الخيال النبهاء الذين أرادوا كسح معرّة الكذب عن ساحة الصدِّيق فجرُّوها إلى الساحة النبويّة ، فكأنّ الله لم يبال بأن يجري الكذب على لسان نبيّه الصّادق المصدق ، حيث انّه لم يخبر عن موت الرجل وإنّما أخبر امرأته بأنّها لن تجتمع به أبداً بكلمة لن المفيدة لتأبيد النفي المؤكّد بقوله أبداً فظهر خلافه ، لكنّه إستحى من أبي بكر بعد أن رجم با لغيب إفكاً ظاهراً فأراد أن يرحض عنه ذلك باحياء الرجل وعدم إماتته كرامةً له ، وهل يرحضه ذلك بعد أن وقع الكذب ؟ أنالاأدرى .

وهل كانت كرامة أبي بكر على الله أعظم من كرامة رسوله عليه ؟ حيث لم يرض بظهور الكذب عليه ورضيه على مصطفاه ؛ و لم يكن في انتشاره عنه كسرٌ للاسلام لكن إنتشاره عن النبيِّ ﷺ فتٌّ في عضد الدين .

ثمّ اعجب من تعليل الرواية بأنّ ابابكر كان صدِّيقاً . أوَ لم يكن رسول الله ﷺ سيدالصدِّيقين أجمع ؟ و هب انّ وحي هذه المزعمة خفّف عن ساحة النبوّة شيئاً يمكن أن يفوه به مَن اختلقها بأنّ الأمر كان كما أخبر به رسول الله ﷺ لكن أحيى الله الرجل للغاية التي ذكرها فلا كذب ﷺ لكن يدفعه ماقدّمناه من انه ﷺ لم يخبر عن موت الرجل وإنّما أخبر عن أنّها لن تجتمع به أبداً وقد وقع خلاف ما أنبأ به . نعم : لعلّ مامرّ من رأي الخليفة من جواز تقديم المفضول على الفاضل ، أو الغلوّ في الفضائل ، يرخّصان بكلِّ ماذكر .

-٧-

كرامة دفن أبي بكر

أخرج ابن عساكر في تاريخه قال : روي أنّ أبابكر رضي الله عنه لمّا حضرته الوفاة قال لمن حضره : إذا أنامتّ وفرغتم من جهازي فاحملوني حتّى تقفوا بباب البيت الذي فيه قبر النبيّ صلى الله عليه وآله فقفوا بالباب وقولوا : السلام عليك يارسول الله ؛ هذا أبوبكر يستأذن . فان أذن لكم بأن فتح الباب وكان الباب مغلقاً بقفل فادخلوني وادفنوني ، وإن لم يفتح الباب فأخرجوني إلى البقيع وادفنوني به ، فلمّا وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر سقط القفل وانفتح الباب وإذا بهاتف يهتف من القبر : ادخلوا الحبيب إلى الحبيب فإنّ الحبيب إلى الحبيب مشتاقٌ .

وذكره الرازي في تفسيره ٥ ص٣٧٨ ، والحلبي في السيرة النبويّة ٣ ص ٣٩٤ ، والديار بكري في تاريخ الخميس ٢ : ٢٦٤ ، والقرماني في أخبار الدول هامش الكامل ١ ص ٢٠٠ ، والصفوري في نزهة المجالس ٢ ص ١٩٨ .

قال الأميني : أراد رواة هذه الرواية تصحيح عمل القوم في دفن الخليفة في موطن القداسة [حجرة النبيّ صلى الله عليه وآله] بعد أن أعيتهم المشكلة وعجزوا عن الجواب ، فإنّ الحجرة الشريفة إمّا أن تكون باقية على ملكه صلى الله عليه وآله كما هو الحقّ المبين . أو أنّها عادت صدقة يؤل أمرها الى المسلمين أجمع ؛ و على الأوّل كان يشترط فيه رضاء أولاد وارثته الوحيدة السبطين الإمامين وأخواتهما ولم يستأذن منهم أحدٌ . وعلى الثاني كان يجب على الخليفة أو على من تولّى الأمر بعده أن يستأذن الجامعة الاسلاميّة ولم يكن من أيّ منهما شيءٌ من ذلك ، فبقي الدفن هنالك خارجاً عن ناموس الشريعة . وإن قيل : إنّه دفن بحق ابنته ؛ فأيّ حق لها بعد ماجاء به أبوها من قوله : إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ؛ على انّا اسلفنا في الجزء السادس ص١٩٠ ط٢ : انّه لم يكن لأُمّهات المؤمنين إلّا السكنى في حجرهنّ كالمعتدّة ولم يكن لهنّ ترتيب آثار الملك على شيء منها . وقدّمنا هنالك ايضاً انّ على فرض الميراث وعلى تقدير الارث من العقار فإنّ لعائشة تسع الثمن من حجرتها لأنّه صلى الله عليه وآله توفّي عن تسع ، ؤ مساحة المحلّ لا يسع

تسع ثمنها جثمان انسان مهما كبرت الحجرة . على أنّ حقّها كان مشاعاً و ليس لها التصرّف فيه بغير اذن شريكاتها في الميراث .

أراد القوم التفصّي عن هذه المشكلات فكوّنوا مايستتبع مشكلةً بعد مشكلة و هي : انّ الخليفة هل قال ماقاله بعهد من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو انّه أحاط علماً بالمغيّب ؟ أمّا الثاني فلا أحسب أحداً يدّعي له ذلك بعد ما أحطنا خُبراً بكلّ ما قيل في فضائله ، وبعد ما أوقفناك على مبلغ علمه في المشهودات ، فأين هو عن الغيوب ؟

و أمّا الأوّل فلو كان ذلك لما كان لترديده بين الدفن في الحجرة إن فتح الباب و سقط القفل ، وبين الذهاب به إلى البقيع إن لم يكن ذلك ، فانّ ما أخبر به النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لا بدّ أن يكون ، فلا ترديد فيه .

نعم : من المحتمل انّه صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يعهد ذلك لنفس أبي بكر وإنّما رواه عنه من لا يثق به الخليفة ولذلك نوّه بماقال بالترديد ، أو أنّ الرواية لا صحّة لها ، و لذلك لم تنتشر في الصحاح والمسانيد إلى عهد الحافظ ابن عساكر ، وهي على فرض صحّتها مكرمة عظمى وقعت بمشهد الصحابة و مزدحم المهاجرين و الأنصار يوم شيّعوه إلى مقرّه الأخير ، وكان يجب والحالة هذه أن يتواصل الهتاف بها ، وبذلك الهتاف المسموع من القبر الشريف منذ ذلك العهد إلى منصرم الدهر ، ولم يكن يوم ذاك في الأبصار غشاوة ، ولا في الآذان وقر ، ولا في الألسنة بكم ، لكنه و يا للأسف لم ينبس أحدٌ عنها ببنت شفة ، وما ذلك إلّا لأنّ المكرمة لم تقع ، والقفل ماسقط ، والباب ماانفتح ، والهتاف لم يكن ، وادخلوا الحبيب إلى الحبيب ، فإنّ الحبيب إلى الحبيب مشتاق مهزأة نشأت من الغلوّ في الفضائل تنبأ عن روح التصوّف في مختلق الرواية . نعم :

ماكلّ من زار الحمى سمع الندا ☆ من أهله أهلاً بذاك الزائر

م - هذه الكرامة المنحوتة المنحولة ذكرها الرازي و من بعده مرسلين إيّاها ارسال المسلّم ، محتجّين بها عداد فضائل أبي بكر ، غير مكترثين لما في اسنادها من العلل أو جاهلين بها ، و إنّما أخرجها ابن عساكر من طريق أبي طاهر موسى بن محمّد بن عطاء المقدسي عن عبد الجليل المدني عن حبّة العرني فقال : هذا منكرٌ ، و أبو الطاهر كذّابٌ ، وعبدالجليل مجهولٌ . وفي لسان الميزان ٣ : ٣٩١ : خبرٌ باطلٌ . اه

وأبو الطاهر المقدسي كذّبه ابوزرعة وأبو حاتم. وقال النسائي ليس بثقة. و قال ابن حبان: لاتحلّ الرواية عنه كان يضع الحديث. و قال ابن عدي: كان يسرق الحديث. وقال العقيلي: يحدّث عن الثقات بالبواطيل والموضوعات، منكر الحديث وقال منصوربن اسماعيل: كان يضع الحديث على مالك. راجع المصادر المذكورة ج ٥ ص ٢٣١ ط ٢].

-٨-

جبريل يسجد مهابةً من أبي بكر

حدّث عالم الأمّة الشيخ يوسف الفيشي المالكي قال: كان جبريل إذا قدم أبو بكر على النبيّ ﷺ و هو يحادثه يقوم إجلالاً للصدّيق دون غيره، فسأله النبيّ ﷺ عن ذلك؟ فقال جبريل: أبو بكر له عليّ مشيخة في الأزل، و ما ذاك إلّا انّ الله تعالى لمّا أمر الملائكة بالسجود لآدم حدّثتني نفسي بما طُرد به إبليس فحين قال الله تعالى: اسجدوا. رأيت قبّة عظيمة عليها مكتوبٌ. أبوبكر أبوبكر. مراراً و هو يقول. اسجد. فسجدت من هيبة أبي بكر فكان ما كان.

ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق هامش روض الرياحين ص ١١١ فقال: و حدّثني ايضاً شيخنا الاستاذ محمّد زين العابدين البكري بما يقارب ما قاله الفيشي و سمعتها من غالب مشايخنا بالأزهر.

قال الأميني: عجباً لهؤلاء القوم لم يسلم منهم حتى أمين الله على وحيه - جبرائيل - المعصوم من الزلل من أوّل يومه فجعلوه في عداد إبليس اللعين الطريد لولا أنّ أبا بكر تدارك أمره.

عجباً لهذا الملك المزعوم يأتمنه المولى سبحانه ثمّ يرتاب في أمره، ولايُصلح ذلك الشنار القول بأنّه إنّما أئتمنه بعدزلّته تلك، فانّه سبحانه لا يأتمن من يمكن في حديث نفسه الكفر، فلعلّ تلك الخاطرة دبّت فيه ولم يحصل من يسدّد [illegible] هاجسته كفراً صريحاً.

عجباً لهذا الملك المقرّب تروعه هيبة أبي بكر ولاتأخذه هيبة الإله لتعظيم [illegible] أبابكر وهويهم أن يطيع الله في أمره بالسجدة، و أيّ سجدة هذه و ما قيمتها من مثل

جبرئيل وقد وقعت من هيبة أبي بكر لا بصفة القربان إلى المولى سبحانه والزلفى لديه والامتثال لأمره فكأن هيبة أبي بكر في الملأ الأعلى أعظم وأفخم من هيبة بارئه جلّت عظمته .

ثمّ أين كانت قبّة أبي بكر من مستوى عالم الملكوت ؟ ومن الأحرى أن تضرب هنالك قبّة نبيّ العظمة حتى يسدّد فيهامن شارف الزلّة لا قبّة إنسان من الممكن أن تكتنفه المآثم ، وتموت بضعة المصطفى وهي واجدة عليه .

ومن أين علم أبو بكر بهاجسة جبرئيل و حديث نفسه ؟ أو هل كان يعلم الغيب ؟ أو اوحي اليه بواسطة غير أمين الوحي ؟ لك الحكم في هذه كلّها أيّها القارئ الكريم .

ثمّ العجب من مشايخ الأزهر الذين أخبتوا إلى هذه الخزاية فأثبتوها في الكتب ولهجوا بها في الأندية ، وخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى فنشروها في الملأ العلمي وشوّهوا بها صفحة التاريخ وسمعة الاسلام المقدّس ، نعم : أرادوا نحت فضيلة للخليفة فأعماهم الغلوّ في الفضائل فنحتوها رذيلة لجبرئيل الأمين ، كلّ ذلك لأنّهم افتعلوها من غير بصيرة في الدين ، أو رويّة شاعرة في المبادئ الاسلاميّة .

وأحسب أنّ من اختلق هذه الرّواية أراد إثباتها تجاه مايروى لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام من تسديده لجبرئيل يوم خاطبه الله سبحانه : من أنا و من أنت ؟ فتروّى قليلاً و قد أخذته هيبة الجليل سبحانه حتّى أدركته نورانيّة مولانا الامام عليه السلام ، فعلّمه أن يقول : أنت الجليل وأنا عبدك جبرئيل . وقد نظم ذلك الشاعر المبدع الشيخ صالح التميمي من قصيدة له في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وخمّسها الشاعر المفلق عبد الباقي افندي العمري كما في ديوانه ص ١٢٦ وفي ديوان صاحب الأصل ص ٤ قالا :

روضةٌ أنت للعقول و دوحٌ ✿ يجتنى من طوباك رشدٌ ونصحُ
ومتى هبّ من عبيرك نفحُ ✿ شمل الرّوح من نسيمك روحُ
حين من ربّه أتاه النّداءُ

طالما للأملاك كنتَ دليلا ✿ و لناموسهم هديت سبيلا
يوم نادى ربّ السّما جبرئيلا ✿ قائلاً : مَن أنا فروّى قليلا
و هو لولاك فاته الإهتداءُ(١)

(١) يعني الاهتداء الى ذلك الجواب الحسن الجميل .

لــك شكلٌ نتيجةٌ للقضايا ✿ لــك قلبٌ لـلعالمين مرايــا
لك فعلٌ حوى رفيع المزايــا ✿ لك إسمٌ رآه خـير البرايا
مــذ تدلّـى وضمّـه الاسراءُ

و ليست هذه كقصّة أبي بكر ؛ فليس فيها انّ جبريل نوى مـا نواه إبليس من المزوق عن أمره سبحانه ، و لا فيها انّ امير المؤمنين أنبأ عن مغيّـب ، و لا أنّ هيبته غلبت هيبة الله العظيم ، و لا انّ جبريل سجد من هيبته ، و لا انّ لـه هنا لك قبّةٌ عظيمة مكتوبٌ عليها : علي علي ، ولا انّـه هتف مخاطباً : لجبرئيل بقوله : اسجد . و روّعه بذلك ، ليست فيها هذه كلّها لأنّ الشيعة في المنتأى عن الغلوّ في الفضائل .

- ٩ -

قصّةٌ فيها كرامةٌ لأبي بكر

أخبر ابوالعبّاس ابن عبد الواحد عن الشيخ الصالح عمربن الزغبي قال : كنت مجاوراً بالمدينة المشرّفة على مشرّفها أفضل الصّلاة والسّلام فخرجت يوم عاشوراء الذي تجتمع فيه الإماميّة في قبّـة العباس وقد اجتمعوا في القبّـة قال : فوقفت أنا على باب القبّـة وقلت : اريد في محبّـة أبي بكر شيئاً فخرج إليّ شيخٌ منهم وقال : أُجلس حتّى نفرغ و نعطيك ، فجلست حتّى فرغوا ثمّ خرج ذلك الرجل و أخذ بيدي ومضى بي إلى داره وأدخلني الدار وأغلق ورائي الباب وسلّط عليّ عبدين فكتّفاني وأوجعاني ضرباً ، ثمّ أمرهما بقطع لساني فقطعاه ، ثمّ أمرهما فحلاّ كتافي ، و قال : اخرج إلى الذي طلبتَ في محبّته ليردّ إليك لسانك . قال : فخرجت من عنده إلى الحجرة الشريفة النبويّة وأنا أبكي من شدّة الوجع والألم فقلت في نفسي : يا رسول الله ! قد تعلم ما أصابني في محبّة أبي بكر فإن كان صاحبك حقّاً ؛ فاحبّ أن يرجع إليّ لساني وبتّ في الحجرة قلقاً من شدّة الألم فأخذتني سِنةٌ من النوم فنمت فرأيت في منامي انّ لساني قدعاد إلى حاله كما كان فاستيقظت فوجدته في فيّ صحيحاً كما كان وأنا أتكلّم فقلت : الحمدلله الذي ردّ عليّ لساني وازددت محبّة في أبي بكر رضي الله عنه ، فلمّا كان العام الثاني في يوم عاشوراء اجتمعوا على عادتهم فخرجت إلى باب القبّة وقلت : اريد في محبّة أبي بكر ديناراً ، فقام إليّ شابٌ عن الحاضرين وقال لي : اجلس حتّى نفرغ . فجلست فلمّا

فرغوا خرج إليّ ذلك الشابّ وأخذ بيدي ومضى بي إلى تلك الدار فأدخلني فيها و وضع بين يديّ طعاماً ، ولمّا فرغنا قام الشابّ وفتح عليّ باباً على بيت في الدار وجعل يبكي فقمت لأنظر ما سبب بكائه فرأيت في البيت قرداً مربوطاً فسألته عن قضيّته فزاد بكاءً فسكّنته حتّى سكن ، فقلت له : بالله أخبرني عن حالك . فقال : إن حلفت لي أن لاتخبر أحداً من أهل المدينة أخبرتك ، فحلفت له ، فقال : اعلم أنّه أتانا في عام أوّل رجل و طلب في محبّة أبي بكر رضي الله عنه شيئاً في قبّة العبّاس يوم عاشوراء فقام إليه أبي و كان من أكابر الاماميّة و الشيعة فقال له : اجلس حتّى نفرغ . فلمّا فرغوا أتى به إلى هذه الدار وسلّط عليه عبدين فضرباه ، وأمر بقطع لسانه فقطع ، و أخرجه فمضى لسبيله و لم نعرف له خبراً ، فلمّا كان الليل ونمنا صرخ أبي صرخة عظيمة فاستيقظنا من شدّة صرخته فوجدناه قد مسخه الله قرداً ففزعنا منه و أدخلناه هذا البيت وربطناه ، وأظهرنا للناس موته وهو ذا نبكي عليه بكرة وعشيّا . فقلت له : إذا رأيت الذي قطع أبوك لسانه تعرفه ؟ قال : لا والله : فقلت : أنا هو والله ، أنا الذي قطع أبوك لساني ، وقصصت عليه القصّة فأكبّ عليّ يقبّل رأسي ويدى ثمّ أعطاني ثوباً و ديناراً وسألني كيف ردّ الله عليّ لساني ؟ فأخبرته وانصرفت .

مصباح الظلام للجرداني ص ٢٣ من الطبعة الرابعة المصريّة المطبوعة بمطبعة الرّحمانيّة بمصر سنة ١٣٤٧ هـ ، ونزهة المجالس للصفوري ٢ ص ١٩٥ .

قال الأميني : ماأحوج القوم إلى اختلاق هذه الأساطير المشمرجة وهي لايصدّقها أيّ قارٍ وبادٍ مهما يُقرّها قصّاص في اُذنيه ، ولايصير بها الأمر إلى قراره مهما حبكت نسقه يد الأفك ، وأبدعت في نسجه مهرة الإفتعال .

أنّى يصدّق ذو مسكة بأنّ رجلاً شهيراً يُعدّ من عليّة قوم ومن أكابر اُمّة تُمسخ ويُربط في داره وهو بَعدُ مجهولٌ لا يعرف اسمه ، ولا ينبّئ عنه خبير ، و يسع لخلفه إخفاء أمره بدعوى موته ، ولم يُسأل أهله عن تجهيزه وتشييعه ودفنه ومقبره و سبب موته ، وتتأتّى لولده الغشية عليها عن أعين الناس وأسماعهم كأنّ في آذانهم صمماً وفي أبصارهم عمى .

و لماذا أخذه إبن الجاني - الذي لم يُخلق بعدُ لاهو ولا أبوه - ضيفه إلى والده

وهو لا يعرف الرَّجل و لم يخش من الفضيحة ، و لماذا أو قفه على أمر أبيه و عواره وقد كان يستخفيه ويظهر للناس موته ؟ .

و أنّى يصدَّق بأنَّ رجلاً قُطع لسانه دون مبدئه وحبّه لخليفته قد استخفى قصّته ، و ما أشاع بها ، وما صاح وما باح بمظلمته ، وما أبان أمره عند قومه ، و ما أفاض عن شأنه بكلمة ، ولا يمّم قاضياً ولا حاكماً ولا الدوائر الحكوميّة الصالحة للنظر في مظلمته من عدليّة أو دائرة شرطة ، وعقيرته مرفوعة من شدّة الألم ، ولم يزل القوم يتربّص الدوائر على الشيعة ، ويختلق عليهم طامّات كهذه .

و أنّى يصدَّق انّه لمّا خرج من دار من جنى عليه و هو مقصوص اللسان و قد ملأ فمه دمه ، ولاذ بالحجرة الشريفة باكياً قلقاً من شدّة الألم ، ما باه له أيّ أحد ، و ما عرفت مع هذه كلّها من أمره قذ عملة ، ولا تنبّه لأمره سدنة الحضرة الشريفة ؟ .

وما بال الرَّجل لم يمط الستر في وقته عن جناية عدوّ خليفته ، ولم يفش سرّه ، ولم يعلن كرامة الصدّيق ، و لم يفضح عدوّه ، ولم يعرب عن هذه المكرمة الغالية ، ولم يقرّط الآذان بسماعها ، وينبس أمره ولم ينبشه ، كأنَّ لسانه بعد مقطوع ، وأنّه لم يجده في فيه صحيحاً ؟ أو رضي بأن يفشفش[1] بعده أعلام قومه ؟ .

و إن تعجب فعجب عود هذا الشحّاذ الجريء إلى سؤاله مرَّة ثانية في سنته القابلة بعد أن رأى ما رأى قبل أن أعوم ، ووقوفه في ذلك الموقف الخطر في قبّة العباس يوم عاشوراء ، ومضيه من دون أيّ تحاش إلى تلك الدار التي وقعت فيها واقعته الخطرة الهائلة ، ودخوله فيها رابطاً جأشه ، وإلقاءه نفسه إلى التهلكة ، ولم يكن يعرف شيئاً من قصّة الشيعي و مسخه ، ولا من حنو الشاب و عطفه ، و قد قال الله تعالى : و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة .

ولعلّه كان في هذه كلّها على ثقة وطمأنينة من انّه قطّ لا يبقى بلا لسان ، وانّ لسانه مهما قطع يردّ اليه كما كان من بركة الخليفة ، وهو في حسبانه هذا وقدومه إلى المهالك مجتهد وله أجره وإن أخطأ كاجتهاد سلفه .

(١) فشفش : افرط في الكذب ، وانتحل ما لغيره .

و قد أنصف الشيخ الصالح المدني في اختلاق هذه القصة على شيعي كبير لم يولد بعد ولم تسمه امه . وجاء غيره باسطورة معتوه قموص الحنجرة[١] وافتجر[٢] في القول و أفجس[٣] ألا وهو الشيخ عليا المالكي ، قال الشيخ ابراهيم العبيدي المالكي في عمدة التحقيق المطبوع بمصر في هامش روض الرياحين ص١٣٣ : سمعت خالي العالم الشيخ عليا المالكي يقول : إن الرافضي إذا أشرف على الموت يقلب الله صورة وجهه وجه خنزير فلا يموت إلا إذا مسخ وجهه وجه خنزير ، ويكون ذلك علامة على انه مات على الرفض، فيستبشرون بذلك الروافض ، وإن لم يقلب وجهه عند الموت يحزنون ويقولون: إنه مات سنياً . انتهى .

و تخرق بعض الثقات في تاريخ حلب شاهداً على هذه المخرقة فقال : لما مات ابن منير[٤] خرج جماعة من شبان حلب يتفرجون فقال بعضهم لبعض : قد سمعنا انه لا يموت أحد ممن كان يسب أبا بكر و عمر إلا ويمسخه الله تعالى في قبره خنزيراً و لا شك أن ابن منير كان يسبهما ، فأجمعوا رأيهم على المضي إلى قبره ، فمضوا ونبشوه فوجدوا صورته خنزيراً ووجهه منحرفاً عن جهة القبلة إلى جهة الشمال ، فأخرجوا على قبره ليشاهده الناس ثم بدا لهم أن يحرقوه فأحرقوه بالنار وأعادوه في قبره وردوا عليه التراب وانصرفوا.

وذكره العلامة الجرداني في مصباح الظلام المؤلف سنة ١٣٠١ والمطبوع بمصر سنة ١٣٤٧ وقرظه جمع من الاعلام ألاوهم كما في آخر الكتاب :العالم العفيف السيد محمود أنسي الشافعي الدمياطي ، والعلامة الشيخ محمد جودة ، والعلامة الأوحد الشيخ محمد الحمامصي ، وحضرة الفاضل اللبيب الشيخ عطية محمود قطارية ، و العالم العامل الشيخ محمد القاضي ، و حضرة الشاعر اللبيب محمد أفندي نجل العلامة الشيخ محمد النشار .

ليست هذه النفثات إلا كتيت[٥] الاحن ، ونغران[٦] الشحناء . وإن شئت قلت :

(١) يقال فلان قموص الحنجرة : اى كذاب .
(٢) افتجر في الكلام : اى اختلقه وذكره من غير ان يسمعه من احد .
(٣) أفجس : افتخر بالباطل .
(٤) احد شعراء الغدير مرت ترجمته في الجزء الرابع ص٢٧٩-٢٨٩ ط٢ مات في دمشق ثم نقل الى حلب فدفن بها .
(٥) الكتيت : صوت غليان القدر والنبيذ ونحوهما .
(٦) نغر الرجل على فلان نغراً ونغراناً : غلا جوفه عليه غضباً .

إنّها سكرة الحبّ ، و سرف المغالاة . قد أعمت الأهواء بصاير اولئك الرّجال فجاؤا بهذه المخاريق المخزية ، والأفائك المزخرفة ، بيّتوها غيرمكترثين لمغبّة صنيعهم ، و لا متحاشين عن معرّة قيلهم ، وشتّان بينهاوبين أدب الدين ، أدب العلم ، أدب التأليف ، أدب العفّة ، أدب الدعاية والنشر . إنّهم ليقولون منكراً من القول و زوراً ، و لا يستخفون من الله وهومعهم إذ يبيّتون مالا يرضى من القول .

كأنّ هؤلاء يحدّثون عن اُمّة بائدة لم يُبق لها الملوان مَن يشاهده أحدٌ من الأجيال الحاضرة ، أوَليست الشيعة هؤلاء الذين هم مبثوثون في أرجاء العالم وأجواء الاُمم ، يشاهدهم كلّ ذي بصر وبصيرة أحياءً و أمواتاً ؟ فمن ذاالذي شهد أحدهم أنّه انقلب عندموته خنزيراً غير اولئك الشبّان الموهومين الذين شاهدوا ابن منير في قبره ؟ وهل الشيخ علياالمالكي هو وجد أحداً من الشيعة كما وصفه؟ أو رُوي له ذلك الأفك فوثق به كما وثق العبيدي ؟ وهل كان يمكنه أن يقف على الموتى جميعاً أو أكثرهم وليس هو بمغسّل الموتى أو من حفّاري القبورولا مِن نبّاشيها ؟ .

على أنّ التشيّع ليس من ولائد تلكم العصور و إنّما بدء بهمنذ العهد النبويّ ، فهل كان السلف الشيعيّ من الصحابة و التابعين يموتون كذلك وكان فيهم مَن يعرف بالتشيّع كأبي ذر وسلمان وعمّار والمقدادوأبي الطفيل؟ فهل يسحب هذا الرجل ذيل مزعمته الى ساحة اولئك الأعاظم ؟ قطعت جهيزة قول كلّ خطيب (١) .

- ١٠ -

أبوبكر شيخٌ يُعرف . والنبيّ شابٌ لايُعرف

عن أنس بن مالك قال : أقبل النبيّ ﷺ الى المدينة ، وأبوبكر شيخٌ يُعرف والنبيّ ﷺ شابٌ لا يُعرف فيلقى الرجل أبابكر (٢) فيقول : يا أبا بكر! مَن هذا الذي بين يديك ؟ فيقول : يهديني السبيل ، فيحسب الحاسب أنّه يهديه الطريق وإنّما يعني سبيل الخير .

(١) مثل يضرب لمن يقطع على الناس ماهم فيه بحماقة يأتي بها .

(٢) فى الانتقال من بنى عمرو . كذا قاله القسطلانى فى ارشادالسارى ٦ ص٢١٤ و بنوعمرو ابن عوف هم من الانصار النازلين بقباء كان قد نزل عليهم رسول الله صلى‌الله عليه وآله فى هجرته الى المدينة كما يأتى تفصيله .

و في لفظ : إنّ أبابكر كان رديف النبيّ ﷺ و كان أعرف بذلك الطريق فيراه الرجل يعرفه فيقول : ياأبا بكر! مَن هذا الغلام بين يديك ؟ و في لفظ أحمد : كانوا يقولون : يا أبا بكر! ما هذا الغلام بين يديك ؟ فيقول : هذايهديني السبيل . وفي لفظ : قالوا : ياأبا بكر! مَن هذ الذي تعظّمه هذا الاعظام ؟ قال : هذا يهديني الطريق وهو أعرف به منّي .

م و في رواية : ركب رسول الله ﷺ وراء أبي بكر ناقته . وفي التمهيد لابن عبد البرّ : انّه لمّا اُتي براحلة أبي بكر سأل أبوبكر رسول الله ﷺ أن يركب ويردفه فقال رسول الله ﷺ : بل أنت اركب وأردفك أنا فانّ الرجل احقّ بصدر دابّته . فكان إذا قيل له : من هذا وراءك ؟ قال : هذا يهديني السبيل] .

و في لفظ : لمّا قدم ﷺ المدينة تلقّاه المسلمون فقام أبوبكر للناس ، وجلس النبيّ صامتاً ، وأبوبكر شيخٌ و النبيّ شابٌ ، فطفق مَن جاء مِن الأنصار ممّن لم يرَ رسول الله ﷺ يجيء أبابكر فيعرّفه بالنبيّ ﷺ حتّى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبوبكر حتّى ظلّل عليه بردائه فعرفه الناس عند ذلك .

صحيح البخاري باب هجرة النبيّ ٦ : ٥٣ ، سيرة ابن هشام ٢ : ١٠٩ ، طبقات ابن سعد ١ : ٢٢٢ ، مسند أحمد ٣ : ٢٨٧ ، معارف ابن قتيبة ص٧٥ ، الرياض النضرة ١ : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، المواهب اللدنية ١ : ٨٦ ، السيرة الحلبية ٢ : ٤٦ ، ٦١ .

قال الأميني : ما أنزل الدهر نبيّ الإسلام حتّى قيل : إنّه : شابٌّ لايُعرف . كأنّه غلامٌ نكرة اتّخذه شيخٌ انتشر صوته كصيته بين الناس دليلاً في مسيره يرتدفه تارة و يمشّيه بين يديه اخرى ومهما سُئل عنه يقول : هذايهديني الطريق وهو أعرف به منّي ، كأنّ نبيّ الاسلام ﷺ لم يكن ذلك الذي كان يعرض نفسه على القبائل في كلّ موسم فعرفوه على بَكرة أبيهم مَن آمن منهم ومَن لم يؤمن ، خصوصاً الأنصار المدنيّون منهم وفيهم رجال الأوس والخزرج ، و قد بايعوه عند العقبة الاُولى مرّة ، و بايعه منهم مرّة ثانية عند العقبة ثلاث وسبعون رجلاً وامرأتان .

و كأنّه ﷺ لم يكن ذلك الذي أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة قبله ، و كان بتلك الهجرة غلقت أبواب ، وخلت دوراً ناس من السكنى ، وهاجر أهلها رجالاً ونساءً

وكان في مقدّم المهاجرين ما يناهز ستّين رجلاً ، فلم يبق في مكة المعظّمة مَن أسلم معه صلى الله عليه وآله وسلم إلّا أمير المؤمنين وأبو بكر. وكأنّ المدينة ليست بدار بني النجار وهم خؤولة النبيّ الأقدس.

وكأنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن الذي إتّخذ المدينة قاعدة ملكه ، وعاصمة حكومته ، ومعسكر نهضته ، فبثّ فيها رجاله وخاصّته من أهلها ومن المهاجرين فكانوا يرقبون مقدمه الشريف في كلّ حين حتّى إذا وافوه مقبلاً عليهم استقبلوه بقضّهم و قضيضهم و فيهم أهل البيعتين ومن تقدّمه من المهاجرين وكلّهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإنّه صلى الله عليه وآله وسلم مكث في قباء عند بني عمرو بن عوف أيّاماً و ليالي حتى أسّس مسجده الشريف فيها ، فعرفه كلّ مَن في قباء ممّن لم يكن يعرفه قبلُ مِن رجال الأوس والخزرج ، واتّصل به كلّ من قدمها من المدينة فعرفوه جميعاً ، و قد صلّى الجمعة في قباء وفي بطن الوادي وادي رانونا وائتمّ به من حضر المسلمين عامّة .

وبقضاء من الطبيعة انّ الناس عند التطلّع إلى رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم كان يومي إليه كلّ عارف ، ويسأل عنه كلّ جاهل ، ويتقدّم المبايعون إلى التعرّف به والتزلّف اليه ، فلا يبقى في المجتمع جاهلٌ به حتّى يسأل أبابكر عنه في انتقاله من بني عمرو بقوله: مَن هذا الغلام بين يديك ياأبابكر؟!

فكأنّ القادم رجلٌ عاديٌّ مادوّخ صيته الأقطار ، ولم يره بشرٌ من ذلك الجمع الحافل ، ولم يحتفل به ذلك الاحتفال ، ولااحتفى به تلك الحفاوة ، و ما صُعدت ذوات الخدور على الأجاجير[1] وماهزجت الصبيان والولائد بقولهنّ .

طلع البدر علينا ☆ من ثنيّات الوداعِ
وجب الشكر علينا ☆ ما دعا لله داعي
أيّها المبعوث فينا ☆ جئت بالأمر المطاعِ

وكأنّه قدم في صورة منكّرة بلا أيّ تقدمة إلى بلد لا يعرفه فيه أحدٌ حتّى خصّ السؤال عنه بأبي بكر فحسب .

ثمّ ما هذه التعمية في جواب أبي بكر بقوله : إنّه يهديني السبيل. يريد سبيل

(١) جمع الاجّار بكسر الاول وتشديد الجيم : السطح .

السعادة فيحسب الحاسب انّه يهديه الطريق ؟ ألخوف كانت ؟ ولم يرد رسول الله ﷺ إلّا على العدّة والعدد والمنعة والعزّة ، وقد بايعته الأنصار على التفاني دونه . أو كان يخاف أبوبكر قريشاً وهو في حصن الدين المنيع ودرعه الحصينة ؟ أم كانت لغير ذلك ؟ فاسأل عنه خبيراً . والعجب كلّ العجب انّ رجلاً هذه سيرته في التقيّة عن الناس في عاصمة الإسلام بين فرسان المهاجرين والأنصار كيف صحّ عنه ما جاء عن ابن مسعود وماروي عن مجاهد مرسلاً من قولهم : إنّ أوّل من أظهر الاسلام سبعة : رسول الله ، وأبوبكر. الخ (١)

على أنّ الحالة كانت تقتضي أن يسأل كلّ قادم إلى المدينة يوم ذاك عن شخص رسول الله ﷺ وأوان نزوله بها لا عن الغلام بين أيدي أبي بكر.

والعجب انّ الجهل برسول الله في مزعمة هذا الراوي كان مستمرّاً بين مستقبليه « وكلّهم نفوسهم نزّاعة إلى عرفانه والتبرّك برؤيته » حتى ظلّله أبوبكر بردائه فعرفه الناس عند ذلك .

ومتى كان أبوبكر شيخاً والنبيّ شابّاً وهو ﷺ أكبر منه بسنتين وعدّة أشهر كما يأتي تفصيله إن شاء الله ؟ وابن قتيبة أخذ هذا الحديث بظاهره فقال في المعارف ص٧٥ : هذا الحديث يدلّ على أنّ أبا بكر كان أسنّ من رسول الله ﷺ بمدّة طويلة ، والمعروف عند أهل الأخبار ما حكيناه . اهـ . وحكى قبل هذا انّ رسول الله ﷺ هو أكبر سنّاً من أبي بكر.

نعم : عرف شرّاح البخاري من المتأخّرين موضع الغمز فأوّلوا كون أبي بكر شيخاً بظهور الشيب في لحيته . وكون النبيّ شابّاً بسواد كريمته ، والعارف بأساليب الكلام يعلم انّه تمحّل محض ، وأنّ المفهوم من تلك كما فهمه ابن قتيبة : كون أبي بكر شيخاً ورسول الله شابّاً لا غير ذلك . وإلّا فما معنى قولهم : ما هذا الغلام بين يديك ؟ و : من هذا الغلام بين يديك ؟ ومن المعلوم انّ الغلام لا يطلق على من عمر خمسون سنة تقريباً مهما اسودّ عارضه .

وعلى صحّة هذا التأويل أين المأوّلون من صحيحة ابن عبّاس قال : قال أبوبكر :

---

(١) تاريخ ابن كثير ٣ : ٥٨ ، تاريخ ابن عساكر ٦ ص ٤٤٨ .

يا رسول الله ! قد شبت ؟ قال : شيّبتني هود والواقعة . الحديث . وروى مثله الحفّاظ عن ابن مسعود ، وفي لفظ أبي جحيفة : قالوا : يا رسول الله ! نراك قد شبت ؟ قال : شيّبتني هود وأخواتها (١).

فهذه الصحيحة تعرب عن أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان قد بان فيه الشيب على خلاف الطبيعة ، و أسرع فيه حتّى أصبح مسئولاً عنه و عمّا أثّره فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، فأين منها ذلك التأويل البارد ؟

و ربما يُقال في حلّ مشكلة (يُعرف ولا يُعرف) : إنّ أبابكر كان تاجراً عرفه الناس في المدينة عند اختلافه إلى الشام ، لكنّه على فرض تسليم كونه تاجراً ، وعلى تقدير تسليم سفره إلى الشام و دون إثباته خرط القتاد ، مقابلٌ بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايضاً كان يحاول التجارة يستطرق المدينة إلى الشام ، فلو كانت التجارة بمجرّدها تستدعي معرفة الناس بالتاجر فهو في النبيّ الأعظم أولى لأنّ شرفه المكتسب ، و شهرته بالأمانة ، و عظمته في النفوس ، و تحلّيه بالفضائل ، و بروز عصمته و قداسته عند الناس من أوّل يومه ، وشرفه الطائل في نسبه ؛ أجلب لتوجّه النفوس اليه ، بخلاف التاجر الذي هو خلوٌ من كلّ ذلك .

على أنّ التاجر متى هبط مصراً فعارفوه رجالٌ معدودون ممّن شاركوه في الحرفة ، أوشارفوه في المعاملة ، و هذا التعارف يخصّ باناس تعدّ بالأنامل لا عامّة الناس كما حسبوه . و أنّى هذا من سفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة و أبوبكر يومذاك يرضع من ثدي اُمّه ، خرجت به صلى الله عليه وآله وسلم اُمّ أيمن لمّا بلغ ستّ سنين من عمره إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزور به أخواله ، فنزلت به في دار النابغة رجلٌ من بني عدي بن النجار فأقامت به شهراً . وممّا وقع في تلك السفرة :

قالت اُمّ أيمن : أتاني رجلان من اليهود يوماً نصف النهار بالمدينة فقالا : أخرجي لنا أحمد . فأخرجته ونظرا إليه وقلّباه مليّاً ثمّ قال أحدهما لصاحبه : هذا

(١) أخرجه الحافظ الترمذى فى جامعه ، والحكيم الترمذى فى نوادر الاصول ، وابويعلى ، والطبرانى ، وابن ابى شيبة ، والحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٤٣ وصححه هو واقرّه الذهبى ، والقرطبى فى تفسيره ٧ : ١٠ وابو نصر فى اللمع ص ٢٨٠ ، وابن كثير فى تفسيره ٢ : ٤٣٥ ، والخازن فى تفسيره ٢ : ٣٣٥ .

نبيّ هذه الأمّة، و هذه دار هجرته، و سيكون بهذه البلدة من القتل و السبي أمرٌ عظيمٌ. قالت امّ أيمن: وعيت ذلك كلّه من كلامهما [١] أبعد هذه كلّها، و بعد تلكم الإرهاصات للنبوّة التي ملأت بين الخافقين، و بعد ذلك الصيت الطائل الذي دوّخ الأقطار، و بعد مضيّ خمسون سنة من عمره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله شابٌ لا يُعرف وأبوبكر شيخٌ يُعرف، يُسأل عنه: من هذا الغلام بين يديك؟

ولإيضاح هذه الجمل من الخري أن نسرد كيفيّة هجرته صلى الله عليه وآله وسلم حتى تزيد بصيرة القارىء على موقع الإفك من هذه المجهلة المأثورة في الصحاح و المسانيد الصادرة عن الغلوّ في الفضائل عمياً وصمّاً. فأقول:

(الانصار في البعثتين)

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل في المواسم إذا كان يدعوهم إلى الله ويخبرهم انّه نبيٌّ مرسلٌ فعرض نفسه على كندة. و على بني عبدالله بطن من كلب. وعلى بني حنيفة. وعلى بني عامر بن صعصعة. و على قوم من بني عبد الأشهل. فلمّا أراد الله عزّ وجلّ إظهار دينه؛ وإعزاز نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم و إنجاز موعده له خرج صلى الله عليه وآله وسلم في الموسم الذى لقي فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كلّ موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً و فيهم: أسعد بن زرارة أبو امامة النجاري. وعوف بن الحرث بن عفراء. ورافع بن مالك. وقطبة بن عامر بن حديدة. وعقبة بن عامر بن نابي. وجابر بن عبد الله.

فكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، و تلا عليهم القرآن فأجابوه فيما دعا إليهم ثمّ انصرفوا عنه صلى الله عليه وآله وسلم راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدّقوا.

فلمّا قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعوهم إلى الإسلام حتّى فشا فيهم، فلم تبق دارٌ من دور الأنصار إلّا و فيها ذكرٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار إثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة الأولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله على بيعة النساء و ذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب. وهم:

(١) دلائل النبوة لابى نعيم ١ : ٥٠ ؛ صفة الصفوة لابن الجوزى ١ : ٢٠؛ تاريخ ابن كثير ٢ : ٢٧٩ ؛ بهجة المحافل ١ : ٤٤.

أبو امامة أسعد بن زرارة . و عوف بن عفراء . و معاذ بن عفراء . و رافع بن مالك . و ذكوان بن عبد قيس . وعبادة بن الصامت . و يزيد بن ثعلبة . والعبّاس بن عبادة . و عقبة بن عامر . و قطبة بن عامر . وابو الهيثم بن التيهان . وعويم بن ساعدة .

قال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى : على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف .

فلمّا إنصرف القوم عنه ﷺ بعث رسول الله معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرأهم القرآن ، ويعلّمهم الاسلام ، ويفقّههم في الدين ، ويقيم فيهم الجمعة والجماعة ، وكان مصعب يسمّى بالمدينة : المقرئ ، وكان منزله على أسعد بن زرارة أبي أمامة النجاري . وكان يصلّي بهم الجمعة والجماعة فأقام عنده يدعوان الناس الإسلام حتّى لم تبق دارٌ من دور الأنصار إلّا وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمون .

ثمّ إنّ مصعب بن عمير رجع إلى مكّة ، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجّاج قومهم من أهل الشرك حتّى قدموا مكّة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيّام التشريق . قال كعب: فلمّا فرغنا من الحجّ وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيّد ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا ، ثمّ دعوناه إلى الاسلام فأسلم و شهد معنا العقبة ، و كان نقيباً ، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتّى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ حتّى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، و معنا امرأتان من نسائنا : نسيبة بنت كعب امّ عمارة . و أسماء بنت عمرو أمّ منيع .

قال: فتكلّم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثمّ قال : أبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . فأخذ البراء بن معرور بيده ثمّ قال : نعم والّذي بعثك بالحقّ لنمنعنّك ممّا نمنع منه أزرنا[1] فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كابراً عن كابر فقال رسول الله ﷺ : أخرجوا إليّ

(١) ازرنا : يعنى نساءنا ، والمرأة يكنى عنها بالازار .

منكم إثنى عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم إثنى عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وهم :

١- أبو أمامة أسعد بن زرارة الخزرجي .

٢- سعد بن الربيع بن عمرو الخزرجي .

٣- عبدالله بن رواحة بن امرؤ القيس الخزرجي .

٤- رافع بن مالك بن العجلان الخزرجي .

٥ - البراء بن معرور بن صخر الخزرجي .

٦- عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي .

٧- عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي .

٨- سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي .

٩- المنذر بن عمرو بن خنيس الخزرجي .

١٠- أسيد بن حضير بن سماك الأوسي .

١١- سعد بن خيثمة بن الحرث الأوسي .

١٢ - رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر الأوسي . و قد يعدُّ بمكانه أبو الهيثم ابن التيهان .

فقال رسول الله ﷺ للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم وأنا كفيلٌ على قومي : يعني المسلمين . قالوا : نعم .

قال العبّاس بن عبادة بن نضلة الأنصاري : يا معشر الخزرج ! هل تدرون علامَ تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : إنّكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فان كنتم ترونّ انّكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتل اسلمتموه؟ فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا: فانّا نأخذ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله ! إن نحن وفينا ؟ قال : الجنّة . قالوا : ابسط يدك فبسط يده فبايعوه .

فقال له العبّاس بن عبادة : والله الذي بعثك بالحقّ إن شئت لنميلنّ على أهل

ِمنى غداً بأسيافنا ؛ قال : فقال رسول الله ﷺ : لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم . فرجعوا إلى مضاجعهم . فلمّا قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك . و كان أهل بيعة العقبة الآخرة ثلاثة و سبعين رجلاً و امرأتين و هم :

أسيد بن حضير النقيب	أبو الهيثم بن التيهان النقيب	سلمة بن سلامة الأشهلي
ظهير بن رافع الخزرجي	أبو بردة بن نيار بن عمرو	نهير بن الهيثم الحارثي
سعد بن خيثمة النقيب	رفاعة بن عبد المنذر النقيب	عبدالله بن جبير بن النعمان
معن بن عدي بن الجلد	عويم بن ساعدة الأوسي	أبو أيوب خالد الأنصاري
معاذ بن الحارث الانصاري	أسعد بن زرارة النقيب	سهيل بن عتيك النجاري
أوس بن ثابت الخزرجي	أبو طلحة زيد بن سهل	قيس بن أبي صعصعة النجاري
عمرو بن غزية الخزرجي	سعد بن الربيع النقيب	خارجة بن زيد الخزرجي
عبدالله بن رواحة النقيب	بشير بن سعد الخزرجي	خلّاد بن سويد الخزرجي
عقبة بن عمرو الخزرجي	زياد بن لبيد الخزرجي	فروة بن عمرو الخزرجي
خالد بن قيس الخزرجي	رافع بن مالك النقيب	ذكوان بن عبد قيس الخزرجي
عبادة بن قيس الخزرجي	الحارث بن قيس الخزرجي	البراء بن معرور النقيب
بشر بن البراء الخزرجي	سنان بن صيفي الخزرجي	الطفيل بن النعمان الخزرجي
معقل بن المنذر الخزرجي	يزيد بن المنذر الخزرجي	مسعود بن يزيد الخزرجي
الضحاك بن حارثة الخزرجي	يزيد بن خزام الخزرجي	جبار بن صخر الخزرجي
الطفيل بن مالك الخزرجي	كعب بن مالك الخزرجي	سليم بن عمرو الخزرجي
قطبة بن عامر الخزرجي	يزيد بن عامر الخزرجي	كعب بن عمرو الخزرجي
صيفي بن سواد الخزرجي	ثعلبة بن غنمة السلمي	عمرو بن غنمة السلمي
عبدالله بن أنيس السلمي	خالد بن عمرو السلمي	عبدالله بن عمر النقيب
جابر بن عبدالله السلمي	ثابت بن ثعلبة السلمي	عمير بن الحارث السلمي
خديج بن سلامة بن الفرافر	معاذ بن جبل الخزرجي	أوس بن عباد الخزرجي
عبادة بن الصامت النقيب	غنم بن عوف الخزرجي	العبّاس بن عبادة الخزرجي

أبوعبدالرحمن بن الخزرجي عمرو بن الحرث الخزرجي رفاعة بن عمرو الخزرجي
عقبة بن وهب الجشمي سعد بن عبادة النقيب المنذر بن عمرو النقيب
عوف بن الحارث الأنصاري معوذ بن الحارث الانصاري عمارة بن حزم الأنصاري
عبدالله بن زيد مناة الخزرجي .

نبأ الهجرة

فلمّا عتت قريش على الله عزّ وجلّ ، وردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذّبوا نبيّه ﷺ ، و عذّبوا و نفوا مَن عَبده ووحّده وصدّق نبيّه واعتصم بدينه أذن الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ في القتال فنزل قوله تعالى : اُذن الذين يُقاتلون بأنّهم ظلموا الآية . ثمّ أنزل الله تعالى : وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .

فلمّا أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب وتابعه هذا الحيّ من الأنصار على الاسلام و النصرة له ولمن إتّبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين مِن قومه ومَن معه بمكّة مِن المسلمين بالخروج إلى المدينة و الهجرة إليها ، واللحوق باخوانهم من الأنصار ، وقال : إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخواناً و داراً تأمنون بها . فخرجوا أرسالاً وأقام رسول الله ﷺ بمكّة ينتظر أن يأذن له ربّه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فهاجر بنو جحش فغلّقت دورهم هجرة تخفق أبوابها يَبابا ، ليس فيها ساكنٌ خلاءٌ من أهلها . وكان بنو غنم بن دودان أهل اسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة نساءهم و رجالهم ، ثمّ تتابع المهاجرون وفيهم .

أبوسلمة بن عبدالأسد عامر بن ربيعة الكعبي عبدالله بن جحش عبد بن جحش أبوأحمد
عكاشة بن محصن شجاع بن وهب عقبة بن وهب عربد بن حمير
منقذ بن نباته سعيد بن رُقيش محرز بن نضلة يزيد بن رُقيش
قيس بن خابر عمرو بن محصن مالك بن عمرو صفوان بن عمرو
ثقف بن عمرو ربيعة بن أكثم الزبير بن عبيدة تمام بن عبيدة
سخبرة بن عبيدة محمد بن عبدالله بن جحش عمر بن الخطاب عياش بن أبي ربيعة
زيد بن الخطاب عمرو بن سراقة عبدالله بن سراقه خنيس بن حذافة
إياس بن البكير عاقل بن البكير عامر بن البكير خالد بن البكير

طلحة بن عبيد الله حمزة بن عبد المطلب صهيب بن سنان زيد بن حارثة
كنّار بن حصين عبيدة بن الحارث الطفيل بن الحارث الحصين بن الحرث
مسطح بن أثاثة سويبط بن سعد طليب بن عمير خبّاب مولى عتبة
عبد الرحمن بن عوف الزبير بن عوام أبو سبرة بن أبي رهم مصعب بن عمير
أبو حذيفة بن عتبة سالم مولى أبي حذيفة عتبة بن غزوان عثمان بن عفان
أنسة مولى رسول الله أبو كبشة مولى رسول الله .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكّة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة . ولم يتخلّف معه بمكّة أحدٌ من المهاجرين إلاّ من حُبس أو فتن ، إلاّ عليُّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما حتّى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله صلى الله عليه وآله في الهجرة والخروج من مكّة من بين ظهري قومه ، وما كان يعلم بخروجه صلى الله عليه وآله أحدٌ حين خرج إلاّ عليٌّ بن أبي طالب وأبو بكر الصدّيق وآل أبي بكر ، أما عليٌّ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بخروجه وأمره أن يتخلّف بعدُ مكّة ، حتى يؤدّي عن رسول الله صلى الله عليه وآله الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ليس بمكّة أحدٌ عنده شيءٌ يخشى عليه إلّا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وآله .

فلمّا أجمع رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج فخرج ومعه أبو بكر ثمّ عمدا إلى غار بثور جبل بأسفل مكّة فدخلاه فأقام فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثاً ومعه صاحبه .

ثمّ خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكّة ثمّ مضى بهما على الساحل أسفل من عُسفان(١) ثمّ سلك بهما على أسفل أمج(٢) ثمّ استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قُديداً(٣) ثمّ أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرّار(٤) ثمّ سلك بهما ثنيّة(٥) المرة ، ثمّ سلك بهما القفا(٦) ، ثمّ استبطن بهما مدلجة

(١) بضم الاول ثم السكون : محل من مكة على مرحلتين .
(٢) بفتح الهمزة والميم : بلد من اعراض المدينه .
(٣) بضم الاول وفتح الدال : موضع فيه ماء بين مكة والمدينه . بها منازل خزاعه
(٤) بفتح المعجمة وتشديد الراء : موضع قرب الجحفة .
(٥) ثنية المرة مخفف الراء .
(٦و) يقال : لقف بالتحريك . وبفتح اللام وسكون الفاء . وبكسر اللام وسكون الفاء

مجاج[١] ثمَّ سلك بهما مَرجح مجاج ثمَّ تبطّن بهما مرجح[٢] من ذي العضوين ـ الغضوين ـ ثمَّ بطن ذي كشر[٣] ثمَّ أخذ بهما على الجداجد[٤] ثمَّ على الأجرد[٥] ثمَّ سلك بهما ذا سلم من بطن أعدا مَدلجة تعهن[٦] ثمَّ على العبابيد[٧] ثمَّ أجاز بهما الفاجة[٨] ثمَّ هبط بهما العرْج[٩] فحمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلٌ من أسلم يقال له: أوس بن حجر على جمل له يقال له: ابن الرداء. إلى المدينة وبعث معه غلاماً له مسعود بن هُنيدة، ثمَّ خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنيّة العائر[١٠] عن يمين ركوبه[١١] حتّى هبط بهما بطن رئم[١٢] ثمَّ قدم بهما قباء[١٣] على بني عمرو بن عوف حين اشتدَّ الضحاء وكادت الشمس تعتدل.

ولمّا دنوا من قباء بعثوا رجلاً من أهل البادية إلى أبي أمامة وأصحابه من الأنصار فثار المسلمون إلى السلاح واستقبله زهاء خمسمائة من الأنصار فوافوه وهو مع أبي بكر في ظلِّ نخلة، ثمَّ قالوا لهما: اركبا آمنين مطاعين. فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقباء في دار بني عمرو بن عوف فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسّس مسجده وقد يقال كما في سنن أبي داود ١

---

(١) بفتح الميم وكسره بجيمين وصححه بعض بفتح الميم ثم المعجمة وآخره مهملة.

(٢) بفتح الميم وسكون الراء بعدها معجمة مكسورة وآخره مهملة.

(٣) بفتح الكاف وسكون الشين وآخره مهملة.

(٤) بالمعجمتين والمهملتين بينهما ألف. من الآبار القديمة.

(٥) اسم جبل هناك.

(٦) تعهن بكسر اوله وهائه وتسكين العين وآخره نون: اسم عين ماء سمى به على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة، ويقال في ضبطه غيرهذا.

(٧) ويقال: العبابيب، ويقال: العثيانة.

(٨) ويقال: الفاحة بالمهملة. والقاحة. مدينة على ثلاثة مراحل من المدينة.

(٩) بفتح العين وسكون الراء: عقبة بين مكة والمدينة.

(١٠) قال محمد يحيى الدين المصري في حاشية سيرة ابن هشام ٢ : ١٠٨ : لم يذكر ياقوت العائر لا بالعين المهملة ولا بالغين المعجمة. أقول: ذكره في العين المهملة ٦ ص ١٠٣ وقال: جبل بالمدينة. وفي حديث الهجرة: ثنية العائر عن يمين ركوبه. ويقال: ثنية الغائر بالغين المعجمة. اه ملخصاً

(١١) بفتح الراء: ثنية صعبة عند العرج.

(١٢) بكسر الراء المهملة موضع على أربعة برد من المدينة. وقيل: ثلاثة برد.

(١٣) بضم اوله: قرية على ميلين من المدينة.

ص ٧٤ : إنّه أقام في قباء أربعة عشر ليلاً ، و حكى موسى بن عقبة إثنين و عشرين ليلة . وقال البخاري : بضع عشرة ليلة ، وبقباء كانت منازل الأوس والخزرج .

ثمّ أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلّاها في المسجد الذي في بطن الوادي وادي رانوناء ، فكانت أوّل جمعة صلّاها بالمدينة .

قال عبدالرحمن بن عويم : حدّثني رجالٌ من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : لمّا سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكّة و توكّفنا [1] قُدومه كنّا نخرج إذا صلّينا الصبح إلى ظاهر حرّتنا ننتظر رسول الله ﷺ ، فوالله مانبرح حتّى تغلبنا الشمس على الظلال ، فاذا لم نجد ظلاً دخلنا ، و ذلك في أيّام حارّة .

فلمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة وصلّى الجمعة أتاه عتبان بن مالك و عبّاس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ! أقم عندنا في العدد والعُدّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فانها مأمورةٌ ـ يعني ناقته ـ فخلّوا سبيلها فانطلقت ، حتّى إذا وازنت دار بني بياضة تلقّاه زياد بن لبيد و فروة ابن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا : يا رسول الله ! هلمّ إلينا إلى العَدَد والعُدّة و المنعة . قال : خلّوا سبيلها فانّها مأمورةٌ . فخلّوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا مرّت بدار بني ساعدة إعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا : يا رسول الله هلمّ الينا إلى العَدَد والعُدّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فانّها مأمورةٌ . فخلّوا سبيلها فانطلقت حتّى إذا وازنت دار بني الحرث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع و خارجة بن زيد وعبدالله بن رواحة في رجال من بني الحرث بن الخزرج فقالوا : يارسول الله هلمّ إلينا إلى العَدَد والعُدّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فانّها مأمورةٌ . فخلّوا سبيلها فانطلقت ، حتى إذا مرّت بدار بني عدي بن النجار اعترضها سليط بن قيس ، وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة في رجال من بني عديّ فقالوا : يا رسول الله ! هلمّ إلى أخوالك الى العَدَد و العُدّة و المنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنّها مأمورةٌ . فخلّوا سبيلها فانطلقت حتّى إذا أتت دار بني مالك بن النجار

(١) استشعرناه وانتظرناه .

بركت على باب مسجده صلى الله عليه وآله و هو يومئذ مربد[1] لغلامين يتيمين من بني النجار : سهل وسهيل ابني عمرو ، فلمّا بركت ورسول الله صلى الله عليه وآله عليها لم ينزل و ثبت فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وآله واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثمّ التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أوّل مرّة فبركت فيه ثمّ تحلحلت[2] ورزمت[3] ووضعت جرانها[4] فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فاحتمل أبو أيّوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته و نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسأل عن المربد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله ! لسهل و سهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي، وسأرضيهما منه فاتّخذه مسجداً .

راجع سيرة ابن هشام ٢ ص ٣١ ـ ١١٤ ، تاريخ الطبري ٢ : ٢٣٣ ـ ٢٤٩، طبقات ابن سعد ١ ص ٢٠١ ـ ٢٢٤ ، عيون الأثر ١ : ١٥٢ ـ ١٥٩ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ٣٨ ، ٤٤ ، تاريخ ابن كثير ٣ : ١٣٨ ـ ٢٠٥ ، تاريخ ابي الفداء ١ : ١٢١ ـ ١٢٤ ، الامتاع للمقريزي ص ٣٠ ـ ٤٧ ، السيرة الحلبية ٢ : ٣ ـ ٦١ .

-١١-

أبوبكر أسنّ من النبيّ

عن يزيد[5] بن الأصم إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لأبي بكر: أنا أكبر أو أنت ؟ قال : لا بل أنت أكبر منّي وأكرم وخيرٌ منّي ، وأنا أسنّ منك .

أخرجه ابن الضحاك ، وذكره أبو عمر في الاستيعاب ٢ : ٢٢٦ ، و المحبّ الطبري في الرياض النضرة ١ ص ١٢٧ ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٧٢ نقلاً عن خليفة بن خيّاط ، وأحمد بن حنبل، وابن عساكر.

قال الأميني : أوَ لا تعجب من اُكذوبة تُعدّ اُكرومة ؟ متى تصحّ رواية يزيد بن الأصم عن النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يدركه ، فانّ الرجل توفّي سنة ١٠١/٣/٤ وهو ابن ثلاث و

(١) بكسر الميم وفتح الباء بينهما مهملة ساكنة أصله الموضع الذي يجفف فيه التمر .

(٢) تحلحلت : تحركت . وقد يقال : تلحلحت . أي لزمت مكانها .

(٣) وعند ابن الاثير: أرزمت . اي رغبت ورجعت في رغائها.

(٤) الجران ،ككتاب : قال السهيلي : أي عنقها . وقال غيره : الجران . ما يصيب الارض من صدرها و باطن حلقها .

(٥) في الرياض : زيد . والصحيح : يزيد .

سبعين سنة فولادته بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بدهر.

ثمّ متى كان أبو بكر أسنّ من النبيّ وقد وُلد صلى الله عليه وآله وسلم في عام الفيل، ووُلد أبو بكر بعد عام الفيل بثلاث سنين. و قال سعيد بن المسيب: استكمل أبو بكر بخلافته سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فتوفّي و هو بسنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابن ثلاث وستين سنة. راجع:

المعارف لابن قتيبة ص ٧٥ فقال: إتّفقوا على أنّ عمره ثلاث و ستون سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله أسنّ من أبي بكر بمقدار سني خلافته. اهـ. صحيح الترمذي ٢: ٢٨٨ وفيه: انّه صلى الله عليه وآله توفّي وهو ابن خمس وستين سنة، سيرة ابن هشام ١ ص ٢٠٥، تاريخ الطبري ٢: ١٢٥ وج ٤: ٤٧، الاستيعاب م ١: ٣٣٥ وقال: لا يختلفون انّ سنّه انتهت إلى حين وفاته ثلاثاً وستّين سنة إلّا مالا يصحّ وانّه استوفى بخلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال في الجزء الثاني ص ٦٢٦ بعد ذكر حديث يزيد الأصم: هذا الخبر لا يعرف إلّا بهذا الاسناد، و أحسبه وهماً لأنّ جمهور أهل العلم بالأخبار والسير و الآثار يقولون: انّ أبابكر استوفى بمدّة خلافته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة] الكامل ١: ١٨٥ و ج ٢: ١٧٦. اُسد الغابة ٣: ٢٢٣، مرآة الجنان ١: ٦٥، ٦٩، مجمع الزوائد ٩: ٦٠، عيون الأثر ١: ٤٣، الاصابة ٢: ٣٤١، ٣٤٤، ألسيرة الحلبيّة ٣: ٣٩٦.

نعم: هذه المسائلة وقعت بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين سعيد بن يربوع المخزومي كما رواها البغوي وابن مندة(١) وابن يربوع توفيّ سنة ٥٤ وله ١٢٠ سنة. وقيل: وزيادة أربع. ولمّا كانت شيبة أبي بكر و كبر سنّه هي الحجّة الوحيدة على مخالفيه يوم السقيفة فأيّدها المغالون في فضائله بأمثال هذه المخاريق المفتعلة، وتحريف التاريخ عن مواضعه. والله يعلم أنّهم لكاذبون.

- ١٢ -
إسلام أبي بكر قبل ولادة عليّ

عن شبابة عن فرات بن السائب قال: قلت لميمون بن مهران: أبو بكر الصدّيق أوّل ايماناً بالنبيّ صلى الله عليه وآله أم عليّ بن أبي طالب؟ قال: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وآله

(١) الاصابة ٢: ٥١٠.

زمن بحيرا الراهب ، واختلف فيما بينه و بين خديجة حتّى أنكحها إيّاه ، و ذلك كلّه قبل أن يولد عليٌّ بن أبي طالب .

وعن ربيعة بن كعب[1] قال : كان إسلام أبي بكر شبيهاً بالوحي من السماء وذلك أنّه كان تاجراً بالشام فرأى رؤيا فقصّها على بحيرا الراهب فقال له : من أين أنت ؟ فقال : من مكة . فقال : من أيّها ؟ قال : من قريش . قال : فأيّ شيء أنت ؟ قال : تاجر. قال : إن صدّق الله رؤياك فانّه يبعث نبيٌّ من قومك تكون وزيره في حياته و خليفته من بعد وفاته . فأسرّ ذلك أبو بكر في نفسه حتّى بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم فجاءه فقال : يا محمّد ما الدليل على ما تدّعي؟ قال : الرؤيا التي رأيت بالشام فعانقه وقبّل بين عينيه و قال : أشهد أن لا إلٰه إلّا الله ، وأشهد أنّك رسول الله .

وقال الامام النووي : كان أبو بكر أسبق الناس إسلاماً ، أسلم وهو ابن عشرين سنة. وقيل : خمس عشر سنة .

راجع الرياض النضرة ١: ٥١ ، ٥٤ ، اُسد الغابة ١ : ١٦٨ ، تاريخ ابن كثير ٩: ٣١٩ ، الصواعق المحرقة ص ٤٥ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٤ ، الخصايص الكبرى ١ : ٢٩ ، نزهة المجالس ٢ : ١٨٢ .

قال الأميني : هلمّ معي ننظر إلى هذه المراسيل هل توجد فيها مسحةٌ من الصدق؟ أمّا رواية ابن مهران سنداً :

١ ـ فشبابة بن سوار[2] أبو عمرو المدائني قال أحمد : تركته لم أكتب عنه للأرجاء و كان داعية ، وقال ابن خراش : كان أحمد لا يرضاه وهو صدوقٌ في الحديث. وقال الساجي وابن عبدالله وابن سعد والعجلي وابن عدي : انّه كان يقول بالأرجاء .

وقبل هذه كلّها يظهر ممّا رواه أبو علي المدائني : انّه كان يبغض أهل بيت النبيّ صلوات الله عليهم . وضربه الله بالفالج لدعاء مَن دعا عليه بقوله : أللهمّ إن كان شبابة يبغض أهل نبيّك فاضربه الساعة بالفالج . ففلج في يومه ومات . ميزان الاعتدال ١ : ٤٤٠ ، تهذيب التهذيب ٤ : ٣٠٢ .

---

(١) في الخصايص الكبرى عن كعب . وهو الصحيح .
(٢) في ميزان الاعتدال : سواد .

٢ ـ فرات بن السائب الجزري. قال البخاري: منكر الحديث و قال يحيى ابن معين: ليس بشيء، منكر الحديث. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال أحمد بن حنبل: قريب من محمد بن زياد الطحان في ميمون يتهم بما يتهم به ذاك. ومحمد بن زياد هو اليشكري أحد الكذابين الوضاعين كما مر في ج٥: ٢٥٨ ط٢، ففرات عند إمام الحنابلة كذاب وضاع. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث. و قال الساجي: تركوه. وقال النسائي: متروك الحديث. و قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال ابن عدي: له أحاديث غير محفوظة وعن ميمون مناكير.

[ميزان الاعتدال ٢ : ٣٢٥، لسان الميزان ٤ : ٤٣٠]

٣ـ ميمون بن مهران حسبه مامر في رواية فرات عنه، أضف إلى ذلك قول العجلي: انه كان يحمل على علي. كما في تهذيب ابن حجر ١٠ : ٣٩١. هب انه وثقه من وثقه، فماقيمته وقيمة حديثه بعد تحامله على علي أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

ثم قد أتى ميمون في حديثه بأمرين: إسلام أبي بكر زمن بحيرا. وإختلافه في زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خديجة. أما اختلافه بينه صلى الله عليه وآله وسلم و بين خديجة فلم ينبأ عنه قط خبر. و ليس من الجايز أن يكون الوسيط في قران رجل عظيم كمحمد و امرأة من بيت مجد وسؤدد و رياسة كخديجة، شاب حدث ابن اثنتين و عشرين سنة و للزوج أعمام أشراف أعاظم كالعباس و حمزة و أبي طالب و هو بينهم و في بيتهم، وكان عمه أبو طالب كما يأتي يحبه حباً شديداً لا يحب أولاده مثله، و كان لاينام إلا إلى جنبه، ويخرجه معه حين يخرج [1] وكان هو الذي كلم خديجة حتى وكلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتجارتها، كما في الامتاع للمقريزي ص ٨.

و الذي جاء في السير والتاريخ في أمر هذا القران ان خديجة بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورغبت في زواجه لقرابته و أمانته و حسن خلقه و صدق حديثه، و عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وآله وسلم، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأعمامه فخرج معه عمه حمزة و في لفظ ابن الأثير: خرج معه حمزة و أبو طالب وغيرهما من عمومته. حتى دخل على خويلد بن أسد، أو على عمرو بن أسد عم خديجة فخطبها اليه فتزوجها عليه و آله الصلاة

(١) يأتي تفصيل ذلك في الكلام عن أبي طالب عليه السلام.

والسلام وخطب أبو طالب عليه السلام خطبة النكاح، فقال :

ألحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، و زرع إسماعيل، و ضئضىء معد، و عنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجا، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن برجل إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، فان كان في المال قل؛ فان المال ظل زايل، و أمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، و بذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، و خطر جليل. فزوجها.

راجع طبقات ابن سعد ١ : ١١٣، تاريخ الطبرى ٢ : ١٢٧، أعلام الماوردي ص ١١٤، الصفوة لابن الجوزي ١ : ٢٥ الكامل لابن الأثير ٢ : ١٥، تاريخ ابن كثير ٢ : ٢٩٤، تاريخ الخميس ١ : ٢٩٩، عيون الأثر ١ : ٤٩، اسد الغابة ٥ : ٤٣٥، الروض الانف ١ : ١٢٢، تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٧٢ المواهب اللدنية ١ : ٥٠، السيرة الحلبية ١ : ١٤٩، ١٥٠، شرح المواهب للزرقاني ١ : ٢٠٠، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية ١ : ١١٤.

فأين مزعمة ابن مهران من هذا التاريخ الصحيح المتواتر ؟

و أما إسلام أبي بكر قبل ولادة علي أمير المؤمنين زمن « بحيرا » الراهب فانه مأخوذ مما أخرجه ابن مندة[1] من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن ابن عباس : إن أبابكر الصديق صحب النبي و هو ابن ثمان عشرة سنة والنبي ابن عشرين وهم يريدون الشام في تجارة حتى إذا نزل منزلاً فيه سدرة قعد في ظلها و مضى أبوبكر إلى راهب يقال له : بحيرا يسأله عن شيء. الخ.

هذه الرواية ضعفها غير واحد من الحفاظ. قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ : ٢٤٣ : عبد الغني ضعفه ابن يونس. وأقر ضعفه ابن حجر في لسانه ٤ : ٤٥، وقال في الاصابة ١ : ١٧٧ : أحد الضعفاء المتروكين.

و ذكره السيوطي في الخصايص الكبرى ١ : ٨٦ فقال : سند ضعيف و ضعفه

(١) إبو عبدالله محمد بن اسحاق الاصبهانى الحافظ الرحال المتوفى ٣٥٥.

القسطلاني في المواهب ١ : ٥٠ ، والحلبي في السيرالنبويّة ١ : ١٣٠ .

و أفظع من هذا رواية أخرجها الحفّاظ من طريق أبي نوح قراد عن يونس ابن أبى اسحاق عن أبيه عن أبي بكربن أبي موسى الأشعري عن أبي موسى قال :خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في اشياخ من قريش فلمّا أشرفوا على الراهب - يعني بحيرا - هبطوا فحلّوا رحالهم فخرج إليهم الراهب و كانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يخرج ولايلتفت اليهم قال : فنزل وهم يحلّون رحالهم ، فجعل يتخلّلهم حتى جاء فأخذ بيد النبيّ ﷺ فقال : هذا سيّد العالمين ، هذا رسول ربّ العالمين ، هذايبعثه الله رحمةً للعالمين ، إلى أن قال .

فبايعوه و أقاموا معه عنده ، فقال الراهب : انشدكم الله أيّكم وليّه ؟ قالوا : أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى ردّه ، و بعثمعهأبو بكر بلالاً ، وزوّده الراهب من الكعك والزيت .

أخرجه الترمذي في صحيحه ٢ : ٢٨٤ فقال : حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلّا منهذا الوجه ، والحاكم في المستدرك ٢ : ٦١٦ ، و ابونعيمفي الدلائل ١ : ٥٣ ، والبيهقي في الدلائل ، والطبري في تاريخه ٢ : ١٩٥ ، وابن عساكر فيتاريخه ١ : ٢٦٧ ، وابن كثير في تاريخه٢ : ٢٨٤ ، نقلاً عن الحافظ أبي بكر الخرائطي والحفّاظ المذكورين ، وابن سيّد الناس فيعيون الأثر ١ : ٤٢ ، والقسطلاني فيالمواهب ١ : ٤٩ .

٥(رجال الرواية)٥

١ - أبو نوح قراد عبدالرحمن بن غزوان . قالعبّاس الدوري : ليس فيالدنيا أحدٌ يحدّث بهذا الحديث غير قراد أبي نوح وقد سمعه منه أحمد و يحيى لغرابتهو انفراده . « تاريخ ابن كثير ٢ : ٢٨٥ » .

و قال الذهبي في الميزان٢ : ١١٣ : كانيحفظ ، قولهمناكير، و أنكرمالهحديث عن يونس « وذكر شطراً من الحديث » فقال : وممّا يدلّ على انّهباطلٌ قوله : وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وبلال لم يكن خُلق ، وأبو بكر كان صبيّاً .

وقال فيتلخيص المستدرك تعليقاً على تصحيحه :قلت : أظنّه موضوعاً فبعضهباطلٌ

و قال ابن حجر في التهذيب ٦ : ٢٤٨ : ذكره ابن حبّان في الثقات وقال :كان

يخطىء يتخالج في القلب منه لروايته عن الليث قصة المماليك . وقال أحمد : هذا «يعني حديث المماليك » باطل مما وضع الناس . وقال الداقطني : قال أبو بكر : أخطأ فيه قراد .

٢ - يونس بن أبي اسحاق . ضعف أحمد حديثه عن أبيه ، وقال : حديثه عن أبيه مضطرب . و قال أبو حاتم : كان صدوقاً إلا أنه لا يحتج بحديثه . و قال : أبو أحمد الحاكم ربما وهم في روايته . « تهذيب التهذيب ١١ : ٤٣٤ »

٣ - أبو اسحاق السبيعي . قال ابن حبان : مدلس ، وذكره الكرابيسي في المدلسين ، و قال معن : أفسد حديث أهل الكوفة الأعمش و أبو اسحاق للتدليس «تهذيب التهذيب ٨ : ٦٦ » و قال أبو حاتم : صدوق لا يحتج به . و قال ابن خراش : في حديثه لين . و قال ابن حزم في المحلى : ضعفه يحيى و أحمد جداً ، و قال احمد : حديثه مضطرب « ميزان الاعتدال ٣ : ٣٣٩ » .

٤ - أبو بكر بن أبي موسى توفي سنة ١٠٦ ، ضعفه ابن سعد ، وقال أحمد : لم يسمع من أبيه . تهذيب التهذيب ١٢ ص ٤١ »

٥ - أبو موسى الأشعري المتوفى سنة ٤٢/٥٠-٥١-٥٣ وهو ابن ٦٣ سنة بلا خلاف أجده وقد وقعت الواقعة بعد عام الفيل بتسع سنين أو اثني عشر عاماً قبل ولادة أبي موسى الأشعري ١٧- ٢٢-٢٣- ٢٥ عاماً ، فان كان أبو موسى هو الشاهد للقصة قبل مولده فحبذا ؛ و إن كان يرويها عمن شاهدها فمن هو ؟ حتى ننظر في حاله .

هذا شأن الرواية سنداً ، أهذه كلها تخفى على مثل الترمذي و من بعده من الحفاظ فيحكمون فيها بالحسن ؟ أو بالصحة كما فعله ابن حجر والحلبي ؟ أنا لا أدري . نعم : الحب يعمي أو يصم .

و أما متن الرواية فهو يكفي في تكذيبها إذ سفر أبي طالب عليه السلام إلى الشام و أخذه معه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان وقد مضى من عمره صلى الله عليه وآله وسلم تسع سنين على ما قاله أبو جعفر الطبري و السهيلي و غيرهما ، أو اثنى عشر عاماً على ما قاله آخرون (١) وكان

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٠٢ ، تاريخ الطبرى ٢ : ١٩٥ ، تاريخ ابن عساكر ١ : ٢ ، ٢٦٩ ، تاريخ ابن كثير ٢ : ٢٨٥ ، الروض الانف ١ : ١١٨ ، امتاع المقريزى ص ٨ ، عيون الاثر ١ : ٤٣ ، شرح المواهب للزرقانى ١ : ١٩٦ .

أبوبكر يوم ذاك إبن ستّ أو تسع سنين : فأين كان هو ؟ وماذا كان يصنع بالشام ؟ وأيّ اختيار كان له بين شيوخ قريش؟ ولم تكن تنعقد نطفة بلال يوم ذاك أخذاً بقول من قال: انّه توفّي سنة ٢٥ وله بضع وستون سنة [1] أو انّه ولد في تلكم السنين أخذاً بقول إبن الجوزي في الصفوة ١ ص ١٧٤ من أنّه مات سنة عشرين و هو ابن بضع و ستين سنة . كأنّ أبو بكر وُلد و هو شيخ و بلال عتيقه ، وكان معه من أوّل يومه ، وكان من يوم ولد له الحلّ والعقد .

ثمّ أيّ بيعة كانت يوم ذاك ؟ وما معنى قول أبي موسى الأشعري : فبايعوه و أقاموا معه عنده ؟ و أيّ ايمان و اسلام على زعم رواة هذه الأفيكة ، وكان قبل البعثة باحدى و ثلاثين سنة ، أو ثمانية و عشرين عاماً ، أو إثنين و عشرين ، أوسبعة عشرة سنة على زعم النووي ؟ و لم تكن للنبيّ ﷺ يومئذ دعوة ، و لا كلّف أحداً بالايمان به ، فلا يُقال لمن عرف شيئاً من إرهاصات النبوّة انّه أسلم يوم عرف وإلّا لكان «بحيرا» الراهب و «نسطور» وأمثالهما من الرهبان والكهنة أقدم إسلاماً من أبي بكر ، وكم هنالك اُناس عرفوا أمر الرسالة قبلها و بشّروا بها ثمّ بعد البعثة عاندوا و حسدوا ، فمنهم من مات مشركاً ، ومنهم من أدركته الهداية بعد حين كما يأتي في كعب الأحبار بُعيد هذا . و كيف أثبت ذلك اليوم ايماناً لأبي بكر و صار بذلك أقدم النّاس إسلاماً و لم يُثبت لأبي طالب لا ذاك و لا غيره ؟ وأبو موسى لم يستثن أبا طالب من اولئك الذين بايعوا يوم ذاك نظراء أبي بكر و بلال الخياليِّ .

قال الحافظ الدمياطي : في هذا الحديث وهمان : الأوّل : قوله : فبايعوه وأقاموا معه . والثاني : قوله : وبعث معه أبوبكر بلالاً . ولم يكونا معه ، ولم يكن بلال أسلم و لا ملكه أبو بكر ، بل كان أبو بكر حينئذ لم يبلغ عشر سنين ، ولم يملك أبو بكر بلالاً إلّا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين سنة و كذا ضعّفه الذهبي [2] .

و قال الزركشي في الاجابة ص ٥٠ : هذا من الأوهام الظاهرة لأنّ بلالاً إنّما اشتراه أبوبكر بعد مبعث النبيّ ﷺ و بعد أن أسلم بلال و عذّبه قومه ولمّا خرج

(١) تهذيب التهذيب ١ : ٥٠٣ .

(٢) حياة الحيوان للدميرى ٢ : ٢٧٥ ، تاريخ الخميس ١ : ٢٩٢ .

النبيّ ﷺ إلى الشام مع عمّه أبي طالب كان له من العمر اثنتاعشرة سنة وشهران وأيّام . ولعلّ بلالاً لم يكن بعدُ ولد . ا ه

وقال ابن كثير في تاريخه ٢ : ٢٨٥ : إنّ قوله : وبعث أبو بكر معه بلالاً إن كان عمره عليه الصّلاة والسّلام إذ ذاك اثنتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، و عمر بلال أقلّ من ذلك ، فأين كان أبو بكر إذ ذلك ؟ ثمّ أين كان بلال ، كلاهما غريبٌ ، أللّهم إلّا أن يقال : إنّ هذا كان و رسول الله ﷺ كبيراً ، إمّا بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأنّ عمره كان إذ ذاك اثنتي عشرة سنة غير محفوظ فانّه إنّما ذكره مقيّداً بهذا الواقدي ، و حكى السهيلي عن بعضهم انّه كان عمره عليه الصّلاة والسّلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم .

قال الأميني : إنّ ابن كثير غضّ البصر عمّا في الرواية من خرافة البيعة كأن لم يكن شيئاً مذكوراً . ثمّ أتى في تصحيح بعث أبي بكر بلالاً بما لا يخفى عليه فساده ، إذ لم يزد سفر رسول الله ﷺ إلى الشام مع أبي طالب عليه السلام على المرّة الواحدة ، و كون عمره ﷺ اثنى عشر عاماً محفوظٌ عند ابن سعد وابن جرير و ابن عساكر و ابن الجوزي ، و لم ينحصر بالواقدي كما حسبه . وقد سافر رسول الله ﷺ إلى الشام مرّة ثانية سنة خمس و عشرين من عام الفيل مع ميسرة غلام السيّدة خديجة سلام الله عليها وليس هناك أيّ ذكر من «بحيرا» و إنّما فيه قضيّة «نسطور» الراهب .[1]

و قال ابن سيّد الناس في عيون الأثر ١ : ٤٣ مثل مقالة الدمياطي المذكورة وكذلك الحلبي في السيرة النبويّة ١ ص ١٢٩ ، والحديث أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة ١ : ٢١، من طريق داود بن الحصين وليس فيه أثرٌ من الوهمين ولا ذكرٌ من أبي بكر .

(نظرةٌ في حديث كعب) و أمّا رواية كعب فانّي لم أجدها في أصل من اصول الحديث ، و لم أرلها سنداً قطّ ، وفي ذكر كعب و هو كعب الأحبار من رجال

---

(١) تاريخ ابن عساكر ١ : ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، دلائل النبوة لابى نعيم ١ : ٥٤ ، الصفوة لابن الجوزى ١ : ٢٤ ، تاريخ ابى الفداج ١ : ١١٤ ، الاجابة للزر كشي ص ٥٠ ، تاريخ الخميس ١ : ٢٦٢ .

سندها كفاية، وحسبنا في كعب ما أخرجه البخاري من حديث الزهري عن حميدبن عبدالرحمن انّه سمع معاوية يحدّث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال: إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدّثين الذين يحدّثون عن أهل الكتاب وإن كنّا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب(١).

م ـ وقال ابن أبي الحديد في شرحه ١ ص ٣٦٢: روى جماعة من أهل السير: انّ علياً كان يقول في كعب الأحبار: إنّه الكذّاب وكان كعب منحرفاً عن عليّ عليه السلام.

وأخرج ابن أبي خيثمة باسناد حسّنه ابن حجر عن قتادة قال: بلغ حذيفة انّ كعباً يقول: إنّ السّماء تدور على قطب كالرحى. فقال: كذب كعب إنّ الله يقول: إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا] (٢).

على انّ كعباً لو كان يصدّق نفسه فيما أخبره من الارهاصات والبشائر لما كان يبقى على دين اليهود طيلة حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما كان يأخّر إسلامه إلى عهد عمر بن الخطاب، م ـ ولما كان يتعلّل عندما سئل عمّا منعه عن إسلامه في العهد النبويّ بقوله: إنّ أبي كان كتب لي كتاباً من التوراة فقال: اعمل بهذا. وختم على ساير كتبه وأخذ عليّ بحقّ الوالد على الولد أن لا أفضّ الختم عنها، فلمّا رأيت ظهور الاسلام قلت: لعلّ أبي غيّب عنّي علماً ففتحتها فاذا صفة محمّد وأمّته فجئت الآن مسلماً](٣) وكان له يوم توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنان وثمانون عاماً(٤) وأثر الكذب لايحٌ في جلّ ماجاء به كعب وحسبه ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٥ ص ٢٦٠ من حديث ذي قربات الذي حكم الحفّاظ بعدم صحّته، وما جاء به السيوطي في الخصايص الكبرى ١: ٣١ من حديث إخباره عمر وعثمان بانّهما مذكوران بالخلافة في التوراة، وفيها انّ عثمان يُقتل مظلوماً، ومع هذه كلّها لم يُعلم صدور هذه البشارة منه في أيّام إسلامه ولعلّه كان قبله فلا يُقبل قوله ولايصدّق في حديثه.

على انّ الأحلام إن صحّت وصدقت فلِمَ لم يحدّث أبوبكر أحداً من الصحابة

(١) تهذيب التهذيب ٨ ص ٤٣٩، الاصابة ٣ ص ٣١٦.
(٢) الاصابة ٣: ٣١٦
(٣) الاصابة ٣: ٣١٦
(٤) راجع الاصابة، اسدالغابة، تهذيب التهذيب.

بما أخبره «بحيرا» من البشارة في نفسه من أنّه يكون وزيراً وخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله حتى يدور حديثه في دور النبيّ صلى الله عليه وآله على ألسنتهم؛ وتخبت إليه أفئدتهم، وتزهر بمذاكرته أنديتهم؟ أو أنّه حدث بها لكن الصحابة ضربوا عنها صفحاً فلم تنه إلى المحدّثين، ولا انتهت إلى أحد من أرباب الصحاح والمسانيد حتّى انتهت النوبة إلى الغلاة في الفضائل من المتأخرين فأرسلوها إرسال المسلّم تجاه الحقائق الراهنة.

ولو كان أبو بكر أوّل من أسلم بتلكم التقاريب فأين كان هو إلى منتهى سبع سنين من البعثة التي يقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيها: لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين لأنّا كنّا نصلّي وليس معنا أحدٌ يصلّي غيرنا؟[1]

و في أوّليّة أمير المؤمنين في الإسلام أحاديث صحيحة عنه صلى الله عليه وآله و عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قدّمناها في الجزء الثالث، وأسلفنا هناك ما يربو على ستّين حديثاً من الصحابة والتابعين في أنّ عليّاً أوّل الناس إسلاماً وأوّل من صلّى و آمن من ذَكرٍ. و قد مرّت هناك صحيحة الطبري انّ أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً، ولو كان أبو بكر أوّل من أسلم وقد آمن به صلى الله عليه وآله قبل ولادة عليّ عليه السلام فأين كان هو يوم قال العبّاس لعبد الله بن مسعود: ما على وجه الأرض أحدٌ يعبد الله بهذا الدين إلّا هؤلاء الثلاثة: محمّدٌ وعليٌّ وخديجة؟ (تاريخ ابن عساكر ١ : ٣١٨).

فلا يحقّ آنئذ لأيّ مغالٍ في الفضائل أن يدع تلكم الصحاح عن النبيّ الأعظم و وصيّه الأقدس والصحابة الأوّلين والتابعين لهم باحسان، ويأخذ تجاهها برواية كعب، و إن هو إلّا كعب ليس إلّا، ولا يثبت الحقّ بالكعاب. ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب، ولا تتّبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك.

-١٣-
أبو بكر أسنّ أصحاب النبيّ

أخرج ابن سعد والبزّار بسند حسن عن أنس قال: كان أسنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر الصدّيق وسهيل بن عمرو بن بيضاء.

وأخرجه أبو عمر في الاستيعاب ١ ص ٥٧٦، وابن الأثير في اسد الغابة ٢ ص ٣٧٠

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٢٠ - ٢٢٤ ط ٢.

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ ص ٦٠ فقال : رواه البزّار و اسناده حسن ، و رواه ابن حجر في الاصابة ٢ ص ٨٥ . وفيه : سهل . بدل سهيل وهو أخوه . أو هوهو . والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٧٣ نقلاً عن ابن سعد والبزّار .

قال الأميني : كنّا نعتقد أنّ المغالاة يمكن أن تقع في النفسيّات التي لا تدرك بالحواسّ الظاهرة كالعلم والتقوى وأمثالهما ، وأمّا الغلوّ في المشهودات فلم يدع المنطق له مساغاً فسرعان مايظهر فيه كذب الغالي، ويفتضح به المائن حتّى أوقفنا البنير على أمثال هذه الأقاويل ، فرأينا الرجل يقول بملأ فيه : إنّ أبابكر أسنّ أصحاب النبيّ ﷺ و هو يجد في معاجم الصحابة كثيرين هم أسنّ منه بكثير وإليك أسماء اُمّة منهم :

١- أماناة بن قيس بن شيبان الكندي . أسلم وقد عاش دهراً ، ويقال : أنّه عاش ثلاثمائة وعشرين سنة كما في الاصابة ١ : ٦٣ .

٢- أمد بن أبد الحضرمي . أدرك هاشم بن عبد مناف و اُميّة بن عبد شمس و يقال : إنّه كان في عهد معاوية له ثلاثمائة سنة . صب ١ : ٦٣ .

٣- أنس بن مدرك أبوسفيان الخثعمي . قتل مع عليّ كان سيّد خثعم في الجاهليّة عاش مائة وأربعاً وخمسين سنة . صب ١ : ٧٣ .

٤- أوس بن حارثة الطائي والد خرام صاحب رسول الله ﷺ عاش مائتي سنة، وأكثر هذه المدّة من أيّام الجاهليّة . صب ١ : ٨٢ .

٥ - ثور - ثوب - بن تلدة . أنشد له الكلبي :

و إن امرأ قدعاش تسعين حجّة ☆ إلى مائتين كلّما هو ذاهبُ

قال : ولا أدري ماعاش بعد ماأنشد هذا لمعاوية . وقد يقال . إنّه كان له يوم بدر عشرون ومائة عاماً . صب ١ : ٢٠٥ .

٦- الجعد بن قيس المرادي . أسلم ، وكان قد بلغ مائة سنة . صب ١ : ٢٢٥ .

٧- حسّان بن ثابت الأنصاري . عاش في الجاهليّة ستّين وفي الإسلام ستّين عاماً. صب ١ : ٣٢٦ .

٨- حكيم بن حزام الأسدي ابن أخي خديجة زوج النبيّ ﷺ ولد قبل عام الفيل بثلاثة وعشرين سنة ، وتوفّي وهو ابن عشرين ومائة سنة . صب ١ : ٣٤٩ .

٩- حمزة بن عبد المطلب عمّ النبيّ الأعظم ولد قبله صلى الله عليه وآله وسلم بسنتين أو بأربع صب ١ : ٣٥٣ .

١٠- حنيفة بن جبير بن بكر التميمي . أدرك أحفاده النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولهم صحبة وكانوا يوم ذاك ذا الحي كما في الاصابة ١ : ٣٥٩ .

١١- حويطب بن عبد العزّى بن أبي قيس العامري المتوفّى سنة ٥٤ له مائة و عشرين عاماً . صب ١ : ٣٦٤ .

١٢- حيدة بن معاوية العامري . مات وهو عمّ ألف رجل وامرأة وأدرك عبد المطلب بن هاشم جدّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكان بالغاً مبلغ الرجال . صب ١ : ٣٦٥ .

١٣ - خنابة بن كعب العبسي . كان له على عهد معاوية بن أبي سفيان مائة و أربعون سنة وله قوله في الاصابة ١ : ٤٦٣ :

حويت من الغايات تسعين حِجّةً ✿ وخمسين حتّى قيل : أنت المقزّعُ

١٤ - خويلد بن مرة الهذلي أبو خراش ، أدرك الاسلام شيخاً كبيراً . صب ١ : ٤٦٥ .

١٥- ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم أبو أروى الهاشمي . كان أسنّ من عمّه العبّاس الآتي ذكره . صب ١ : ٥٠٦ .

١٥- سعيد بن يربوع القرشي المخزومي المتوفّى ٥٤ وله ١٢٠/٢٤ عاماً . صب ٢ : ٥٢ .

١٦- سلمة السلمي ، أقبل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأسلم وهو شيخٌ كبيرٌ .

١٨- سلمان أبو عبد الله الفارسي مات سنة ٦/٣/٣٢ روى أبو الشيخ عن العباس بن يزيد انّه قال : أهل العلم يقولون : عاش سلمان ثلثمائة وخمسين سنة ، فأمّا مائتان وخمسون فلا يشكّون فيها . صب ٢ : ٦٢ .

١٩- ابو سفيان القرشي الأموي . كان أسنّ من أبي بكر باثنى عشر عاماً و عدّة أشهر . صب ٢ : ١٧٩ .

٢٠- صرمة بن أنس أبو قيس الأوسي . أدرك الإسلام فأسلم وهو شيخٌ كبيرٌ عاش نحواً من مائة وعشرين عاماً وهو القائل كما في الاصابة ٢ : ١٨٣ .

بدالي أنّي عشت تسعين حِجّة ✿ وعشراً و ما بعدها لي ثمانيا

فلم ألفها لمّا مضت و عدتها ☆ يحسبها في الدهر إلّا لياليا

٢١- صرمة بن مالك الأنصاري ، أدرك الاسلام فأسلم و هو شيخٌ كبيرٌ . صب ٢ : ١٨٣ .

٢٢ - طارق بن المرقع الكناني ، كان في حجّة الوداع شيخاً كبيراً . ٢ : ٢٢١ .

٢٣- الطفيل بن زيد الحارثي ، هو الذي أخبر عمر بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله في الجاهليّة ، وكان يوم ذاك قد أتت عليه مائة وستون سنة . صب ٢ : ٢٢٤ .

٢٤ - عاصم بن عديّ العجلاني توفّي سنة خمس و أربعين وله مائة و عشرون سنة . صب ٢ : ٢٤٦ .

٢٥ - العبّاس بن عبدالمطلب عمّ النبيّ الأعظم ، و لد قبل رسول الله بسنتين أوثلاث صب ٢ : ٢٧١ .

٢٦ - عبدالله بن الحارث بن اُميّة ، أدرك الاسلام و هو شيخٌ كبيرٌ . صب ٢ : ٢٩١ .

٢٧ - عدي بن حاتم الطائي ، مات بعد الستّين وبلغ مائة وثمانين كما قاله أبوحاتم السجستاني، أومائة وعشرين كما في قول خليفة . صب ٢ : ٤٦٨ .

٢٨ - عدي بن وداع الدوسي ، من رجال الجاهليّة أدرك الاسلام فأسلم وغزا وتوفّي وله ثلاثمائة سنة . صب ٢ : ٤٧٢ .

٩ - عمرو بن المُسبّح [١] الطائي ، مات وله مائة وخمسون عاماً . قال ابن قتيبة : لست أدري أقبض قبل وفاة النبيّ أم بعده . صب ٣ : ١٦ .

٣٠ - فضالة بن زيد العدواني، سأله معاوية : كم أتت لك يافضالة ؟ قال : عشرون ومائة سنة . صب ٣ : ٢١٤ .

٣١ - قباث بن أشيم ، سأله عثمان بن عفان : أنت أكبر أم رسول الله ؟ فقال: رسول الله أكبر منّي وأنا أسنّ منه . صب ٣ : ٢٢١ .

٣٢ - قردة بن نفاثة السلولي ، أدرك الاسلام وهو شيخٌ كبيرٌ وعاش مائة وخمسين

---

(١) بضم الميم وفتح المهملة وتشديد الموحدة كما في الأصابة ٣ : ١٦ ، وفي المعارف لابن قتيبة ١٣٦ : المسيح .

سنة وله كما في الاصابة ٣ : ٢٣١ من أبيات :

بان الشباب فلم أحفل به بالا ✿ و أقبل الشيب والإسلام إقبالا

٣٣ - لبيد بن ربيعة بن عامر الكلابي الجعفري ، توفّي سنة ٤١ وهو ابن مائة و أربعين أو مائة وسبع وخمسين سنة أو مائة وستين سنة . صب ٣ : ٣٢٦ .

٣٤ - اللجاج الغطفاني ، وفد إلى النبيّ ﷺ وهو ابن سبعين وعاش مائة وعشرين سنة . صب ٣ : ٣٢٨ .

٣٥ - المستوعز بن ربيعة بن كعب ، كان من فرسان العرب في الجاهليّة عاش إلى أيّام معاوية وكان له ٣٢٠/٣٠ سنة . صب ٣ : ٤٩٢ .

٣٦ - معاوية بن ثور البكائي ، أسلم بيد النبيّ وهو شيخٌ كبيرٌ صب ١ : ١٥٦ وفي بعض المعاجم كان ابن مائة سنة .

٣٧ - منقذ بن عمرو الأنصاري ، كان قد أتى عليه مائة وثلاثون في حياة رسول الله ﷺ كما في اُسد الغابة .

٣٨ - النابغة الجعدي ، عاش في الجاهليّة مائتي سنة ، و مات و هو ابن ٢٢٥/٣٠ عاماً وهو القائل كما في الاصابة ٣ : ٥٣٨ :

ألا زعمت بنو أسد بأنّي ✿ أبو ولد كبير السنّ فاني ؟

فمن يك سائلاً عنّي ؟ فانّي ✿ من الفتيان أيّام الختان

أتت مائةٌ لعام ولدت فيه ✿ و عشر بعد ذاك وحِجّتان

وقد أبقت صروف الدهر منّي ✿ كما أبقت من السيف اليماني

وقال أبو حاتم : عاش مائتي سنة وهو القائل:

قال : أمامة كم عمرت زمانه ✿ وذبحت من عنز على الأوثان ؟

و لقد شهدت عكاظ قبل محلّها ✿ فيها و كنت اُعدّ من الفتيان

و المنذر بن محرّق في ملكه ✿ و شهدت يوم هجائن النعمان

وعمرت حتّى جاء أحمد بالهدى ✿ وقوارع تُتلى من القرآن

و لبست في الاسلام ثوباً واسعاً ✿ من سيب لا حرم و لا امنّان

٣٩ - نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي إبن عمّ النبيّ الطاهر. كان أسنّ من

أسلم من بني هاشم حتّى من عمّيه حمزة والعبّاس المذكورين. صب ٣ : ٥٧٧.

٤٠ - نوفل بن معاوية بن عروة الديلي، كان ممّن عاش في الجاهليّة ستّين وفي الإسلام ستّين سنة. صب ٣ : ٥٧٨.

وقبل هؤلاء كلّهم أبو قحافة والد الخليفة فانّه كان أكبر سنّاً من الخليفة لا محالة إن لم تصغّره المعاجز من إبنه كما صغّرت رسول الله ﷺ وجعله غلاماً وشابّاً لا يعرف بين يدي أبي بكر وهو أكبر منه.

راجع في تراجم هؤلاء المذكورين المعارف لابن قتيبة، معجم الشعراء للمرزباني، الاستيعاب لأبي عمر، أسد الغابة لابن الأثير، تاريخ ابن كثير، الاصابة لابن حجر، مرآة الجنان لليافعي، شذرات الذهب لابن العماد لحنبلي. ونحن إقتصرنا منها بذكر الاصابة مرموزاً بـ (صب) روماً للاختصار.

هؤلاء جملةٌ ممّن وقفنا على أسمائهم ممّن أربوا على أبي بكر في السنّ من الصحابة الأوّلين، وهب أنّا غضضنا الطرف عن كلّ ذلك فهلاّ نسائل القوم عن وجه الفضيلة في كبر السنّ؟ أوَ ليس في الأمم و الأجيال من طعنوا في السنّ فبلغوا من العمر عتيّاً، وفيهم الحالي بالفضائل والعاطل عنها، و إذا مُدح أحد هم فانّما يُمدح بمآثره لا بطول عمره، و مهما طال عمر الخليفة فإنّ أكثره إنقضى في الجاهليّة، بُعث النبيّ ﷺ و للخليفة ثمان وثلاثون سنة وقد مرّ في الجزء الثالث ص ٢٢٠ انّه ﷺ صلّى سبع سنين ولم يصلّ معه غير عليّ أمير المؤمنين. إذن فلأبي بكر عند إسلامه خمس و أربعون عاماً و توفّي وهو ابن ثلاث وستّين، فقد أشغل في الاسلام ثمان عشرة سنة، وهذه المدّة الأخيرة هي التي يمكن أن تزدان بشيء من المناقب، فهل ازدانت أولا؟

وفي الغاية أحسب انّه ليس للقوم غاية يعتدّ بها في كبر السنّ و الاهتمام بذلك غير انّهم جعلوا الحجر الأساسي للخلافة الراشدة أشياء منها: انّ أبابكر قُدّم على أمير المؤمنين لأنّه شيخٌ محنّك لا تِرَة لأحد عنده فيُبغض، وعلى هذا الأساس جعلوه تارة أكبر سنّاً من النبيّ ﷺ وقد عرفت حاله في صفحة ٢٧٠ واخرى أنّه كان شيخاً يُعرف والنبيّ شابّاً لا يُعرف، وأوقفناك على حقيقة الحال في ص ٢٥٧. و آونة انّه أسنّ الصحابة ليحسموا مادّة النقض بشيوخ في الصحابة كلّهم أكبر من الامام أمير المؤمنين عليه السلام

وفيهم رؤساء وأعاظم ، وما عرفوا انّ المستقبل الكشّاف سيوقف الباحثين على اناس هم أكبر من الرجل سنّاً ، وأوفر علماً ، وأبلغ حنكةً ، وأقدم شرفاً ، وأسبق إسلاماً .

-١٤-

أبو بكر في كفّة الميزان

أخرج الخطيب في تاريخه ١٤ ص ٧٨ من طريق عبدالله بن أحمد بن حنبل عن الهذيل عن مطرح بن يزيد عن عبيدالله بن زحر عن عليّ بن زيد[1] عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبي امامة : قال : قال رسول الله ﷺ دخلت الجنّة فسمعت فيها خشفة بين يديّ . فقلت : ماهذا ؟ قال بلال : فمضيت فإذا أكثر أهل الجنّة فقراء المهاجرين وذراري المسلمين ولم أرفيها أحداً أقلّ من الاغنياء والنساء «إلى أن قال» : ثمّ خرجنا من أحد ابواب الجنّة الثانية فلمّا كنت عند الباب اُتيت بكفّة فوضعت فيها ووضعت اُمّتي في كفّة فرجحت بها ، ثمّ اُتي بأبي بكر فوضع في كفّة وجيء بجميع اُمّتي فوضعوا في كفّة فرجح أبوبكر ، ثمّ اُتي بعمر فوضع في كفّة وجيء بجميع اُمّتي فوضعوا فرجح عمر ، ثمّ رُفع الميزان إلى السماء . وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول ص٢٨٨ .

☆(رجال الرواية)☆

١ ـ مطرح بن يزيد الكوفي قال الدوري عن ابن معين : ليس بشيء وقال أبو زرعة : ضعيف الحديث وقال أبوحاتم : ليس بالقويّ ضعيف الحديث يروي أحاديث عن ابن زحر عليّ بن يزيد فلا أدري البلاء منه أومن عليّ بن يزيد . وقال الآجري عن أبي داود: زعموا انّ البليّة من قِبَل عليّ بن يزيد : وقال النسائي : ضعيفٌ ليس بشيء و قال ابن عدي : يجانب روايته عن ابن زحر والضعف على حديثه بيّن .

ميزان الاعتدال ٣ : ١٧٤ ، تهذيب التهذيب ١٠ ص ١٧١

٢ ـ عبيدالله بن زحر الافريقي ، مجمعٌ على ضعفه كما في الميزان . ضعّفه أحمد : و قال ابن معين : ليس بشيء كلّ حديثه عندي ضعيفٌ . وقال ابن المديني : منكر الحديث . وقال الحاكم : ليّن الحديث . وقال ابن عدي : يقع في أحاديثه مالايتابع عليه . وقال أبو مسهر: صاحب كل معضلة . وقال الدارقطني : ضعيفٌ ، وقال ابن حبّان : يروي الموضوعات عن

(١) كذا والصحيح : يزيد .

الاثبات. فاذاروى عن عليّ بن يزيد بن أتى بالطامّات وإذا إجتمع في إسناد خبر عبدالله بن زحر و عليّ بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن لم يكن متن ذلك الخبر إلّا ما عملته أيديهم (١). قال الأميني: هذه الرواية ممّا اجتمع فيه هؤلاء الثلاثة فهو ممّا عملته أيديهم.

٣ ـ علي بن يزيد الألهاني. قال ابن معين: عليّ بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة ضعاف كلّها. وقال يعقوب: واهي الحديث كثير المنكرات. وقال الجوزجاني: رأيت غير واحد من الأئمة ينكر أحاديثه التي يرويها عنه عبيدالله بن زحر. و قال أبو زرعة: ليس بالقويّ. و قال أبو حاتم: ضعيف الحديث أحاديثه منكرة، و قال البخاري: منكر الحديث ضعيفٌ. وقال النسائي: ليس بثقة متروك الحديث. وقال الأزدي والدارقطني والبرقي: متروكٌ. و قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. و قال الساجي: إتّفق أهل العلم على ضعفه. و قال أبو نعيم: منكر الحديث. وقال ابن حجر: متّهمٌ.

ميزان الاعتدال ٢: ٢٤٠: تهذيب التهذيب ٧ ص ١٣، ٣٩٦.

٤ ـ القاسم بن عبد الرّحمن الشامي. قال أحمد: هذه المناكير التي يرويها عنه جعفر وبشر و مطرح مناكير ممّا يرويها الثقات انّها من قِبَل القاسم. و قال الأثرم: حملها أحمد على القاسم. و قال: ما أرى هذا إلّا من قِبَل القاسم. وقال الحرّاني: قال أحمد: ما أرى البلاء إلّا من القاسم. وقال الغلابي: منكر الحديث. وقال ابن حبّان: يروي عن الصحابة المعضلات. ميزان الاعتدال ٢: ٣٤، تهذيب التهذيب ٨ ص ٣٢٣.

و هذا الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ٥٩ فقال: رواه أحمد و الطبراني و فيهما: مطرح بن زياد و عليّ بن يزيد الألهاني و كلاهما مجمعٌ على ضعفه.

قال الأميني: هذا شأن الرواية سنداً و رجاله كما ترى، و استدلّ الهيثمي على ضعفه بما في متنه راجع مجمع الزوائد ٩ ص ٥٩.

ـ ١٥ ـ

توسّل الشمس بأبي بكر

قال النبيّ ﷺ: عُرض عليّ كلّ شيء ليلة المعراج حتّى الشمس فانّي سلّمت عليها و سألتها عن كسوفها فأنطقها الله تعالى و قالت: لقد جعلني الله تعالى على عجلة

(١) تهذيب التهذيب ٧ - ١٣.

تجري حيث يريد فأنظر إلى نفسي بعين العجب فنزل بي العجلة فأوقع في البحر فأرى شخصين أحدهما يقول: أحد أحد. والآخر يقول: صدق صدق. فأتوسل بهما إلى الله تعالى فينقذني من الكسوف، فأقول: يا ربّ من هما؟ فيقول: الذي يقول: أحد أحد هو حبيبي محمّد ﷺ. والذي يقول: صدق صدق هو أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه.

« نزهة المجالس ٢ ص ١٨٤ »

أنا لا أحكّم في هذه الرواية إلّا علماء علم الفلك سواء في ذلك القدماء منهم والمحدثون. و قد تكلّمنا في صحيفة ٢٣٨ عن العجلة التي حملت الشمس و بحثنا عنها بحثاً ضافياً، و ليت الهيئيّين درسوا هذه الرواية فأخذوا عنها علماً غزيراً، و عرفوا أنّ الكسوف يكون بغمس الشمس في البحر عقوبة على نظرها إلى نفسها بعين العجب و إنّ إنجلائها يتمّ بالتوسّل، و لعلّ المستقبل الكشّاف يأتي بمن يُعلّم الأمّة بسرّ خسوف القمر و تتأتّى به للمجالس نزهة بعد نزهة.

و هنا أسؤلةٌ جمّةٌ:

١ ـ ليس الكسوف يخصّ بهذه الأمّة فحسب، ولا بأيّام حياة أبي بكر خاصّة، فمن ذا الذي كان يقول: صدق صدق. قبل ميلاد أبي بكر؟ و من ذا الذي يقولها بعد وفاته؟ و بمن كانت الشمس تتوسّل قبل ذلك؟ وبمن تتوسّل به بعده؟.

٢ ـ أين كان يقول أبو بكر: صدق صدق؟ أيقولها وهو في محلّه بمرأى من الناس و مسمع فيُسمعها الشمس بالاعجاز؟ أو كان يحضر على ذلك البحر الذي لم يحدّد بأيّ ساحل فيغيب عن الناس و تطوى له المسافة بخرق العادات؟ فَلِمَ لم يُحدّث عنه ذلك و لو مرّة واحدة؟ أو انّه يذهب هو و يدع قالبه المثالي بين الناس فيحسبونه هو هو؟ أو انّه يثبت في مكانه فيرسل قالبه ذلك فتحسبه الشمس أنّه هو؟.

٣ ـ هب انّ الشمس تحمل حياةً روحيّةً فهل تحمل معها نفساً أمّارة بالسوء بها تعجب بنفسها؟ أنا لا أدري. و على فرض ثبوت النفس الأمّارة فما بالها تداب على المعصية و هي ترى استمرار العقوبة مع كلّ عصيان؟ فهل هي تتوب بعد كلّ معصية ثمّ تعود إليها بنسيان العقاب أو غلبة الشهوة؟ و من المعلوم انّ الكسوف لم ينقطع ليلة المعراج فهو من الكائنات المتجدّدة إلى انقراض العالم فكأنّ الشمس حينئذ كانت

تخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتصميمها على الاستمرار على المعصية منذ كل كسوف فمتى تتوب هذه العاصية الشاعرة ؟ أنا لا أدري . و في ذمّة الصفوري صاحب الكتاب الخروج عن عهدة هذه الأسؤلة . فهل يخرج ؟ أنا لا أدري ، و هذا أيضاً من الغلوِّ في الفضائل و الحبِّ المعمي و المصمّ .

-١٦-
كلبةٌ من الجنِّ مأمورة

عن أنس بن مالك قال . كنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل إليه رجلٌ من أصحابه و ساقاه تشخبان دماً فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم ! ماهذا ؟ قال : يا رسول الله ! مررت بكلبة فلان المنافق فنهشتني . فقال صلى الله عليه وسلم : اجلس فجلس بين يدي النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فلمّا كان بعد ذلك بساعة إذا قبل إليه رجلٌ آخر من أصحابه و ساقاه تشخبان دماً مثل الأوّل فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : ماهذا ؟ فقال : يارسول الله ! إنّي مررت بكلبة فلان المنافق فنهشتني قال : فنهض النبيُّ صلى الله عليه وسلم : و قال لأصحابه : هلمّوا بنا إلى هذه الكلبة نقتلها فقاموا كلّهم و حمل كلٌّ واحد منهم سيفه فلمّا أتوها و أرادوا أن يضربوها بالسيوف وقعت الكلبة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت بلسان طلِق ذلِق : لاتقتلني يارسول الله ! فانّي مؤمنةٌ بالله ورسوله فقال : ما بالك نهشت هذين الرّجلين ؟ فقالت : يا رسول الله ! إنّي كلبةٌ من الجنِّ مأمورة أن أنهش من سبَّ أبابكر وعمر رضي الله عنهما . فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : ياهذين ! أما سمعتما ما تقول الكلبة ؟ قالا : نعم يارسول الله ! إنّا تائبان إلى الله عزَّ وجلَّ (عمدة التحقيق للعبيدي المالكي ص ١٠٥) .

قال الأميني : ما أعظم شأن هذه الكلبة وأثبتها في ميدان البسالة حتّى استدعى أمرها أن يتجهّز لحربها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم و يحمل عليها أصحابه شاهرين السيوف ؟ فهل هي كلبةٌ أو أسدٌ ضار ؟ أو عفرني باسل ؟ أو حشدٌ لهام ؟ و أحسب أنَّ الّذين نهشتهما كانا من هيّابة الصحابة فانَّ شجعانهم ما كانوا يبالون بالضراغم فضلاً عن الكلاب .

وأين كانت هذه الكلبة عمّن كان ينال من أبي بكر غير الرجلين في ذلك العهد و بعد العهد النبويِّ وهلمَّ جرّا ؟ فلم تشهد لها نهشة ، ولاسمع لها عواء ، فليتهيّأ صاحب عمدة التحقيق لتحليل هذه المسائل وذلك بعد الغضِّ عن إسناده الموهوم .

ثمَّ ما أخرس ألسنة اُولئك الصحابة الحضور يوم أطلق الله لسان تلك الكلبة الطلقة الذلقة عن بثِّ هذه الفضيلة الرابية ؟ و مثلها تتوفّر الدواعي لنقلها ، وماأذهل الحفّاظ وأئمة الحديث وأرباب السير عن روايتها ؟ فلايجدها الباحث في المسانيد والصحاح والفضائل ومعاجم السير وأعلام النبوَّة ودلائلها إلى أن بشّر بها العبيدي آل الصدّيق بعد لأي من عمر الدهر وقذف بهذه الاُكذوبة أنس بن مالك .

أهكذا تكون المغالاة في الفضائل ؟ ... لعلّها تكون .

نعم لله كلابٌ مفترسة واُسودٌ ضارية سلّطها الله على أعدائه بدعاء نبيّه الأعظم أو أحد من أولاده الصّادقين صلوات الله عليه وعليهم ، منها : كلبٌ سلّطه الله على لهب بن أبي لهب بدعاء النبيِّ الأقدس كما مرَّ في الجزء الأوَّل ص٢٦١ ط٢. ومنها ، كلب أخذ برأس عتبة بدعاء رسول الله ﷺ كما مرَّ في ج ١ ص ٢٦١ ط٢ قال الحلبي في السيرة النبويّة ١ ص ٣١٠ : ووقع مثل ذلك لجعفر الصّادق قيل له : هذا فلان ينشد الناس هجاء كم يعني أهل البيت بالكوفة فقال لذلك القائل : هل علقت من قوله بشيء ؟ قال : نعم . قال : فأنشد . فأنشد :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ☆ ولم أرَ مهديّاً على الجذع يصلبُ
و قستم بعثمان عليّاً سفاهة ☆ و عثمان خيرٌ من عليٍّ و أطيبُ

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال : أللّهمِّ إن كان كاذباً فسلّط عليه كلباً من كلابك فخرج ذلك الرجل فافترسه الأسد وإنّما سمّي الأسد كلباً لأنّه يشبه الكلب في انّه إذا بال رفع رجله .

قال الأميني : الشاعر المفترَس هو الحكيم الأعور أحد الشعراء المنقطعين إلى بني اُميّة بدمشق وقصّته هذه من المتسالم عليه غير أنَّ في معجم الادباء كما مرَّ في الجزء الثاني ص ١٩٧ ط٢ من كتابنا هذا أنَّ الداعي على الرَّجل هو عبدالله بن جعفر . وأحسبه تصحيف أبي عبدالله جعفر، فعلى كلٍّ قد وقع من أهله في محلّه .

- ١٧ -

هبة أبي بكر لمحبّيه

عن عكرمة عن إبن عبّاس قال : قال عليٌّ رضي الله عنه : كنت جالساً مع رسول

الله ﷺ وليس معنا ثالث إلّا الله عزّ وجلّ فقال : ياعلي تريد أن أعرّفك بسيّد كهول أهل الجنّة وأعظمهم عند الله قدراً ومنزلة يوم القيامة ؟ فقلت : أي وعيشك يا رسول الله ! قال : هذان المقبلان . قال علي . فالتفت فإذا أبوبكر و عمر رضي الله عنهما . ثمّ رأيت رسول الله ﷺ تبسّم ثمّ قطب وجهه حتّى ولجا المسجد فقال ابوبكر : يارسول الله ! لمّا قربنا من دار أبي حنيفة تبسّمت لنا ثمّ قطبت وجهك فلِمَ ذلك يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : لمّا صرتما لجانب دار أبي حنيفة عارضكما إبليس ونظر في وجوهكما ثمّ رفع يديه إلى السّماء أسمعه وأراه وأنتما لا تسمعانه ولا تريانه وهو يدعو و يقول : اللّهم إنّي أسألك بحقّ هذين الرجلين أن لاتعذّبني بعذاب با غضي هذين الرجلين . قال أبوبكر : و مَن هو الذي يبغضنا يا رسول الله ! وقد آمنّا بك و آزرناك و أقررنا بما جئت به من عند ربّ العالمين ؟ قال : نعم يا أبابكر ! قوم يظهرون في آخر الزمان يقال لهم : الرافضة يرفضون الحقّ ، ويتأوّلون القرآن على غير صحّته وقد ذكرهم الله عزّ و جلّ في كتابه العزيز وهو قوله : يحرّفون الكلم عن مواضعه(١) فقال : يارسول الله ! فماجزاء من يبغضنا عند الله ؟ قال ياأبابكر ! حسبك أنّ إبليس لعنه الله تعالى يستجير بالله تعالى أن لا يعذّبه بعذاب باغضيكما . قال : يارسول الله ! هذا جزاء من قد أبغض فما جزاء من قد أحبّ ؟ فقال رسول الله ﷺ : أن تهديا له هديّة من أعمالكما . فقال : أبوبكر رضي الله عنه : يارسول الله أُشهد الله وملائكته إنّي قد وهبت لهم ربع أجري - أي عملي - منذ آمنت بالله إلى أن نلقاه . فقال عمر رضي الله عنه : وأنا مثل ذلك يا رسول الله . قال رسول الله ﷺ : فضعا خطّكما بذلك . قال علي كرّم الله وجهه : فأخذ أبوبكر زجاجة وقال له رسول الله ﷺ اكتب . فكتب :

بسم الله الرّحمن الرّحيم يقول عبدالله عتيق بن أبي قحافة : إنّي قد أُشهدت الله ورسوله ومن حضر من المسلمين انّي قد وهبت ربع عملي لمحبّي في دار الدنيا منذ آمنت بالله إلى أن ألقاه ، وبذلك وضعت خطّي .

قال : وأخذ عمر وكتب مثل ذلك فلمّا فرغ القلم من الكتابة هبط الأمين جبريل عليه السلام وقال : يا رسول الله ! الربّ يقرئك السّلام ويخصّك بالتحيّة والإكرام ويقول لك :

(١) سورة النساء آية : ٤٦ . وسورة المائدة آية : ١٣ .

هات ما كتبه صاحباك . فقال رسول الله ﷺ : هذا هو . فأخذه جبريل وعرج به إلى السماء ثم إنه عاد إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : أين ما أخذت يا جبريل مني ؟ قال : هو عند الله تعالى وقد شهد الله فيه ، وأشهد حملة العرش وأنا وميكائيل وإسرافيل وقال الله تعالى : هو عندي حتى يفي أبو بكر وعمر بما قالا يوم القيامة .

عمدة التحقيق للعبيدي المالكي ص ١٠٥ ـ ١٠٧ .

قال الأميني : أنا لا أحاول إطناباً في تفنيد هذه الرواية الشبيهة بأساطير القصاصين أو الروايات الخيالية ، فإن كل فصل منها شاهد صدق على عدم صحتها .

أنا لا أخدش في كهولة الشيخين بما مر في الجزء الخامس ص ٣١٣ ط ٢ من القول المعزو إلى رسول الله ﷺ : يا علي أتحب هذين الشيخين ؟. ولا بما مر في هذا الجزء ص ٢٤١ من أن أبا بكر له شيبة في الجنة وليست لأحد لحية هناك إلا هو وابراهيم الخليل ولا بما مر ص ٢٤١ من أن رسول الله كان يقبل شيبة أبي بكر . ولا بما مر في صفحة ٢٥٧ من أن أبا بكر كان يوم هجرة النبي ﷺ الى المدينة شيخاً والنبي شاباً . ولا بما مر في ص ٢٧٠ من أن أبا بكر كان أكبر من النبي . ولا بما مر في ص ٢٨٠ من أنه كان أسن أصحاب النبي .

ولا أتكلم في عذاب باغضي أبي بكر وعمر وأنه ما الذي أربى به على عذاب من تكبر وتجبر تجاه المولى سبحانه وعانده وخالف أمره و هو من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم يغوي عباد الله ويضلهم عن سبيل الحق ؟ .

ولا أناقش في أن إبليس كيف كان يصح له أن يتعوذ بالله من عذاب باغضيهما ؟ أكان يحبهما فلماذا هو ؟ أو كان يبغضهما كما يبغض كل مؤمن بالله ؟ فالدعاء لماذا ؟ وما ذا ينتج له وهو يعلم عذاب مبغضيهما وهو يبغضهما ولا يزال يغري الناس ببغضهما ؟ .

ولا أمد يراعي إلى الزجاجة المكتوبة فيها تلك الهبة الموهومة لئلا تنكسر فتحرم الأمة المرحومة من تلك البضاعة الغالية .

ولا أسائل رواة هذه لمهزأة عن تلكم الشهادات من الله إلى حملة عرشه إلى أمين وحيه إلى ميكائيل و إسرافيل . لماذا هي كلها ؟ وما الذي أحوج المولى سبحانه إلى ذلك الاهتمام البالغ في استحكام ذلك الصك ؟ وما الذي أهم إدخاره عند الله حتى يفي أبو بكر و

عمر بما قالا يوم القيامة ؟

و لا أقول لماذا تركت الأئمة و حفاظ الحديث هذه الفضيلة العظيمة إلى قرن العبيدي المالكي - القرن الحادي عشر - و فيها بشارة كبيرة لمحب الشيخين وإرشاد للأمة إلى ما فيه نجاتهم و نجاحهم و المثوبة الجزيلة بجزاء ربهي أعمالهما ؟ و لماذا شح اولئك الحفظة على الأمة و سمع العبيدي ؟ .

و لكن هلم معي إلى مفاد الآية الكريمة فهي في موضعين من القرآن الكريم:

١ - من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، و يقولون سمعنا و عصينا سورة النساء آية ٤٦ .

٢ - و لقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل و بعثنا منهم اثني عشر نقيباً و قال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة و آمنتم برسلي و عزرتموه و أقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم و لأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ، فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظاً مما ذكروا به . سورة المائدة ١٢، ١٣ .

ألا تعجب من تحريف الكلم باسناد ما ناء به اليهود و بنو إسرائيل بنص القرآن الحكيم إلى قوم لم يأتوا بعد و سيضمنهم الزمان في أخرياته ؟ حاشا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول ذلك ، و لكنها ورطات القالة ، و أهواء و شهوات ، حبذت الوقيعة في قوم مؤمنين إتبعوا النبي الأمين ، و هدوا إلى الصراط المستقيم ، و هدوا إلى الطيب من القول ، و هدوا إلى صراط الحميد ، و من يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم

- ١٨ -
أبو بكر في قاب قوسين

بلغنا أن النبي صلى الله عليه وآله لما كان قاب قوسين أو أدنى أخذته وحشة فسمع في حضرة الله تعالى بصوت أبي بكر رضي الله عنه فاطمأن قلبه واستأنس بصوت صاحبه .

ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق ص ١٥٤ فقال : هذه كرامة للصديق إنفرد بها رضي الله تعالى عنه .

قال الأميني : لماذا تلك الوحشة ؟ و لماذا ذلك الانس ؟ و هو صلى الله عليه وآله وسلم في ساحة

القدس الربوبي، وكان لا يأنس إلا بالله، وكانت نفسه القدسية في كل آناته منعطفة إليها فهل هو يستوحش إذا حصل فيها؛ وهي أزلف مباءة إلى المولى سبحانه لا تقل غيره. حتى ان جبرئيل الأمين إنكفىء[1] عنها فقال: إن تجاوزت إحترقت بالنار. لما جذبه الله تعالى إليها وحفته قداسة إلهية تركته مستعداً لتلقي الفيض الأقدس، وهل هناك وحشة لمثله صلى الله عليه وآله يسكنها صوت أبي بكر؛ وهل كانت له صلى الله عليه وآله وهو في مقام الفناء لفتة إلى غيره جلت عظمته حتى يأنس بصوته؛ لا ها الله، وما كان قلب النبي صلى الله عليه وآله يقل غيره سبحانه فهو مستأنس به ومطمأن بآلائه، فلا مدخل فيه لأي أحد يطمأن به، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، ولقد رآه بالأفق المبين، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى؛ ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى، ما زاغ البصر وماطغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى، ، ولم تبرح نفسه الكريمة مطمأنة ببارئها حتى خوطب بقوله سبحانه. يا أيتها النفس المطمأنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية.

هذا مبلغ الرواية من نفس الأمر لكن الغلو في الفضائل آثر أن يعدوها من فضائل الخليفة وإن كانت مقطوعة عن الإسناد.

- ١٩ -

الدين وسمعه وبصره

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لقد هممت أن أبعث إلى الآفاق رجالاً يعلمون الناس السنن والفرائض كما بعث عيسى بن مريم الحواريين. قيل له: فأين أنت عن أبي بكر وعمر؟ قال: إنه لا غنى بي عنهما انهما من الدين كالسمع والبصر.

أخرجه الحاكم في المستدرك ٣ص ٧٤ فقال: هذا حديث تفرد به حفص بن عمر العدني عن مسعر. وقال الذهبي في تلخيصه: هو واه.

قال الأميني: قال النسائي: حفص بن عمر ليس بثقة. وقال ابن عدي: عامة حديثه غير محفوظة. وقال ابن حبان: كان ممن يقلب الأسانيد لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد.

(١) الكامل ٢: ٢١، السيرة الحلبية ١: ٤٣١.

وقال ابن معين: رجل سوء، ليس بثقة. وقال مالك بن عيسى: ليس بشيء، وقال العقيلي: يحدّث بالأباطيل، وقال أحمد: كان مع حماد[١] في تلك البلايا، وقال أبوداود: منكر الحديث، وقال الدارقطني: ضعيفٌ، ليس بقويّ، متروك[٢].

هذا على مافرّق جمعٌ بينه وبين حفص بن عمر بن دينار الايلي و أمّا إن كان هو هو فقال ابن عدي: أحاديثه كلّها منكرة المتن والسند وهو إلى الضعف أقرب. و قال ابوحاتم: كان شيخاً كذّابا. وقال العقيلي: يحدّث عن شعبة و مسعر ومالك بن مغول والأئمة بالبواطل، وقال الساجي: كان يكذب، وقال أبوأحمد الحاكم: ذاهب الحديث[٣]

هذا شأن سند الرواية؛ وليت شعري أيّ سنّة أو فريضة كان يعلّمها الرجلان على فرض إرسالهما؟ وبماذا كان يفتيان في الكلالة وإرث الجدّ والجدّة والتيمم و شكوك الصّلاة إلى مسائل أخرى عرّفناك بعضها في الجزء السادس و جملة منها في هذا الجزء؟ وبماذا كانا يجيبان لوسألا عن آيات القرآن وهما يتقاعسان عن معرفة بعض ألفاظها اللغويّة فكيف بالغوامض والمعضلات؟

ثمّ بماذا كان غناء الرجلين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وبماذا كانا من الدين كالسمع والبصر؟ أبصولاتهما في الحروب؟ أم بأياديهما في الجدوب؟ أم ببصائرهما في الأمور؟ أم بعلمهما الناجع في الكتاب والسنّة؟ أم بتوقّف الدعوة عليهما في عاصمة الاسلام؟ أم باناطة تنفيذ الاحكام بهما؟ إقرأ السير ثمّ استحف الخبر.

م - وقدمرّ في ج٥ ص ٣٢٥ عن المقدسي: إنّ أبابكر و عمر من الاسلام بمنزلة السمع والبصر من موضوعات الوليد بن الفضل الوضّاع

وذكر أبوعمر في الاستيعاب ١ ص١٤٦ مرفوعاً لابي بكر وعمر: هذان منّي بمنزلة السمع والبصر من الرّأس وقال: إسناده ضعيف أخبرنا ابوعبدالله يعيش بن سعيد قال: نا ابوبكر بن محمّد بن معاوية: قال جعفر بن محمّد الفريابي: قال عبدالسلام بن محمد الحرّاني: قال ابن أبي فديك، عن المغيرة بن عبدالرحمن عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن أبيه

(١) أحد الكذّابين الوضّاعين.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٢٦٢، تهذيب التهذيب ٢ ص ٤١٠.

(٣) ميزان الاعتدال ١: ٢٦٣، لسان الميزان ٢ ص ٣٢٤.

عن جده ان النبي .... ليس له غير هذا الاسناد والمغيرة بن عبدالرحمن هذا هو الحزامي ضعيف وليس بالمخزومي الفقيه صاحب الرأي (الخ) وقال في ج ١ ص ٣٤٨ : حديث مضطرب الأسناد لا يثبت . و في الاصابة ٢ : ٢٩٩ : حديث هذان السمع و البصر . في أبي بكر وعمر قال أبوعمر : حديث مضطرب لايثبت .

أقول في الاسناد المذكور غير واحد من المجاهيل والضعاف ولاينحصر ضعفه بمكان المغيرة فحسب ، وقال فيه ابن معين : إنه ليس بشيء . وقال النسائي : ليس بالقوي . تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٦٦.

-٢٠-
أبوبكر ومنزلته عندالله

عن ابن عباس قال . كان أبوبكر مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار فعطش عطشاً شديداً فشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إذهب إلى صدر الغار فاشرب . قال أبوبكر: فانطلقت إلى صدر الغار فشربت ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك ثم عدت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: شربت ؟ قلت : نعم . قال : ألا أبشرك يا أبابكر؟ قلت : بلى يا رسول الله ! قال : إن الله تبارك وتعالى أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن اخرق نهراً من جنة الفردوس إلى صدر الغار ليشرب أبوبكر فقلت : يا رسول الله ! ولي عندالله هذه المنزلة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم وأفضل ، والذي بعثني بالحق نبياً لايدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبياً .

الرياض النضرة ١ ص ٧١ ، مرقاة الوصول ص ١١٤ .

قال الأميني : كيف تصح هذه الرواية وقد ضرب عنها حفاظ الحديث و أئمة التاريخ والسير صفحا ؟ مع مافيها من نبأ عظيم و كرامة هامة وهي بين أيديهم وهم يهتمون بجمع دلائل النبوة ومعاجز الرسالة ،فلم تخرج في أصل ، ولم تذكر في سيرة ، و إنما ذكرها السيوطي في الخصايص ١ ص ١٨٧ فقال : أخرجه ابن عساكر بسند واه .

ولماذا خصت روايتها بابن عباس وقد ولد في شعب أبي طالب قبل الهجرة بقليل فكان يوم الغار ابن سنة اوسنتين ولم يسندها إلى أحد ولم يكن في الغار غير النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ؟ فأين روايتهما إياها ؟ وأين اولئك الصحابة عنها ؟ أيحق لحكيم أو حافظ أن

يرسل مثل هذه الواهية إرسال المسلّم في عدّ الفضائل ؟

نعم : للقوم في محبّة أبي بكر وصاحبه روايات تشبه بالقصص الخياليّة نسجتها يد الغلوّ في الفضائل وإليك منها :

١ - عن عبدالله بن عمر مرفوعاً ، لمّا وُلد أبو بكر في تلك الليلة اطّلع الله على جنّة عدن فقال : وعزّتي وجلالي لا أدخلك إلّا من أحبّ هذا المولود .

من موضوعات أحمد بن عصمة النيشابوري كما مرّ في ج ٥ ص ٣٠٠ ط ٢ .

٢ - عن أبي هريرة مرفوعاً : إنّ في السّماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحبّ أبا بكر وعمر ، و في السّماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر .

من طامّات أبي سعيد الحسن بن علي البصري كما أسلفناه في ج ٥ : ٣٠٠ ط ٢.

٣ - عن أنس . إنّ يهوديّاً أتى أبا بكر فقال : والذي بعث موسى و كلّمه تكليما إنّي لأُحبّك فلم يرفع أبو بكر رأسه تهاوناً باليهوديّ فهبط جبرئيل على النبيّ ﷺ وقال : يا محمّد إنّ العليّ الأعلى يقرأ عليك السّلام ويقول لك : قل لليهوديّ : إنّ الله قد أحاد عنك النار . الحديث . إقرأ واحكم بعد قراءتك القرآن والتدبّر في الآي النازلة في عذاب الكفّار . من موضوعات أبي سعيد البصري راجع الجزء الخامس ص ٣٠١ ط ٢.

٤ - عن أنس مرفوعاً : إنّ لله تعالى في كلّ ليلة جمعة مائة ألف عتيق من النار إلّا رجلين فانّهما يدخلان في اُمّتي و ليسا منهم ، و إنّ الله لا يعتقهما فيمن عتق منهم مع أهل الكبائر في طبقتهم ، مصفّدين مع عبدة الأوثان : مبغضي أبي بكر وعمر ، وليس هم داخلين في الإسلام ، وإنّما هم يهود هذه الاُمّة . الخ .

من وضع أبي شاكر مولى المتوكّل كما مرّ في ج ٥ ص ٣٠٣ ط ٢ .

٥ - عن عبدالله بن عمر مرفوعاً : إنّ الله أمرني بحبّ أربعة : أبي بكر ، وعمر ، و عثمان ، وعليّ . من بلايا السنجري كما مرّ ج ٥ : ٣١٠ ط ٢ .

٦ - عن أبي هريرة مرفوعاً قال لعليّ : أتحبّ هذين الشيخين ؟ قال : نعم يارسول الله ! قال : احبّهما تدخل الجنّة . من صناعة الاشناني كما مرّ ج ٥ : ٣١٣ ط ٢ .

٧ - عن جابر مرفوعاً : لا يبغض أبا بكر و عمر مؤمن و لا يحبّهما منافقٌ .

من موضوعات معلّى الطحان راجع ج ٥ : ٣٢٣ ط ٢ .

٨ - عن أبي هريرة مرفوعاً : هذا جبريل يخبرني عن الله : ما أحبّ أبابكر و عمر إلّا مؤمن تقيّ ، ولا أبغضهما إلّا منافق شقيّ .

من موضوعات ابراهيم الأنصاري كما مرّ ج ٥ : ٣٢٦ط٢ .

٩ - عن أبي سعيد مرفوعاً ، من أبغض عمر فقد أبغضني : راجع ٥ : ٣٢٩ط٢ .

١٠ - عن عليّ مرفوعاً قد أخذ الله بكم الميثاق في اُمّ الكتاب لا يحبّكم «يعني أبا بكر . و عمر . و عثمان . وعليّاً » إلّا مؤمن تقيّ ، ولا يبغضكم إلّا منافق شقيّ . .

من موضوعات ابراهيم الأنصاري كما مرّ ج ٥ : ٣٢٦ط٢ .

١١ عن عليّ مرفوعاً في أبي بكر: من أحبّني فليحبّه ،ومن أراد كرامتي فليكرمه مرّ في الجزء الخامس ص ٣٥٥ ط٢ .

١٢ - عن أنس مرفوعاً : إنّ لعرش الرّحمن ثلاثمائة وستّين قائمة ،كلّ قائمة كطباق الدنيا ستّين ألف مرّة ، بين كلّ قائمتين ستّون ألف صخرة ،كلّ صخرة مثل الدنيا ستّون ألف مرّة، في كلّ صخرة ستّون الف عالم ،كلّ عالم مثل الثقلين ستّون ألف مرّة . قد ألهمهم الله تعالى الاستغفار لمن يحبّ أبا بكر و عمر ، و يلعنون مبغضهما إلى يوم القيامة[1] .

كأنّ لعدد ستّين ألف خاصّة عند واضع هذه الخرافة فجعل سلسلة الأكوان الخياليّة على ذلك العدد ، ليست هذه كلّها إلّا حلقة بلاء جاءت بها رماة القول على عواهنه المغالون في الفضائل تجاه الحقائق الراهنة ، غير أنّا لا نخدش العواطف ببسط القول في متونها ، و نكل القضاء فيها إلى ضمير الباحث النابه الحرّ .

- ٢١ -
النبيّ مؤيّد بالشيخين

عن أبي أروى الدوسي قال كنت جالساً عند النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطّلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : الحمد الذي أيّدني بكما .

قال الأميني : أخرجه الحاكم في المستدرك ٣ ص٧٤ من طريق ابن أبي فديك

(١) عمدة التحقيق للعبيدى المالكى ص ١٨٣ نقلا عن كتاب العقائق .

و هو و إن وثقه ابن معين غير أن ابن سعد قال : ليس بحجة ، عن :

عاصم بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ضعفه أحمد و ابن معين و ابو حاتم ، وابن عدي ، و قال الفروي : ليس بقوي ، وقال الجوزجاني : يضعف حديثه و قال البخاري : منكر الحديث ، وقال الترمذي : متروك ليس بثقة ، وقال ابن حبان : يخطيء و يخالف و قال ايضاً : منكر الحديث جداً يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الاثبات ، لايجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات ، و قال ابن الجارود : ليس حديثه بحجة . و تكلم النسائي على أحمد بن صالح حيث و ثقه . عن :

سهيل بن أبي صالح قال ابن معين : حديثه ليس بحجة . وقال أبوحاتم : حديثه لا يحتج به ، وقال ابن حبان يخطيء ، وقال ابن أبي خيثمة عن يحيى : لم يزل أهل الحديث يتقون حديثه . وذكر العقيلي عن يحيى انه قال : هو صويلح و فيه لين .عن:

محمد بن ابراهيم بن الحارث المدني .وثقه غير واحد غير أن امام الحنابلة أحمد قال : في حديثه شيئ يروي أحاديث مناكير أو منكرة [1] و الحديث ذكره ابن حجر في الاصابة ٤ ص ٥ و ضعفه .

هذا مجمل القول في رجال سند الرواية ، وأما متنه فكما ترى آية في الغلو .

-٢٢-

الأشباح الخمسة من ذرية آدم

عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أخبر ني جبريل ان الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفاحة من الجنة فأعصرها في حلقه فعصرتها في فمه فخلقك الله من النقطة الأولى أنت يا محمد ، و من الثانية أبابكر ، ومن الثالثة عمر ، ومن الرابعة عثمان ، ومن الخامسة علي . فقال آدم : من هؤلاء الذين كرمتهم ؟ فقال الله تعالى : هؤلاء خمسة أشباح من ذريتك ، و قال : هؤلاء اكرم عندي من جميع خلقي . قال : فلما عصى آدم ربه . قال : رب بحرمة اولئك الأشباح الخمسة الذي فضلتهم إلا تبت علي فتاب الله عليه .

---

(١) راجع ميزان الاعتدال ٢ : ٤ و ج ١ : ٤٣٢ ، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٦ ، ٦١ ج ٤ ٢٦٣ ، ج ٥ و بهذا الطريق اخرجه البزار كما في الصواعق ص ٤٧ .

ذكره الحافظ محبّ الدين الطبري في الرياض النضرة ١ : ٣٠ ، وابن حجر في الصواعق ص ٥٠ نقلاً عن رياض المحبّ الطبري وقال: عهدته عليه .

قال الأميني : ما أبعد المسافة بين من يجوّز توسّل آدم أوّل الأنبياء إلى الله تعالى باناس عاديّين في سياق توسّله بأفضل الرسل وسيّد الأوصياء عليهما وآلهما السّلام ، و بين مَن ينكر التوسّل لأيّ أحد ، بأيّ أحد ، ولا يرى لتوسّل آدم بالنبيّ الأعظم ﷺ أيّ قيمة وكرامة ، فيعتقد الأوّل صحّة مثل هذه الرواية التي حكم السيوطي بانّها كذبٌ موضوعٌ ، وارتضاه ابن حجر في نقله عنه كما في كشف الخفاء ، وإن عدّه في صواعقه من الفضائل زعماً منه بأنّ الدهر لم يأت بعده بمن يناقشه في الحساب ، وصافقهما على التكذيب والوضع العجلوني فقال في كشف الخفاء ١ : ٢٣٣ : قال ابن حجر الهيثمي نقلاً عن السيوطي: كذبٌ موضوعٌ .

ومتن الرواية أوضح شاهد على ذلك غير انّ المغالات في الفضائل إختلقتها لمعارضة ماورد في قوله تعالى: فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه « سورة البقرة »

أخرج الديلمي في مسند الفردوس كما في الدر المنثور ١ : ٦٠ باسناده عن عليّ قال سألت النبيّ ﷺ عن قول الله : فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه ؟ فقال : إن الله أهبط آدم بالهند وحواء بجدّه ـ إلى أن قال ـ : حتى بعث الله إليه جبريل ، و قال : يا آدم ألم أخلقك بيدي ؟ ألم أنفخ فيك من روحي ؟ ألم أسجد لك ملائكتي؟ ألم أزوّجك حوّاء أمتي ؟ قال : بلى . قال : فما هذا البكاء ؟ قال و ما يمنعني من البكاء ؟ و قد اُخرجت من جوار الرّحمن . قال : فعليك بهؤلاء الكلمات فانّ الله قابلٌ توبتك، وغافرٌ ذنبك . قل : ألّلهمّ إنيّ اسألك بحقّ محمّد و آل محمّد سبحانك لا إله إلا أنت ، عملت سوءً ، و ظلمت نفسي فاغفرلي إنّك أنت الغفور الرّحيم . فهؤلاء الكلمات التي تلقّى آدم .

وأخرج ابن النجار عن ابن عبّاس قال : سألت رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه ؟ قال : سأل بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ . فتاب عليه . « الدر المنثور ١ : ٦٠ »

وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في المناقب كما في ينابيع المودّة ص ٢٣٩ .

وروى أبوالفتح محمّد بن علي النطنزي المولود ٤٨٠ في كتابه : الخصايص . عن ابن عبّاس انّه قال : لمّا خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فقال : الحمدلله فقال له ربّه : يرحمك ربّك . فلمّا أسجد له الملائكة قال : يا ربّ خلقت خلقاً هوأحبّ إليك منّي ؟ قال : نعم ولولاهم ما خلقتك . قال : يا ربّ فأرنيهم فأوحى الله إلي ملائكة الحجب : أن ارفعوا الحجب . فلمّا رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدّام العرش قال : ياربّ من هؤلاء ؟ قال : يا آدم هذا محمّد نبيّي ، وهذا علي أميرالمؤمنين ابن عمّ نبيّي ووصيّه و هذه فاطمة بنت نبيّي ، و هذان الحسن والحسين إبنا علي وولدا نبيّي ، ثمّ قال : يا آدم هم ولدك . ففرح بذلك فلمّا اقترف الخطيئة قال : يا ربّ أسألك بمحمّد و علي وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي . فغفر الله له ، فهذا الذي قال الله تعالى : فتلقّى آدم من ربّه كلمات . إنّ الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه : أللهمّ بحقّ محمّدوعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ . فتاب الله عليه .

وهذا الرجل يُروى له بسند صحيح توسّل عمر ـ أحد الأشباح المزعومة ـ بالعبّاس عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الاستسقاء ، خرج يستسقي به وقد أجدب الناس فقال : أللهمّ إنّا نستشفع إليك بعمّ نبيّك أن تذهب عنّا المحل ، وأن تسقينا الغيث . فقال العبّاس : أللهمّ إنّه لم ينزل بلاء من السّماء إلّا بذنب ، ولا يكشف إلّا بتوبة ، وقد توجّه بي القوم اليك لمكاني من نبيّك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا بالتوبة ، وأنت الراعي لاتهمل الضالّة ، ولاتدع الكسير بدارمضيعة ، فقد ضرع الصغير ، ورقّ الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السرّ وأخفى ، أللهمّ فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فانّه لاييأس من رحمتك إلّا القوم الكافرون .

فماتمّ كلامه حتّى أرخت السّماء مثل الحبال ، فنشأت السحاب ، وهطّت السّماء ، فطفق الناس بالعبّاس يمسحون أركانه و يقولون : هنيئاً لك ساقي الحرمين . فقال حسّان بن ثابت :

سأل الإمام و قد تتابع جدبنا ✡ فسقى الغمام بغرّة العبّاسِ
عمّ النبيّ وصنو والده الذي ✡ ورث النبيّ بذاك دون الناسِ
أحيا الإله به البلاد فأصبحت ✡ مخضرّة الأجناب بعد الياسِ

وقال ابن عفيف النصري :

ما زال عبّاس بن شيبة غايةً ✿ للناس عند تنكّر الأيّامِ
رجلٌ تفتّحت السّماء لصوته ✿ لمّا دعا بدعاوة الإسلامِ
فتحت له أبوابها لمّا دعا ✿ فيها بجند معلمين كرامِ
عمّ النبيّ فلا كمن هو عمّه ✿ ولد ولا كالعمّ في الأقوامِ
عرفت قريشٌ يوم قام مقامه ✿ فبه له فضلٌ على الأقوامِ

وقال شاعر بني هاشم :

رسول الله والشهداء منّا ✿ و عبّاس الذي بعج الغماما

وقال العبّاس بن عتبة بن أبي لهب :

بعمّي سقى الله الحجاز و أهله ✿ عشيّة يستسقي بشيبته عمرْ
توجّه بالعباس في الجدب داعماً ✿ اليه فما إن دام حتى أتى المطرْ
و منّا رسول الله فينا تراثه ✿ فهل فوق هذا للمفاخر مفتخرْ ؟[1]

فهلاّ هذا الرجل هو المتوسّل به في حديث الأشباح - المختلق - الواقع في رديف صاحب الرسالة وسيّد الوصيّين صلّى الله عليهما و آلهما ، وهو ومن معه أكرم خلق الله جميعاً باعتراف ممّن خلقهم وفي خلقه سبحانه الأنبياء واولوا العزم من الرسل والأوصياء والملائكة والمقرّبون ؟ .

فهلاّ هذا الرجل دعا الله بنفسه ؟ و ما محلّ توسّله بالعبّاس و هو أكرم عند الله منه ومن أبيه آدم وولده وهلمّ جرّا ؟ أو أنّه وجد استثناء في العبّاس فحسب فهو أكرم على الله منه ومن كلّ من هو أكرم على الله منه ؟

أنا لا أدري ماذا أقول ، و لك الفسحة و المجال لأن تقول الحقّ و ما يحدوك

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب سؤال الناس الامام الاستسقاء ، صحيح مسلم كتاب الصلاة ، الأغاني ١٢ : ٨١ ، اعلام الماوردي ٧٨ ، تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٥ - ٢٤٨ ، مستدرك الحاكم ٣ : ٣٣٤ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٩٢ ، مرآة الجنان ١ : ٧٢ ، طرح التثريب ١ : ٦٣ ، فتح الباري ٢ : ٣٩٨ وقال : يستفاد من القصة استحباب الاستسقاء بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة ، عمدة القاري ٣ ص ٤٣٨ ، شذرات الذهب ١ : ٢٩ .

اليه ضميرك الحر ، وتقول: كيف يكون المذكورون في الحديث - غير محمد و صنوه - أكرم على الله من جميع خلقه و فيهم من ذكر نا هم من الأنبياء و الرسل و الأوصياء والأولياء والملائكة ؟ وكيف يتوسل أبو البشر النبي المعصوم بمثل أبي بكر وصاحبيه وهم هم ؟ وسيرتهم بين يديك ، و كيف يكونون رديف النبي الأعظم و صنوه المعصوم بنص الكتاب العزيز ونفسه المطهر الناطق به القرآن الكريم ؟ و كيف يشاركون معهما في فضيلة الخلقة ، وكرامة التوسل ؟ و لا أحسب أن احداً من شيعة القوم يصافق رواة هذه الأفيكة على هذه المزاعم ، و لعلهم يصافقونهم ويجعلونها على عهدتهم كما فعل ابن حجر إذ غلوهم في الفضائل غير محدود .

وأما الرجل الثاني الذي أربكه التفريط وأسف به إلى هوة الجهل فكالقصيمي الذي أنكر ما جاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله: يا آدم و كيف عرفت محمداً و لم أخلقه ؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك و نفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله : صدقت يا آدم ! انه لأحب الخلق إلي ، ادعني بحقه قد غفرت لك . ولولا محمد ما خلقتك .

أخرجه البيهقي في دلائل النبوة[1] والحاكم في المستدرك ٢ : ٦١٥ و صححه؛ والطبراني في المعجم الصغير ، وأبو نعيم في الدلائل ، وابن عساكر كما في الخصايص ، و أقر صحته السبكي في شفاء السقام ص ١٢٠ ،و القسطلاني في المواهب ١ ص ١٦ ، والسمهودي في وفاء الوفا ٢ : ٤١٩ ، والزرقاني في شرح المواهب ١ : ٦٢ ، والعزامي في فرقان القرآن ص ١١٧ ، وذكره السيوطي في الخصايص الكبرى عن عدة من الحفاظ ج ١ ص ٦ .

فقال القصيمي في الصراع ٢ : ٥٩٣ تبعاً أثر إبن تيمية في الرد على هذه المأثرة النبوية الصحيحة : والسؤال بحق النبي أو بحق غيره من الأنبياء والصالحين ليس له من القيمة العملية الدينية ما يوجب أن يكون عملاً صالحاً مبروراً فضلاً عن أن يكون أداة

(١) قال الذهبي في الثناء عليه : عليك به فكله هدى و نور .

غفران وعفوٌ تامٌّ، وماذا في قول القائل: أسألك يا الله بحقِّ فلان أو فلانة من عمل صالح يؤهِّل قائله لأن يكون من المغفور لهم؟ وأنّما يغفر للمستغفر.

و قال: وأمّا الألفاظ المجرّدة فلا وزن لها عند الله ولا ينظر إليها فضلاً عن أن تكون عملاً تحطُّ به الذنوب و الخطايا الثقيلة، فما في قول القائل: أسألك بحقِّ محمّد لمّا غفرت لي من الشأن و القيمة؟ حتّى يُقال له: و إذ سألتني بحقّه فقد غفرت لك. وأجهل الناس وأرقّهم ديناً و تقوىً و فضيلةً و أشدّهم بعداً عن الله و عن رضاه يقولون ذلك، ويلهجون به، و هم على رغمهم لا يجدر بهم الغفران و لا التجاوز و العفو والرضا بل و هم خليقون بالانتقام والطرد والعذاب الأليم الموجع، و لن تجديهم هذه المقالة و لا هذا التوسل قليلاً و لا كثيراً، فنحن لا نشكُّ في أنَّ آدم ما غفر له ذنبه إلّا لتوبته و لرجوعه إلى ربِّه ولإقلاعه عن ذنبه، ولاعتذاره واستغفاره الصادرين عن جميع نفسه و قلبه و عقله، أمّا السؤال بالحقِّ فلا قيمة ولا وزن له عند الله البتة. اه.

نحن لا نقابل هذا المغفّل المستهتر البذيَّ إلّا بالسّلام، حذا في هذيانه هذا حذو شيخه ابن تيميّة، وقد ردَّ عليه جمعٌ من أئمّة الحديث و حفّاظه بكلمات ضافية نقتصر منها بكلام السبكي قال في شفاء السقام ص ١٢١، قال ابن تيميّة: أمّا ما ذكر في قصّة آدم من توسّله فليس له أصل، ولا نقله أحدٌ من النبيِّ ﷺ باسناد يصلح للاعتماد عليه ولا الاعتبار ولا الاستشهاد. ثمَّ ادّعى ابن تيميّة إنّه كذبٌ وأطال الكلام في ذلك جدّاً بما لا حاصل تحته بالوهم و التخرّص، و لو بلغه انَّ الحاكم صحّحه لما قال ذلك، أو لتعرّض للجواب عنه، و كأنّي به إن بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرّحمن ابن يزيد راوي الحديث، و نحن نقول: قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم، و ايضاً عبد الرّحمن بن يزيد لا يبلغ في الضعف إلى الحديث الذي إدّعاه، و كيف يحلُّ لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يردّه عقلٌ ولا شرعٌ؟ وقد ورد فيه هذا الحديث، وأمّا ما ورد من توسّل نوح و ابراهيم و غيرهما من الأنبياء فذكره المفسِّرون و اكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته و تصحيح الحاكم له: ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبّر عنه بالتوسّل أو الاستعانة أو التشفّع أو التجوّه. والداعي بالدعاء المذكور ما في معناه متوسّلٌ بالنبيِّ ﷺ لأنّه جعله وسيلة لإجابة الله دعاءه أو مستغيثٌ به،

والمعنى انه استغاث الله به على ما يقصده . الخ .

و قد أسلفنا الكلام حول الموضوع في الجزء الخامس ص ١٤٣ - ١٥٦ راجع .

- ٢٣ -

أبو بكر خير أهل السماوات و الأرض

عن أبي هريرة : إن رسول الله ﷺ قال : أبوبكر وعمر خير أهل السماوات و الأرض ، وخير الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين .

ذكره ابن حجر في الصواعق ٤٥ نقلاً عن الحاكم وابن عدي ، وأخرجه الخطيب في تاريخه ٥ ص ٢١٣ وسكت عما في سنده من العلل « على عادته الجارية في مناقب الشيخين » وفيه : جبرون بن واقد الافريقي والراوي عنه محمد بن داود القنطري ، قال الذهبي في الميزان : جبرون متهم فانه روى بقلة حياء عن سفيان ، وروى عنه محمد بن داود القنطري ، عن أبي هريرة مرفوعاً : أبوبكر وعمر خير الأولين . الحديث تفرد به و بالذي قبله وهما موضوعان . وزاد ابن حجر في اللسان ٢ ص ٩٤ عن ابن عدي انه قال : لا أعرف له غير هذين الحديثين ولا أعلم يرويهما عنه غير محمد بن داود وهما منكران.

و قال الذهبي في ترجمة محمد بن داود : عن جبرون الافريقي بحديثين باطلين ذكرهما ابن عدي في ترجمة جبرون وقال تفرد بهما محمد .

و قال ابن حجر في اللسان ٥ : ١٦١ : أحسب الآفة في الحديث من جبرون وقد ساق المؤلف الحديثين في ترجمته وصرح بأنهما موضوعان وأشار إلى أن المشتهر بهما جبرون .

قال الأميني : ومن الحري لمثل هذين المبطلين أن يرويا باطلاً كمثل هذا الذي يرتأي مفتعله تفضيل الرجلين على الملائكة المقربين المعصومين من أهل السماوات وفيهم سيدهم أمين الوحي جبرئيل ، وعلى من ثبتت زلفتهم وقربهم من أولياء الله و أصفيائه و أوصياء الأنبياء ، أنا لا أدري بماذا فضلا عليهم أبعلمهما المتدفق ؟ و قد عرفت مبلغهما منه ، أم بالعصمة عن الخطايا والذنوب ؟ وأنت لا تقول بها ، أو أن ماحفظه التاريخ من سيرتهما لا يدع أن تقول بها ، لكن عصمة الملائكة ثابتة لاريب فيها ، وعصمة الأوصياء واجبة بالبرهنة الصحيحة ، وزلفى المقربين كلقمان و الخضر وذي القرنين

من القضايا التي قياساتها معها، أم ببأسهما المرهب في ذات الله وعنائهما في سبيل الدين وجهودهما الجبّارة؟ لايخفى على أحد حقّ القول في ذلك كلّه، ضع يدك هاهنا على أيّ فضيلة فانّك لاتجد فيهما منهاما يربي بهما على كثير من الصّحابة والتابعين هلمّ جرّا فضلاً عن مَن ذكرناهم، غيرأنّ الغلوّ في الفضائل حدى صاحبه إلى أن يقول بذلك، فدعه يقول فانّ الحقايق الثابتة غيرقابلة للزوال، والاصول الموضوعة يركن اليهاعلى كلّ حال.

- ٣٤ -

ثواب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم و أبي بكر

عن عليّ بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول لأبي بكر: يا أبابكر! إنّ الله أعطاني ثواب من آمن به منذ خلق آدم إلى أن بعثني، و إنّ الله أعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة.

أخرجه الخلعي والملاّ كمافي الرياض النضرة ١ ص١٢٩، و الخطيب البغدادي في تاريخه ٥ ص ٥٣ من طريق أحمد بن محمّد بن عبيدالله ابي الحسن التمّار المقرئ فقال: كان غير ثقة روى أحاديث باطلة ذاكرت أبا القاسم الأزهري حال هذا الشيخ و قلت: أراه ضعيفاً لأنّ في حديثه مناكير. فقال: نعم هو مثل أبي سعيد العدوي.

قال الأميني: أبو سعيد العدوي هو الحسن بن علي العدوي البصري شيخٌ قليل الحياء كذّابٌ يضع الحديث، أسلفنا ترجمته في سلسلة الكذّابين في الجزء الخامس ص ٢٢٤ ط٢، فقول الأزهري في أبي الحسن التمّار (انّه مثل أبي سعيد) يومي إلى انّه ايضاً كذّابٌ وضّاعٌ.

و في الإسناد أبو معاوية الضرير وقد اشتهر عنه الغلوّ غلوّ التشيع، و قال يعقوب بن شيبة: ثقةٌ ربما يدلّس «ميزان الاعتدال ٣ ص٣٨٢» وفيه أبو البختري عن عليّ قال سلمة بن كهيل: ماكان من حديث أبي البختري فهو حسن، وما كان عن فهو ضعيفٌ «ميزان الاعتدال ٣ ص ٣٤٤».

هذا شأن سند الرواية وأمامتنه فضميرك الحرّ نعم الحَكَم فيه.

- ٣٥ -

الحبّ والشكر الواجبان على الأمّة

عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ حبّ أبي بكر و شكره و اجب على اُمّتي .

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٥ص ٤٥٣ من طريق عمر بن ابراهيم الكردي و قال : تفرّد به عمر ، و هو ذاهب الحديث . وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ : ٢٤٩ فقال : الحديث منكرٌ جدّاً .

و رواه الخطيب في تاريخه ٥ :٧٣ من طريق عمر الكردي ايضاً بلفظ : إنّ أمنّ الناس عليّ في صحبته وذات يده أبو بكر الصدّيق ، فحبّه وشكره و حفظه واجبٌ على اُمّتي .

قال الأميني : هذه الرّواية من موضوعات عمر الكردي قال الدارقطني : كذّابٌ خبيثٌ ، وقال الخطيب : غير ثقة يروي مناكير من الاثبات . راجع ما مرّ في سلسلة الكذّابين في لجزء الخامس ص٢٤٦ ط٢.

والعجب من الخطيب في تاريخه انّه مع قوله المذكور في ترجمة الكردي ترى عقدةً في لسانه لمّا يذكر الرواية فيسكت عمّا فيها تارةً ولم يتكلّم بذأمة تُعرب عن وضعها ، و يقتصر اُخرى بقوله : تفرّد بروايته عمر وغير عمر أوثق منه . كما قاله في الموضع الثاني ، وليست هذه كلّها إلّا لإغفال القرّاء عن جليّة الحال ، والتمويه على الحقائق الراهنة ، فمن جرّائها يأتي الصفوري بعد حين و يذكر الرواية في نزهة المجالس ٢ : ١٨٦ مرسلاً إيّاها إرسال المسلّم .

-٣٦-

أبو بكر في كفّة الميزان

أخرج الحكيم الترمذي كما في مرقاة الوصول ص ١١٢ قال : حدّثنا رزق الله بن موسى الباجي البصري قال : حدّثنا مؤمل بن إسماعيل - العدوي البصري - قال : حدّثنا حماد بن سلمة قال : حدّثنا سعيد بن جمهان البصري عن سفينة مولى امّ سلمة قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلّى الصبح أقبل على أصحابه فقال : أيّكم رأى الليل

رؤيا ؟ قال : فصلّى ذات يوم الصبح ثمّ أقبل على أصحابه فقال : أيّكم رأى الليل رؤيا ؟ فقال رجلٌ : أنا يا رسول الله رأيت كأنّ ميزاناً اُدلي من السّماء فوضعت في كفّة الميزان وُوضع أبوبكر في كفّة اُخرى فرجحت بأبي بكر فرفعت . وُترك ابوبكر فجيء بعمر فوضع في الكفّة الاُخرى فوزن بأبي بكر فرجح أبوبكر بعمر ، ورُفع أبوبكر وترك عمر مكانه فجيء بعثمان فوضع في الكفّة الاُخرى فرجح عمر بعثمان ، ورفع عمر وُترك عثمان مكانه فجيء بعليّ فوضع في الكفّة الاُخرى فرجح عثمان بعليّ ورُفع الميزان فتغيّر وجه رسول الله ﷺ ثمّ قال : خلافة نبوّة ثلاثين عاماً ثمّ تكون ملكاً .

☼(رجال إسناده)☼

ـ١ رزق الله البصري المتوفّى ٢٥٦/٦٠ قال الاندلسي : روى أحاديث منكرة وهو صالحٌ لابأس به « تهذيب التهذيب ٣ : ٢٧٣ » .

٢ـ مؤمّل العدوي البصري المتوفّى ٢٠٦ قال أبوحاتم : صدوقٌ شديدٌ في السنّة كثير الخطأ . وقال البخاري : منكر الحديث . و قال يعقوب بن سفيان : شيخٌ جليلٌ سنّي سمعت سليمان بن حرب يحسن الثناء ـ عليه ـ كان مشيختنا يوصون به إلّا انّ حديثه لايشبه حديث أصحابه ، وقد يجب على أهل العلم أن يقفوا عن حديثه ، فانّه يروي المناكير عن ثقات شيوخه ، وهذا أشدّ فلو كانت هذه المناكير عن الضعفاء لكنّا نجعل له عذراً ، وقال الساجي : صدوقٌ كثير الخطأ ، و له أوهامٌ يطول ذكرها ، وقال ابن سعد والدارقطني : كثير الخطأ . وقال المروزي : إذا انفرد بحديث وجب أن يتوقّف ويتثبّت فيه ، لأنّه كان سيّئ الحفظ كثير الغلط .

« ميزان الاعتدال ٢ص٢٢١ ، تهذيب التهذيب ١٠ ص ٣٨١ »

٣ـ سعيد بن جمهان البصري المتوفّى ١٣٦ . قال أبوحاتم : يكتب حديثه و لا يُحتجّ به . وقال الساجي : لايُتابع على حديثه .

« ميزان الاعتدال ١ : ٣٧٧ ، تهذيب التهذيب ٤ : ١٤ »

قال الأميني : ويلٌ للمطفّفين ، الّذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، و إذا كالوهم أووزنوهم يخسرون ، ألا يظنّ اولئك أنّهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لربّ العالمين .

هذه الميزان التي جاء بها البصريّون وأُدليت من سماء البصرة في منجمها عينٌ، وفي إحدى كفّتيها شولٌ، وفي لسانها عوج. قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ قل هل يستوى الأعمى والبصير؟ أم هل تستوي الظلمات والنور؟

كيف يوزن في ميزان العدل والنصفة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو هو مع إبن أبي قحافة الذي ليس إلّا أبو بكر، أيّ خلايق كريمة؟ أيّ نفسيّات طاهرة؟ أيّ ملكات فاضلة؟ أيّ حِكم علميّة أو عمليّة؟ أيّ عوارف و معارف راقية؟ أيّ بصيرة نافذة؟ أيّ أيّ؟ جعلت في كفّة جعل فيها أبو بكر. هل هذه الموازنة يقبلها الوجدان والمنطق حتّى يقال بالرجحان في إحدى كفّتي الميزان؟ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً.

ثمّ كيف رجح أبو بكر بعمر وإنّهما كانا عكمي بعير في الفضائل كلّها أيّام حياتهما غيرانّ فتوحات عمر وأياديه في بسط الإسلام في أرجاء العالم لا تُنسى، ولم تزل تذكر في صفحات التاريخ، فله فضيلة الرجحان على أبي بكر إن وزنا بميزان غير معيبة.

و كيف فُصِّل بين النبيّ الأعظم وبين أمير المؤمنين في الميزان؟ وهو نفسه بنصّ القرآن الكريم، وله العصمة بحكم الكتاب العزيز، وهو وارث علمه، وباب حكمته، وهو عدل القرآن وخليفة نبيّ الإسلام بقوله صلّى الله عليه وآله: إنّي مخلّفٌ فيكم اثنين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. وأيّ فضيلة رابية لعثمان جعلت في كفّة الميزان ورجح بها على عليّ رديف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في فضائله. أنا لا أدري.

ثمّ إن كان التعبير الذي عزوه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حقّاً فهو لا محالة بتقدير من الله تعالى ومشيئة منه رعايةً للنظام الأصلح، فلماذا تغيّر وجهه صلّى الله عليه وآله ممّا قدّره المولى سبحانه و شاءه و أحبّه؟ و لم تكن له غاية إلّا الحصول على مرضاته والدعوة إليها و ايقاف الأمّة عليها. أوَ ليس هذا ممّا ينافي عصمته ويضادّ مقامه الأسمى؟ لكن الغلوّ في الفضايل قد يصحّح أمثال ذلك. فإنّا لله و إنّا إليه راجعون.

ـ٢٧ـ
ما أسلم أبو مهاجر إلّا أبو بكر

أخرج ابن مندة وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أسلم أبو أحد

من المهاجرين إلاّ أبو بكر. تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٣.

وروى المحبّ الطبري في رياضه ١ ص ٤٧ عن الواحدي مرسلاً بلا إسناد عن عليّ بن أبي طالب إنّه قال في أبي بكر: أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين أسلم أبواه غيره. وذكره القرطبي في تفسيره ١٦ : ١٩٤.

وأخذ غير واحد من المتأخّرين كالشبلنجي و نظراؤه هذين الحديثين فعدّوهما من فضائل أبي بكر المتسالم عليها.

قال الأميني: نحن نقدّس ساحة عليّ و عائشة عن مثل هذا الكذب الفاحش الذي ينادي التاريخ بخلافه، و تكذّبه سيرة الصحابة المهاجرين، وإنّما الحبّ الدفين قد أعمى رواة هذه الأفيكة وأصمّهم عمّا في غضون الكتب، فأسرفوا في القول و تغالوا في الفضائل غير مكترثين لمغبّة قيلهم، أهذا مبلغهم من العلم ؟ أم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون ؟.

هاجر بنو مظعون من بني جمح. وبنو جحش بن رئاب حلفاء بني اميّة. وبنو البكير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب. بأهليهم وأموالهم، و غلقت دورهم بمكة هجرةً ليس فيها ساكن كما في سيرة ابن هشام ٢ : ٧٩، ١١٧ أكانت نساء تلكم الأسر الكبيرة أرامل أو عقائم ؟ أو كانت أبنائها أيتاماً من الأبوين أيامى؟ أو كانت آباؤها رجالاً بلا أعقاب. قاتل الله الحبّ كيف يُعمي ويُصمّ.

وهلمّ معي نقرأ صحيفة من تراجم المهاجرين هذا عمّار بن ياسر مهاجرٌ عظيمٌ وأبواه في الرعيل الأوّل من المعذّبين في الإسلام. قال مسدّد كما في تهذيب التهذيب ٧: ٤٠٨ : لم يكن في المهاجرين من أبواه مسلمان غير عمّار بن ياسر. فهذا ينفي إسلام والدي أبي بكر و يكذّب ذلك المختلق.

وهذا عبدالله بن جعفر هاجر أبوه ومعه عبدالله وأخواه محمّد و عون و معهم امّهم أسماء بنت عميس.

و هذا عمرو بن أبان بن سعيد الأموي، من المهاجرين و أبوه شهد خيبراً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وامّه فاطمة بنت صفوان مسلمة.

وهذا خالد بن أبان الأموي أخو عمرو بن أبان المذكور.

وهذا إبراهيم بن الحارث بن خالد التميمي ، هاجر مع أبيه وأمّه ريطة بنت الحارث بن جبلة .

و هذا الحاطب بن الحارث الجمحي من المهاجرين وهاجر معه أبوه وأمّه فاطمة بنت المجلّل .

وهذا الحطّاب بن الحارث الجمحي، هاجر مع أبيه وأمّه و أخيه الحاطب ومعه امرأته فكيهة بنت يسار .

و هذا حكيم بن الحارث الطائفي ، هاجر مع امرأته و بنيه ومعه أبواه وهما مسلمان .

وهذا خزيمة بن جهم بن قيس العبدري هاجر مع أبيه وأخيه عمرو ومعهم أمّهما أمّ حرملة بنت عبد الأسود .

وهذا جابر بن سفيان بن معمر الجمحي هاجر هو وأبوه وأمّه حسنة .

وهذا جنادة بن سفيان الجمحي هاجر ومعه أمّه حسنة وأخوه جابر المذكور .

وهذا سلمة بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ؛ هاجر أبوه وهاجرت بعده أمّه أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ مع إبنها سلمة .

وهذا جناب بن الحارثة بن صخر العذري ، هاجر إلى المدينة و أبوه قد أسلم .

وهذا الحارث بن قيس السهمي هاجر مع بنيه الحارث و بشر ومعمر فهم مهاجرون و أبوهم الحارث قد أسلم وهاجر .

وهذا السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي . من المهاجرين وأبوه مهاجرٌ عظيمٌ .

وهذا سليط بن سليط بن عمرو العامري . قال عمر : دلّوني على فتى مهاجر هو و أبوه . فدلّوه عليه .

وهذا عبد الرحمن بن صفوان بن قدامة . هاجر هو وأبوه .

وهذا عبد الله بن صفوان بن قدامة . هاجر هو وأبوه .

وهذا عامر بن غيلان بن سلمة الثقفي . هاجر إلى رسول الله وأبوه قد أسلم .

وهذا عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي . من المهاجرين ووالده صحابيٌّ عظيم .

وهذا عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة مهاجر وهاجر أبوه وأسلم جدّه وجدّته أمّ الخير

على زعم القوم وسيأتي الكلام في إسلامهما .

وهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب . مهاجر وأبوه قد أسلم وهاجر .

وهذا محمّد بن عبد الله بن جحش . أحد المهاجرين ومعه أبوه وأمّه .

وهذا عبد الله بن المطلب بن أزهر . أحد المهاجرين وأبوه مهاجر .

وهذا معمر بن عبد الله بن نضلة . أحد المهاجرين ووالده مهاجر .

وهذا مهاجر بن قنفذ بن عمير القرشي التيمي . من المهاجرين السابقين إلى الاسلام وأبوه له صحبة .

وهذا موسى بن الحرث بن خالد القرشي التيمي . مهاجر ابن مهاجر .

وهذا النعمان بن عدي بن نضلة . مهاجر هو ووالده .

راجع سيرة ابن هشام ١ ٢ ، طبقات ابن سعد ، تاريخ الطبري ، الاستيعاب ، أسد الغابة ، كامل ابن الأثير ، تاريخ ابن كثير ، عيون الأثر لابن سيّد الناس ، الاصابة ، تهذيب التهذيب ، السيرة الحلبيّة .

ولعلّ الباحث يقف في غضون السير وكتب التاريخ ومعاجم التراجم كثيراً من نظراء هؤلاء من المهاجرين الذين أسلم آبائهم أو آبائهم وأمّهاتهم . فماجاء به المحبّ الطبري والسيوطي ومَن لفّ لفّهما من فضيلة إسلام والد أبي بكر أو والديه دون سائر الصحابة وعزوه إلى مولانا أمير المؤمنين ليس إلّا مجهلة ومخرقة نشأت من الغلوّ الفاحش في الفضائل .

☆(إسلام والدي أبي بكر)☆

هلمّ معي نحاسب إسلام والدي أبي بكر أحقّاً هما أسلما ؛ فضلاً عن أن يخصّ بهما الإسلام من بين آباء المهاجرين وأمّهاتهم ، أم لم ينبّأ به خبير ؟ بل هو نبأ كنبأ إسلام والدي غيره من المهاجرين يناقش فيه وإنّما ولّده الغلوّ في الفضائل . أمّا إسلام أبي قحافة فيقال : إنّه أسلم يوم الفتح وقد أتى به إبنه أبو بكر إلى رسول الله ﷺ ولم يؤثر إتيانه إلى رسول الله ﷺ طيلة حياته غير مرّة واحدة في تلك السنة يوم ذاك . و ها نحن نذكر جميع ما ورد في إتيانه ذاك ، ونجعل تلكم الروايات المرويّة فيه قسمين : الأوّل ما لم يذكر فيه إيعاز إلى إسلامه . والثاني ما يوعز فيه إلى اسلامه .

☆(القسم الأوّل)☆

١- أخرج الحاكم في المستدرك ٣ : ٢٤٥ عن أبي عبدالله محمّد بن أحمد القاضي ابن القاضي قال : حدّثني أبي ثنا محمّد بن شجاع ثنا الحسين[1] بن زياد عن أبي حنيفة عن يزيد بن أبي خالد عن أنس رضي الله عنه قال : كأنّي أنظر إلى لحية أبي قحافة كأنّه ضرام عرفج من شدّة حمرته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه تكرمةً لأبي بكر.

سكت الحاكم عمّا في سنده هذه الرواية ولم يصحّحه على عادته في الكتاب ، وتبعه في ذلك الذهبي في تلخيصه ، كلّ ذلك تكرمةً لأبي بكر ، وإن بخسا الحقّ و الحقيقة . فيه :

١ - محمّد بن شجاع البغدادي أبو عبدالله ابن الثلجي الفقيه . قال أحمد إمام الحنابلة : مبتدعٌ صاحب هوى . و قال عبدالله بن أحمد : سمعت القواريري قبل أن يموت بعشرة أيّام و ذكر ابن الثلجي فقال هو كافرٌ . قال : فذكرت ذلك لإسماعيل القاضي فسكت ، فقلت : ما أكفره إلّا بشيء سمعه منه . قال : نعم .

وقال زكريا الساجي : فأمّا ابن الثلجي فكان كذّاباً إحتال في ابطال حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ورده نصرةً لمذهبه ، وفي المنتظم : نصرةً لأبي حنيفة ورأيه .

و قال ابن عدي ، كان يضع أحاديث في التشبيه وينسبها إلى أصحاب الحديث يبليهم بذلك .

و قال الأزدي : كذّابٌ لاتحلّ الرواية عنه لسوء مذهبه ، وزيغه عن الدين .

و قال الجوزجاني : قال موسى بن القاسم الأشيب : كان كذّاباً خبيثاً[2] وفيه :

٢ - الحسن بن اللؤلؤي الكوفي . قال يحيى بن معين : كذّابٌ .

و قال ابن المديني : لايكتب حديثه .

وقال محمّد بن عبدالله بن نمير : يكذب على ابن جريج .

وقال ابو داود : كذّابٌ غير ثقة .

---

(١) الصحيح : الحسن بن زياد .

(٢) ميزان الاعتدال ٣ : ٧١ ، المنتظم لابن الجوزي ٥ :٥٧ ، تهذيب التهذيب ٩ : ٢٢٠.

وقال أبو حاتم : ليس بثقة . وقال الدارقطني : ضعيف متروك .

وقال نضر بن شميل لرجل كتب كتب الحسن : لقد جلبت إلى بلدك شراً .

وقال أبو ثور : ما رأيت أكذب من اللؤلؤي ، كان على طرف لسانه : إبن جريج عن عطاء .

وقال أحمد بن سليمان : رأيته يوماً في الصلاة وغلام أمرد إلى جانبه في الصف فلما سجد مد يده إلى خد الغلام فقرصه فقذفته فلا أحدث عنه .

و قال ابن أبي شيبة : كان أبو أسامة يسميه الخبيث .

وقال يعقوب بن سفيان ، والعقيلي ، والساجي : كذاب .

و قال النسائي : ليس بثقة ولا مأمون [1] إقرأ واحكم . أتخفى هذه كلها على مثل الحاكم والذهبي ؟ لا ها الله .

٢ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ٣ : ٢٤٤ عن أبي العباس محمد بن يعقوب قال : ثنا محمد بن اسحاق الصغاني ثنا حسين بن محمد المروزي ثنا عبدالله بن عبدالملك الفهري ثنا القاسم بن محمد بن أبي بكر عن أبيه عن أبي بكر رضي الله عنهم قال : جئت بأبي أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ فقال : هلا تركت الشيخ حتى آتيه ؟ فقلت : بل هو أحق أن يأتيك . قال : إنا لنحفظه لأيادي إبنه عندنا .

و ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ٥٠ فقال : رواه البزار وفيه عبدالله ابن عبد الملك الفهري ولم أعرفه . وقال الذهبي في تلخيص المستدرك : عبدالله منكر الحديث .

و قال الذهبي في الميزان ٢ : ٥٥ ، وابن حجر في لسانه ٢ : ٣١١ : قال ابن حبان : « عبدالله » لا يشبه حديثه حديث الثقات يروي العجائب . و قال العقيلي : منكر الحديث لا يتابع عليه ، و قال أبو زرعة : هو ضعيف يضرب على حديثه . و قال البرقاني : سألت أبا الحسن عنه قلت : ثقة ؟ قال : لا ولا كرامة . إنتهى ما في الميزان ولسانه . وفي السند : القاسم بن محمد عن أبيه عن أبي بكر ، توفي القاسم بن محمد سنة ٩/١٠٨ وهو ابن ٧٢/٧٠ سنة كما في صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ ص ٥٠ و توفي والده محمد سنة

---

(١) ميزان الاعتدال ١ : ٢٢٨ ، لسان الميزان ٢ : ٢٠٨ .

٣٨ فتكون ولادة القاسم سنة وفاة أبيه محمّد ، وإن أخذنا قول إبن سعد من أنّ القاسم توفّي سنة ١١٢ وهو ابن سبعين سنة فيكون القاسم عند وفاة والده إبن أربع سنين فأنّى له الرواية عن أبيه .

وأمّا رواية محمّد عن أبيه أبي بكر فلا يصحّ إذ محمّد ولد عام حجّة الوداع سنة عشرة من الهجرة و توفّي والده في جمادى الآخرة عام ثلاثة عشر ، فأين يكون مقيل هذه الرواية من الصحّة ؟ قال الذهبي فى تلخيص المستدرك في تعقيب هذه الرواية : القاسم لم يدرك أباه ولا أبوه أبابكر .

٣ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ٣ ، ٢٤٤ عن القاضي أبوبكر محمّد بن عمر بن سالم بن الجعابي الحافظ ألا و حدّثنا أبو شعيب عبدالله بن الحسن الحرّاني ، باسناده عن أنس قال : جاء أبوبكر رضي الله عنه يوم فتح مكة بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : لواقررت الشيخ في بيته لأتيناه .

ليت شعري ما الذي دعا الذهبي إلى تسليم رواية الجعابي هذه و ترك الغمز فيها وقد ترجمه في ميزانه ٣:١١٣ وقذفه بقوله : إنّه فاسق رقيق الدين ، وقال الخطيب : كثير الغرائب، ومذهبه في التشيّع معروف ، ونسب إليه ابن الجوزي ما هو بري، منه، و حكي عن الحاكم انّه قال :قلت للدارقطني : بلغني إنّ إبن الجعابي تغيّر بعدنا . فقال: و أيّ تغيّر . فقلت : هذا فهمه في الحديث . قال : اي والله حدّث عن الخليل بن أحمد صاحب العروض بعشرين حديثاً باسانيد ليس له فيها أصل . إلى آخر ما أتى به القوم في ترجمته ، راجع تاريخ الخطيب ٣ : ٢٦ ، المنتظم لابن الجوزي ٧ : ٣٨ ، لسان الميزان ٥ : ٣٢٢ .

ثمّ كيف خفي عليه و على الحاكم أنّ الجعابي ولد سنة ٢٨٥ و توفّي ٣٥٥ باتفاق المؤرّخين فأنّى تصحّ روايته عن أبي شعيب عبدالله بن الحسن المتوفّى ٢٩٢ ؟ كما أرّخه الذهبي في ميزان الاعتدال ، هذا أخذاً بما في لفظ الذهبي في تلخيصه سن : حرف « ألاو » من السند وأمّا على ما في لفظ الحاكم من « ألاو » فيكون الراوي عن أبي شعيب المتوفّى ٢٠٢ هو نفس الحاكم المولود سنة ٣٢١ .

على انّ الذهبي قال في الميزان ٢ : ٣٠ : كان أبو شعيب غير متّهم لكنه أخذ

الدراهم على الحديث ؛ و حكى ابن حجر عن ابن حبّان في لسان الميزان ٣ : ٢٧١ إنّه قال : كان يخطىء ويهم .

٤ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ٣ : ٢٤٤ عن أبي العبّاس محمّد بن يعقوب ثنا بحر بن نصر ثنا عبدالله بن وهب أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر أنّ عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا وقف به على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : غيّروه (١) و لا تقرّبوه سوادا .

متن هذه الرواية يكذّبه كلّ ما ورد في إتيان أبي قحافة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإنّ في الجميع انّ الآتي به هو أبوبكر . ثمّ مرّ في حديث أنس أنّه نظر إلى لحية أبي قحافة كأنّه ضرام عرفج من شدّة حمرتها ، فما معنى ماورد في هذا الرواية من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : غيّروه ولا تقرّبوه سوادا ؟

و أمّا سندها ففيها عبدالله بن وهب قال ابن معين : ابن وهب ليس بذاك . و في ابن جريج كان يستصغر . ميزان الاعتدال ٢ : ٨٦ .

و فيها أبو الزبير محمّد بن مسلم الأسدي المكي ففي الميزان ٣ ص ١٢٥ : يردّ ابن حزم من حديث أبي الزبير ما يقول : عن جابر ونحوه ، لأنّه عندهم ممّن يدلّس فإذا قال : سمعت وأخبرنا اُحتجّ به . قال الأميني : هذا الحديث ممّا قال فيه أبو الزبير عن جابر فهو يردّ على ماقاله ابن حزم .

وقال أبوزرعة وأبوحاتم : أبوالزبير: لايتحجّ به. وقال يونس بن عبدالأعلى: سمعت الشافعي واحتجّ عليه رجل بحديث عن أبي الزبير فغضب وقال : ابوالزبير محتاج إلى دعامة. وعن ورقاء قال : قلت لشعبة : مالك تركت حديث أبي الزبير؟ قال : رأيته يزن ويسترجح في الميزان . وقال شعبة : قدمت مكّة فسمعت من أبي الزبير فبينا أنا جالس عنده إذ جاءه رجل يوماً فسأله عن مسئلة فردّ عليه فقلت له : يا أباالزبير! تفتري على رجل مسلم قال : إنّه أغضبني . قلت : مَن يغضبك تفتري عليه ؟ لارويت عنك حديثاً أبداً . وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٩ : ٤٤٠ و حكى تضعيف أيّوب و أحمد وغيرهما إيّاه .

وعن أبي الزبير هذا أخرج الحاكم في المستدرك ٣ : ٢٤٥ عن جابر انّه قال :

---

(١) قال الذهبي في تلخيص المستدرك : غيّروه يعني الشيب .

أُتي النبيُّ ﷺ يوم الفتح بأبي قحافة ورأسه ولحيته كالثغامة فقال رسول الله ﷺ : اخضبوا لحيته .

٥ ـ أخرج ابن حجر من طريق محمّد بن زكريا العلائي [١] عن العبّاس بن بكار عن أبي بكر الهذلي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال : جاء أبو بكر بأبي قحافة وهو شيخٌ قد عمى فقال رسول الله ﷺ : ألا تركت الشيخ حتّى آتيه ؟ قال : أردت أن يؤجره الله ، والذي بعثك بالحقّ لأنا كنت أشدُّ فرحاً باسلام أبي طالب منّي باسلام أبي ، ألتمس بذلك قرّة عينك . الاصابة ٤ : ١١٦.

٥(رجال الاسناد)٥

١ ـ محمّد بن زكريّا الغلابي البصري . قال الذهبي : ضعيفٌ . وقال ابن حبّان : يعتبر بحديثه إذا روي عن ثقة . وقال ابن مندة : تكلّم فيه . وقال الدار قطني يضع الحديث . و ذكر الصولي باسناده حديثاً فقال : هذا كذبٌ من الغلابي . ميزان الإعتدال ٣ : ٥٨ .

٢ـ العباس بن بكار البصري . قال الدارقطني : كذّابٌ . وقال العقيلي : الغالب على حديثه الوهم والمناكير . ميزان الاعتدال ٢ : ١٨

٣ـ ابو بكر الهذلي البصري . قال الدوري ليس بشيء و قال ايضاً : ليس بثقة . وقال ابن معين : ليس بشيء . وقال غندر : كان يكذب وقال أبو زرعة : ضعيفٌ . وقال ابوحاتم : ليّن الحديث يكتب حديثه ولا يُحتجُّ بحديثه . وقال النسائي : ليس بثقة و لا يُكتب حديثه . وقال ابن الجنيد : متروك الحديث . وقال ابن المديني : ضعيفٌ ليس بشيء ، ضعيفٌ جدّاً ، ضعيفٌ ضعيفٌ . وقال الجوزجاني : يضعف حديثه . وقال الدارقطني : منكر الحديث متروكٌ . وقال يعقوب بن سفيان : ضعيفٌ ليس حديثه بشيء . وقال المروزي : كان أبو عبدالله يضعّف أمره . وقال ابن عمّار : بصريٌّ ضعيفٌ . وقال أبو إسحاق : ليس بحجّة . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقويّ عندهم . وقال ابن عدي : عامّة مايرويه لايتابع عليه .

وقال الذهبي : ضعّفه أحمد وغيره . وقال غندر وابن معين : لم يكُن بثقة . وقال

(١) الصحيح : الغلابى .

يزيد بن زريع: عداتٌ عنه عمداً. و قال النسائي: ليس بثقة. و قال البخاري: ليس بالحافظ عندهم.

راجع ميزان الاعتدال ٣: ٣٤٥، تهذيب التهذيب ١٢: ٤٦، وقال ابن حجر في الإصابة بعد ذكر الحديث: إسنادٌ واهٍ.

٦- قال ابن حجر في الاصابة ٤: ١١٧: أخرج أبوقرة موسى بن طارق عن موسى بن عبيدة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال: جاء أبوبكر بأبي قحافة يقوده يوم فتح مكة فقال رسول الله ﷺ: ألا تركت الشيخ حتّى نأتيه؟ قال أبوبكر: أردت أن يؤجره الله، والذي بعثك بالحقّ لأنا كنت أشدّ فرحاً باسلام أبي طالب لو كان أسلم[1] منّي بأبي.

هذا الحديث كسابقه لا يدلّ على إسلام أبي قحافة و هو نظير قول عمر للعبّاس أنا باسلامك إذا أسلمت أفرح منّي باسلام الخطّاب يعني لو كان أسلم[2] و أمّا رجال إسناده ففيه:

١- موسى بن طارق. قال أبوحاتم: يُكتب حديثه ولا يُحتجّ به كما قاله الذهبي في الميزان ٣: ٢١١. وفيه:

٢- موسى بن عبيدة قال الذهبي: قال أحمد: لا يُكتب حديثه وقال النسائي وغيره: ضعيفٌ. وقال ابن عدي: الضعف على روايته بيّنٌ. وقال ابن معين ليس بشيء. وقال مرّة: لا يُحتجّ بحديثه. وقال يحيى بن سعيد: كنا نتّقي حديثه. وقال يعقوب بن شيبة: صدوقٌ ضعيف الحديث جدّاً. ميزان الاعتدال ٣: ٢١٤. وفيه:

٣- عبدالله بن دينار. قال العقيلي: روى عنه موسى بن عبيدة ونظراؤه أحاديث مناكير الحمل فيها عليهم. تهذيب التهذيب ٥: ٢٠٢.

☆(القسم الثاني)☆

لا يوجد في كتب الحديث و معاجم التراجم ما يدلّ على إسلام أبي قحافة إلاّ ما

(١) هذه الجملة أعني (لو كان أسلم) دخيل من المتأخرين نظراء ابن حجر ولا توجد في الاصول القديمة واجع الرياض النضرة ١: ٤٥.

(٢) الاصابة ٤: ١١٧.

أخرجه أحمد في مسنده ٦ : ٣٤٩ من طريق ابن اسحاق عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لمّا وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده : أي بنيّة اظهري بي على أبي قبيس ، قالت : و قد كفّ بصره ، قالت : فأشرفت به عليه فقال : يا بنيّة ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً . قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً و مدبراً قال : يا بنيّة ذلك الوازع يعني الذي يأمر الخيل و يتقدّم اليها ثمّ قالت : قد والله انتشر السواد . فقال : قد والله إذا دفعت الخيل فاسرعي بي إلى بيتي فانحطّت به وتلقّاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته وفي عنق الجارية طوقٌ لها من ورق فتلقّاها رجل فاقتلعه من عنقها قالت : فلمّا دخل رسول الله ﷺ مكّة و دخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال : هلاّ تركت الشيخ في بيته حتّى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر : يا رسول الله ! هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه قال : فأجلسه بين يديه ثمّ مسح صدره ثمّ قال له : أسلم ، فأسلم ودخل به أبوبكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ورأسه كأنّه ثغامة فقال رسول الله ﷺ : غيّروا هذا من شعره ، ثمّ قام أبوبكر فأخذ بيد اُخته فقال : اُنشد بالله وبالأسلام طوق اُختي فلم يجبه أحدٌ ، فقال : يا اُخيّة : إحتسبي طوقك .

و في لفظ المحبّ الطبري في الرياض ١ ، ٤٥ : إحتسبي طوقك فوالله إنّ الأمانة في الناس اليوم قليل .

قال الأميني : هذه الرّواية لا تصحّ لمكان محمّد بن اسحاق بن يسار بن خيار المدني نزيل العراق وليست هي إلّا من موضوعاته . قال سليمان التيمي : ابن إسحاق كذّاب . وقال هشام بن عروة : كذّابٌ .

و قال مالك : دجّال من الدجاجلة .

و قال يحيى القطان : *أشهد أنّ محمّد بن اسحاق كذّابٌ* .

و قال الجوزجاني : الناس يشتهون حديثه ، وكان يرمى بغير نوع من البدع .

و قال ابن نمير : يحدّث عن المجهولين أحاديث باطلة .

و قال أيّوب بن اسحاق : سألت أحمد فقلت له : يا أبا عبد الله ! إذا انفرد إبن اسحاق بحديث تقبله ؟ قال : لاوالله إنّي رأيته يحدّث عن جماعة بالحديث الواحد

ولا يفصِّل كلام ذا من كلام ذا .

و قال أبو داود : سمعت أحمد ذكر محمّد بن اسحاق فقال : كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتب الحديث فيضعها في كتبه ، وكان يدلِّس ،و كان لايبالي عمّن يحكي عن الكلبي وغيره .

و قال عبدالله بن أحمد : ما رأيت أبي أتقن حديثه قطُّ ، و كان يتتبّعه بالعلوّ والنزول ، قيل له : يحتجُّ به ؟ قال : لم يكن يحتجُّ في السنن .

و قال ابن معين : ليس بذاك ، ضعيف ، ليس بقويٍّ .

وقال النسائي : ليس بقويٍّ .

و قال ابن المديني : كذّبه سليمان التيمي ، ويحيى القطّان ، و وهيب بن خالد

و قال الدارقطني : لايحتجُّ به . وقال : اختلفت الأئمّة فيه وليس بحجّة إنّما يعتبر به .

و قال هشام بن عروة : يحدِّث إبن اسحاق عن امرأتي فاطمة بنت المنذر والله إن رآها قطّ .

و قال وهيب : سألت مالكاً عنه فاتّهمه .

و قال أحمد : هو كثير التدليس جدّاً .(١)

و أخرج الحاكم في المستدرك ٣ : من طريق الحديث الرابع المذكور عن عبدالله ابن وهب عن عمر بن محمّد عن زيد بن أسلم رضي الله عنه :انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هنّأ أبا بكر باسلام أبيه .

و فيه مضافاً إلي ما أسلفناه في الحديث الرابع : انّ زيد بن أسلم توفِّي سنة ١٣٦ و عُدَّ ممّن لقي إبن عمر (٢) فلا تصحُّ روايته عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد ولد بعده بكثير .

على أنّ إبن حجر قال في تهذيب التهذيب ٣ : ٣٩٧ :ذكر ابن عبد البرّ في مقدّمة التمهيد ما يدلُّ على انّه كان يدلِّس .و قال في موضع آخر: لم يسمع من محمود بن لبيد و حكى عن ابن عيينة انّه قال : كان زيد رجلاً صالحاً و كان في حفظه شيءٌ . ونقل

(١) راجع ميزان الاعتدال ٣ : ٢١ -٢٤ ، تهذيب التهذيب ٩ : ٣٨- ٤٦ .

(٢) تاريخ ابن كثير ١٠ ص ٦١ ، مرآة الجنان ١ ص ٢٨٤ .

عن غيره قوله : لا أعلم به بأساً إلّا انّه يفسّر برأيه القرآن و يكثر منه ، و في ميزان الاعتدال ١ : ٣٦١ : إنّه كان يفسّر القرآن برأيه .

هذا إسلام أبي قحافة وحديثه وليس إلّا دعوى مجرّدةً مدعومةً بالواهيات ، ولايثبت بهاإسلام أيّ أحد ، ويظهرمن نفس رواية أحمد أنّ إتيانه إلى رسول الله ﷺ [على فرض تسليمه] لم يكن إلّا لاستردادما أخذه المسلمون من إبنته من الطوق ، ولو كان له إسلامٌ ثابتٌ وكان إتيانه للاسلام لكان يعيد زيارته ﷺ مرّة بعد اُخرى ، و كان ينتهز الفرص أيام اقامته تلك في مكّة و يستفيد من نمير علمه ، ويأخذ منه معالم دينه ، و كان حقّاً عليه أن يزوره في حجّة الوداع ، ولو كان له إسلام لكان يروي عنه ﷺ و لو حديثاً واحداً ، أو كان يروي عن أصحابه و لو عن واحدمنهم ، ولو كان قد أسلم لكان تُنقل عنه كلمةٌ في الإسلام ، أوقولٌ في الذبّ عنه ، أوحرفٌ واحدٌ في الدعوة إليه أوكان له في التاريخ ذكرٌ عن أيّام إسلامه ، ونبأ عن آثار إيمانه بالله وبرسوله ، ولاأقلّ من روايته هو بحديث إسلامه .

ثمّ إن صحّ الخبر و قد أكرمه رسول الله ﷺ بقوله : هلّا تركت الشيخ في بيته . الخ . وكان ذلك كمامرّ تكرمةً لأبي بكرفمابال الصحابة تردّ شفاعة مثل هذا الرّجل العظيم ؟ الذي عظّمه رسول الله ﷺ بتلك الكلمة القيّمة التي لم تُؤثرعنه ﷺ في أحد من الصحابة حتّى في أعمامه ﷺ وفيهم العبّاس الذي يستسقى به الغمام وهم يسمعونها منه ﷺ ما بالهم يصفحون عن شفاعته في والده باعادة الطوق إليه و هو شيخٌ كبيرٌ حديث العهد بالإسلام حريٌّ بأن يُكرم ؟ وما بال أبي بكر الذي أنفق جلّ ماله لرسول الله ﷺ على زعم القوم يأخذ بيد اُخته ويأتي بها إلى مجتمع الثويلة وينشد الحضور بالله وبالاسلام ويسألهم ردّ طوقها إليها ؟ وماالطوق وماقيمته والصحابة لم تقبل فيه شفاعة شيخهم يوم ذاك وخليفتهم في الغد ؟ وكيف يستعظم أبوبكر أمر الطوق ويأمر اُخته بالاحتساب ويرى الأمانة قليلة في الصحابة يوم ذاك مع حضور نبيّهم فيهم ؟ فماكان محلّهم من الأمانة بعد يومهم ذاك بثلث سنين وقدارتحل النبيّ ﷺ من بين ظهرانيهم ؟ وكيف صاروا بعد فقدهم نبيّهم عدولاً ؟ أنا لا أدري .

إسلام أُمّ أبي بكر

ليس إسلام أُمّ الخير أُمّ أبي بكر إلّا كإسلام أبيه أبي قحافة، لا يُدعم بدليل و لا تقوّمه البرهنة.

أخرج الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الاطرابلسي قال: حدّثنا عبيدالله بن محمّد بن عبدالعزيز العمري قاضي المصيصة، حدّثنا أبو بكر عبدالله بن عبيدالله بن اسحاق بن محمّد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيدالله، حدّثني أبي عبيدالله، حدّثني عبدالله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمّد بن طلحة قال: حدّثني أبي محمّد بن عمران عن القاسم بن محمّد بن أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا اجتمع اصحاب النبيّ و كانوا ثمانية و ثلاثين رجلاً ألحّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال: يا أبابكر إنّا قليل. فلم يزل أبو بكر يلحّ حتّى ظهر رسول الله ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد كلّ رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس، فكان أوّل خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، و وُطىء أبو بكر و ضُرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرّفهما لوجهه، وأثّر ذلك حتى ما يُعرف أنفه من وجهه، وجاءت بنو تيم تتعادى فأجلوا المشركين عن أبي بكر وحملوا أبابكر في ثوب حتّى أدخلوه بيته ولايشكّون في موته، ورجع بني تيم فدخلوا المسجد و قالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلنّ عتبة و رجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة و بنو تيم يكلّمون أبابكر حتّى أجابهم فتكلّم آخر النهار: مافعل رسول الله ﷺ؟ فنالوه بألسنتهم و عذلوه ثمّ قاموا و قالوا لأُمّ الخير بنت صخر: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إيّاه، فلمّا خلت به وألحّت جعل يقول: مافعل رسول الله ﷺ؟ قالت: والله ماأعلم بصاحبك. قال: فاذهبي إلى أُمّ جميل بنت الخطّاب فاسأليها عنه فخرجت حتّى جاءت إلى أُمّ جميل فقالت: إنّ أبابكر يسألك عن محمّد بن عبدالله. قالت: ماأعرف أبابكر ولا محمّد بن عبدالله، وإن تحبّي أن أمضي معك إلى ابنك فعلت؟ قالت: نعم فمضت معها حتّى وجدت أبابكر صريعاً دنفاً فدنت منه أُمّ جميل و أعلنت بالصياح و قالت: إنّ قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق و إنّي لأرجو أن ينتقم الله لك. قال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أُمّك تسمع

. قال: فلا عين عليك منها قالت: سالمٌ صالحٌ. قال: فأنّى هو؟ قالت: في دار الأرقم قال: فانّ لله عليّ آليت أن لا أذوق طعاماً ولا شراباً أو آتي رسول الله ﷺ فأمهلتاه حتّى إذا هدأت الرِّجل و سكن الناس خرجتا به يتّكيء عليهما حتّى دخلتا على النبيّ ﷺ قال: فانكبّ عليه فقبّله و انكبّ عليه المسلمون ورقّ له رسول الله ﷺ رقّةً شديدة فقال أبو بكر: بأبي أنت و أُمّي ليس بي إلّا ما نال الفاسق من وجهي، هذه أُمّي برّة بوالديها و أنت مبارك فادعها إلى الله و أدع الله عزّ وجلّ لها عسى أن يستنقذها بك من النار. فدعاها رسول الله ﷺ فأسلمت.(١)

قال الأميني: تفرّد بهذا الحديث عبيدالله بن محمّد العمري، رماه النسائي بالكذب، وحكاه عنه الذهبي وابن حجر(٢) وقال الدارقطني في حديث آخر تفرّد به العمري ايضاً: ليس بصحيح تفرّد به العمري وكان ضعيفاً.

و بقيّة رجال السند كلّهم تيميّون فيهم عبدالله و عبيدالله من أولاد طلحة بن عبيدالله مجهولان لايعرفان. و عبدالله و محمّد بن عمران من أولاد طلحة بن عبد الله بن عبدالرحمن بن أبي بكر، أو: من أولاد طلحة بن عبيدالله ايضاً وهما مجهولان كسابقيهما على أنّ أبابكر لا يعدّ من المعذّبين في الاسلام، و لو كان له هذا الموقف في ذلك اليوم العصبصب وكانت على النبأ مسحةٌ من الصحّة لكان يُذكر في صفحة كلّ تاريخ، ولم يكن يهمله أيّ مؤرّخ، أمن المعقول أن يحفظ التاريخ في طيّاته تعذيب الموالي و لم يكن في صفحته ذكرٌ عن مثل هذا الموقف لمثل أبي بكر؟.

ثمّ لو لم يكن الحفّاظ عدّوا هذه الرواية من موضوعات عبيدالله العمري وكان عندهم ثقة برجالها ولو بالعلاج ولو بقيل قائل لما أعرضوا عنها في تلكم القرون الخالية كلّها، وكان يتلقّاها حافظٌ عن حافظ وإمامٌ عن إمامٍ ولم تكن تخصّ روايتها بالمحبّ الطبري و ابن كثير المتخصّصين لذكر الموضوعات والأحاديث المفتعلة أو من يحذو حذوهما. وفي نفس الرّواية ما يكذّبها من شتّى النواحي:

١- إنّ عائشة ولدت في السنة الرابعة أو الخامسة من البعثة(٣) والقضيّة على تسليم

(١) الرياض النضرة ١: ٤٦، تاريخ ابن كثير ٣: ٣٠.
(٢) ميزان الاعتدال ٢: ١٨٠، لسان الميزان ٤: ١١٢.
(٣) طرح التثريب ١: ١٤٧، الاصابة ٤: ٣٥٩.

قبولها قد وقعت في السادسة من البعثة فأين كانت عائشة يوم ذاك ؟ أشاهدت موقف أبيها وهي على ثدي أُمِّها بنت سنة أو سنتين ؟ لماذا لم يرو ذلك عن أبيها أو عن أُمّها أو عن أُمِّ جميل ؟ لعلّ الرواية من ولائد القرون المتأخّرة عنهم ، ولدتها أمّ الفضائل بعد قضاء الدهر على حياة من خُلقت لأجله .

٢ - إنّ في لفظ الرواية : لمّا اجتمع أصحاب النبيّ ﷺ وكانوا ثمانية و وثلاثين رجلاً . فعلى هذا لم يكن أبوبكر يوم ذاك مسلماً أخذاً بقول النبيّ ﷺ صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين لأنّا كنا نصلّي وليس معنا أحدٌ يصلّي غيرنا[١] وما مرّت من الصحيحة عن أمير المؤمنين عليه السلام لقد صلّيت مع رسول الله ﷺ قبل الناس بسبع سنين[٢] وما أسلفنا من صحيحة الطبري : انّ أبابكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً[٣] .

٣- في الرواية : ألحّ أبوبكر على رسول الله في الظهور فقال : ياأبابكر! إنّا قليلٌ فلم يزل أبوبكر يلحّ حتّى ظهر رسول الله ﷺ . إلخ . يكذّبه ما في السير من أنّ رسول الله ﷺ أظهر الدعوة قبل ذلك اليوم بثلاث سنين .

وروى ابن سعد وابن هشام والطبري وغيرهم : انّ الله عزّ و جلّ أمر نبيّه محمّد ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه ، وأن ينادي الناس بأمره ويدعو إليه فقال له : فاصدع بماتؤمر وأعرض عن المشركين[٤] وكان قبل ذلك في السنين الثلاث من مبعثه إلى أن اُمر باظهار الدّعوة إلى الله مستسرّاً مخفياً أمره ﷺ و أنزل عليه : و أنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إنّي بريءٌ ممّا تعملون (سورة الشعراء ٢١٤ - ١٧) [٥] .

---

(١) راجع الجزء الثالث ص ٢٢٠ ط٢.

(٢) راجع الجزء الثالث ص٢٢١ ط٢.

(٣) تاريخ الطبرى ٢ : ٢١٥ .

(٤) سورة الحجر آية ٩٤ .

(٥) تاريخ الطبرى ٢ : ٢١٦ ، طبقات ابن سعد ١ : ١٨٣ ، سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٤ ، الكامل ٢ : ٢٣ ، تفسير القرطبى ١٠ : ٦٢ ، عيون الاثر لابن سيد الناس ١ : ٩٩ ، تاريخ ابى الفدا ج ١ : ١١٦ ، تفسير ابن كثير ٢ : ٥٥٩ ، تفسير الخازن ٣ : ١٠٩ ، تفسير الشوكانى ٣ : ١٣٩ .

فإظهار النبيّ صلى الله عليه وآله دعوته كان بأمر من المولى سبحانه من دون سبق أيّ إلحاح من أيّ أحد عليه من أبي بكر أو غيره سواء كان أسلم أبوبكر يوم ذاك أو لم يسلم .

على أنّ أبابكر عُدّ ممّن كان يدعو سرّاً بعد ذلك اليوم بعد ظهور الدعوة من المسلمين فأين مقيل إلحاحه على رسول الله في الظهور من الصحّة يوم ذاك ؟ قال ابن سعد في طبقاته ١ : ١٨٥: كان أبوبكر يدعو ناحية سرّاً ، و كان سعد بن زيد مثل ذلك ، وكان عثمان مثل ذلك ، وكان عمر يدعو علانية وحمزة بن عبدالمطلب . فإسرار أبي بكر في الدعوة يوم إعلان عمر كان بعد ذلك اليوم ، إذ أسلم عمر بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة . بعد أربعين رجلاً[1] وقد مرّ في الرواية أنّ القضيّة وقعت والمسلمون ثمان وثلاثون نسمة .

وذكر الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ٢٥٩ حديثين في إسلام أمّ أبي بكر أحدهما عن ابن عبّاس قال : أسلمت أمّ أبي بكر و أمّ عثمان و أمّ طلحة وأمّ الزبير وأمّ عبدالرحمن بن عوف وأمّ عمّار . فقال :

فيه : خازم بن الحسين و هو ضعيف . وقال الذهبي في الميزان ١ : ٣١٥ : قال ابن معين : خازم ليس بشيىء . و قال أبو داود : روى مناكير . وقال ابن عدي : عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه .

والحديث الثاني للهيثمي عن طريق الهيثم بن عدي قال : هلك أبو بكر فورثاه أبواه جميعاً وكانا أسلما . ثمّ قال : إسناده منقطع .

قال الأميني : كأنّ الحافظ الهيثمي يوهم بكلمته الأخيرة انّ علّة الحديث هي انقطاعه فحسب و لم يذكر بقيّة رجاله حتّى تقف عليها نظّارة التنقيب غير أنّ في ذكر الهيثم بن عدي الكذّاب كفاية . قال البخاري : ليس بثقة كان يكذب . وقال أبوداود : كذّاب . وقال النسائي وغيره : متروك الحديث . وقالت جارية الهيثم: كان مولاي يقوم عامّة الليل يصلّي فإذا أصبح جلس يكذب ، وقال النسائي ايضاً : منكر الحديث . و ذكر حديثاً وعدّه من إفتراء الهيثم على هشام بن عروة . و قال أبو حاتم :متروك الحديث و قال أبو زرعة : ليس بشيء . وقال العجلي : كذّاب وقد رأيته . وقال الساجي : سكن

(١) الاستيعاب هامش الاصابة ٢ : ٤٥٩ ، تأريخ ابن كثير ٣ : ٣١ .

مكّة وكان يكذب. وقال إمام الحنابلة أحمد: كان صاحب أخبار وتدليس. وقال الحاكم النقاش: حدّث عن الثقات بأحاديث منكرة. وعدّ البيهقي والنقاش والجوزجاني الحديث من الموضوعات لكون الهيثم فيه. وقال أبو نعيم: يوجد في حديثه المناكير (١).

فاسلام اُمّ أبي بكر كاسلام والده أبي قحافة قطّ لايثبت. والّذي ذكر إسلامهما من المؤرّخين كابن كثير والديار بكري والحلبي وغيرهم لا يعوّل على قولهم بعد ما عرفت الحال في مستند أقوالهم، فلا قيمة للدعوى المجرّدة والتقوّل بلا دليل.

و يُعرب عن جليّة الحال بقاء اُمّ الخير « اُمّ أبي بكر » في حبالة أبي قحافة في مكّة، و قد أسلمت هي على قول من يقول باسلامها في السادسة من البعثة وأسلم أبو قحافة في الثامن من الهجرة سنة الفتح كما سمعت فتخلّلت بين إسلامهما ثلاثة عشر عاماً، فبأيّ كتاب أم بأيّة سنّة بقيت تلك المسلمة اُمّ مثل أبي بكر تلك السنين المتطاولة في نكاح أبي قحافة الذي لم يسلم بعدُ؟ وما الّذي جمع بينهما؟ والفراق بينهما كان أوّل شعار الإسلاميّة. فأين إسلامها؟ وبماذا يثبت؟ والحال هذه؟

(أبو بكر و أبواه فى القران)

لعبت أيدي الهوى بكتاب الله، وحرّفت الكلم عن مواضعها، وجاء من يؤلّف في التفسير وقد أعماه الحبّ وأصمّه يخبط خبط عشواء، فتراه كحاطب ليل يروي في كتابه أساطير السلف الأوّلين من الوضّاعين مرسلاً إيّاها ارسال المسلّم من دون أيّ تحقيق وتثبّت وهم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً، ومع ذلك يرون أنفسهم أئمّة وقادة في علم القرآن العزيز. حتّى يرون أنّ قوله تعالى في الأحقاف ١٥: ووصّينا الانسان بوالديه حسناً، حملته اُمّه كرهاً و وضعته كرهاً، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً، حتّى إذا بلغ أشدّه و بلغ أربعين سنة قال ربّ أو زعني أن أشكر نعمتك التي انعمتَ عليّ و على والديّ و أن أعمل صالحاً ترضاه، و أصلح لي في ذريّتي إنّي تبت اليك و إنّي من المسلمين. نزلت في أبي بكر.

ويروون عن عليّ أمير المؤمنين وابن عبّاس انّ الآية نزلت في أبي بكر الصدّيق وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً، حملته اُمّه تسعة أشهر و أرضعته إحدى و عشرين

(١) ميزان الاعتدال ٣ : ٢٦٥، لسان الميزان ٦ : ٢٠٩، الغدير ٥ : ٢٧٠ ط ٢.

شهراً، أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه وغيره، فأوصاه الله بهما و لزم ذلك مَن بعده. فلمّا نُبّي رسول الله ﷺ وهو ابن اربعين سنة صدّق أبوبكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ و هو ابن ثمانية و ثلاثين سنة فلمّا بلغ أربعين سنة قال: ربِّ أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت عليّ و على والديّ، واستجاب الله له فأسلم والداه وأولاده كلّهم.

ألكشاف ٣ : ٩٩، تفسير القرطبي ١٦ : ١٩٣، ١٩٤، الرياض النضرة ١ : ٤٧، مرقاة الوصول ص ١٢١، تفسير الخازن ٤ : ١٢٢، تفسير النسفي هامش الخازن ٤ : ١٣٢، تفسير الشوكاني ٥ : ١٨.

ألا مسائل هؤلاء الأعلام المغفّلين عن أنّ كون مدّة الحمل والفصال ثلاثين شهراً هل يخصّ بأبي بكر فحسب حتى يُخصّ بالذكر؟ أم هو مطّرد في خلق الله، إمّا بكون مدّة الحمل ستة أشهر ومدّة لارضاع حولين كاملين، وإمّا بكون الحمل تسعة أشهر والإرضاع واحداً وعشرين شهراً؟ و إنّ الحريّ بالذكر هو الأوّل لشذوذه عن العادة المطّردة.

ثمّ إن كان هذا من خاصّة أبي بكر وحكايةً لحمله وفصاله فكيف يصحّ لمولانا أمير المؤمنين وابن عبّاس الاستدلال بالآية مع ما في سورة لقمان على كون أقلّ الحمل ستة أشهر كما مرّ في الجزء السّادس ص ٩٣-٩٥ ط ٢ فالآية الكريمة لاتبيّن إلّا ما هو السائر الدائر بين البشر بأحد الوجهين المذكورين وبهذا يتمّ الاستدلال. وفيه قال ابن كثير في تفسيره ٤ : ١٥٧: وهو استنباط قويٌّ صحيحٌ ووافقه عليه عثمان وجماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم. وابن كثير مع اكثاره بنقل الموضوعات لم يوعز إلى نزول الآية في أبي بكر لمّا يرى في نقله من الفضيحة على نفسه.

ثمّ إنّ في نصّ الآية: إنّ ذلك الانسان قال ما قاله وقد بلغ أشدّه وبلغ من عمره أربعين عاماً. وأبوبكر لم يكن مسلماً يوم ذاك لا هو و لا أبوه ولا امّه، أمّا هو فقد قدّمنا انّه أسلم بعد سبع من البعثة بنصوص مرّت في الجزء الثالث ص ٢٢٠-٢٢٣ ط ٢.

وأمّا أبوه فقد أسلم « إن أسلم » يوم الفتح في السنة الثامنة من الهجرة و كان لأبي بكر يومئذ ستٌّ وخمسون سنة أو أكثر.

وأمّا أمّه فقد أسلمت « إن أسلمت » في السنة السادسة من البعثة وأبوبكر يوم ذاك ابن أربع وأربعين سنة أو أكثر منها .

فبماذا أنعم الله عليه وعلى والديه يوم قال : ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ . وكلّهم غير مسلمين ؟ والجملة دعائيّة بالنسبة إلى إلهام الشكر على ما أنعم الله به عليه وعلى والديه فحسب ، وأمّا بالنسبة إلى كونهم من المنعم عليهم فخبريّة تقتضي سبق تلك النعمة على ظرف الدعاء ، فالقول بأنّ الله سبحانه استجاب له فأسلم والداه وأولاده كلّهم . مهزأة غير مدعومة بشاهد .

على أنّ أخبار إسلام والديه « بعد تسليمها والغضّ عمّا فيها » تدلّ على أنّ اسلام امّه كان بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها بالإسلام ، واسلام أبيه من بركة مسحه صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره ، فأين دعاء أبي بكر ؟

وأمّا في ذيل الرواية ممّا عزي إلى أمير المؤمنين عليه السلام من أنّه لم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غير أبي بكر . فحاشا أمير المؤمنين بقول مثل ذلك ، وقد عرفناك ص ٣١٠-٣١٢ زرافات من المهاجرين أسلموا هم وآباؤهم وأمّهاتهم ويقدمهم هو سلام الله عليه بالأوّليّة والأولويّة .

☆(آية أخرى في أبي بكر وأبيه)☆

وردت في قوله تعالى من سورة المجادلة : ٦٢ : لاتجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروحٍ منه ، و يدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون .

من طريق إبن جريج : انّ أباقحافة سبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فصكّه أبوبكر ابنه صكّة فسقط منها على وجهه ، ثمّ أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فذكر ذلك له ، فقال : أو فعلته لا تعد إليه فقال : والّذي بعثك بالحق نبيّاً لو كان السيف منّي قريباً لقتلته . فنزلت قوله : لاتجد قوماً . الآية .

تفسير القرطبي ١٧:٣٠٧ ، تفسير الزمخشري ٣ : ١٧٢ ، مرقاة الوصول حاشية نوادر

الأصول ص ١٢١ ، تفسير الآلوسي ٢٨ : ٣٦ .

قال الأميني : أصفق رجال التفسير على ان سورة الأحقاف التي مرت فيها الآية الأولى مكية ، وعلى أن سورة المجادلة مدنية ، وعلى أن هذه الآية نزلت بعد ردح من الزمن من نزول الأحقاف ، ويظهر من تفسير القرطبي وابن كثير والرازي انها نزلت بعد بدر واحد فيقع نزولها على هذا في السنة الرابعة من الهجرة تقريباً ، فما وجه الجمع بين الآيتين على تقدير تسليم نزولهما في أبي بكر ، و الأولى منهما كمامر نص على أن أباقحافة ممن أنعم الله عليه يوم كان لأبي بكر أربعون سنة ، ولما بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال : رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي . وهذه الآية كما ترى نص في أن أبا قحافة يوم نزولها - وكان يوم ذاك لأبي بكر ثلث و خمسون سنة تقريباً - كان ممن حاد الله ورسوله .

والذي يهون الخطب ان متن هذه الرواية كالرواية السابقة الواردة في الآية الأولى يكذب نفسها ، إذ الآية كما سمعت نزلت بالمدينة ، وظاهر الرواية وقوع القصة بها ، و يوم ذاك كان أبوقحافة بمكة ، فأين وأنى اجتمع أبوبكر مع أبيه وصكه ؟

ثم هل يشترط وجوب قتل من سب رسول الله صلى الله عليه وآله بقرب السيف ممن سمعه ؟ أوشرع هذا الحكم بعد القضية ؟ أوخص أبوقحافة منه بالدليل ، سل من أعماه الغلو في الفضائل وأصمه ، إنهم ليقولون منكراً من القول وزورا ، ويقولون هو من عند الله ، و ماهو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

﴿ الغاية للقالة ﴾

أحسب إنّ القوم لم ينسجوا هذا الإفك على نول الجهل بتراجم الرجال فحسب ، ولا انّ لهم مأرباً في آباء المهاجرين أسلموا أولم يسلموا ، أوأنّ لهم غاية في اسلام أبوي أبي بكر ، لكنّهم زمّروا لما لم يزل لهم فيه مكاءٌ و تصديةٌ من تكفير سيّد الأباطح شيخ الأئمّة أبي طالب والدمولانا أمير المؤمنين سلام الله عليهما ، و ذلك بعد أن عجزوا عن الوقيعة في الولد فوجّهوها إلى الوالد أو إلى الوالدين كما فعله الحافظ العاصمي في زين الفتى. وكان من تهويلهم في تخفيف تلكم الوطأة أن جرّ واذلك إلى والدي النبيّ المعظّم صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليهما حتّى قال العاصمي في زين الفتى عند بيان وجه الشبه بين النبيّ والمرتضى صلى الله عليهما و آلهما : أمّا تشبيه الأبوين في الحكم والتسمية فإنّ النبيّ في كثرة ما انعم الله تعالى عليه ووفور احسانه اليه لم يرزقه اسلام أبويه ، وعلى هذا جمهور المسلمين(١) إلّا شرذمةٌ قليلون لا يلتفت اليهم ، فكذلك المرتضي فيما اكرمه الله به من الأخلاق والخصال وفنون النعم والافضال لم يرزقه إسلام أبويه . اهـ .

فلم تفتأ لهم في ذلك جلبة ولغط مكابرين فيهما المعلوم من سيرة شيخ الأبطح وكفالته لصاحب الرسالة ، ودرعه عنه كلّ سوء وعادية ، وهتافه بدينه القويم ، وخضوعه لناموسه الإلهيّ في قوله و فعله و شعره و نثره ، و دفاعه عنه بكلّ ما يملكه من حول وطول .

و لو لا أبو طالب و ابنه ✩	لمامثل الدّين شخصاً وقاما
فذاك بمكّة آوى وحامى ✩	وهذا بيثرب جسّ الحماما
تكفّل عبد مناف بأمر ✩	و أودى فكان عليٌّ تماما
فقل في ثبير مضى بعد ما ✩	قضى ما قضاه و أبقى شماما

(١) كما فعله الحافظ العاصمى فى زين الفتى

(٢) أفك الرجل على جمهور المسلمين ، فان الامامية والزيدية على بكرة أبيهم ومن حذا حذوهم من محققى اهل السنة ذهبوا الى اسلام والدي النبى الاقدس، ومن شذّ عنهم فلا يأبه به ولا يلتفت اليه

فلله ذا فاتحاً للهدى ✩ و لله ذا المعالي ختاما
و ما ضرّ مجد أبي طالب ✩ جهولٌ لغا أو بصيرٌ تعامى
كما لا يضرّ إياب الصبا ✩ ح من ظنّ ضوء النهار الظلاما[1]

وهناك طرقٌ لا يمكن التوسّل إلى الإذعان بنفسيّات أيّ أحد إلّا بها ألا وهي :

١- إستنباطها ممّا يلفظ به من قول .

٢ - أو ممّا ينوء به من عمل .

٣ - أو ممّا يروي عنه آله وذووه ، فإنّ أهل البيت أدرى بما فيه .

٤ - أو ممّا أسنده إليه مَن لاث به و بخع له .

- ١ -

أمّا أقوال أبي طالب سلام الله عليه فإليك عقوداً عسجديّة من شعره الرائق مثبتة في السير والتواريخ و كتب الحديث .

أخرج الحاكم في المستدرك ٢ : ٦٢٣ باسناده عن ابن اسحاق قال : قال ابوطالب أبياتاً للنجاشي يحضّهم على حسن جوارهم والدفع عنهم - يعني عن المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين - :

ليعلم خيار الناس أنّ محمّداً ✩ وزيرٌ لموسى والمسيح ابن مريمِ
أتانا بهدي مثل ما أتيا به ✩ فكلٌّ بأمر الله يهدي و يعصمِ
و انّكم تتلونه في كتابكم ✩ بصدق حديث لا حديث المبرجمِ
و انّك ما تأتيك منها عصابةٌ ✩ بفضلك إلّا ارجعوا بالتكرّمِ

وقال سلام الله عليه من قصيدة :

فبلّغ عن الشحناء أفناء غالب ✩ لويّاً وتيماً عند نصر الكرائمِ
لأنّا سيوف الله والمجد كلّه ✩ إذا كان صوت القوم وجي الغمائمِ
ألم تعلموا أنّ القطيعة مأثمٌ ✩ و أمر بلاء قاتم غير حازمِ ؟
و أنّ سبيل الرشد يُعلم في غدٍ ✩ و أنّ نعيم الدهر ليس بدائم
فلا تسفهن أحلامكم في محمّد ✩ ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائمِ

(١) ذكرها ابن أبي الحديد لنفسه في شرحه ٣ : ٣١٧ .

تمنيتم أن تقتلوه وإنما ✿ أمانيكم هذي كأحلام نائم
وإنكم والله لا تقتلونه ✿ ولما تروا قطف اللحا والغلاصم (١)
ولم تبصروا الأحياء منكم ملاحماً ✿ تحوم عليها الطير بعد ملاحم
وتدعو بأرحام أواصر بيننا ✿ فقد قطع الأرحام وقع الصوارم
زعمتم بأنا مسلمون محمداً ✿ ولما نقاذف دونه ونزاحم
من القوم مفضال أبي على العدى ✿ تمكن في الفرعين من آل هاشم
أمين حبيب في العباد مسوم ✿ بخاتم رب قاهر في الخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة ✿ وماجاهل في قومه مثل عالم
نبي أتاه الوحي من عند ربه ✿ ومن قال: لايقرع بها سن نادم
تطيف به جرثومة هاشمية ✿ تذبب عنه كل عات وظالم

ديوان أبي طالب ص ٣٢ ، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٣١٣ :

ومن شعره في أمر الصحيفة التي سنوقفك على قصتها قوله :

ألا أبلغا عني على ذات بينها ✿ لوياً وخصا من لوي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ✿ رسولاً كموسى خط في أول الكتب ؟
وان عليه في العباد محبة ✿ ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
وان الذي رقشتم في كتابكم ✿ يكون لكم يوماً كراغية السقب (٢)
أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبى (٣) ✿ ويصبح من لم يجن ذنباً كذي ذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا ✿ أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً (٤) وربما ✿ أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبيت الله نسلم أحمداً ✿ لعزاء من عض الزمان ولا كرب (٥)

---

(١) في رواية : والجماجم . الغلاصم ج الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق.

(٢) في رواية ابن هشام :

وان الذي الصقتم من كتابكم • لكم كائن نحساً كراغية السقب

رقش : كتب وسطر . الراغية من الرغاء : أصوات الابل. السقب : ولد الناقة .

(٣) في سيرة ابن هشام : الثرى . بدل الزبى.

(٤) الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد اخرى . اشد الحروب .

(٥) العزاء : السنة الشديدة . عض الزمان : شدته وكلبه .

و لمّا تبِن منّا ومنكم سوالفٌ ✿ و أيدٍ أترّت[1] بالمهنّدة الشهبِ
بمُعتركٍ ضنكٍ ترى كسر القنا ✿ به والضباع العرج تعكف كالشربِ[2]
كأنّ مجال الخيل في حجراته ✿ و معمعة الأبطال معركة الحربِ
أليس أبونا هاشمٌ شدّ أزره ✿ و أوصى بنيه بالطعان وبالضربِ ؟
ولسنا نملّ الحرب حتّى تملّنا ✿ ولا نشتكي ممّا ينوب من النكبِ
ولكنّنا أهل الحفائظ والنُّهى ✿ إذا طار أرواح الكماة من الرعبِ

سيرة ابن هشام ١ : ٣٧٣ ، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٣١٣ ، بلوغ الارب ١ : ٣٢٥ ، خزانة الأدب للبغدادي ١ : ٢٦١ ، الروض الانف ١ : ٢٢٠ ، تاريخ ابن كثير ٣ ، ٨٧ ، أسنى المطالب ص ٦ ، ١٣ ، طلبة الطالب ص ١٠ .

و من شعره قوله :

ألا ما لهمّ آخر الليل معتمِ ✿ طواني وأخرى النجم لمّا تقحّمِ
طواني وقد نامت عيونٌ كثيرةٌ ✿ و سامرُ أخرى قاعدٌ لم ينوّمِ
لأحلام أقوامٍ أرادوا محمّداً ✿ بظلم و من لا يتّقي البغي يُظلمِ
سعوا سفهاً و اقتادهم سوء أمرهم ✿ على خائل من أمرهم غير محكمِ
رجاة امورٍ لم ينالوا نظامها ✿ و إن نشدوا في كلّ بدوٍ وموسمِ
يرجّون منّا خطّة دون نيلها ✿ ضرابٌ و طعنٌ بالوشيج المقوّمِ
يرجّون أن نسخي بقتل محمّد ✿ و لم تختضب سمر العوالي من الدّمِ
كذبتم و بيت الله حتى تفلّقوا ✿ جماجم تُلقى بالحطيم و زمزمِ
و تُقطع أرحامٌ و تنسى حليلةٌ ✿ حليلاً و يغشى محرمٌ بعد محرمِ
و ينهض قومٌ بالحديد إليكمُ ✿ يذبّون عن أحسابهم كلّ مجرمِ
هم الأسد أُسد الزأرتين إذا غدت ✿ على حنقٍ لم تخش إعلام معلمِ
فيا لبني فهرٍ أفيقوا و لم تُقم ✿ نوائح قتلى تدّعى بالتسدّمِ[3]

(١) تبن : تنفصل . السوالف : صفحات الاعناق . اترت : قطعت .
(٢) ضنك : ضيق . الضباع العرج مرص ٥٨ . الشرب : الجماعة من القوم يشربون . والشطر الثاني في سيرة ابن هشام : به والنسور الطخم يعكفن كالشرب .
(٣) التسدّم من السدم : الهمّ مع الندم . الغيظ مع الحزن .

على ما مضى من بغيكم وعقوقكم ✫ و غشيا نكم في أمرنا كلّ مأثم

و ظلم نبيٍّ جاء يدعو إلى الهدى ✫ وأمر أتى من عند ذي العرش قيّم (١)

فلا تحسبونا مسلميه و مثله ✫ إذا كان في قوم فليس بمسلم

فهذي معاذيرٌ و تقدمةٌ لكم ✫ لكيلا تكون الحرب قبل التقدّم

ديوان أبي طالب ص ٢٩ : شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٣١٢ .

و له قوله مخاطباً للنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ✫ حتّى أوسّد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ✫ وابشر بذاك وقرّ منك عيونا

ودعوتني وعلمتُ أنّك ناصحي ✫ ولقد دعوتَ وكنتَ ثمَّ أمينا (٢)

ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمّدٍ ✫ من خير أديان البريّة دينا

رواها الثعلبي في تفسيره و قال : قد اتّفق على صحّة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل ، وعبدالله بن عبّاس ، والقسم بن محضرة ، وعطاء بن دينار . راجع خزانة الأدب للبغدادي ١ : ٢٦١ ، تاريخ ابن كثير ٣ : ٤٢ ، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٣٠٦ ، تاريخ أبي الفداج ١ ص ١٢٠ ، فتح الباري ٧ : ١٥٣ ، ١٥٥ ، الاصابة ٤ : ١١٦ ، المواهب اللدنيّة ١ : ٦١ ، السيرة الحلبية ١ : ٣٠٥ ، ديوان أبي طالب ص ١٢ ، طلبة الطالب ص ٥ ، بلوغ الأرب ١ : ٣٢٥ ، السيرة النبويّة لزيني دحلان هامش الحلبيّة ١ : ٩١ ، ٢١١ ، و ذكر البيت الأخير في أسنى المطالب ص ٦ فقال : عدّه البرزنجي من كلام أبي طالب المعروف .

لفت نظر : زاد القرطبي وابن كثير في تاريخه على الأبيات :

لولا الملامة أوحذاري سبّة ✫ لو جدتني سمحاً بذاك مبينا

قال السيّد أحمدزيني دحلان في أسنى المطالب ص ١٤ : فقيل : إنّ هذا البيت موضوعٌ أدخلوه في شعر أبي طالب و ليس من كلامه .

---

(١) في رواية شيخ الطائفة : مبرم .

(٢) وفي رواية القسطلاني :

و دعوتني وزعمت أنك ناصحي ✫ ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا

قال الأميني : هب أن البيت الأخير من صلب مانظمه أبوطالب عليه السلام فان أقصى مافيه أن العار والسبة الذين كان أبوطالب عليه السلام يحذرهما خيفة أن يسقط محله عند قريش فلا تتسنى له نصرة الرسول المبعوث صلى الله عليه وآله وسلم إنما منعاه عن الابانة والإظهار لاعتناق الدين ، وإعلان الإيمان بماجاء به النبي الأمين ، وهو صريح قوله : لوجدتني سمحاً بذاك مبينا . أي مظهراً ، وأين هو عن إعتناق الدين في نفسه ، والعمل بمقتضاه من النصرة والدفاع ؟ ولو كان يريد به عدم الخضوع للدين لكان تهافتاً بيناً بينه وبين أبياته الأولى التي ينص فيها بأن دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم من خير أديان البرية دينا ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم صادق في دعوته أمين على أمته .

ومن شعره قوله قد غضب لعثمان بن مظعون حين عذبته قريش ونالت منه :

أمن تذكر دهر غير مأمون ☆ أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون
أم من تذكر أقوام ذوي سفه ☆ يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين ؟!
ألا ترون أذل الله جمعكم ☆ إنا غضبنا لعثمان بن مظعون ؟
و نمنع الضيم من يبغي مضيمنا ☆ بكل مطرد في الكف مسنون
و مرهفات كأن الملح خالطها ☆ يشفى بها الداء من هام المجانين
حتى تقر رجال لا حلوم لها ☆ بعد الصعوبة بالأسماح واللين
أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب ☆ على نبي كموسى أو كذي النون (١)

ومن شعره يمدح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله :

لقد أكرم الله النبي محمداً ☆ فأكرم خلق الله في الناس أحمد
و شق له من إسمه ليجله ☆ فذو العرش محمود وهذا محمد

أخرجه البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن يزيد ، و أبو نعيم في دلائل النبوة ١ ص ٦ ، وابن عساكر في تاريخه ١ : ٢٧٥ ، وذكره له ابن أبي الحديد في شرحه ٣ : ٣١٥ ، و ابن كثير في تاريخه ١ ص ٢٦٦ ، و ابن حجر في الإصابة ٤ : ١١٥ ، والقسطلاني في المواهب اللدنية ١ : ٥١٨ نقلاً عن تاريخ البخاري ، والدياربكري في تاريخ الخميس ١ ص ٢٥٤ فقال : أنشأ أبو طالب في مدح النبي أبياتاً منها هذا البيت

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٣١٣ .

و شقّ له من إسمه ليجلّه ☆ . . . .

وحسّان بن ثابت ضمن شعره هذا البيت فقال :

ألم تر أنّ الله أرسل عبده ☆ بآياته والله أعلى و أمجدُ

و شقّ له من إسمه ليجلّه ☆ . . . .

والزرقاني في شرح المواهب ٣ : ١٥٦ و قال : توارد حسّان معه أوضمنه شعره وبه جزم في الخميس ، أسنى المطالب ص ١٤ .

و من شعره المشهور كما قاله ابن أبي الحديد في شرحه ٣ : ٣١٥ :

أنت النبيُّ محمّدُ ☆ قرمٌ أغرُّ مسوّدُ

لمسوّدين أكارم ☆ طابوا وطاب المولدُ

نعم الأرومة أصلها ☆ عمرو الخضمّ الأوحدُ

هشم الربيكة في الجفا ـ ن وعيش مكّة أنكدُ

فجرت بذلك سنّةٌ ☆ فيها الخبيزة تثردُ

و لنا السقاية للحجيـ ـج بها يمات العنجدُ

والمأزمان [1] و ماحوت ☆ عرفاتها والمسجدُ

أنّى تضام و لم أمت ☆ و أنا الشجاع العربدُ

و بطاح مكّة لا يُرى ☆ فيها نجيعٌ أسودُ

و بنوا أبيك كأنّهم ☆ أسد العرين توقّدوا

و لقد عهدتك صادقاً ☆ في القول لا يتزيّدُ

ما زلتَ تنطق بالصوا ☆ ب وأنت طفلٌ أمردُ

جاء أبو جهل بن هشام إلى رسول الله ﷺ و هو ساجدٌ و بيده حجر يريد أن يرميَه به فلمّا رفع يده لصق الحجر بكفّه فلم يستطع ما أراد فقال أبو طالب :

أفيقوا بني غالب وانتهوا ☆ عن الغيّ من بعض ذا المنطقِ

و إلّا فانّي إذن خائفٌ ☆ بوائق في دار كم تلتقي

تكون لغيركمُ عبرةً ☆ و ربِّ المغارب والمشرقِ

(١) المأزمان : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين .

كما نالمَن لانمن قبلكم ✫ ثمودٌ و عادٌ وما ذا بقي
غــداة أتاهم بها صر صرٌ ✫ و ناقة ذي العرش قد تستقي
فحلَّ عليهم بها سخطه ✫ من الله في ضربة الأزرقِ
غــداة يعضّ بعرقوبها ✫ حساماً من الهند ذا رونقِ
وأعجب مِن ذاكفي أمركم ✫ عجائب في الحجر الملصقِ
بكفِّ الذي قام من خبثه ✫ إلى الصّابر الصّادق المتّقي
فأثبتــه الله في كـفّـه ✫ على رغمــه الجائر الأحمقِ
أُحيمق مخزومكم إذغوى ✫ لغيِّ الغواة ولم يصـــدقِ

ديوان أبي طالب ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٣١٤ .

قال ابن أبي الحديد في شرحه ٣ : ٣١٤ : قالوا وقد اشتهر عن عبدالله المأمون رحمه الله إنه كان يقول : أسلم أبو طالب والله بقوله :

نصرت الرّسول رسول المليك ✫ ببيض تلألا كلمع البروقِ
أذبُّ و أحمي رسول الإله ✫ حماية حامٍ عليه شفيقِ
و ما إن أدبّ لأعدائه ✫ دبيب البكار حــذار الفنيق (١)
و لـكن أزير لهم سامياً ✫ كما زار ليثٌ بغيـل مضيقِ

و توجد هذه الأبيات مع بيت زائد في ديوانه ص ٢٤ .

و لسيِّدنا أبي طالب أبياتٌ كتبها إلى النجاشي بعد ما خرج عمرو بن العاص إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب و أصحابه عند النجاشي . يحرّض النجاشي على إكرام جعفر والاعراض ممّا يقوله عمرو ، منها :

ألاليت شعري كيف في الناس جعفرٌ ✫ و عمرو و أعداء النبيِّ الاقاربُ
وهل نال احسان النجاشيّ جعفراً ✫ و أصحابه أم عاق عن ذاك شاغبُ ؛
تعلّم أبيت اللعن أنّك ماجدٌ ✫ كريمٌ فلا يشقى إليك المجانبُ
و نعــلم أنّ الله زادك بسطةً ✫ و أسباب خــير كلّها بك لازبُ

تاريخ ابن كثير ٣ : ٧٧ ، شرح أبن ابي الحديد ٣ : ٣١٤ .

(١) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب لكرامته ج فنق و أفناق .

قال ابن ابي الحديد في شرحه ٣ : ٣١٥ : و من شعره المشهور ايضاً قوله يخاطب محمّداً، ويسكّن جأشه، و يأمره باظهار الدعوة :

لا يمنعنّك من حقٍّ تقوم به ✿ أيدٌ تصول و لا سلقٌ بأصواتِ
فإنّ كفّك كفّي إن مليت بهم ✿ ودون نفسك نفسي في الملمّاتِ

قال ابن هشام : ولمّا خشي أبوطالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوّذ فيها بحرم مكّة وبمكانه منها ؛ و تودّد فيها أشراف قومه و هو على ذلك يخبرهم و غيرهم في ذلك من شعره انّه غير مسلم رسول الله ﷺ، و لا تاركه لشيء أبداً، حتّى يهلك دونه فقال أبو طالب :

خليليّ ما أذني لأوّل عاذلِ ✿ بصغواء في حقٍّ ولا عند باطلِ
و لمّا رأيت القوم لاوُدَّ فيهمُ ✿ و قد قطعوا كلّ العرى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ✿ وقد طاوعوا أمر العدوّ المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنّةً (١) ✿ يعضّون غيظاً خلفنا بالأناملِ
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ✿ و أبيض عضب من تراث المقاولِ (٢)

أعوذ بربّ الناس من كلّ طاعنٍ ✿ علينا بسوء أو مُلحٍّ بباطلِ
و من كاشحٍ يسعى لنا بمعيبةٍ ✿ ومن مُلحقٍ في الدين مالم نحاولِ
وثورٍ ومَن أرسى ثبيراً مكانه ✿ و راقٍ ليرقى في حراء و نازلِ (٣)
وبالبيت حقّ البيت من بطن مكّة ✿ و بالله إنّ الله ليس بغافل
وبالحجر المسود إذ يمسحونه ✿ إذا اكتنفوه بالضحى والأصائلِ

كذبتم و بيت الله نترك مكّة ✿ و نظعن إلّا أمركم في بلابلِ
كذبتم وبيت الله نبزي محمّداً ✿ و لمّا نُطاعن دونه و نناضلِ
و نسلمه حتّى نصرّع حوله ✿ و نُذهل عن أبنائنا و الحلائلِ

---

(١) اظنة جمع ظنين : المتهم .
(٢) سمراء سمحة : اراد بها قناة لينة تسمح بالانعطاف عند هزها . العضب : القاطع . المقاول اراد بها السادات .
(٣) ثور و ثبير و حراء : جبال فى مكة .

و ينهض قومٌ بالحديد إليكـمُ ✿ نهوض الرَّوايا تحت ذات الصلاصل (١)

وحتّى نرى ذا الضِّغن يركب ردعه ✿ من الطعن فعل الأنكب المتحامل (٢)

و إنّا لعمر الله إن جدَّ ما أرى ✿ لنلتبسن أسيافنا بالأماثل

بكفّي فتىً مثل الشهاب سميدع ✿ أخي ثقة حامي الحقيقة باسل

شهوراً وأياماً وحولاً مجرَّماً (٣) علينا و تأتي حجَّةٌ بعد قابل

و ما ترك قوم ـ لاأباً لك ـ سيِّداً ✿ يحوط الذِّمار غير ذَرب مُواكل (٤)

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهـه ✿ ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل

يلوذ به الهُلَّاك من آل هاشم ✿ فهم عنده في رحمة و فواضل

بميزان قسط لا يخيس شعيرةً ✿ له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائل (٥)

لقد سفُهت أحلام قوم تبدَّلوا ✿ بني خلَف قيضاً بنا والغياطل (٦)

و نحن الصميم من ذُؤابة هاشم ✿ و آل قصيٍّ في الخطوب الأوائل

و سهمٌ و مخزومٌ تمالوا و ألّبوا ✿ علينا العدا من كلِّ طمل وخامل (٧)

فعبد مناف أنتمُ خير قومكـم ✿ فلا تُشركوا في أمركم كلَّ واغل (٨)

ألم تعلموا أنَّ ابننا لا مكذَّبٌ ✿ لدينا و لا نعبأ بقول الأباطل ؟

أشمَّ من الشُّمِّ البهاليل ينتمي ✿ إلى حسب في حومة المجد فاضل

---

(١) الروايا : الابل التي تحمل الماء ، واحدتها : رواية . الصلاصل ج الصلصلة : الصوت وذات الصلاصل : المزادات التي فيها بقية من الماء يسمع لها صوت حين تسير الابل .

(٢) يقال : ركب ردعه ، أي خرّ صريعاً لوجهه . الانكب : الذي يمشي على شق .

(٣) حولا مجرّما : أي مكملا . يقال : تجرّمت السنة ، اذا كملت وانقضت .

(٤) الذمار : مايلزمك أن تحميه . ذرب : فاسد . مواكل : يتكل على غيره .

(٥) لايخيس من قولهم : خاس بالعهد اذا نقضه وافسده . و يروى «لايخسّ» اى لاينقص عائل : جائر .

(٦) قيضاً بنا : عوضاً منّا تقول : قاضه بكذا أى عوضه به . الغيطلة : من بني مرة بن عبد مناة اخوة مدلج بن مرّة وهي ام الغياطل فقيل اولدها : الغياطل وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص

(٧) الطمل : الرجل الفاحش لايبالي ماصنع . اللئيم . الاحمق . اللص الفاسق.

(٨) كل واغل ، أراد كل ملصق ليس من صميم ، وأصل الواغل الداخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى .

لعمري لقد كلّفت وجداً بأحمد ✿ وأحببته حبّ الحبيب المواصلِ
فلا زال في الدّنيا جمالاً لأهلها ✿ وزيناً لمن والاه ربّ المشاكلِ
فأصبحَ فينا أحمدٌ في اَرومةٍ ✿ تقصرُ عنه سورةُ المتطاولِ
حـدبت بنفسي دونه وحميته ✿ ودافعت عنه بالذرا والكلاكلِ (١)
فأيّده ربّ العباد بنصره ✿ وأظهر ديناً حقّه غير باطلِ

هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته ١ص ٢٨٦ ـ ٢٩٨ ، اربعة وتسعين بيتاً وقال : هذا ما صحّ لي من هذه القصيدة . وذكر ابن كثير منها اثنين وتسعين بيتاً في تاريخه ٣ ص ٥٣ ـ ٥٧ ، وفي رواية ابن هشام ثلاثة أبيات لم توجد في تاريخ ابن كثير وقال : ص ٥٧ قلت : هذه قصيدةٌ عظيمةٌ بليغةٌ جداً لايستطيع يقولها إلّا من نُسبت إليه ، وهي أفحل من المعلّقات السبع ، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها ، وقد أوردها الأمويّ في مغازيه مطوّلة بزيادات اُخر والله اعلم .

وذكرها أبوهفان العبدي في ديوان أبي طالب ص ٢ ـ ١٢ في مائة وأحد عشر بيتاً ولعلّها تمام القصيدة .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٣١٥ بعد ذكر جملة من شعر أبي طالب : فكلّ هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر لأنّه إن لم يكن آحادها متواترة فمجموعها يدلّ على أمر واحد مشترك وهو تصديق محمّد ﷺ ومجموعها متواترٌ كما أنّ كلّ واحدة من قتلات عليّ عليه السلام الفرسان منقولة آحاداً ومجموعها متواترٌ يفيدنا العلم الضروريّ بشجاعته ، وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف ومعاوية وذكاء اياس وخلاعة أبي نواس وغير ذلك . قالوا : واتركوا هذا كلّه جانباً ما قولكم في القصيدة اللاميّة التي شهرتها كشهرة قفا نبك . وإن جاز الشكّ فيها أو في شيء من ابياتها جاز الشكّ في قفا نبك وفي بعض أبياتها .

وقال القسطلاني في إرشاد الساري ٢ : ٢٢٧ : قصيدةٌ جليلةٌ بليغةٌ من بحر الطويل وعدّة أبياتها مائة وعشرة أبيات قالها لمّا تمالأ قريش على النبيّ ﷺ ونفروا عنه من يريد الاسلام .

(١) حدبت : عطفت ومنعت . الذرا جمع ذروة : أعلى ظهر البعير . الكلاكل جمع كلكل : معظم الصدر .

وذكر منها في المواهب اللدنيّة ١ : ٤٨ ، أبياتاً فقال : هي أكثر من ثمانين بيتاً قال ابن التين : إنّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنّه كان يعرف نبوّة النبيّ ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به «بحيرا» وغيره من شأنه . وقال العيني في عمدة القاري ٣ : ٤٣٤: قصيدةٌ طنّانةٌ وهي مائة بيت وعشرة أبيات أوّلها :

خليليَّ ما اُذني لأوّل عاذلٍ ✿ بصغواء في حقٍّ ولا عند باطلِ

ذكر منها البغدادي في خزانة الأدب ١ : ٢٥٢ ـ ٢٦١ إثنين و أربعين بيتاً مع شرحها وقال أوّلها :

خليليَّ ما اُذني لأوّل عاذلٍ ✿ بصغواء في حقٍّ ولا عند باطلِ

خليليَّ انّ الرأي ليس بشركة ✿ و لا نهنه عند الاُمور البلابل

و لمّا رأيت القوم لاودّ عندهم ✿ وقد قطعوا كلَّ العرا والوسائلِ

وذكر الآلوسي عدّة منها في بلوغ الارب ١ ص ٢٣٧ وذكر كلمة ابن كثير المذكورة وقال : هي مذكورةٌ مع شرحها في كتاب لبِّ لباب لسان العرب .

وذكر منها السيد زيني دحلان أبياتاً في السيرة النبويّة هامش الحلبيّة ١ ص ٨٨ فقال : قال الإمام عبد الواحد[1] السفاقسي في شرح البخاري : إنّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنّه كان يعرف نبوّة النبيّ ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به «بحيرا» الراهب وغيره من شأنه مع ما شاهده من أحواله ومنها الإستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوّته ﷺ جاءت في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره .

قال الأميني : أنا لا أدري كيف تكون الشهادة والاعتراف بالنبوّة إن لم يكن منها هذه الأساليب المتنوِّعة المذكورة في هذه الأشعار ؛ ولو وُجد واحدٌ منها في شعر أيِّ أحد أو نثره لأصفق الكلُّ على إسلامه ، لكن جميعها لا يدلُّ على إسلام أبي طالب . فاعجب واعتبر .

هذه جملةٌ من شعر أبي طالب عليه السلام الطافح من كلِّ شطره الايمان الخالص ، والاسلام الصحيح ، قال العلاّمة الأوحد إبن شهر اشوب المازندراني في كتابه متشابهات القرآن عند قوله تعالى (ولينصرنّ الله من ينصره) في سورة الحجِّ : إنّ أشعار أبي طالب

---

(١) هو ابن التين المذكور في كلام القسطلاني .

الدالّة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكاشف فيها من يكاشف النبيّ ﷺ و يصحّح نبوّته . ثمّ ذكر جملة ضافية وممّا ذكرله قوله في وصيّته :

اوصي بنصر نبيّ الخير أربعة ☆ إبني عليّاً و شيخ القوم عبّاسا
و حمزة الأسد الحامي حقيقته ☆ وجعفراً أن تذودا دونه الناسا
كونوا فداءً لكم اُمّي وماولدت ☆ في نصرأحمد دون الناس أتراسا (١)

- ٢ -

ما ناء به من عمل بارو قول مشكور

أمّا ما ناء به سيّد الأباطح أبو طالب سلام‌الله عليه من‌عمل بارّ وسعي‌مشكور في نصرة النبيّ ﷺ و كلائته والذبّ عنه والدعوة إليه وإلى دينه الحنيف منذ بدء البعثة إلى أن لفظ‌أبوطالب نفسه الأخير ،وقد تخلّل ذلك‌جملٌ من القول كلّهانصوصٌ على اسلامه الصحيح ، وايمانه الخالص ، و خضوعه للرسالة الآلهيّة ، فالى الملتقى . روى القوم :

- ١ -

قال ابن اسحاق : انّ أباطالب خرج في‌ركب إلى‌الشام تاجراً فلمّا تهيّأ للرحيل و أجمع السير هبّ له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته و قال : يا عمّ إلى مَن‌تكلني لا أب لي ولا أمّ لي ؟ فرقّ له أبو طالب و قال : والله لأخرجنّ به معي ولا يفارقني ولا اُفارقه أبداً . قال : فخرج‌به‌معه فلمّا نزل الركب «بصرى» من أرض‌الشام وتهيّأ راهب يُقال له : بحيرا . في صومعة له و كان أعلم أهل النصرانيّة و لم يزل في تلك الصومعة راهب إليه يصير علمهم من كتاب فيهم كمايزعمون يتوارثونه كائناً عن كائن ، فلمّانزلوا ذلك العام ببحيرا و كانوا كثيراً ما يمرّون عليه قبل ذلك فلا يكلّمهم ولا يتعرّض لهم حتّى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته فصنع لهم طعاماً كثيراً و ذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا ، و غمامة تظلّه ﷺ من بين‌القوم . ثمّ أقبلوا حتّى نزلوا بظلّ شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلّت

(١) فى النسخة المطبوعة من متشابهات القرآن تصحيف و تحريف فى الابيات راجع ج ٢ ص ٦٥ .

الشجرة و تهصّرت يعني تدلّت أغصانها على رسول الله ﷺ حتّى استظلّ تحتها فلمّا رأى « بحيرا » ذلك نزل من صومعته و قد أمر بذلك الطعام فصنع ثمّ أرسل إليهم فقال : إنّي قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ! وأنا أحبّ أن تحضروا كلّكم صغيركم و كبيركم وحرّكم و عبدكم فقال له رجلٌ منهم : يا بحيرا ! إنّ لذلك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا فيما مضى و قد كنّا نمرّ بك كثيراً ، فماشأنك اليوم ؟ فقال له بحيرا : صدقت قد كان ما تقولون و لكنكم ضيوف فأحببت أن أُكرمكم و أصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلّكم ، فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنّه في رحال القوم تحت الشجرة فلمّا نظر « بحيرا » في القوم لم ير الصفة التي يعرفها وهي موجودة عنده فقال : يا معشر قريش ! لايتخلّف أحدٌ عنكم عن طعامي هذا فقالوا : يا بحيرا ! ماتخلّف عنك أحدٌ ينبغي أن يأتيك إلّا غلامٌ هو حدث القوم سنّاً تخلّف في رحالهم قال : فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، فقال رجلٌ من قريش : واللّات والعزّى انّ لهذا اليوم نبأ . أيليق أن يتخلّف ابن عبدالله عن الطعام من بيننا ؟ ثمّ قام إليه فاحتضنه ثمّ أقبل به حتّى أجلسه مع القوم فلمّا رآه « بحيرا » جعل يلحظه لحظاً شديداً و ينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته حتّى إذا فرغ القوم من الطعام و تفرّقوا قام « بحيرا » فقال له : يا غلام أسألك باللّات والعزّى إلّا أخبرتني عمّا أسألك عنه . فقال رسول الله ﷺ : لاتسألني باللّات والعزّى شيئاً قطّ ، فقال بحيرا : فبالله إلّا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه . فقال : سلني عمّا بدالك · فجعل يسأله عن أشياء من نومه و هيئته و اموره و رسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند « بحيرا » من صفته ثمّ نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوّة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده . الحديث فقال أبو طالب في ذلك .

إنّ ابن آمنة النبيّ محمّداً ✿ عندي يفوق منازل الأولادِ
لمّا تعلّق بالزمام رحمته ✿ والعيس قد قلّصن[1] بالأزوادِ
فارفضّ من عينيّ دمعٌ ذارفٌ ✿ مثل الجمان مفرّق الأفرادِ

---

(١) تلص القوم : اجتمعوا فساروا . قلصت الناقة : استمرت في مضيّها . تقلص : انضم وانزوى. تدانى .

راعيتُ فيه قرابةً موصولةً ✡ و حفظت فيه وصيّة الأجدادِ
و أمرته بالسير بين عمومةٍ ✡ بيض الوجوه مصالت أنجادِ (١)
ساروا لأبعد طيّةٍ معلومةٍ ✡ فلقد تباعد طيّة (٢) المرتادِ
حتّى إذا ما القوم بصرى عاينوا ✡ لاقوا على شركٍ من المرصادِ
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً ✡ عنه وردَّ معاشر الحسّادِ
قومٌ يهودٌ قد رأوا لمّا رأى ✡ ظلّ الغمام وعنَّ ذي الأكبادِ (٣)
ثاروا لقتل محمّدٍ فنهاهمُ ✡ عنه و جاهد أحسن التجهادِ
فثنى زبيراً من بحيرا فانثنى ✡ في القوم بعد تجاول وبعادِ
و نهى دريساً فانتهى عن قوله ✡ حبرٌ يوافق أمره برشادِ

وقال ايضاً :

ألم ترني من بعد همٍّ هممته ✡ بفرقة حرّ الوالدين حرامِ
بأحمد لمّا أن شددت مطيّتي ✡ برحلي و قد ودّعته بسلامِ
بكى حزناً والعيس قد فصلت بنا ✡ و أخذت بالكفين فضل زمامِ
ذكرت أباه ثمّ رقرقتُ عبرةً ✡ تجود من العينين ذات سجامِ
فقلت : ترحّل راشداً في عمومةٍ ✡ مواسير في البأساء غير لئامِ
فجاء مع العير التي راح ركبها ✡ شآمي الهوى والأصل غير شآمِ
فلمّا هبطنا أرض بصرى تشرّفوا ✡ لنا فوق دورٍ ينظرون جسامِ
فجاء بُحيرا عند ذلك حاشداً ✡ لنا بشرابٍ طيّبٍ و طعامِ
فقال: اجمعوا أصحابكم لطعامنا ✡ فقلنا : جمعنا القوم غير غلامِ
يتيم فقال : ادعوه إنَّ طعامنا ✡ كثيرٌ عليه اليوم غير حرامِ
فلولا الّذي خبّرتمُ عن محمّدٍ ✡ لكنتم لدينا اليوم غير كرامِ

(١) مصالت : الماضي في الحوائج . الصلت الجبين : الواضح . أنجاد ج النجد : الضابط للامور يذلل المصائب . الشجاع الماضي فيما يعجز غيره . سريع الاجابة الى ما دعي اليه .

(٢) في الموضعين في رواية : طبّة . بالموحدة مؤنث الطبّ بفتح الطاء : الناحية .

(٣) و في رواية : قوم يهود قد رأوا ما قد رأوا ظلّ الغمامة ناغري الاكباد

فلمّا رآه مقبلاً نحو داره ✡ يوقّيه حرّ الشمس ظلّ غمامِ
حنا رأسه شبه السجود وضمّه ✡ إلى نحره والصدر أيّ ضمامِ
وأقبل ركبٌ يطلبون الذي رأى ✡ بحيرا من الأعلام وسط خيامِ
فثار إليهم خشيةً لعرامهم (١) ✡ و كانوا ذوي بغي لنا و عرامِ
دريس و تمام و قد كان فيهمُ (٢) ✡ زبيرٌ و كلٌّ القوم غير نيامِ
فجاؤا و قد همّوا بقتل محمّد ✡ فردّ هُمُ عنه بحسن خصامِ
بتأويله التوراة حتى تيقّنوا ✡ و قال لهم : رمتم أشدّ مرامِ
أتبغون قتلاً للنبيّ محمّدٍ ؟ ✡ خصصتم على شؤم بطول أثامِ
و إنّ الذي نختاره منه مانعٌ ✡ سيكفيه منكم كيد كلّ طغامِ
فذلك من أعلامه و بيانه ✡ و ليس نهارٌ واضحٌ كظلامِ

ديوان أبي طالب ص ٣٣ ـ ٣٥ ، تاريخ ابن عساكر ١ : ٢٦٩ ـ ٢٧٢ ، الروض الانف ١ : ١٢٠ .

وذكر السيوطي الحديث من طريق البيهقي في الخصايص الكبرى ١ : ٨٤ فقال في ص ٨٥ : وقال أبوطالب في ذلك أبياتاً منها :

فما رجعوا حتّى رأوا من محمّد ✡ أحاديث تجلو غمّ كلّ فوادِ
وحتّى رأوا أحبار كلّ مدينةٍ ✡ سجوداً له من عصبةٍ و فرادِ
زبيراً و تماماً وقد كان شاهداً ✡ دريساً و همّوا كلّهم بفسادِ
فقال لهم قولاً بحيرا و أيقنوا ✡ له بعد تكذيبٍ و طول بعادِ
كما قال للرهط الذين تهوّدوا ✡ و جاهدهم في الله كلّ جهادِ
فقال ولم يترك له النصح : ردّه ✡ فانّ له إرصاد كلّ مصادِ
فانّي أخاف الحاسدين و انّه ✡ لفي الكتب مكتوبٌ بكلّ مدادِ

-٢-

استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ

أخرج ابن عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة قال : قدمت مكّة وهم في قحط

(١) العرام : الشراسة والاذى .
(٢) دريس ، وتمام ، وزبير ـ في بعض النسخ : زدير ـ أحبار من اليهود .

فقالت قريش : يا أبا طالب ؛ أقحط الوادي ، وأجدب العيال ، فهلمّ وَ استسق فخرج أبوطالب ومعه غلامٌ كأنّه شمس دجن تجلّت عنه سحابةٌ قتماء و حوله اُغيلمة فأخذه أبوطالب فألصق ظهره بالكعبة ، ولاذَ باصبعه الغلام ، وما في السماء قزعة[1] فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب البادي والنادي ففي ذلك يقول أبوطالب :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه　✡　ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاّك من آل هاشم　✡　فهم عنده في نعمةٍ و فواضل

وميزان عدل لايخيس شعيرة　✡　و وزّان صدق وزنه غير هائل

شرح البخاري للقسطلاني ٢:٢٢٧ ، المواهب اللدنية ١:٤٨ ، الخصايص الكبرى ١: ٨٦، ١٢٤ ، شرح بهجة المحافل ١:١١٩، السيرة الحلبيّة ١: ١٢٥ ، السيرة النبويّة لزيني دحلان هامش الحلبيّة ١: ٨٧ ؛ طلبة الطالب ص٤٢ .

ذكر الشهرستاني في الملل والنحل بهامش الفصل ٣ :٢٢٥ سيّدنا عبدالمطلب وقال : وممّا يدلّ على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوّة أنّ أهل مكّة لمّا أصابهم ذلك الجدب العظيم وأمسك السحاب عنهم سنتين أمر أباطالب إبنه أن يحضر المصطفى عليه الصّلاة والسّلام وهو رضيعٌ في قماط فوضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه إلى السّماء وقال: يا ربّ بحقّ هذا الغلام . ورماه ثانياً وثالثاً وكان يقول: بحقّ هذا الغلام إسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً . فلم يلبث ساعة ان طبّق السحاب وجه السّماء وأمطر حتّى خافوا على المسجد وأنشد أبوطالب ذلك الشعر اللاّمي الذي منه :

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه　✡　ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ثمّ ذكر أبياتاً من القصيدة ، و لا يخفى على الباحث أنّ القصيدة نظمها أبوطالب عليه السلام أيّام كونه في الشعب كما مرّ .

فاستسقاء عبدالمطلب وإبنه سيّد الأبطح بالنبيّ الأعظم يوم كان ﷺ رضيعاً و يافعاً يُعرب عن توحيدهما الخالص ، وإيمانهما بالله ، وعرفانهما بالرسالة الخاتمة ، وقداسة صاحبها من أوّل يومه ، و لو لم يكن لهما إلاّ هذين الموقفين لكفياهما كما يكفيان

(١) القزعة : القطعة من السحاب .

الباحث عن دليل آخر على إعتناقهما الايمان .

- ٣ -

أبوطالب في مولد أمير المؤمنين عليه السلام

عن جابر بن عبدالله قال : : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن ميلاد عليّ بن أبي طالب قفال : لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبيه المسيح عليه السلام إنّ الله تبارك و تعالى خلق عليّاً من نوري و خلقني من نوره وكلانا من نور واحد ، ثمّ إنّ الله عزّ و جلّ نقلنا من صلب آدم عليه السلام في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكيّة فما نقلت من صلب إلّا ونقل عليٌّ معي فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم و هي آمنة . و استودع عليّاً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد . و كان في زماننا رجلٌ زاهدٌ عابدٌ يقال له المبرم بن دعيب بن الشقبان قد عَبدَ الله تعالى مائتين وسبعين سنة لم يسأل الله حاجةً فبعث الله إليه أباطالب فلمّا أبصره المبرم قام اليه و قبّل رأسه و أجلسه بين يديه ثمّ قال له : من أنت؟ فقال : رجلٌ من تهامة . فقال : من أيّ تهامة ؟ فقال : من بني هاشم . فوثب العابد فقبّل رأسه ثمّ قال : يا هذا إنّ العليّ الأعلى ألهمني إلهاماً . قال أبوطالب : وما هو ؟ قال: ولدٌ يولد من ظهرك وهو وليّ الله عزّ وجلّ ، فلمّا كان الليلة التي ولد فيها عليٌّ أشرقت الأرض فخرج أبوطالب وهو يقول : أيّها الناس ولد في الكعبة وليّ الله فلمّا أصبح دخل الكعبة وهو يقول :

يا ربّ هذا الغسق الدجيّ ✡ والقمر المنبلج المضيّ

بيّن لنا من أمرك الخفيّ ✡ ما ذا ترى في اسم ذا الصبيّ ؟

قال : فسمع صوت هاتف يقول :

يا أهل بيت المصطفى النبيّ ✡ خصصتم بالولد الزكيّ

إنّ اسمه من شامخ العليّ ✡ عليٌّ ن اشتقّ من العليّ

أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ٢٦٠ و قال : تفرّد به مسلم بن خالد الزنجي وهو شيخ الشافعي ، وتفرّد به عن الزنجي عبد العزيز بن عبد الصمد وهو معروفٌ عندنا .

ـ ٤ ـ

بدء أمر النبي وأبوطالب

أخرج فقيه الحنابلة ابراهيم بن علي بن محمد الدينوري في كتابه ـ نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل الرسول ـ (١) باسناده عن طاوس عن ابن عباس في حديث طويل: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للعباس رضي الله عنه: إن الله قد أمرني باظهار أمري و قد أنبأني واستنبأني فما عندك؟ فقال له العباس رضي الله عنه: يابن أخي تعلم ان قريشاً أشد الناس حسداً لولد أبيك، و إن كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطماء والداهية العظيمة ورمينا عن قوس واحد وانتسفونا نسفاً، صلتا و لكن قرب إلي عمك أبي طالب فإنه كان أكبر أعمامك إن لا ينصرك لا يخذلك و لا يسلمك، فأتياه فلما رآهما أبوطالب قال: إن لكما لظنة وخبراً ماجاء بكما في هذا الوقت؟ فعرفه العباس ماقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أجابه به العباس فنظر إليه أبوطالب و قال له: أخرج إبن أبي فانك الرفيع كعبا؛ والمنيع حزباً، والأعلى أباً، والله لايسلقك لسان إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبته سيوف حداد، والله لتذلن لك العرب ذل البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً ولقد قال: إن من صلبي لنبياً لوددت اني أدركت ذلك الزمان فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به.

قال الأميني: أترى أن أباطالب يروي ذلك عن أبيه مطمأناً به؟ فلينشط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا التنشيط لأول يومه، ويأمره باشهار أمره والإشادة بذكر الله وهو مخبت بأنه هو ذلك النبي الموعود بلسان أبيه و الكتب السالفة، و يتكهن بخضوع العرب له، أتراه سلام الله عليه يأتي بهذه كلها ثم لا يؤمن به؟ إن هذا إلا اختلاق.

ـ ٥ ـ

أبو طالب و فقده النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ذكر ابن سعد الواقدي في الطبقات الكبرى ص ١٨٦ ج ١ ط مصر و ص ١٣٥ ط ليدن حديث مشي قريش إلي أبي طالب في أمره صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قال: فاشمأزوا و نفروا منها (يعني من مقالة محمد) وغضبوا و قاموا وهم يقولون: اصبروا على آلهتكم، إن

(١) راجع الطرائف لسيدنا ابن طاوس ص ٨٥، وضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف.

هذا الشيء يُراد، ويقال: المتكلّم بهذا: عقبة بن أبي معيط. وقالوا: لانعود اليه أبداً، وماخير من أن نغتال محمّداً، فلمّا كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء ابو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه، فجمع فتياناً من بني هاشم و بني المطلب ثمّ قال: ليأخذ كلّ واحد منكم حديدة صارمة، ثمّ ليتبعني إذا دخلت المسجد، فلينظر كلّ فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم: ابن الحنظلية ـ يعني أبا جهل ـ فانّه لم يغب عن شرّ إن كان محمّد قد قُتل، فقال الفتيان: نفعل، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال؛ فقال: يا زيد! أحسست إبن أخي؟ قال: نعم كنت معه آنفاً. فقال أبو طالب: لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه؛ فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه يتحدّثون، فأخبره الخبر، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي! أين كنت؟ أكنت في خير؟ قال: نعم. قال: ادخل بيتك، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمّا أصبح أبو طالب غدا على النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده فوقف به على أندية قريش و معه الفتيان الهاشميّون و المطلبيّون فقال: يا معشر قريش! هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا: فأخبرهم الخبر، وقال للفتيان: اكشفوا عمّا في أيديكم. فكشفوا، فإذا كلّ رجل منهم معه حديدة صارمة. فقال: والله اوقتلتموه ما بقّيت منكم أحداً. حتّى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم و كان أشدّهم إنكساراً أبو جهل.

☆(لفظ آخر)☆

وأخرج الفقيه الحنبلي ابراهيم بن عليّ بن محمّد الدينوري في كتابه ـ نهاية الطلب(١) باسناده عن عبدالله بن المغيرة بن معقب قال: فقد أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فظنّ انّ بعض قريش إغتاله فقتله فبعث إلى بني هاشم فقال: يا بني هاشم أظنّ انّ بعض قريش إغتال محمّداً فقتله فليأخذ كلّ واحد منكم حديدة صارمة و ليجلس إلى جنب عظيم من عظماء قريش فاذا قلت: أبغي محمّداً. قتل كلّ منكم الرجل الذي إلى جانبه، وبلغ رسول الله جمع أبي طالب وهو في بيت عند الصفا فأتى أبا طالب وهو في المسجد فلمّا رآه أبو طالب أخذ بيده ثمّ قال: يامعشر قريش! فقدت محمّداً فظننت انّ بعضكم إغتاله

(١) راجع الطرائف لسيدنا ابن طاووس ص٨٥.

فأمرت كلّ فتى شهد من بني هاشم أن يأخذ حديدة و يجلس كلّ واحد منهم إلى عظيم منكم فإذا قلت : أبغي محمّداً : قتل كلّ واحد منهم الرجل الذى إلى جنبه ، فاكشفوا عمّا في أيديكم يا بني هاشم ! فكشف بنو هاشم عمّا في أيديهم فنظرت قريش إلى ذلك فعندها هابت قريش رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ أنشأ أبو طالب :

ألا أبلغ قريشاً حيث حلّت ☆ و كلّ سرائر منها غرورُ
فإنّي والضوابح عاديات (١) ☆ و ما تتلو السفاسرة الشهورُ (٢)
لآل محمّد راعٍ حفيظ ☆ وودّ الصدر منّي والضميرُ
فلست بقاطع رحمي وولدي ☆ ولو جرّت مظالمها الجزورُ
أيأمر جمعهم أبناء فهر ☆ بقتل محمّد و الأمر زورُ
فلا وأبيك لا ظفرت قريش ☆ ولا أمّت رشاداً إذ تشيرُ
بنيّ أخي ونوط القلب منّي ☆ و أبيض ماءه غدق كثيرُ
ويشرب بعده الولدان ريّاً ☆ و أحمد قد تضمّنه القبورُ
أيا ابن الانف أنف بني قصيّ (٣) ☆ كأنّ جبينك القمر المنيرُ

☆(لفت نظر)☆ قال شيخنا العلاّمة المجلسي في البحار ٩ : ٣١ روى جامع الديوان ـ يعني ديوان أبي طالب ـ نحو هذا الخبر مرسلاً ثمّ ذكر الأشعار هكذا فذكر الاشعار و فيها زيادة عشرين بيتاً على ما ذكر و هي لا توجد في الديوان المطبوع لسيّدنا أبي طالب .

☆(لفظٌ ثالثٌ)☆

و قال السيّد فخار بن معد في كتابه « الحجّة » ص ٦١ : وأخبرني الشيخ الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن محمّد بن الجوزي المحدّث البغدادي (وكان ممّن يرى كفر

(١) في تاج العروس ٣ ، ٢٧٢ « فانّي والسوابح كلّ يوم » و في ص ٣٢٠ « فانّي والضوابح كل يوم »

(٢) السفاسرة : أصحاب الاسفار و هي الكتب . الشهور : العلماء ج الشهر . كذا فسر البيت كما في تاج العروس ٣ : ٢٧٢ ، ٣٢٠ .

(٣) الانف : السيد .

أبي طالب ويعتقده) بواسط العراق سنة إحدى وتسعين وخمسمائة باسناد له إلى الواقدي قال : كان أبوطالب بن عبدالمطلب لايغيب صباح النبيّ ولا مساءه ، ويحرسه من أعداءه ويخاف أن يغتالوه ، فلمّا كان ذات يوم فقده فلم يره و جاء المساء فلم يره و أصبح الصباح فطلبه في مظانّه فلم يجده فلزم أحشاءه و قال : وا ولداه و جمع عبيده و من يلزمه في نفسه فقال لهم : إنّ محمّداً قد فقدته في أمسنا و يومنا هذا ولا أظنّ إلّا أنّ قريشاً قد إغتالته و كادته وقد بقي هذا الوجه ماجئته وبعيدٌ أن يكون فيه و اختار من عبيده عشرين رجلاً ، فقال : امضوا وأعدّوا سكاكين وليمض كلّ رجل منكم و ليجلس إلى جنب سيّد من سادات قريش فان أتيت و محمّد معي فلا تحدثن أمراً و كونوا على رسلكم حتّى أقف عليكم ، وإن جئت و ما محمّد معي فليضرب كلّ منكم الرجل الذي إلى جانبه من سادات قريش فمضوا و شحذوا سكاكينهم حتّى رضوها ، ومضى أبوطالب في الوجه الذي أراده ومعه رهطه من قومه فوجده في أسفل مكّة قائماً يصلّي إلى جنب صخرة فوقع عليه و قبّله و أخذ بيده و قال : يابن أخ ! قد كدت أن تأتي على قومك ، سر معي ، فأخذ بيده وجاء إلى المسجد وقريش في ناديهم جلوسٌ عند الكعبة فلمّا رأوه قد جاء ويده في يد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمّد إنّ له لشأناً ، فلمّا وقف عليهم والغضب في وجهه قال لعبيده : أبرزوا ما في أيديكم فأبرز كلٌّ واحد منهم ما في يده فلمّا رأوا السكاكين قالوا : ما هذا يا أبا طالب ؟ قال : ما ترون ؛ انّي طلبت محمّداً فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون و قلت لهم : إن جئت وليس محمّدٌ معي فليضرب كلٌّ منكم صاحبه الذي إلى جنبه ولا يستأذنّي فيه ولو كان هاشميّاً فقالوا : وهل كنت فاعلاً ؟ فقال : أي وربّ هذه و أومى إلى الكعبة ، فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف و كان من أحلافه : لقد كدت تأتي على قومك ؟ قال هو ذلك . و مضى به و هو يقول :

إذهب بُنيّ فما عليك غضاضةٌ ✿ إذهب و قرّ بذاك منك عيونا

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ✿ حتّى اُوسّد في التراب دفينا

و دعوتني وعلمت أنّك ناصحي ✿ و لقد صدقت و كنت قبل أمينا

وذكرت ديناً لا محالة إنّه ✿ من خير أديان البريّة دينا [1]

فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب والاستعطاف وهو لا يحفل بهم ولا يلتفت إليهم .

قال الأميني : هذا الشيخ الأبطح يروقه أن يُضحّي كلّ قومه دون نبيّ الاسلام وقد تأهّب لأن يطأ القوميّات كلّها والأواصر المتّشجة بينه وبين قريش بأخمص الدين. فحيّاها الله من عاطفة إلٰهيّة ؛ وآصرة دينيّة هي فوق أواصر الرّحم .

- ٦ -

أبو طالب في بدء الدعوة

لمّا نزلت : وانذر عشيرتك الأقربين [2] خرج رسول الله ﷺ فصعد على الصفا فهتف : يا صباحاه . فاجتمعو إليه ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم انّ خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدّقي ؟ قالوا : نعم ماجرّبنا عليك كذباً . قال : فانّي نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبولهب : تبّاً لك ، أما جمعتنا إلّا لهذا ؟ ثمّ احضر قومه في داره فبادره أبو لهب وقال : هؤلاء هم عمومتك وبنو عمّك فتكلّم ودع الصباة [3] واعلم أنّه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وانّ أحقّ من أخذك فحبسك بنوأبيك ، وإن أقمت ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن ينبّ لك بطون قريش ، وتمدّهم العرب فمارأيت أحداً جاء على بني أبيه بشرّ ممّا جئتم به . فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلّم.

ثمّ دعاهم ثانية وقال : الحمد لله أحمده وأستعينه واومن وأتوكّل عليه وأشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له . ثمّ قال : إنّ الرائد لا يكذب أهله ، والله الذي لا إلٰه إلّا هو انّي رسول الله إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة ، والله لتموتنّ كما تنامون ، ولتبعثنّ كما تستيقظون ، ولتحاسبنّ بما تعملون ، وانّها الجنّة أبداً والنار أبداً .

فقال أبو طالب : ماأحبّ إلينا معاونتك ، واقبلنا لنصيحتك ، واشدّ تصديقنا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وانّما أنا أحدهم غير انّي أسرعهم إلى ماتحبّ ، فامض لما اُمرت به ، فوالله لاأزال أحوطك وأمنعك ، غير أنّ نفسي لا تطاوعني على

---

(١) راجع ما اسلفناه ص ٣٣٤ .

(٢) مرّ حديثها في الجزء الثاني ص ٢٧٨ ط٢.

(٣) الصبأ : الخروج من دين الى دين آخر .

فراق دين عبد المطلب (١).

قال الأميني : لم يكن دين عبد المطلب سلام الله عليه إلا دين التوحيد والايمان بالله ورسله وكتبه غير مشوب بشيء من الوثنية ، و هو الذي كان يقول في وصاياه : إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه و تصيبه عقوبة . إلى أن هلك ظلوم لم تصبه عقوبة . فقيل له في ذلك ففكر في ذلك فقال : والله ان وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن باحسانه ، ويعاقب المسيء باساءته ، وهو الذي قال لأبرهة : ان لهذا البيت ربّاً يذب عنه ويحفظه ، وقال وقد صعد أباقبيس :

لاهم ان المرء يمنع ✿ حله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ✿ ومحالهم عدواً محالك
فانصر على آل الصليب ✿ و عابديه اليوم آلك
إن كنت تاركهم وكعـ - ـبتنا فأمر ما بدالك (٢)

و يعرب عن تقدمه في الايمان الخالص والتوحيد الصحيح انتماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليه ومباهاته به يوم حنين بقوله :

أنا النبي لا كذب ✿ أنا ابن عبد المطلب (٣)

و قد أجاد الحافظ شمس الدين بن ناصر بن الدمشقي في قوله :

تنقل أحمد نوراً عظيماً ✿ تلألا في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً فقرناً ✿ إلى أن جاء خير المرسلينا (٤)

و هذا هو الذي أراده أبو طالب سلام الله عليه بقوله : نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب . و هو صريح بقية كلامه ، وقد أراد بهذا السياق التعمية على الحضور لئلا يناصبوه العداء بمفارقتهم ، و هذا السياق من الكلام من سنن العرب في

(١) الكامل لابن الاثير ٢ : ٢٤ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني هامش الفصل ٣ : ٢٢٤ ، الدرج المنيفة للسيوطي ص ١٥ ، مسالك الحنفاء ص ٣٧ .

(٣) طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ص ٦٦٥ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٢٩ .

(٤) مسالك الحنفا للسيوطي ص ٤٠ ، الدرج المنيفة ص ١٤ .

محاورتهم ، قد يريدون به التعمية ، وقد يراد به التأكيد للمعنى المقصود كقول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم ✡ بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب

و لو لم يكن لسيّدنا ابي طالب إلّا موقفه هذا لكفى بمفرده في ايمانه الثابت ، و إسلامه القويم ، و ثباته في البدء .

قال ابن الأثير : فقال أبو لهب : هذه والله السوء خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم ، فقال أبو طالب : والله لنمنعنّه ما بقينا . وفي السيرة الحلبيّة ١ : ٣٠٤ : إنّ الدعوة كانت في دار أبي طالب .

قال عقيل بن أبي طالب : جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إنّ ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي كعبتنا وفي ديارنا ويسمعنا ما نكره فإن رأيت أن تكفّه عنّا فافعل . فقال لي : يا عقيل ! التمس لي ابن عمّك فأخرجته من كبس من كباس ابي طالب فجاء يمشي معي يطلب الفيء يطأفيه لا يقدر عليه حتّى انتهى إلى ابي طالب فقال : يا ابن أخي ! والله لقد كنت لي مطيعاً جاء قومك يزعمون انّك تأتيهم في كعبتهم و في ناديهم فتؤذيهم و تسمعهم ما يكرهون ، فإن رأيت أن تكفّ عنهم . فحلق بصره إلى السّماء وقال : والله ما أنا بقادر أن أردّ ما بعثني به ربّي ، ولو أن يشعل أحد هم من هذه الشمس ناراً . فقال أبو طالب : والله ما كذب قطّ فأرجعوا راشدين .

قال الأميني : هكذا أخرجه البخاري في تاريخه باسناد رجاله كلّهم ثقات ، و بهذا اللفظ ذكره المحبّ الطبري في ذخاير العقبى ص ٢٢٣ . غير أنّ ابن كثير لمّا رأى لكلمة : راشدين . قيمة في ايمان أبي طالب فحذفها في تاريخه ٣ ص ٤٢ . حيّا الله الأمانة .

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى ١ : ١٧١ حديث الدعوة عن عليّ و فيه : ثمّ قال لهم ﷺ : من يؤازرني على ما أنا عليه و يجيبني على أن يكون أخي و له الجنّة ؟ فقلت : أنا يا رسول الله ، وإنّي لأحدثهم سنّاً ، وأحمشهم ساقاً . وسكت القوم ، ثمّ قالوا : يا أباطالب ! ألا ترى ابنك ؟ قال : دعوه فلن يألو [(١)] ابن عمّه خيرا .

وروى أبو عمرو الزاهد الطبري عن تغلب عن ابن الأعرابي إنّه قال في لغة - العور - انّه الرديّ من كلّ شيء قال : و من العور ما في رواية ابن عبّاس . ثمّ ذكر حديث

(١) يألو : قصر .

عليّ عليه السلام بطوله إلى أن قال: قال: فلمّا أراد النبيّ صلى الله عليه وآله أن يتكلّم إعترضه أبولهب فتكلّم بكلمات وقال: قوموا. فقاموا وأنصرفوا. قال: فلمّا كان من الغد أمرني فصنعت مثل ذلك الطعام والشراب ودعوتهم فأقبلوا ودخلوا فأكلوا وشربوا فقام رسول الله صلى الله عليه وآله ليتكلّم فاعترضه أبولهب فقال له أبوطالب: اسكت يا أعور! ماأنت و هذا؟ ثمّ قال: لايقومنّ أحدٌ. قال: فجلسوا ثمّ قال للنبيّ صلى الله عليه وآله: قم يا سيّدي فتكلّم بماتحبّ و بلّغ رسالة ربّك فإنّك الصّادق المصدّق.

وإلى هذا الحديث وكلمة أبي طالب ـ اسكت يا أعور! ما أنت و هذا؟ ـ وقع الايعاز في النهاية لابن الأثير ٣: ١٥٦، و الفائق للزمخشري ٢: ٩٨ نقلاً عن ابن الأعرابي، وفي لسان العرب ٦: ٢٩٤، تاج العروس ٣: ٤٢٨.

قال الأميني: أيّ كافر طاهر هذا سلام الله عليه وهو يدافع عن الاسلام المقدّس بكلّ حوله وطوله، ويسلق رجال قومه بلسان حديد، ويحضّ النبيّ الأعظم على الدّعوة وتبليغ رسالته عن ربّه، ويراه الصّادق المصدّق؟.

-٧-

قول أبي طالب لعليّ: إلزم ابن عمّك

قال ابن اسحاق: ذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا حضرت الصّلاة خرج إلى شعاب مكّة وخرج معه عليّ بن ابي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه و سائر قومه، فيصلّيان الصّلوات فيها فاذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ماشاء الله أن يمكثا، ثمّ إنّ أباطالب عثر عليهما يوماً وهما يُصلّيان فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: ياابن أخي! ماهذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عمّ! هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم.

و ذكروا انّه قال لعليّ: أي بنيّ! ماهذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدّقته بما جاء به، وصلّيت معه لله واتّبعته، فزعموا انّه قال له: أما انّه لم يدعك إلّا إلى خير، فالزمه. و في لفظ عن عليّ: إنّه لمّا أسلم قال له أبوطالب: إلزم ابن عمّك.

سيرة ابن هشام ١: ٢٦٥، تاريخ الطبري ٢: ٢١٤، تفسير الثعلبي، عيون الأثر

١ : ٩٤ ، الإصابة ٤ : ١١٦ ، أسنى المطالب ص : ١٠.

وفي شرح إبن أبي الحديد ٣ : ٣١٤ : روي عن عليّ قال : قال أبي : يا بنيّ ألزم ابن عمّك فإنّك تسلم به من كلّ بأس عاجل و آجل ثمّ قال لي :

إنّ الوثيقة في لزوم محمّد ☆ فاشدد بصحبته عليّ يديكا

فقال : ومن شعره المناسب لهذا المعنى قوله :

إنّ علياً و جعفراً ثقتي ☆ عند ملمّ الزمان و النوبِ

لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما ☆ أخي لأمّي من بينهم و أبي

و الله لا أخذل النبيّ ولا ☆ يخذله من بنيّ ذو حسب

هذه الأبيات الثلاث توجد في ديوان أبي طالب ايضا ص ٣٦ وذكرها العسكري في كتاب الأوايل قال : إنّ أباطالب مرّ بالنبيّ ﷺ ومعه جعفر فرأى رسول الله ﷺ يصلّي و عليّ معه فقال لجعفر : يابنيّ ! صل جناح ابن عمّك . فقام إلى جنب عليّ فأحسّ النبيّ فتقدّمهما وأقبلوا على أمرهم حتّى فرغوا فانصرف أبوطالب مسروراً وأنشأ يقول:

إنّ علياً و جعفراً ثقتي ☆ عند ملمّ الزمان والنوبِ

وذكر أبياتاً لم يذكرها ابن أبي الحديد ومنها :

نحن و هذا النبيّ ننصره ☆ نضرب عنه الأعداء كالشهبِ

وأخرج أبوبكر الشيرازي في تفسيره : إنّ النبيّ ﷺ لمّا انزل عليه الوحي أتى المسجد الحرام وقام يصلّي فيه فأجتاز به عليّ عليه السلام وكان إبن تسع سنين فناداه : يا عليّ ! إليّ أقبل . فأقبل اليه ملبّياً فقال له النبيّ : إنّي رسول الله اليك خاصّة وإلى الخلق عامّة فقف عن يميني وصلّ معي . فقال : يارسول الله ! حتى أمضي وأستأذن أباطالب والدي ؛ فقال له : إذهب فانّه سيأذن لك ، فانطلق إليه يستأذنه في إتّباعه ، فقال : ياولدي ! تعلم أنّ محمّداً أمين الله منذ كان ، إمض اليه واتّبعه ترشد وتفلح . فأتى عليّ عليه السلام ورسول الله ﷺ قائم يصلّي في المسجد فقام عن يمينه يصلّي معه فاجتاز أبوطالب بهما وهما يصلّيان فقال : يامحمّد ماتصنع ؟ قال : أعبد إله السّماوات والأرض ومعي أخي عليّ يعبد ماأعبد وأنا أدعوك إلى عبادة الواحد القهّار فضحك أبوطالب حتّى بدت نواجده وانشأ يقول :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ☆ حتّى أغيّب في التراب دفينا

إلى آخر الأبيات التي أسلفناها ص ٣٣٤ .

-٨-

قول أبي طالب : صِل جناح ابن عمك

أخرج ابن الأثير : إنَّ أباطالب رأى النبيَّ ﷺ وعلياً يصلّيان وعليٌّ على يمينه فقال لجعفر رضي الله تعالى عنه : صِل جناح إبن عمك ، وصلّ عن يساره ، وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه عليّ بقليل . وقال أبوطالب :

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد ☆ وكن مظهراً للدين وُفّقت صابرا
وحط مَن أتى بالحقّ من عند ربه ☆ بصدق و عزم لاتكن حمزُ كافرا
فقد سرّني إذ قلت : إنّك مؤمنٌ ☆ فكن لرسول الله في الله ناصرا
و باد قريشاً بالذي قد أتيته ☆ جهاراً و قل : ماكان أحمد ساحرا

أُسد الغابة ١: ٢٨٧ ، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٣١٥ ، الاصابة ٤ : ١١٦ ؛ السيرة الحلبية ١ : ٢٨٦ ، أسنى المطالب ص ٦ وقال : قال البرزنجي : تواترت الأخبار انَّ أبا طالب كان يُحب النبيَّ ﷺ ويحوطه وينصره ويعينه على تبليغ دينه ويُصدّقه فيما يقوله ؛ ويأمر أولاده كجعفر وعليّ باتّباعه ونصرته .

وقال في ص ١٠ : قال البرزنجي : هذه الأخبار كلّها صريحةٌ في أنَّ قلبه طافحٌ وممتلئٌ بالايمان بالنبيّ ﷺ .

-٩-

أبوطالب وحنوه على النبيّ ﷺ

قال أبوجعفر محمّد بن حبيب رحمه الله في أماليه : كان أبوطالب إذا رأى رسول الله ﷺ أحياناً يبكي ويقول : إذا رأيته ذكرت أخي ، وكان عبدالله أخاه لأبويه وكان شديد الحبّ والحنوّ عليه ، وكذلك كان عبدالمطّلب شديد الحبّ له ، وكان أبوطالب كثيراً مايخاف على رسول الله ﷺ البيات اذا عرف مضجعه فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع إبنه علياً مكانه ، فقال له : عليٌّ ليلة : ياأبت إنّي مقتولٌ . فقال له :

أصبرن يا بنيَّ فالصبر أحجى ☆ كلُّ حيٍّ مصيره لشعوبِ
قد بذلناك والبلاء شديد ☆ لفداء الحبيب و ابن الحبيبِ

لفداء الأغرّ ذي الحسب الثا ✿ قب والباع والكريم النجيبِ
إن تصبك المنون فالنبل تبرى (١) ✿ فمصيبٌ منها و غير مصيبِ
كلُّ حيّ و إن تملّى بعمرٍ (٢) ✿ آخذٌ من مذاقها بنصيبِ

فأجاب عليٌّ بقوله :

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ؟ ✿ ووالله ماقلت الذي قلت جازعا
ولكنّني أحببت أن ترَ نصرتي ✿ و تعلم أنّي لم أزل لك طائعا
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد ✿ نبيِّ الهدى المحمود طفلاً و يافعا

و ذكره ابن أبي الحديد نقلاً عن الأمالي ٣ : ٣١٠ و هناك تصحيفٌ في البيت الثاني والثالث من أبيات أبي طالب صحّحناه من طبقات السيِّد علي خان الناقل عن شرح ابن أبي الحديد المخطوط ، وذكر القصّة أبوعلي الموضح العمري العلوي كما في كتابه (الحجّة) ص ٦٩ .

قال الأميني : إنّ القرابة والرحم تبعثان إلى المحاماة إلى حدّ محدود ، لكنّه إذا بلغت حدّ التضحية بولد كأمير المؤمنين هو أحب العالمين إلى والده فهناك يقف التفاني على موقفه ، فلا يستسهل الوالد أن يعرض إبنه على القتل كلّ ليلة فينيمه على فراش المفدّى ، ويستعوض منه ابن أخيه ، إلّا أن يكون مندفعاً إلى ذلك بدافع دينيّ . وهو معنى إعتناق أبي طالب بالدين الحنيف ، وهو الذي تعطيه المحاورة الشعريّة بين الوالد والولد فترى الولد يسارح بالنبوّة فلا ينكر عليه الوالد بأنّ هذا التهالك ليس إلّا بدافع قوميّ غير فاتر عن حضّ إبنه على ما يبتغيه من النصرة ولا متثبّط عن النهوض بها (فسلام الله على والد و ما ولد) .

- ١٠ -
أبو طالب وابن الزبعرى

قال القرطبي في تفسيره ٦ ٤٠٦ : روى أهل السير قال : كان النبيُّ صلى الله عليه وآله قد خرج إلى الكعبة يوماً و أراد أن يصلّي ، فلمّا دخل في الصّلاة قال أبو جهل ـ لعنه

(١) في بعض المصادر : تترى .
(٢) في مصادر مخطوطة عتيقة :كل حيّ وان تطاول عمراً .

الله ـ : من يقوم إلى هذاالرجل فيفسد عليه صلاته ؟ فقام ابن الزبعرى فأخذ فرثاًودماً فلطخ به وجه النبي ﷺ ، فانفتل النبيّ ﷺ من صلاته ، ثمّ أتى أبا طالب عمّه فقال : ياعمّ ! ألاترى إلىمافُعِل بي ؟ فقالأبوطالب : منفعلهذابك ؟! فقالالنبيّ ﷺ عبدالله بن الزبعرى . فقام أبو طالب ووضعسيفه على عاتقه و مشى معه حتّى أتى القوم فلمّا رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون ؛ فقال أبو طالب : والله لئن قام رجلٌ لجللته بسيفي فقعدواحتى دنا إليهم ، فقال : يابُنيَّ مَن الفاعل بكَ هذا ؟ فقال : عبدالله ابن الزبعرى ؛ فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطّخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم ، وأساء لهم القول .

حديث موقف أبي طالب هذا يوجد في غير واحد من كتب القوم و قد لعبت به أيدي الهوى وسنوقفك إنشاءالله على حقّ القول فيه تحت عنوان [أبوطالب في الذكر الحكيم] .

- ١١ -
سيّدنا أبو طالب و قريش

قال ابن إسحاق : لمّابادى رسول الله ﷺ قومه بالاسلام ، وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردّوا عليه فيما بلغني حتّى ذكر آلهتهم و عابها ، فلمّا فعل ذلكأعظموه ونا كروه ، وأجمعوا خلافه و عداوته ، إلّا منعصمالله تعالى منهم بالإسلام و هم قليلٌ مستخفون ، و حدب[1] على رسول الله ﷺ عمّه أبوطالب و منعه وقام دونه ، و مضى رسول الله ﷺ على أمرالله مظهراً لأمره ، لا يردّه عنه شيءٌ .

و قال : إنّ قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلىرسولالله ﷺ فقال له : يا ابن أخي ! إنّ قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا و كذ ، فابق عليّ و على نفسك ، ولاتحملنّيمن الأمرمالاأُطيق ، قال : فظنّ رسولالله ﷺ انّه قد بدالعمّه فيه بداء ، وانّه خاذله و مسلمه ، و انّه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، قال : فقال رسول الله ﷺ : ياعمّ ! والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته . قال : ثمّ استعبر رسول الله

(١) حدب : عطف عليه و منع له .

ﷺ فبكى ثمّ قام، فلمّا ولّى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يابن أخي! قال: فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: إذهب يابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا اسلمك لشيء أبداً.

ثمّ إنّ قريشاً حين عرفوا انّ أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك و عداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتىً في قريش و أجمله، فخذه فلك عقله ونصره واتّخذه ولداً فهو لك وأسلم إلينا إبن أخيك، هذا الذي قد خالفك دينك ودين آبائك وفرّق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فانّما هو رجلٌ برجل، قال: والله لبئس ما تسومونني؛ أتعطونني إبنكم أغذوه لكم و أعطيكم إبني تقتلونه؟! هذا و الله ما لا يكون أبدا. قال: فقال المطعم بن عديّ بن نوفل: والله يا أباطالب! لقد أنصفك قومك و جهدوا على التخلّص ممّا تكرهه؛ فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً، فقال أبوطالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنّك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فاصنع ما بدالك أو كما قال.

قال: فحقب الأمر، و حميت الحرب، وتنابذ القوم، وبادى بعضهم بعضاً، فقال أبوطالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عديّ و يعمّ من خذله من عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش؛ ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم:

ألا قل لعمرو والوليد و مطعمٍ ✡ ألاليت حظّي من حياطتكم بكرُ (١)
من الخور حبحابٌ كثيرٌ رُغاؤه ✡ يُرشّ على الساقين من بوله قطرُ (٢)
تخلّف خلف الورد ليس بلاحقٍ ✡ إذا ما علا الفيفاء قيل له: وَبرُ (٣)
أرى أخوينـا من أبينا و امّنا ✡ إذا سُئلا قالا: إلى غيرنا الأمرُ
بلى لهما أمرٌ و لـكن تجرجما ✡ كما جرجمت من رأس ذي علقٍ صخرُ (٤)

(١) البكر: الفتى من الابل.

(٢) الخور ج أخور: الضعيف. حبحاب بالمهملتين: القصير. و يروى بالجيمين المعجمتين: الكثير الكلام. ويروى بالخاء المعجمة ومعناه: الضعيف.

(٣) الفيفاء: الارض القفر. وبر: دويبة على قدر الهرّة.

(٤) تجرجما: سقطا و انحدرا، يقال: تجرجم الشيء اذا سقط. ذو علق: جبل في ديار بني اسد.

أخصّ خصوصاً عبد شمس ونوفلاً ✿ هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمرُ

هما أغمزا للقوم في أخويهما ✿ فقد أصبحا منهم أكفّهما صِفرُ

هما أشركا في المجد من لا أباله ✿ من الناس إلّا أن يُرسّ له ذكرُ [١]

و تيمٌ و مخزومٌ و زهرة منهمُ ✿ وكانوا لناموليّ إذاً بُني النصرُ

فـوالله لا تنفكُّ منّا عـداوةٌ ✿ و لا منهمُ ما كان من نسلنا شفرُ [٢]

فقد سفهت أحلامهم و عقولهم ✿ وكانوا كجفرٍ بئس ماصنعت جفرُ

قال ابن هشام: تركنامنها بيتين أقذع فيهما. قال الأميني: حذف ابن هشام منها ثلاثة أبيات لاتخفى على أيّ أحد غايته الوحيدة فيه، و إنّ الانسان على نفسه بصيرة و لو ألقى معاذيره. ألا وهي:

و ما ذاك إلّا سؤدد خصّنا به ✿ إله العباد و اصطفانا له الفخرُ

رجالٌ تمالوا حاسدين و بغضة ✿ لأهل العلى فبينهمُ أبداً وترُ

وليد أبـوه كان عبداً لجدّنـا ✿ إلى علجة زرقاء جال بها السحرُ

يريد به الوليد بن المغيرة وكان من المستهزئين بالنبيّ الأعظم ومن الّذين مشوا إلى أبي طالب ﷺ في أمر النبيّ ﷺ و قد نزل فيه قوله تعالى: ذرني ومن خلقت وحيدا[٣] وكان يسمّى: الوحيد. في قومه.

ثمّ قام أبو طالب ـ حين رأى قريش يصنعون ما يصنعون ـ في بني هاشم و بني المطّلب فدعاهم إلى ماهوعليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فاجتمعوا إليه و قاموا معه، و أجابوه ما دعاهم إليه إلّا ماكان من أبي لهب عدوّ الله الملعون.

فلمّا رأى أبوطالب من قومه ماسرّه في جهدهم معه وحدبهم عليه؛ جعل يمدحهم ويذكر قديمهم؛ ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم، ومكانه منهم، ليشدّ لهم رأيهم، و ليحدبوا معه على أمره؛ فقال:

---

(١) يرسّ له ذكر: يذكر ذكراً خفيفاً. ورسّ الحديث: حدّث به في خفاء.

(٢) شفر. أحد. يقال: ما بالدار شفر، أى ما بها أحد.

(٣) الروض الانف ١: ١٧٣، تفسير البيضاوى ٢: ٥٦٢، الكشاف ٣: ٢٣٠، تاريخ ابن كثير ٤: ٤٤٣، تفسير الخازن ٤: ٣٤٥.

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر ✿ فعبد مناف سرّها و صميمها [١]
فان حصّلت أشراف عبد منافها ✿ ففي هاشم أشرافها و قديمها
و إن فخرت يوماً فإن محمّداً ✿ هو المصطفى من سرّها و كريمها
تدعّت قريش غثّها و سمينها ✿ علينا فلم تظفر و طاشت حلومها [٢]
و كنّا قديماً لا تقرّ ظلامة ✿ إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها [٣]
ونحمي حماها كلّ يوم كريهة ✿ و نضرب عن احجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذّواء وانّما ✿ بأكنافنا تندى و تنمي اروم‍ها [٤]

سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٥-٢٨٣ ؛ طبقات ابن سعد ١ : ١٨٦ ، تاريخ الطبري ٢ : ٢١٨-٢٢١ ، ديوان أبي طالب ص ٢٤ ، الروض الانف ١ : ١٧١ ، ١٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٣٠٦ ، تاريخ ابن كثير ٢ : ١٢٦ ، ٢٥٨ وج ٣ : ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ، عيون الأثر ١ : ٩٩ ، ١٠٠ تاريخ أبي الفدا ج ١ : ١١٧ ، السيرة الحلبيّة ١ : ٣٠٦ ، أسنى المطالب ص ١٥ فقال : هذه الأبيات من غرر مدائح أبي طالب للنبيّ ﷺ الدالة على تصديقه إيّاه ، طلبة الطالب ص ٥ - ٩ .

-١٢-

سيّد الأباطح وصحيفة قريش

اجتمع قريش وتشاوروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم ، ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يتبايعوا ، و لا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ، و لا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل ؛ ويخلوا بينهم و بينه ، و كتبوه في صحيفة بخطّ منصور بن عكرمة ، أو بخطّ بغيض بن عامر ، أو بخطّ النضر بن الحرث ، أو بخطّ هشام بن عمرو ، أو بخطّ طلحة ابن أبي طلحة ، أو بخطّ منصور بن عبد ، و علّقوا

(١) سرّها وصميمها : خالصها وكريمها . يقال : فلان من سرّ قومه . أى : من خيارهم ولبابهم و أشرافهم .
(٢) طاشت حلومها : ذهبت عقولها .
(٣) ثنوا : عطفوا . صعر ج أصعر : المائل . يقال : صعر خده . أي أماله الى جهة كما يفعل المتكبر .
(٤) انتعش : ظهرت فيه الخضرة . الذواء : اليابس . الا كناف النواحى . الارومة : الاصل .

منها صحيفةً في الكعبة هلال المحرّم سنة سبع من النبوّة و كان إجتماعهم بخيف بني كنانة وهو المحصّب فانحاز بنو هاشم و بنو المطلب إلى أبي طالب ودخلوا معه في الشعب إلّا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وإنّهم جهدوا في الشعب حتّى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر.

قال ابن كثير: كان أبو طالب مدّة إقامتهم بالشعب يأمره ﷺ فيأتي فراشه كلّ ليلة حتّى يراه من أراد به شرّاً وغائلة فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمّه أن يضطجع على فراش المصطفى ﷺ و يأمر هو أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها.

ثمّ إنّ الله تعالى أوحى إلى النبيّ ﷺ انّ الأرضة أكلت جميع ما في الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط فأخبر النبيّ ﷺ عمّه أباطالب بذلك فقال: يا ابن أخي؛ أربّك أخبرك بهذا؟ قال: نعم. قال: والثواقب ما كذبتني قطّ فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر قريش ذلك و ظنّوا انّهم خرجوا من شدّة البلاء ليسلموا اليهم رسول الله ﷺ فقال أبوطالب: يا معشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم فأتوا بها لعلّ أن يكون بيننا و بينكم صلح، وإنّما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل ان يأتوا بها فأتوا بها وهم لا يشكّون أنّ أباطالب يدفع اليهم النبيّ ﷺ فوضعوها بينهم وقبل أن تفتح قالوا لأبي طالب: قد آن لكم أن ترجعوا عمّا أحدثتم علينا وعلى أنفسكم؟ فقال: أتيتكم في أمر هو نصف بيننا و بينكم إنّ ابن أخي أخبرني ولم يكذبني: إنّ الله قد بعث على صحيفتكم دابّة فلم تترك فيها إلّا اسم الله فقط، فإن كان كما يقول؟ فأفيقوا عمّا أنتم عليه، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا. وإن كان باطلاً دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم؟ فقالوا: رضينا. ففتحوها فوجدوها كما قال ﷺ. فقالوا: هذا سحر إبن أخيك وزاد هم ذلك بغياً و عدوانا.

وإنّ أباطالب قال لهم بعد أن وجدوا الأمر كما أخبر به ﷺ: علامَ نحصر و نحبس و قد بان الأمر و تبيّن انكم أولى بالظلم و القطيعة؟ و دخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال: اللّهمّ انصرنا على مَن ظلمنا؛ وقطع أرحامنا، واستحلّ ما يحرم عليه منّا.

وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة فقال أبوطالب:

ألا هل أتى بحريّنا [1] صنع ربنا ☆ على نأيهم ؟ والله بالناس أرودُ [2]
فيخبرهم : أنّ الصحيفة مُزّقت ☆ و أن كلّ مالم يرضه الله مفسدُ
تراوحها إفكٌ و سحرٌ مُجمّع ☆ ولم يُلف سحرٌ آخر الدهر يصعدُ
تداعى لها مَن ليس فيها بقرقر ☆ فطائرها في رأسها يتردّدُ [3]
و كانت كفاءً وقعةٌ بأثيمة ☆ ليقطع منها ساعدٌ ومقلّدُ
و يظعن أهل المكّتين فيهربوا ☆ فرائصهم من خشية الشرّ ترعدُ
و يُترك حرّاثٌ يقلّب أمره ☆ أيتهم فيها عند ذاك و يُنجدُ [4]
و تصعد بين الأخشبين كتيبةٌ ☆ لها حُدُجٌ سهمٌ وقوسٌ ومرهدُ [5]
فمَن ينشْ من حضّار مكّة عزّه ☆ فعزّتنا في بطن مكّة أتلدُ [6]
نشأنا بها والناس فيها قلائلٌ ☆ فلم ننفكِك نزداد خيراً ونحمدُ
و نُطعم حتّى يترك الناس فضلهم ☆ إذا جعلت أيدي المفيضين ترعدُ [7]
جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا ☆ على ملأٍ يهدي لحزم ويُرشدُ
قعوداً لدى خطم الحجون كأنّهم ☆ مقاولةٌ [8] بل هم أعزّ وأمجدُ
أعان عليها كلُّ صقرٍ كأنّه ☆ إذا ما مشى في رفرف الدرع أحردُ [9]
ألا إنّ خير الناس نفساً و والداً ☆ إذا عدّ سادات البريّة أحمدُ
نبيُّ الإله والكريم بأصله ☆ وأخلاقه و هو الرشيد المؤيّدُ
جريءٌ على جُلّى الخطوب كأنّه ☆ شهابٌ بكفّي قابس يتوقّدُ [10]

---

(١) يريد به من كان هاجر من المسلمين الى الحبشة في البحر.
(٢) أرود : أرفق .
(٣) القرقر : اللين السهل . وقال السهيلي : من ليس فيها بقرقر: أي ليس بذليل. وطائرها: أي حظها من الشؤم والشرّ ، وفي التنزيل: ألزمناه طائره في عنقه .
(٤) الحراث : المكتسب . يتهم : يأتي تهامة . ينجد : يأتي نجداً .
(٥) الاخشبان : جبلان بمكة . المرهد : الرمح اللين .
(٦) ينش : أي ينشأ بحذف الهمزة على غير قياس . أتلد : أقدم .
(٧) المفيضين : الضاربون بقداح الميسر. يريد سلام الله عليه : انهم يطعمون اذا بخل الناس
(٨) المقاولة : الملوك
(٩) رفرف الدرع : ما فصل منها . أحرد : بطيء المشى لثقل الدرع .
(١٠) وفي رواية : حزيم على جل الامور كأنه ● شهاب بكفى قابس يتوقد.

من الأكرمين من لؤيٍّ بن غالبٍ ✡ إذا سيم خسفاً وجهه يتربّدُ[1]
طويل النجاد[2] خارجٌ نصف ساقه ✡ على وجهه يُسقى الغمام ويسعدُ
عظيم الرماد سيّدٌ وابن سيّد ✡ يحضّ على مَقرى الضيوف ويحشدُ
ويبني لأبناء العشيرة صالحاً ✡ إذا نحن طُفنا في البلاد ويمهدُ
ألظّ[3] بهذا الصلح كلّ مبرّأ ✡ عظيم اللواء أمره ثمّ يحمدُ
قضوا ما قضوا في ليلهم ثمّ أصبحوا ✡ على مَهَلٍ وسائر الناس رُقّدُ
همُ رجّعوا سهل بن بيضاء راضياً ✡ وسُرّ أبوبكر بها ومحمّدُ
متى شرك الأقوام في جُلّ أمرنا ✡ وكنّا قديماً قبلها نتودّدُ
وكنّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً ✡ ونُدرك ما شئنا ولا نتشدّدُ
فيال قُصيٍّ هل لكم في نفوسكم؟ ✡ وهل لكم فيما يجيء به غدُ؟
فإنّي وإيّاكم كما قال قائلٌ: ✡ لديك البيان لو تكلّمتَ اسودُ[4]

طبقات ابن سعد ١ : ١٧٣ ، ١٩٢ ، سيرة ابن هشام ١ : ٣٩٩ - ٤٠٤ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ١٥١ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٢ ، الاستيعاب ترجمة سهل بن بيضاء ٢ : ٥٧٠ ، صفة الصفوة ١: ٣٥ ، الروض الانف ١ : ٢٣١ ، خزانة الأدب للبغدادي ١: ٢٥٢، تاريخ ابن كثير ٣ : ٨٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، عيون الأثر ١: ١٢٧ ، الخصايص الكبرى ١: ١٥١ ، ديوان أبي طالب ص ١٣ ، السيرة الحلبية ١ : ٣٥٧ - ٣٦٧ ، سيرة زيني دحلان هامش الحلبيّة ١: ٢٨٦ - ٢٩٠ ، طلبة الطالب ص ٩ ، ١٥ ، ٤٤ ، أسنى المطالب ص ١١-١٣

وذكر ابن الأثير قصّة الصحفية في الكامل ٢ : ٣٦ فقال : قال أبوطالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم أبياتاً منها :

(١) سيم — بالبناء للمجهول — : كلف . الخسف : الذل . يتربّد : يتغير الى السواد .

(٢) النجاد : حمائل السيف .

(٣) الظاء : العكوف ولزوم .

(٤) أسود : جبل ، قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول : لديك البيان لو تكلمت اسود . فذهب مثلا . توجد في ديوان أبي طالب أبيات من هذه القصيدة غير ما ذكر لم نجدها في غيره .

و قد كان في أمر الصحيفة عبرةٌ ✿ متى ما يُخبَّر غائب القوم يعجبُ
محى الله منها كفرهم و عقوقهم ✿ و ما نقموا من ناطق الحقِّ مُعربُ
فأصبح ماقالوا من الأمر باطلاً ✿ و من يختلق ماليس بالحق يكذبُ

- ١٣ -

وصيّة أبي طالب عند موته

عن الكلبي قال : لمّا حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش ! أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب ، فيكم السيّد المطاع ، و فيكم المقدام الشجاع ، الواسع الباع ، وأعلموا أنّكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلّا أحرزتموه ، ولاشرفاً إلّا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به اليكم الوسيلة ، والناس لكم حربٌ و على حربكم إلب ، و إنّي اوصيكم بتعظيم هذه البنيّة (يعني الكعبة) فإنّ فيها مرضاةً للربّ ، و قواماً للمعاش ، وثباتاً للوطأة ، صِلوا أرحامكم ولاتقطعوها ، فإنّ صِلة الرحم منسأةٌ في الأجل ، وزيادةٌ في العدد ، واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكة القرون قبلكم ، أجيبوا الداعي ، واعطوا السائل فانّ فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، و أداء الأمانة ، فانّ فيهما محبّة في الخاصّ ، و مكرمة في العام .

و إنّي أوصيكم بمحمّد خيراً فإنّه الأمين في قريش ، والصدّيق في العرب ، و هو الجامع لكلّ ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان ، و أنكره اللسان مخافة الشنآن ، و أيم الله كأنّي أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، و صدّقوا كلمته ، و عظّموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ، و دورها خراباً ، و ضعفاؤها أرباباً ، و إذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها ، و أصفت له فؤادها ، و أعطته قيادها ، دونكم يا معشر قريش ! ابن أبيكم ، كونوا له ولاةً و لحزبه حماةً ، والله لا يسلك أحدٌ سبيله إلّا رَشَد ، و لا يأخذ أحدٌ بهديه إلّا سَعَد ، ولو كان لنفسي مدّة ، و في أجلي تأخير ، لكففت عنه الهزاهز ، و لدافعت عنه الدواهي .

الروض الانف ١ : ٢٥٩ ؛ المواهب ١ : ٧٢ ؛ تاريخ الخميس ١ : ٣٣٩ ؛ ثمرات الأوراق هامش المستطرف ٢ : ٩ ؛ بلوغ الارب ١ : ٣٢٧ ؛ السيرة الحلبيّة ١ . ٣٧٥ ، السيرة لزيني دحلان هامش الحلبيّة ١ : ٩٣ ؛ أسنى المطالب ص ٥ .

قال الأميني : في هذه الوصيّة الطافحة بالايمان والرشاد دلالةٌ واضحةٌ على أنّه ﷺ إنّما أرجأ تصديقه باللسان إلى هذه الآونة التي يأس فيها عن الحياة حذار شنآن قومه المستتبع لأنثيالهم عنه ، المؤدّي إلى ضعف المُنّة وتفكّك القوى ، فلايتسنّى له حينئذ الذبّ عن رسول الله ﷺ و إن كان الايمان به مستقرّاً في الجنان من أوّل يومه ، لكنه لمّاشعر بأزوف الأجل وفوات الغاية المذكورة أبدى ما أجنته أضالعه فأوصى بالنبيّ ﷺ بوصيّته الخالدة .

- ١٤ -
وصيّة أبي طالب لبني أبيه

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى : انّ أبا طالب لمّا حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال : لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمّد ، وما أتّبعتم أمره ، فاتّبعوه و أعينوه ترشدوا .

وفي لفظ : يا معشر بني هاشم ! أطيعوا محمّداً وصدّقوه تفلحوا و ترشدوا .

و توجد هذه الوصيّة في تذكرة السبط ص ٥ ، الخصائص الكبرى ١ : ٨٧ ، السيرة الحلبيّة ١ : ٣٧٢ ؛ ٣٧٥ ؛ سيرة زيني دحلان هامش الحلبيّة ١ : ٩٢ ؛ ٢٩٣ ؛ أسني المطالب ص ١٠ . و رأى البرزنجي هذا الحديث دليلاً على إيمان ابي طالب و نعمّا هو ؛ قال : قلت : بعيدٌ جدّاً أن يَعرف انّ الرشاد في إتّباعه و يأمر غيره بذلك ثمّ يتركه هو .

قال الأميني : ليس في العقل السليم مساغٌ للقول بأنّ هذه المواقف كلّها لم تنبعث عن خضوع أبي طالب للدين الحنيف و تصديقه للصادع به ﷺ ، و إلّا فما ذا الذي كان يحدوه إلى مخاشنة قريش و مقاساة الأذى منهم وتعكير الصفوٌ من حياته لا سيّما أيّام كان هو والصفوة من فتئته في الشعب ، فلا حياة هنيئة ؛ ولا عيش رغد ؛ ولا أمن يطمأنّ به ، ولاخطرٌ مدروه ؛ يتحمّل الجفاء والقطيعة والقسوة المؤلمة من قومه؟ فماذا

الذي أقدمه على هذه كلّها ؟ وماذا الذي حصره وحبسه في الشعب عدّة سنين تجاه أمر لايقول بصدقه ولايخبت إلى حقيقته ؟ لا ها الله لم يكن كلّ ذلك إلّا عن إيمان ثابت ، وتصديق وتسليم وإذعان بماجاء به نبيّ الاسلام ، يظهر ذلك للقارىء المستشف لجزئيّات كلّ من هذه القصص ، و لم تكن القرابة والقوميّة بمفردها تدعوه إلى مقاساة تلكم المشاقّ كمالم تدع أبالهب أخاه ، وهب أنّ القرابة تدعوه إلى الذبّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم لكنّها لاتدعو إلى المصارحة بتصديقه وأنّ ماجاء به حقّ ، وانّه نبيّ كموسى خطّ في أوّل الكتب ، وأنّ من إقتصّ أثره فهو المهتدي ، وأنّ الضالّ من إزورّ عنه وتخلّف ، إلى أمثال ذلك من مصارحات قالها بملأ فمه ، ودعا اليه صلى الله عليه وآله وسلم فيها بأعلى هتافه .

- ١٥ -
حديثٌ عن أبي طالب

ذكر ابن حجر في الإصابة ٤ : ١١٦ من طريق اسحاق بن عيسى الهاشمي عن أبي رافع قال : سمعت أباطالب يقول : سمعت ابن أخي محمّد بن عبدالله يقول : إنّ ربّه بعثه بصلة الأرحام ، وأن يعبدالله وحده ولايعبد معه غيره ، ومحمّد الصدوق الأمين .

و ذكره السيّد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ٦ وقال : أخرجه الخطيب . و أخرجه السيّد فخار بن معد في كتاب الحجّة ص ٢٦ من طريق الحافظ أبي نعيم الاصبهاني ، وباسناد آخر من طريق أبي الفرج الاصبهاني . و روى الشيخ ابراهيم الحنبلي في نهاية الطلب عن عروة الثقفي قال : سمعت أباطالب رضي الله عنه يقول: حدّثني ابن أخي الصادق الأمين وكان والله صدوقاً : إنّ ربّه أرسله بصلة الأرحام ، وإقام الصّلاة ، وإيتاء الزكاة . وكان يقول : اُشكر ترزق ، ولا تكفر تعذّب .

- ٣ -
ما يروي عنه آله وذووه

من طرق العامة فحسب

أمّا رجال آل هاشم؛ وأبناء عبدالمطلب؛ وولد أبي طالب؛ فلم يؤثر عنهم إلّا الهتاف بإيمانه الثابت؛ وإنّ ما كان يؤثره في نصرة النبيّ الأقدس صلّى الله عليه وآله وسلّم كان منبعثاً عن تديّن بما صدع به صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل البيت أدرى بما فيه؛ قال ابن الأثير في جامع الأصول و ما أسلم من أعمام النبيّ صلّى الله عليه وآله غير حمزة والعبّاس و أبي طالب عند أهل البيت عليهم السّلام. ا هـ.

نعم: هتفوا بذلك في أجيالهم و أدوارهم بملأ الأفواه و بكلّ صراحة و جبهوا من خالفهم في ذلك.

إذا قالت حذام فصدّقوها ☆ فإنّ القول ما قالت حذامِ

- ١ -

قال ابن أبي الحديد في شرحه ٣ : ٣١٢: روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العبّاس بن عبدالمطلب وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: إنّ أباطالب ما مات حتى قال: لا إلـه إلّا الله، محمّدٌ رسول الله. والخبر مشهورٌ أنّ أباطالب عند الموت قال كلاماً خفيّاً فأصغى إليه أخوه العبّاس[1] وروي عن عليّ عليه السلام إنّه قال: ما مات أبوطالب حتّى أعطى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من نفسه الرضا.

وذكر أبو الفدا والشعراني عن ابن عبّاس: أنّ أباطالب لمّا اشتدّ مرضه قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: ياعمّ! قلها استحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة يعني الشّهادة فقال له أبوطالب: يا ابن اخي! لولا مخافة السبّة وان تظنّ قريش إنّما قلتها جزعاً من الموت لقلتها فلمّا تقارب من أبي طالب الموت جعل يحرّك شفتيه فأصغى اليه العبّاس باذنه و قال:

(١) راجع سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧، دلائل النبوة للبيهقي، تاريخ ابن كثير ٢ : ١٢٣، عيون الاثر لابن سيدالناس ١ : ١٣١، الاصابة ٤ : ١١٦، المواهب اللدنية ١ : ٧١، السيرة الحلبية ١ : ٣٧٢، السيرة الدحلانية هامش الحلبية ١ : ٨٩، أسنى المطالب ص ٢٠.

والله يابن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها . فقال رسول الله ﷺ : ألحمد لله الذي هداك يا عمّ ! [(١)] .

وقال السيد أحمد زيني دحلان في السيرة الحلبية ١ : ٩٤ : نقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الإمام الشعراني والسبكي و جماعة أنّ ذلك الحديث أعني حديث العبّاس ثبت عند بعض أهل الكشف و صحّ عندهم إسلامه .

قال الأميني : ذكرنا هذا الحديث مجاراةً للقوم وإلّا فما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عند الموت إلى التلفّظ بتينك الكلمتين اللّتين كرّس حياته الثمينة بالهتاف بمفادهما في شعره و نثره ، والدعوة إليهما ، والذبّ عمّن صدع بهما ، و معاناة الأهوال دونهما حتى يومه الأخير؟ ماكانت حاجة أبي طالب مسيسة عندئذ إلى التفوّه بهما كأمر مستجدّ؟ فمتى كفر هو ؟ و متى ضلّ ؟ حتّى يؤمن و يهتدي بهما ، أليس من الشهادة قوله الذي أسلفناه ص ٣٣١ :

ليعلم خيار الناس أنّ محمّداً ✡ وزير لموسى والمسيح ابن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيابه ✡ فكلٌّ بأمر الله يهدي و يعصم
و إنّكم تتلونه في كتابكم ✡ بصدق حديث لا حديث مبرجم

و قوله في ص ٣٣٢ :

أمينٌ حبيب في العباد مسوّمٌ ✡ بخاتم ربّ قاهر في الخواتم
نبيٌّ أتاه الوحي من عند ربه ✡ و من قال:لا.يقرع بهاسنّ نادم

و قوله في ص ٣٣٢ :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً ✡ رسولاً كموسى خطّ في أوّل الكتب

و قوله في ص ٣٣٤ :

وظلم نبيّ جاء يدعو إلى الهدى ✡ وأمرٌ أتى من عند ذي العرش قيّم

و قوله في ص ٣٣٤ :

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ✡ وابشر بذاك و قرّ منك عيونا
ودعوتني وعلمت انّك ناصحي ✡ ولقد دعوت وكنتَ ثَمّ أمينا

---

(١) تاريخ ابى الفدا ج ١ : ١٢٠ ، كشف الغمة للشعرانى ٢ : ١٤٤ .

ولقد علمتُ بأنّ دين محمّد ✡ من خير أديان البريّة دينا

وقوله في ص ٣٣٥ :

أوتؤمنوا بكتاب منزل عجب ✡ على نبيّ كموسى أو كذي النون

و قوله في ص ٣٣٧ :

نصرت الرّسول رسول المليك ✡ ببيض تلألا كلمع البروقِ

أذبُّ و أحمي رسول الاله ✡ حماية حامٍ عليه شفيقِ

و قوله في ص ٣٤٠ :

فأيّده ربُّ العباد بنصره ✡ و أظهر ديناً حقّه غير باطلِ

و قوله في ص ٣٥٦ :

والله لا أخذل النبيّ و لا ✡ يخذله من بنيّ ذو حسبِ

نحن و هذا النبيّ ننصره ✡ نضرب عنه الأعداء بالشهبِ

و قوله في ص ٣٤٥ :

أتبغون قتلاً للنبيّ محمّد ✡ خصصتم على شؤم بطول أثامِ

و قوله في ص ٣٥٧ :

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد ✡ و كن مظهراً للدين وُفِّقت صابرا

وحطّ مَن أتى بالحقّ من عند ربّه ✡ بصدق وعزم لاتكن حمز كافرا

فقد سرّني إذ قلت : إنّك مؤمنٌ ✡ فكن لرسول الله في الله ناصرا

و قوله وقد رواه أبو الفرج الاصبهاني :

زعمت قريش إنّ أحمد ساحرٌ ✡ كذبوا وربِّ الراقصات إلى الحرم (١)

ما زلت أعرفه بصدق حديثه ✡ وهو الأمين على الحرائب والحرم

و قوله المرويُّ من طريق أبي الفرج الاصبهاني كما في كتاب (الحجّة) ص٧٢
و من طريق الحسن بن محمّد بن جرير كمافي تفسير أبي الفتوح ٤ : ٢١٢ .

قل لمن كان من كنانة في العزّ ✡ و أهل الندى و أهل المعالي

: قد أتاكم من المليك رسولٌ ✡ فاقبلوه بصالح الأعمالِ

(١) أراد بالراقصات الى الحرم : الابل الراكضات . رقص الجمل اذا ركض .

وانصروا أحمداً فـانّ من الله ✿ رداءٌ عليـه غـير مـدال

وقوله من أبيات في شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٣١٥ :

فخير بني هاشم أحمد ✿ رسول الإلـه على فترة (١)

ولو كان يؤثر أقلّ من هذا عن أحد من الصحابة لطبّل له ، و زمّر من يتشبّث بالطحلب في سرد الفضائل لبعضهم مغالاة فيهم ، لكنّي أجد إسلام أبي طالب مستعصياً فهمه على هؤلاء ولو صرخ بألف هتاف من ضرائب هذه . لماذا ؟ أنا لاأدري .

- ٢ -

أخرج ابن سعد في طبقاته ١ : ١٠٥ عن عبيدالله بن أبي رافع عن عليّ قال : أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله بموت أبي طالب فبكى ثمّ قال : إذهب فاغسله و كفّنه وواره غفر الله له ورحمه .

وفي لفظ الواقدي : فبكى بكاء شديداً ثمّ قال : إذهب فأغسله . الخ .

وأخرجه ابن عساكر كما في أسنى المطالب ص ٢١ ، والبيهقي في دلائل النبوّة ، وذكره سبط ابن الجوزي في التذكره ص ٦ ، و ابن أبي الحديد في شرحه ٣ : ٣١٤ ، والحلبي في السيرة ١ : ٣٧٣ ، والسيد زيني دحلان في السيرة هامش الحلبيّة ١ : ٩٠ ، والبرزنجي في نجاة أبي طالب وصحّحه كما في أسني المطالب ص ٣٥ و قال : أخرجه ايضاً أبو داود وابن الجاوود وابن خزيمة . وقال : إنّما ترك النبيّ صلى الله عليه وآله المشي في جنازته إتّقاءً من شرّ سفهاء قريش ؛ وعدم صلاته لعدم مشروعيّة صلاة الجنازة يومئذ .

عن الأسلمي وغيره : توفّي أبوطالب للنصف من شوّال في السنة العاشرة من حين نُبّئ رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وتوفّيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيّام فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وآله عليها وعلى عمّه حزناً شديداً حتّى سمّي ذلك العام عام الحزن .

طبقات ابن سعد ١ : ١٠٦ ، الامتاع للمقريزي ٢٧ ، تـاريخ ابن كثير ٣ : ١٣٤ ، السيرة الحلبيّة ١:٣٧٣ ، السيرة لزيني دحلان هامش الحلبيّة ١:٢٩١ ، أسنى المطالب ص ١١.

---

(١) اشار الى قوله تعالى : قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل . وتوجد الابيات في كتاب الحجة للسيد فخار سلام الله عليه ص ٧٤ .

☆(لفت نظر)☆ عن ابن سعد لوفاة أبي طالب يوم النصف من شوّال كما سمعت وقال أبوالفدا في تاريخه ١ : ١٢٠ توفّي في شوّال ، وأوعز القسطلاني في المواهب ١ : ٧١ موته في شوّال إلى القيل ، و قال المقريزي في الإمتاع ص ٢٧ : توفّي أوّل ذيقعدة وقيل : النصف من شوّال ؛ وقال الزرقاني في شرح المواهب ١ : ٢٩١ : مات بعد خروجهم من شعب في ثامن عشر رمضان سنة عشر ؛ وفي الاستيعاب : خرجوا من الشعب في أوّل سنة خمسين و توفّي أبو طالب بعده بستة أشهر فتكون وفاته في رجب . ه . و هذا الإختلاف موجودٌ في تآليف الشيعة ايضاً .

- ٣ -

أخرج البيهقي عن ابن عبّاس : إنّ النبيّ ﷺ عاد من جنازة أبي طالب فقال : وصلتك رحم ؛ وجزيت خيراً يا عمّ ! وفي لفظ الخطيب : عارض النبيّ جنازة أبي طالب فقال : وصلتك رحم جزاك الله خيراً ياعمّ !

دلائل النبوة للبيهقي ؛ تاريخ الخطيب البغدادي ١٣ : ١٩٦ ، تاريخ ابن كثير ٣ : ١٢٥ ؛ تذكرة السبط ص ٦ ؛ نهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنفي كما في الطرائف ص ٨٦ ؛ الإصابة ٤ : ١١٦ ؛ شرح شواهد المغني ص ١٣٦.

و قال اليعقوبي في تاريخه ٢ : ٢٦ : لمّا قيل لرسول الله : إنّ أباطالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتدّ له جزعه ثمّ دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات وجبينه الأيسر ثلاث مرّات ، ثمّ قال : ياعمّ ! ربّيت صغيراً ، وكفلت يتيماً ؛ و نصرت كبيراً ؛ فجزاك الله عنّي خيراً ؛ ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه و يقول : وصلتك رحم ، و جُزيت خيراً .

- ٤ -

عن إسحاق بن عبدالله بن الحارث قال : قال العبّاس : يارسول الله ! أترجو لأبي طالب ؟ قال : كلّ الخير أرجو من ربّي .

أخرجه ابن سعد في الطبقات ١ : ١٠٦ بسند صحيح رجالهم كلّهم ثقاتٌ رجال الصّحاح وهم : عفّان بن مسلّم . وحمّاد بن سلمة . وثابت البناني . واسحاق بن عبدالله. و أخرجه ابن عساكر كما في الخصايص الكبرى ١ : ٨٧ . والفقيه الحنفي الشيخ

ابراهيم الدينوري في نهاية الطلب كما في الطرائف ص ٦٨ . و ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ٣ : ٣١١ ، والسيوطي في التعظيم والمنّة ص ٧ نقلاً عن ابن سعد .

- ٥ -

و عن انس بن مالك قال : أتى أعرابيٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله! لقد أتيناك و ما لنا بعير يئط ، و لا صبيٌ يصطبح ، ثمّ أنشد :

اتيناك و العذراء يدمى لبانها ✿ وقد شغلت أمُّ الصبيّ عن الطفلِ
و ألقى بكفّيه الصبيّ استكانة ✿ من الجوع ضعفاً ما يمرُّ و لا يحلي
ولا شيء ممّا يأكل الناس عندنا ✿ سوى الحنظل العامي والعلهز الفسلِ
و ليس لنا إلّا إليك فرارنا ✿ وأين فرار الناس إلّا إلى الرُّسلِ

فقام رسول الله ﷺ يجرُّ رداءه حتّى صعد المنبر فحمد الله تعالى و أثنى عليه ثمّ قال : ألّلهمّ أسقنا غيثاً مغيثاً سحّاً طبقاً غير رايث ، تنبت به الزرع ؛ و تملأ به الضرع ، و تحيي به الأرض بعد موتها ؛ وكذلك تخرجون .

فما استتمّ الدعاء حتّى التفت السّماء بروقها ؛ فجاء أهل البطالة يضجّون : يا رسول الله ! الغرق فقال : حوالينا ولا علينا . فانجاب السحاب عن المدينة كالاكليل ، فضحك رسول الله ﷺ حتّى بدت نواجذه و قال : لله درُّ أبي طالب لو كان حيّاً لقرّت عيناه ، مَن الذي ينشدنا شعره ؟ فقال عليٌ بن أبي طالب كرّم الله وجهه يا رسول الله ! كأنّك أردت قوله :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ✿ ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال : أجل فأنشده أبياتاً من القصيدة و رسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر ثمّ قام رجل من كنانة وانشد :

لك الحمد والحمد ممّن شكرْ ✿ سقينا بوجه النبيّ المطرْ
دعا الله خالقه دعوةً ✿ و أشخص معها إليه البصرْ
فلم يك إلّا كإلقا الردى ✿ و أسرع حتّى رأينا الدررْ
دفاق العزاليّ جمّ البعاق ✿ (١) أغاث به الله عليا مضرْ

(١) راجع ص ٤ من الجزء الثاني من هذا الكتاب .

فكان كما قاله عمّه ✿ أبو طالب أبيض ذو غرر
به الله يسقي صيوب الغمام ✿ و هذا العيان لذاك الخبر

فقال رسول الله ﷺ : إن يك شاعراً يحسن فقد أحسنت .

أعلام النبوّة للماوردي ص٧٧ ؛ بدايع الصنايع١ : ٢٨٣ ، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٣١٦ ، السيرة الحلبيّة ، عمدة القاري ٣ ص ٤٣٥ ، شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٣٦ ، سيرة زيني دحلان ١ : ٨٧ ؛ أسنى المطالب : ص١٥ ، طلبة الطالب ص ٤٣ .

قال البرزنجي كما في أسنى المطالب : فقول النبيّ ﷺ : لله درّ أبي طالب يشهد له بانّه لو رأى النبيّ و هو يستسقي على المنبر لسرّه ذلك ، و لقرّت عيناه فهذا من النبيّ ﷺ شهادةٌ لأبي طالب بعدموته انّه كان يفرح بكلمات النبيّ ﷺ و تقرّ عينه بها ، وماذلك إلّا لسرّ وقر في قلبه من تصديقه بنبوّته و علمه بكمالاته.اه.

قال الأميني : و ذكر جمعٌ هذا الحديث في استسقاء النبيّ ﷺ و حذف منه كلمة [لله درّ أبي طالب] و أنت أعرف منّي بالغاية المتوخّاة في هذا التحريف ، ولا يفوتنا عرفانها .

- ٦ -

قال ابن أبي الحديد في شرحه ٣ : ٣١٦ : ورد في السير والمغازي أنّ عتبة بن ربيعة أوشيبة لمّاقطع رجل أبي عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر أشبل عليه عليّ و حمزة فاستنقذاه منه وخبطا عتبة بسيفهما حتّى قتلاه واحتملاصاحبهما من المعركة إلى العريش فألقياه بين يدي رسول الله ﷺ وانّ مخّ ساقه ليسيل فقال : يا رسول الله لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنّه قد صدق في قوله :

كذبتم و بيت الله نُخلي محمّداً ✿ و لمّا نطاعن دونه و نناضل
و ننصره حتّى نصرّع حوله ✿ و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

فقالوا : إنّ رسول الله ﷺ إستغفر له و لأبي طالب يومئذ .

- ٧ -

عن رسول الله ﷺ إنّه قال لعقيل بن أبي طالب : يا أبا يزيد! إنّي أُحبّك حبّين حبّاً لقرابتك منّي ، وحبّاً لماكنت أعلم من حبّ عمّي أبي طالب إيّاك .

أخرجه أبو عمر في الاستيعاب ٢ : ٥٠٩ ، والبغوي ، والطبراني كما في ذخاير العقبى ص ٢٢٢ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٦٣ ؛ وعماد الدين يحيى العامري في بهجة المحافل ١ : ٣٢٧ ، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ٣ : ٣١٢ وقال : قالوا : إشتهر واستفاض هذا الحديث ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ٢٧٣ وقال : رجاله ثقات .

هذا شاهد صدق على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتقد ايمان عمّه وإلّا فماقيمة حبّ كافر لأيّ أحد حتّى يكون سبباً لحبّه صلى الله عليه وآله وسلم أولاده . م ـ وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا لعقيلَ كان بعد إسلامه كمانصّ عليه الامام العامري في بهجة المحافل و قال : و فيها إسلام عقيل بن أبي طالب الهاشمي ، ولمّا أسلم قال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : يا أبا يزيد . إلخ . وقال جمال الدين الاشخر اليمني في شرح البهجة عند شرح الحديث : ومن شأن المحبّ محبّة حبيب الحبيب .

ألا تعجب من حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا طالب إن لم يك معتنقاً بدينه ـ العياذ بالله ـ ومن إعرابه عنه بعد وفاته . ومن حبّه عقيلاً لحبّ أبيه إيّاه ؟ !!]

ـ ٨ ـ

أخرج أبو نعيم وغيره عن ابن عبّاس وغيره قالوا : كان أبوطالب يحبّ النبيّ صلى الله عليه وسلم حبّاً شديداً لايحبّ أولاده مثله ، ويقدمه على أولاده ؛ ولذا كان لاينام إلّا إلى جنبه ، ويخرجه معه حين يخرج .

ولمّا مات أبو طالب نالت قريشٌ منه من الأذى مالم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب ، حتّى اعترضه سفيهٌ من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ؛ فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وتبكي و رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : يابنيّة لاتبكي فإنّ الله مانع أباكِ ؛ مانالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتّى مات أبوطالب .

وفي لفظ : مازالت قريش كاعين (أي جبانين) حتّى مات أبوطالب .

وفي لفظ : ما زالت قريش كاعة حتّى مات أبوطالب .

تاريخ الطبري ٢ : ٢٢٩ ، تاريخ ابن عساكر ١ : ٢٨٤ ، مستدرك الحاكم ٢ : ٦٢٢ ، تاريخ ابن كثير ٣ : ١٢٢ ، ١٣٤ ؛ الصفوة لابن الجوزي ١ : ٢١ ، الفائق للزمخشري ٢ :

٢١٣ ، تاريخ الخميس ١ : ٢٥٣ ، السيرة الحلبية ١ : ٣٧٥ ، فتح البـاري ٧ : ١٥٣ ، ١٥٤ ، شرح شواهد المغني ص ١٣٦ نقلاً عن البيهقي ، أسنى المطالب ص ١١ ؛ ٢١ ؛ طلبة الطالب ص ٤ ؛ ٥٤ .

- ٩ -

عن عبدالله قال : لمّا نظر رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بـدر إلى القتلى وهم مصرعون قال لأبي بكر : لو انّ أبا طالب حيّ لعلم أنّ أسيافنا قد أخذت بـالأماثل يعني قول أبي طالب :

كذبتم وبيت الله إن جدّ ماأرى ✿ لتلتبسن أسيـافنا بـالأماثل

الأغاني ١٧ : ٢٨ ، طلبة الطالب ص ٣٨ نقلاً عن دلائل الاعجاز .

- ١٠ -

أخرج الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٦٨ : من طريق الحافظ ابن فنجويه عن ابن عبّاس في حديث مرفوعاً قال لعليّ : لو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحد أحقّ منك لقدمتك في الإسلام ، وقرابتك من رسول الله ، وصهرك عندك فاطمة سيدة نساء المؤمنين وقبل ذلك ماكان من بلاء أبي طالب ، أتاني حين نزل القرآن وأنا حريص أن أرعى ذلك في ولده بعده .

قال الأميني : إنّ شيئاً من مضامين هذه الأحاديث لايتّفق مع كفر أبي طالب فهو صلى الله عليه وآله لايأمر خليفته الإمام عليه السلام بتكفين كافر ولا تغسيله ، ولا يستغفر له ولا يترحّم عليه ، كما في الحديث الثالث ، ولا يرجو له بعض الخير فضلاً عن كلّه كما في الحديث الرابع ، و لا يستدرّ له الخير كما في حديث الاستسقاء ؛ ولا يستغفر له كما في الحديث السادس ؛ و لا يحبّ عقيلاً لحبّه إيّاه ؛ فانّ الكفر يزع المسلم عن بعض هذه فكيف بكلّها فضلاً عن نبيّ الاسلام صلى الله عليه وآله وهو الصادع بقول الله العزيز : لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . سورة المجادلة :

وقوله تعالى : يا أيّها الـّذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي و عدوّكم أولياء تلقون اليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحقّ . سورة الممتحنة ٦٠ .

و قوله تعالى: يا أيّها الـّذين آمنوا لا تتّخذوا آباءكم و إخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الايمان ومن يتولّهم منكم فأولئك هم الظالمون. سورة التوبة ٢٣.

وقوله تعالى: ولو كانوا يؤمنون بالله والنبيّ وما اُنزل إليه ما اتّخذوهم أولياء. سورة المائدة: ٨١. إلى آيات اُخرى.

الكلم الطيّب

أخرج تمام الرّازى في فوائده بإسناده عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي و اُمّي و عمّي أبي طالب و أخ لي كان في الجاهليّة.

ذخائر العقبى ص ٧، الدرج المنيفة للسيوطي ص ٧، مسالك الحنفا ص ١٤، و قال فيه: أخرجه أبونعيم وغيره وفيه التصريح بانّ الأخ من الرضاعة، فالطرق عدّة يشدّ بعضها بعضاً فإنّ الحديث الضعيف يتقوّى بكثرة طرقه و أمثلها حديث ابن مسعود فإنّ الحاكم صحّحه.

وفي تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦ روي عنه صلّى الله عليه وآله إنّه قال: إنّ الله عزّ وجلّ وعدني في أربعة في أبي واُمّي وعمّي وأخ كان لي في الجاهليّة.

أخرج ابن الجوزي باسناده عن عليّ عليه السلام مرفوعاً: هبط جبرئيل عليه السلام عليّ فقال: إنّ الله يقرئك السّلام ويقول: حرمت النار على صلب أنزلك، و بطن حملك؛ و حجر كفلك، أمّا الصلب فعبدالله، وأمّا البطن فآمنة، وأمّا الحجر فعمّه يعني أبا طالب و فاطمة بنت أسد. التعظيم والمنّة للحافظ السيوطي ص٢٥.

و في شرح ابن ابي الحديد ٣: ٣١١ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال لي جبرائيل: إنّ الله مشفّعك في ستّة: بطن حملتك آمنة بنت وهب. وصلب أنزلك عبد الله بن عبدالمطلب. و حجر كفلك ابو طالب. و بيت آواك عبد المطلب. وأخ كان لك في الجاهليّة. الخ.

☆(رثاء أمير المؤمنين والده العظيم)☆

ذكر سبط إبن الجوزي في تذكرته ص ٦ انّ علياً عليه السلام قال في رثاء أبي طالب:

أبا طالب عصمة المستجير　☆　و غيث المحول و نور الظّلم

لقد هدَّ فقدك أهل الحفاظ ✿ فصلّى عليك وليُّ النِّعمْ
و لقّاك ربُّك رضوانه ✿ فقد كنت للطهر من خير عمْ

هذه الأبيات توجد في ديوان أبي طالب ايضاً ص٣٦ ، وذكرها أبوعلي الموضح كما في كتاب الحجّة ص ٢٤ للسيّد فخار ابن معد المتوفى ٦٣٠ ، وقال ابن أبي الحديد : قال ايضاً :

أرقت لِطير آخر الليل غرّدا ✿ يذكّرني شجواً عظيماً مجدّدا
أباطالب مأوى الصعاليك ذا الندى ✿ جواداً إذا ما أصدر الأمر أوردا
فأمست قريش يفرحون بموته ✿ ولست أرى حيّاً يكون مخلّدا
أرادوا اموراً زيّنتها حلومهم ✿ ستوردهم يوماً من الغيِّ موردا
يرجّون تكذيب النبيِّ و قتله ✿ وأن يفترى قِدماً عليه ويجحدا
كذبتم و بيت الله حتّى نذيقكم ✿ صدور العوالي والحسام المهنّدا
فإمّا تبيدونا و إمّا نبيدكم ✿ و إمّا تروا سلم العشيرة أرشدا
و إلّا فإنَّ الحيَّ دون محمّد ✿ بني هاشم خير البريّة محتدا

هذه الأبيات توجد في الديوان المنسوب إلي مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مع تغيير يسير و زيادة و إليك نصّها :

أرقت لنوح آخر الليل غرّدا ✿ يذكّرني شجواً عظيماً مجدّداً
أباطالب مأوى الصعاليك ذا الندى ✿ وذا الحلم لا خلفاً ولم يك قُعددا
أخا الملك خلّى ثلمة سيسدّها ✿ بنو هاشم أو يستباح فيهمدا
فأمست قريش يفرحون بفقده ✿ ولست أرى حيّاً لشيء مخلّدا
أرادت أموراً زيّنتها حلومهم ✿ ستوردهم يوماً من الغيِّ موردا
يرجّون تكذيب النبيِّ وقتله ✿ و أن يفتروا بهتاً عليه ويجحدا
كذبتم و بيت الله حتّى نذيقكم ✿ صدور العوالي والصفيح المهنّدا
ويبدو منّا منظرٌ ذو كريهة ✿ إذا ما تسربلنا الحديد المسرّدا
فإمّا تبيدونا و إمّا نبيدكم ✿ وإمّا تروا سلم العشيرة أرشدا
و إلّا فإنَّ الحيَّ دون محمّد ✿ بنو هاشم خير البريّة محتدا

و إنّ له فيكم من الله ناصراً ☆ ولست بلاقٍ صاحب الله أوحدا
نبيٌّ أتـى من كلّ وحيٍ بحظه ☆ فسمّاه ربّي في الكتاب محمّدا
أغرّ كضوء البدر صورة وجهه ☆ جلا الغيم عنـه ضوءه فتوقّدا
أمينٌ على ما استودع الله قلبه ☆ وإن كان قولاً كان فيه مسدّدا

☆(كلمة الامام السجّاد)☆

قال ابن ابي الحديد في شرحه ٣ : ٣١٢ : روي أنّ علي بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا ـ يعني عن ايمان أبي طالب ـ فقال : و اعجبا إنّ الله تعالى نهى رسولـه أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر و قد كانت فاطمة بنت أسد من السّابقات إلى الاسلام و لم تزل تحت أبي طالب حتّى مات .

☆(كلمة الإمام الباقر)☆

سئل عليه السلام عمّا يقوله الناس أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار فقال : لو وضع ايمان أبي طالب في كفّة ميزان و ايمان هذا الخلق في الكفّة الاُخرى لرجح ايمانه ثمّ قال : ألم تعلموا أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبدالله و ابنه و أبي طالب في حياته ثمّ اوصى في وصيّته بالحجّ عنهم ؟.

شرح ابن ابي الحديد ٣ : ٣١١ .

☆(كلمة الإمام الصّادق)☆

روي عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الايمان و أظهروا الكفر فآتاهم الله أجره مرّتين و إنّ أبا طالب أسرّ الايمان و أظهر الشرك فآتاه الله أجره مرّتين .

شرح ابن ابي الحديد ٣ : ٣١٢ .

قال الأميني : هذا الحديث أخرجه ثقة الاسلام الكليني في اصول الكافي ص٢٤٤ عن الإمام الصّادق غير مرفوع و لفظه : إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الايمان و أظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين .

و بلفظ ابن ابي الحديد ذكره السيّد ابن معد في كتابه (الحجّة) ص ١٧ من

طريق الحسين بن أحمد المالكي وزاد فيه : وما خرج من الدنيا حتّى أتته البشارة من الله تعالى بالجنّة .

٥(كلمة الإمام الرّضا)٥

كتب أبان بن محمود إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام : جعلت فداك إنّي قد شككت في إسلام أبي طالب . فكتب إليه : و من يشاقق الرّسول من بعد ما تبيّن له الهدى و يتّبع غير سبيل المؤمنين . الآية . و بعدها إنّك إن لم تقرّ بايمان أبي طالب كان مصيرك إلى النّار .

قصارى القول
فى سيد الابطح عند القوم

إنّ كلاًّ من هذه العقود الذهبيّة بمفرده كاف في إثبات الغرض فكيف بمجموعها و من المقطوع به انّ الأئمّة من والد أبي طالب عليهم السلام أبصر الناس بحال أبيهم ، وانّهم لم ينوّهوا إلّا بمحض الحقيقة ، فإنّ العصمة فيهم رادعة عن غير ذلك ، ولقد أجاد مفتي الشافعيّة بمكّة المكرّمة في (أسنى المطالب) حيث قال في ص ٣٣ :

هذا المسلك الذي سلكه العلّامة السيّد محمّد بن رسول البرزنجي في نجاة أبي طالب لم يسبقه اليه أحدٌ فجزاه الله أفضل الجزاء ، وسلكه هذا الذي سلكه يرتضيه كلّ من كان متّصفاً بالانصاف من أهل الايمان ، لأنّه ليس فيه إبطال شيء من النصوص و لا تضعيفٌ لها ، و غاية ما فيه أنّه حملها على معان مستحسنة يزول بها الإشكال و يرتفع الجدال ، و يحصل بذلك قرّة عين النبيّ صلى الله عليه وآله ، والسّلامة من الوقوع في تنقيص أبي طالب أو بغضه ، فإنّ ذلك يؤذي النبيّ صلى الله عليه وآله وقد قال الله تعالى : إنّ الّذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة و أعدّ لهم عذاباً مهينا . وَ قال تعالى : والّذين يؤذون رسول الله لهم عذابٌ أليم .

وقد ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بابن وحشي في شرحه على الكتاب المسمّى بشهاب الأخبار للعلّامة محمّد بن سلامة القضاعي المتوفّى ٤٥٤ : إنّ بغض أبي طالب كفرٌ . و نصّ على ذلك ايضاً من أئمّة المالكيّة العلّامة عليّ الأجهوري في فتاويه ، والتلمساني في حاشيته على الشفاء فقال عند ذكر أبي طالب : لا

ينبغي أن يذكر إلّا بحماية النبيّ ﷺ لأنّه حماه و نصره بقوله و فعله ، و في ذكره بمكروه أذيّةٌ للنبيّ ﷺ ومؤذي النبيّ ﷺ كافر، والكافر يقتل ، وقال أبو طاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافرٌ .

و ممّا يؤيّد هذا التحقيق الذي حقّقه العلاّمة البرزنجي في نجاة أبي طالب إنّ كثيراً من العلماء المحقّقين و كثيراً من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاة ابي طالب منهم : القرطبي والسبكي والشعراني وخلائق كثيرون و قالوا : هذا الذي نعتقده و ندين الله به ، و إن كان ثبوت ذلك عند هم بطريق غير الطريق الذي سلكه البرزنجي ، فقد إتّفق معهم على القول بنجاته ، فقول هؤلاء الائمّة بنجاته أسلم للعبد عندالله تعالى لاسيما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التي أثبتها العلاّمة البرزنجي . اه .

وذكر السيّد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ٤٣ قال : ولله درّ القائل :

قفا بمطلع سعد عزّ ناديه ☆ و أمليا شرح شوقي في مغانيه

و استقبلا مطلع الأنوار في اُفق الحجون و احترسا أن تبهرا فيه

مغنى بهوابل الرضوان منهمرٌ ☆ و نائرات الهدى دلّت مناد يه

قفا فذا بلبل الأفراح من طربٍ ☆ يروي بديع المعاني في أماليه

واستمليا لأحاديث العجائب عن ☆ بحرٍ هناك بديع في معانيه

حامي الذمار مجير الجار من كرمت ☆ منه السجايا فلم يفخر مباريه

عمّ النبيّ الذي لم يثنه حسدٌ ☆ عن نصره فتغالى في مراضيه

هو الذي لم يزل حصناً لحضرته ☆ مو فّقاً لر سول الله يحميه

و كلُّ خير ترجّاه النبيُّ له ☆ وهو الذي قطُّ ماخابت أمانيه

فيامَن أمَّ العلا في الخالدات غدا ☆ أغث لِلَـهفانه واسعف مناديه

قد خصّك الله بالمختار تكلؤه ☆ وتستعزُّ به فخراً و تطريه

عنيت بالحبّ في طه ففزت به ☆ ومن ينل حبّ طه فهو يكفيه

كم شمت آيات صدق يستضاء بها ☆ و تملأُ القلب ايماناً و تر ويه ؟

مَن الذي فاز في الماضين أجمعهم ☆ بمثل مافزت من طه .و باريه ؟

كفلت خير الورى في يتمه شغفاً ☆ و بتّ بالروح والأبناء تفديه

عضدته حين عادته عشيرته ☆ و كنت حائطه من بغي شانيه
نصرت من لم يشم الكون رائحة الوجود لو لم يقدر كونه فيه
إنّ الذي قمت في تأييد شوكته ☆ هو الذي لم يكن شيء يساويه
إنّ الذي أنت قد أحببت طلعته ☆ حبيب من كل شيء في أياديه
لله درك من قناص فرصته ☆ مذ شمت برق الأماني من نواحيه
يهنيك فوزك أن قدمت منك يداً ☆ إلى ملي و في في جوازيه
من يسد أحسن معروف لأحسن من ☆ جازى ينل فوق ما نالت أمانيه
و من سعى لسعيد في مطالبه ☆ فهو الحرى بأن تحظى أماليه
فيا سعيد المساعي في متاجره ☆ قد جئت ربعك أستهمي غواديه
مستمطراً منك مزن الخير مغترفاً ☆ بأنّ غرس المنى يعنى بصافيه الخ

ثمّ قال : في ص ٤٤ و قيل ايضاً :

إنّ القلوب لتبكي حين تسمع ما ☆ أبدى أبو طالب في حق من عظما
فإن يكن أجمع الأعلام إنّ له ☆ ناراً فلله كلّ الكون يفعل ما (١)
أمّا إذا اختلفوا فالرأي أن تردا ☆ موارداً يرتضيها عقل من سلما
تتابع المثبتي الايمان من زمر ☆ في معظم الدين تابعناهمُ فكما (٢)
وهم عدولٌ خيارٌ في مقاصدهم ☆ فلا نقل : إنّهم لن يبلغوا عظما
لا تزدريهم أتدري من هموفهمو ☆ هموعرى الدين قد أضحوا به زعما
هم السيوطيّ والسبكيّ مع نفر (٣) كعدّة النقبا حفّاظ أهل حما
وأهل كشف وشعرانيّهم وكذا ☆ القرطبي والسحيمي الجميع كما (٤)

---

(١) اى يفعل مايشاء .

(٢) أى كما تابعناهم في معظم الدين تتابعهم فى هذا .

(٣) للسيوطى كتاب (بغية الطالب لايمان أبى طالب وحسن خاتمته) توجد نسخته فى مكتبة «قوله» بمصر ضمن مجموعة رقم ١٦ ، وهى بخط السيد محمود فرغ من الكتابة سنة ١١٠٥ . راجع الذريعة لشيخنا الطهرانى ٢ : ٥١١ .

(٤) أى كما ترى فى الوثاقة .

- ٤ -

ماأسنده اليه من لاث به وبخع له

هؤلاء شيعة أهل البيت عليهم السّلام لايشكّ أحدٌ منهم في ايمان أبي طالب عليه السلام ويرونه في أسمى مراقيه وعلى صهوته العليا آخذين ذلك يداً عن يد حتّى ينتهي الدور إلى الصحابة منهم والتابعين لهم باحسان، ومذعنين في ذلك بنصوص أئمّتهم عليهم السّلام بعد ما ثبت عن جدّهم الأقدس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال المعلّم الأكبر شيخنا المفيد في (أوائل المقالات) ص ٤٥ : إتّفقت الإماميّة على أنّ آباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لدن آدم إلى عبد الله مؤمنون بالله عزّ وجلّ موحّدون (إلى أن قال) : و اجمعوا على انّ أباطالب مات مؤمناً، وأنّ آمنة بنت وهب كانت على التوحيد . الخ . وقال شيخ الطائفة أبوجعفر الطوسي في التبيان ٢ : ٣٩٨ : عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السّلام انّ أباطالب كان مسلماً، وعليه إجماع الإماميّة لايختلفون فيه، ولها على ذلك أدلّة قاطعة موجبة للعلم .

وقال شيخنا الطبرسي في مجمع البيان ٢ : ٢٨٧ : قد ثبت إجماع أهل البيت على إيمان أبي طالب و إجماعهم حجّة لأنّهم أحد الثقلين الذين أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهما بقوله : إن تمسّكم بهما لن تضلّوا .

وقال سيّدنا ابن معد الفخار : لقد يكفينا من الإستدلال على ايمان أبي طالب عليه السلام إجماع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عليهم أجمعين و علماء شيعتهم على إسلامه و إتّفاقهم على ايمانه، ولولم يرد عنه من الأفعال التي لايفعلها إلّا المؤمنون، و الأقوال التي لايقولها إلّا المسلمون، مايشهدله بصحّة الاسلام وتحقيق الايمان، إذكان إجماعهم حجّة يعتمد عليها ودلالة يصمد إليها . كتاب الحجّة ص ١٣ .

و قال شيخنا الفتّال في روضة الواعظين ص ١٢٠ : إعلم أنّ الطائفة المحقّة قد أجمعت على انّ أباطالب، وعبدالله بن المطلب، و آمنة بنت وهب، كانوامؤمنين و إجماعهم حجّة .

وقال سيّدنا الحجّة ابن طاوس في الطرائف ص ٨٤ : إنّني وجدت علماء العترة

مجمعين على إيمان أبي طالب . وقال في ص ٨٧ : لاريب ان العترة أعرف بباطن ابيطالب من الأجانب ، و شيعة أهل البيت مجمعون على ذلك ، و لهم فيه مصنفات و ما رأينا و ما سمعنا ان مسلماً أحوجهم ما أحوجهم في إيمان أبيطالب ، والذي نعرفه منهم أنهم يثبتون ايمان الكافر بأدنى خبر واحد وبالتلويح ، و قد بلغت عداوتهم لبني هاشم الى إنكار ايمان أبي طالب مع ثبوت ذلك بالحجج الثواقب إن هذا من جملة العجائب .

وقال ابن ابي الحديد في شرحه ٣ : ٣١١ : إختلف الناس في أبي طالب فقالت الإمامية واكثر الزيدية : مامات إلا مسلماً ، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك منهم الشيخ أبوالقاسم البلخي وأبوجعفر الاسكافي و غيرهما .

وقال العلامة المجلسي في البحار ٩ : ٢٩ : قد أجمعت الشيعة على إسلامه وانه قد آمن بالنبي صلى الله عليه وآله في أول الأمر و لم يعبد صنماً قط بل كان من أوصياء ابراهيم عليه السلام واشتهر اسلامه من مذهب الشيعة حتى أن المخالفين كلهم نسبوا ذلك إليهم و تواترت الأخبار من طرق الخاصة والعامة في ذلك ، وصنف كثير من علمائنا ومحدثينا كتاباً مفرداً[1] في ذلك كما لا يخفى على من تتبع كتب الرجال .

ومستند هذا الإجماعات إنما هو ما جاء به رجالات بيت الوحي في سيد الأبطح واليك أربعون حديثاً :

١ ـ أخرج شيخنا أبوعلي الفتال وغيره عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد ! إن ربك يقرئك السلام و يقول : إني قد حرمت النار على صلب أنزلك ، و بطن حملك ، و حجر كفلك . فا لصلب صلب أبيه عبدالله بن عبدالمطلب . والبطن الذي حملك آمنة بنت وهب . وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب . وزاد في رواية : وفاطمة بنت أسد[2]. روضة الواعظين ص ١٢١ .

راجع الكافي لثقة الاسلام الكليني ص ٢٤٢ ، معاني الأخبار للصدوق ، كتاب الحجة السيد فخار بن معد ص ٨ ، و رواه شيخنا المفسر الكبير أبوا لفتوح الرازي في تفسيره ٤ : ٢١٠ ولفظه : ان الله عز وجل حرم على النار صلباً حملك ، وبطناً حملك ،

(١) ستوافيك عدة ممن أفرد التأليف في ايمان ابى طالب عليه السلام
(٢) راجع ما اسلفناه ص ٣٧٩ .

و ثدياً أرضعك، و حجراً كفلك.

٢ - عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هبط عليَّ جبرئيل فقال: لي يا محمّد إنّ الله عزّ وجلّ مشفّعك في ستّة: بطن حملتك آمنة بنت و هب. و صُلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب. و حجر كفلك أبو طالب. و بيت آواك عبد المطلب وأخ كان لك في الجاهليّة. وثدي أرضعك حليمة بنت أبي ذويب.

رواه السيّد فخار بن معد في كتاب الحجّة ص ٨.

٣ - روى شيخنا المعلّم الأكبر الشيخ المفيد باسناد يرفعه قال: لمّا مات أبوطالب أتى أمير المؤمنين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فآذنه بموته فتوجّع توجّعاً عظيماً و حزن حزناً شديداً ثمّ قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إمض يا عليّ فتولّ أمره، و تولّ غسله و تحنيطه و تكفينه، فإذا رفعته على سريره فأعلمني. ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا رفعه على السرير اعترضه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فرقّ و تحزّن و قال: وصلتك رحم و جزيت خيراً يا عمّ! فلقد ربّيت وكفلت صغيراً، و نصرت و آزرت كبيراً، ثمّ أقبل على الناس و قال: أمَ والله لأشفعنّ لعمّي شفاعة يعجب بها أهل الثقلين.

و في لفظ شيخنا الصدوق: يا عمّ كفلت يتيماً، وربّيت صغيراً، و نصرت كبيراً فجزاك الله عنّي خيراً[1].

راجع تفسير علي بن ابراهيم ص ٣٥٥، أمالي إبن بابويه الصدوق، الفصول المختارة لسيّدنا الشريف المرتضى ٨٠، الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ص ٦٧، بحار الأنوار ٩ ص ١٥، الدرجات الرفيعة لسيّدنا الشيرازي، ضياء العالمين.

٤ - عن العبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه انّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: كلّ الخير أرجو من ربّي عزّ وجلّ.

كتاب الحجّة ص ١٥، الدرجات الرفيعة. رجع ما أسلفناه ص ٣٧٣.

٥ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّه قال لعقيل بن أبي طالب: أنا احبّك يا عقيل! حبّين: حبّاً لك وحبّاً لأبي طالب لأنّه كان يحبّك[2].

(١) راجع ما مرّ في صفحة ٣٧٤

(٢) راجع ما اسلفناه ص ٣٧٧.

علل الشرايع لشيخنا الصدوق . الحجة ص ٣٤ ، بحار الأنوار ٩ : ١٦ .

٦ ـ عن رسول الله ﷺ قال : لو قمت المقام المحمود اشفعت في أبي و أمي و عمي و أخ لي مواخياً في الجاهلية . تفسير علي بن ابراهيم ص ٣٥٥ ، ٤٩٠ ، تفسير البرهان ٣ : ٧٩٤ . راجع ما أسلفناه في صفحة ٣٧٨ .

٧ ـ عن الامام السبط الحسين بن علي عن والده أمير المؤمنين إنه كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام اليه رجل فقال له : ياأمير المؤمنين! إنك بالمكان الذي أنزلك الله و أبوك معذب في النار فقال له : مه فض الله فاك ، والذى بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله ، أ أبي معذب في النار و ابنه قسيم الجنة والنار ؟ والذي بعث محمداً بالحق إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفىء أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار : نور محمد و نور فاطمة و نور الحسن والحسين و نور ولده من الأئمة ، ألا إن نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام .

المناقب المائة للشيخ أبي الحسن ابن شاذان [1] كنز الفوائد للكراجكي ص ٨٠ ، أمالي ابن الشيخ ص ١٩٢ ، إحتجاج الطبرسي كما في البحار ، تفسير أبي الفتوح ٤ : ٢١١ ، الحجة ص ١٥ ، الدرجات الرفيعة ، بحار الأنوار ٩ : ١٥ ، ضياء العالمين ، تفسير البرهان ٣ : ٧٩٤ .

٨ ـ عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال : والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط . قيل له : فما كانوا يعبدون ؟ قال : كانوا يصلون إلى البيت على دين ابراهيم عليه السلام متمسكين به .

رواه شيخنا الصدوق باسناده في كمال الدين ص ١٠٤ ، والشيخ أبو الفتوح في تفسيره ٤ : ٢١٠ ، والسيد في البرهان ٣ : ٧٩٥ .

٩ ـ عن ابي الطفيل عامر بن واثلة قال : قال علي عليه السلام إن أبي حين حضره الموت شهده رسول الله ﷺ فأخبرني عنه بشيء خير لي من الدنيا و ما فيها .

رواه بإسناده السيد فخار بن معد في كتاب الحجة ص ٢٣ ، و ذكره

(١) محمد بن احمد القمي الفامي احد مشايخ شيخ الطائفة الطوسي والكراجكي والكتاب مخطوط موجود عندنا .

الفتوني في ضياء العالمين.

١٠- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما مات أبو طالب حتّى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا. تفسير علي بن ابراهيم ص ٣٥٥، كتاب الحجّة ص ٢٣؛ الدرجات الرفيعة، ضياء العالمين.

١١- عن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين انّه قال: كان والله أبو طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافةً على بني هاشم أن تنابذها قريش

قال أبو علي الموضح: ولأمير المؤمنين في أبيه يرثيه:

أبا طالب عصمة المستجير ✿ وغيث المحول ونور الظلمْ
لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ ✿ فصلّى عليك وليّ النعمْ
ولقّاك ربّك رضوانه ✿ فقد كنت للمصطفى خير عمْ (١)

كتاب الحجّة ص ٢٤.

١٢- عن الأصبغ بن نباته قال، سمعت أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يقول: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً وكانوا يسمّونها الفهيرة ويذبحونها على النصب فلم يسلّم عليهم فلمّا انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمرّ بنا يتيم أبي طالب فلا يسلّم علينا فأيّكم يأتيه فيفسد عليه مصلاّه؟ فقال عبدالله بن الزبعرى السهمي: أنا أفعل؛ فأخذ الفرث والدم فانتهى به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو ساجدٌ فملأ به ثيابه ومظاهره فانصرف النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى أتى عمّه أبا طالب فقال: ياعمّ من أنا؟ فقال: ولِمَ ياابن أخي؟ فقصّ عليه القصّة فقال: وأين تركتهم؟ فقال: بالأبطح فنادى في قومه: يا آل عبدالمطلب! يا آل هاشم! يا آل عبد مناف! فاقبلوا إليه من كلّ مكان ملبّين فقال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون قال: خذوا سلاحكم. فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتّى إنتهى إلى اولئك النفر فلمّا رأوه أرادوا أن يتفرّقوا فقال لهم: وربّ هذه البنيّة لا يقومنّ منكم أحدٌ إلاّ جللته بالسيف. ثمّ أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتّى قطعها ثلاثة أفهار (٢) ثمّ قال: يا محمّد! سألتني من أنت؟ ثمّ أنشأ يقول

(١) راجع ما أسلفناه ص ٣٧٨.
(٢) ثلثة أفهار: ثلاث قطع كل منها تملأ الكف.

و يومي بيده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

أنتَ النبيُّ محمَّدُ ✡ قرمٌ أغرُّ مسوَّدُ

إلى آخر مامرَّ في ص٣٣٦ ثمَّ قال : يا محمَّد ! أيّهم الفاعل بك ؟ فأشار النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى عبدالله بن الزبعرى السهمي الشاعر فدعاه أبوطالب فوجأ أنفه حتّى أدماها ثمَّ أمر بالفرث والدم فأمرَّ على رؤس الملأ كلّهم ثمَّ قال : ياابن أخ أرضيت ؟ ثمَّ قال : سألتني من أنت ؟ أنت محمَّد بن عبدالله ثمَّ نسبه إلى آدم عليه السلام ثمَّ قال: أنت والله أشرفهم حسباً ، وأرفعهم منصباً ، يامعشر قريش ! من شاء منكم يتحرَّك فليفعل ؛ أنا الذي تعرفوني (١)

رواه السيِّد ابن معد في الحجَّة ص ١٠٦ ، وذكر لدة هذه القضيَّة الصفوري في نزهة المجالس ٢ : ١٢٢ و في طبع ص ٩١ ؛ و ابن حجَّة الحموي في ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ٢ : ٣ نقلاً عن كتاب الأعلام للقرطبي .

١٣ - ذكر ابن فيّاض في كتابه شرح الأخبار : إنَّ عليّاً عليه السلام قال في حديث له : إنَّ أباطالب هجم عليَّ وعلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم و نحن ساجدان فقال : أفعلتماها ؟ ثمَّ أخذ بيدي فقال : انظر كيف تنصره ، وجعل يرغّبني في ذلك ويحضّني عليه . الحديث .

راجع ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف الفتوني .

١٤ - روي انَّ أمير المؤمنين عليه السلام قيل له : من كان آخر الأوصياء قبل النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : أبي . « ضياء العالمين للفتوني »

١٥ - عن الإمام السجّاد زين العابدين عليِّ بن الحسين بن علي عليهم السلام انّه سُئل عن أبي طالب أكان مؤمناً ؟ فقال عليه السلام : نعم . فقيل له : إنَّ هاهنا قوماً يزعمون انّه كافرٌ . فقال عليه السلام : واعجباً كلَّ العجب أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ و قد نهاه الله تعالى أن يقرَّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن ولا يشكُّ أحدٌ انَّ فاطمة بنت أسد رضي الله تعالى عنها من المؤمنات السابقات ، فإنّها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبوطالب رضي الله عنه .

راجع مامرَّ ص٣٨٠ ، و كتاب الحجَّة ص٢٤ ، والدرجات الرفيعة ؛ ضياء العالمين فقال : قيل إنّها متواترةٌ عندنا .

(١) راجع ما اسلفناه ص ٣٥٩ ويأتي في الجزء الثامن في الايات ما يؤيد هذه القصة .

١٦- عن أبي بصير ليث المرادي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: سيدي إن الناس يقولون: إن أباطالب في ضحضاح من ناريغلي منه دماغه. فقال عليه السلام: كذبوا والله إن ايمان أبي طالب لو وضع في كفة الميزان وايمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح ايمان أبي طالب على ايمانهم. إلى آخر ما مر ص ٣٨٠، رواه السيد في كتاب الحجة ص ١٨ من طريق شيخ الطائفه عن الصدوق، والسيد الشيرازى في الدرجات الرفيعة، والفتوني في ضياء العالمين.

وروى السيد ابن معد في كتاب الحجة ص ٢٧ من طريق آخر عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال: مات أبوطالب بن عبدالمطلب مسلماً مؤمناً. الخ.

١٧- عن الإمام الصادق أبي عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الايمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين.

راجع الكافي لثقة الإسلام الكليني ص ٢٤٤، أمالي الصدوق ص ٣٦٦، روضة الواعظين ص ١٢١؛ كتاب الحجة ص ١١٥، وفي ص ١٧ ولفظه من طريق الحسين بن أحمد المالكى:

قال عبد الرحمن بن كثير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحضاح من نار: فقال: كذبوا، مابهذا نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قلت: وبما نزل؟ قال: أتى جبرائيل في بعض ماكان عليه فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام و يقول لك: إن أصحاب الكهف أسروا الايمان و أظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أباطالب أسر الايمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين، وماخرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة، ثم قال: كيف يصفونه بهذا؟ و قد نزل جبرائيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد اخرج من مكة فمالك بها ناصر بعد أبي طالب.

وذكره العلامة المجلسي في البحار ٩: ٢٤، والسيد في الدرجات الرفيعة، والفتوني في ضياء العالمين، وروى شيخنا أبو الفتوح الرازي هذا الحديث في تفسيره ٤ ص ٢١٢.

١٨- أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ص ٢٤٤ بالإسناد عن إسحاق ابن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: قيل له: انهم يزعمون أن أبا طالب كان كافراً، فقال:

كذبوا ،كيف وهو يقول ؟ :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً ✿ نبيّاً كموسى خطّ في أوّل الكتب ؟

وذكره غير واحد من أئمّة الحديث في تآليفهم رضوان الله عليهم أجمعين .

١٩- أخرج ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي ٢٤٤ عن الإمام الصادق قال: كيف يكون أبوطالب كافراً وهو يقول ؟ :

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّب ✿ لدينا و لا يعبأ بقيل الأباطل

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ✿ ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وذكره السيّد في البرهان ٣ : ٧٩٥، وكذلك غير واحد من أعلام الطائفة أخذاً عن الكليني .

٢٠- روى شيخنا أبو علي الفتال في روضة الواعظين ص ١٢١ عن الامام الصّادق عليه السلام قال : لمّا حضر أباطالب رضي الله عنه الوفات جمع وجوه قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش! أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، وأنتم خزنة الله في أرضه وأهل حرمه ، فيكم السيّد المطاع ؛ الطويل الذراع ، وفيكم المقدام الشجاع ؛ الواسع الباع ، إعلموا أنّكم لم تتركوا للعرب في المفاخر نصيباً إلاّ حزتموه ، ولا شرفاً إلاّ أدركتموه ، فلكم على الناس بذلك الفضيلة ، ولهم به اليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب إلى آخر ما مرّ في ص٣٦٦ من مواقف سيّدنا أبي طالب المشكورة المرويّة من طرق أهل السنّة ، وذكر هذه الوصيّة شيخنا العلاّمة المجلسي في البحار ٩ : ٢٣ .

٢١- حدّث شيخنا أبوجعفر الصدوق في إكمال الدين ص ١٠٣ بالاسناد عن محمّد بن مروان عن الإمام الصادق عليه السلام : إنّ أباطالب أظهر الكفر وأسرّ الايمان فلمّا حضرته الوفاة أوحى الله عزّ وجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : أخرج منها فليس لك بها ناصر . فهاجر إلى المدينة .

وذكره سيّدنا الشريف المرتضى في الفصول المختاره ص٨٠ فقال : هذا يبرهن عن ايمانه لتحقيقه بنصرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و تقوية أمره .

وذيل الحديث رواه السيّد الحجّة ابن معد في كتابه «الحجة» ص ٣٠ وقال في ص ١٠٣: لمّا قبض أبوطالب اتّفق المسلمون على انّ جبرئيل عليه السلام نزل على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال

له : ربك يقرءك السلام ويقول لك: ان قومك قدعولوا على أن يبيتوك وقدمات ناصرك فأخرج عنهم وأمره بالمهاجرة . فتأمل إضافة الله تعالى أباطالب رحمه الله إلى النبي ﷺ و شهادته له انه ناصره ، فإن في ذلك لأبي طالب أوفى فخر وأعظم منزلة وقريش رضيت من أبي طالب بكونه مخالطاً لهم مع ما سمعوا من شعره وتوحيده وتصديقه للنبي ﷺ و لم يمكنهم قتله والمنابذة له لأن قومه من بني هاشم و إخوانهم من بني المطلب بن عبد مناف و أحلافهم و مواليهم و أتباعهم ،كافرهم و مؤمنهم كانوا معه ، ولو كان نابذ قومه لكانوا عليه كافة ، و لذلك قال أبو لهب لما سمع قريشاً يتحدثون في شأنه و يفيضون في أمره : دعوا عنكم هذا الشيخ فإنه مغرم بابن أخيه ، والله لا يقتل محمد حتى يقتل أبو طالب ، و لا يقتل أبو طالب حتى تقتل بنو هاشم كافة ، و لا تقتل بنو هاشم حتى تقتل بنو عبد مناف ، ولا تقتل بنوعبدمناف حتى تقتل أهل البطحاء ؛ فامسكوا عنه وإلا ملنا معه فخاف القوم أن يفعل فكفوا ، فلما بلغت أباطالب مقالته طمع في نصرته فقال :يستعطفه ويرققه ·

عجبت لحلم يا بن شيبة حادث ☆ و أحلام أقوام لديك ضعاف

إلى آخر أبيات ذكرها ابن أبي الحديد في شرحه ٣ : ٣٠٧ مع زيادة خمسة أبيات لم يذكرها السيد في الحجة . و ذكرها ابن شجري في حماسته ص١٦ .

فقال السيد : فلما أبطأ عنه ما أراد منه قال يستعطفه أيضاً :

و إن امرءاً من قومه أبو معتب (١) ☆ لفي منعة من أن يسام المظالما

أقول له و أين منه نصيحتي ☆ : أبا معتب ثبت سوادك قائما

إلى أبيات خمسة . و قد ذكرها ابن هشام في سيرته ١ : ٣٩٤ مع زيادة أربعة أبيات غير أن البيت الأول فيه :

إن امرءاً أبو عتيبة عمه ☆ لفي روضة ما إن يسام المظالما

و ذكرها ابن أبي الحديد في الشرح ٣ : ٣٠٧ ؛ و ابن كثير في تاريخه ٣ : ٩٣.

٢٢ ـ عن يونس بن نباته عن الإمام الصادق ﷺ قال : يا يونس ! ما يقول الناس في أبي طالب ؟ قلت : جعلت فداك يقولون : هو في ضحضاح من نار يغلي منها

(١) يعني به ابا لهب .

أمّ رأسه فقال : كذب أعداء الله ، إنّ أباطالب من رفقاء النبيّين و الصدّيقين والشهداء والصالحين و حسن اولئك رفيقا .

كنز الفوائد لشيخنا الكراجكي ص ٨٠ ، كتاب الحجّة ص ١٧ ، ضياء العالمين

٢٣ ـ روى الشريف الحجّة ابن معد في كتاب الحجّة ص ٢٢ من طريق شيخنا أبي جعفر الصّدوق عن داود الرقي قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام ولي على رجل دين و قد خفت نواه فشكوت ذلك إليه فقال عليه السلام : اذامررت بمكّة فطف عن عبد المطلب طوافاً و صلّ عنه ركعتين ، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين ، وطف عن عبدالله طوافاً وصلّ عنه ركعتين ، وطف عن آمنة طوافاً و[صلّ] عنها ركعتين ، وعن فاطمة بنت أسد طوافاً و صلّ عنها ركعتين . ثمّ ادع الله عزّ وجلّ أن يردّ عليك مالك . قال : ففعلت ذلك ثمّ خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول : ياداود ! جئني هناك فاقض حقّك .

و ذكره العلاّمة المجلسي في البحار ٩ : ٢٤ .

٢٤ ـ أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ص٢٤٤ بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال : بينا النبيّ صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام و عليه ثيابٌ له جدد فألقى المشركون عليه سلا[١] ناقة فملؤا ثيابه بها فدخله من ذلك ماشاءالله فذهب إلى أبي طالب فقال له: يا عمّ ! كيف ترى حسبي فيكم ؟ فقال له : وماذاك يابن أخي؟ فأخبره الخبر فدعا أبوطالب حمزة وأخذ السيف وقال لحمزة : خذ السلا ثمّ توجّه إلى القوم والنبيّ صلى الله عليه وآله معه فأتى قريشاً وهم حول الكعبة ، فلمّا رأوه عرفوا الشرّ في وجهه ثمّ قال لحمزة : أمرّ السلا على أسبلتهم[٢] ففعل ذلك حتّى أتى على آخرهم ثمّ التفت أبوطالب إلى النبيّ فقال : يابن أخي هذا حسبك فينا ـ.

و ذكره جمع من الأعلام وأئمة الحديث في تآليفهم .

٢٥ ـ أخرج أبوالفرج الأصبهاني باسناده عن الإمام الصّادق عليه السلام قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروى شعر أبي طالب عليه السلام و ان يدوّن و قال : تعلّموه و علّموه

---

(١) السلا : الجلدة التي يكون فيها الولد .

(٢) وفي بعض النسخ : [سبالهم] ج انسبلة : مقدمة اللحية ، و ما على الشارب من الشـ[ـعر]

أولادكم فإنه كان على دين الله وفيه علم كثير .

كتاب الحجة ص٢٥ ، بحار الأنوار٩ ص٢٤ ، ضياء العالمين للفتوني .

٢٦ - روى شيخنا الصدوق في أماليه ص٣٠٤ بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال : أول جماعة كانت إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب معه إذ مر أبو طالب به وجعفر معه قال : يا بني صل جناح ابن عمك فلما أحسه رسول الله تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول :

إن علياً و جعفراً ثقتي عند ملم الزمان والكرب

إلى آخر أبيات مرت صحيفة ٣٥٦ و تأتي في ص ٣٩٧ ، و الحديث رواه الشيخ أبو الفتوح في تفسيره٤ :٢١١ .

٢٧ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ص٢٤٢ باسناده عن درست بن أبي منصور انه سأل أبا الحسن الأول - الإمام الكاظم - عليه السلام : أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محجوجاً بأبي طالب ؟ فقال : لا . ولكنه كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه فقال : قلت : فدفع اليه الوصايا على انه محجوج به ؟ فقال : لو كان محجوجاً به ما دفع اليه الوصية قال: قلت : فما كان حال أبي طالب ؟ قال :أقر بالنبي و بما جاء به ودفع إليه الوصايا ومات من يومه .

قال الأميني : هذه مرتبة فوق مرتبة الايمان فإنها مشفوعة بما سبق عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تثبت لأبي طالب مرتبة الوصاية والحجية في وقته فضلاً عن بسيط الايمان ، وقد بلغ ذلك من الثبوت إلى حد ظن السائل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان محجوجاً به قبل بعثته ، فنفى الإمام عليه السلام ذلك ، و أثبت ما ثبت له من الوصاية و انه كان خاضعاً بالابراهيمية الحنيفية ، ثم رضخ للمحمدية البيضاء ، فسلم الوصايا الصادع بها ، وقد سبق ايمانه بالولاية العلوية الناهض بها ولده البار صلوات الله وسلامه عليه .

٢٨ - أخرج شيخنا أبو الفتح الكراجكي ص ٨٠ باسناده عن أبان بن محمد قال كتبت إلى الإمام الرضا علي بن موسى الرضا عليهما السلام : جعلت فداك . إلى آخر ما مر في ص٣٨١ ،

وذكره السيد في كتاب الحجة ص١٦ ، والسيد الشيرازي في الدرجات الرفيعة ،

والعلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ص ٣٣، وشيخنا الفتوني في ضياء العالمين.

٢٩ - روى شيخنا المفسّر الكبير أبو الفتوح في تفسيره ٤ : ٢١١ عن الإمام الرّضا سلام الله عليه و قال روى عن آبائه بعدّة طرق : انّ نقش خاتم أبي طالب عليه السلام كان :

رضيت بالله ربّاً، وبابن أخي محمّد نبيّاً، وبابني عليّ له وصيّاً.

ورواه السيّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة، والإشكوري في محبوب القلوب

٣٠ - أخرج الشيخ أبو جعفر الصدوق باسناد له : انّ عبد العظيم بن عبد الله العلوي الحسني المدفون بالري كان مريضاً فكتب إلى أبي الحسن الرّضا عليه السلام : عرّفني يابن رسول الله عن الخبر المرويّ : انّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه . فكتب اليه الرّضا عليه السلام

بسم الله الرّحمن الرّحيم، أمّا بعد : فإنّك إن شككت في ايمان أبي طالب كان مصيرك إلى النّار.

كتاب الحجّة ص ١٦ ؛ ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف.

٣١ - أخرج شيخنا الفقيه أبو جعفر الصّدوق بالاسناد عن الإمام الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السّلام في حديث طويل : إنّ الله تبارك و تعالى أوحى إلى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّي قد أيّدتك بشيعتين : شيعة تنصرك سرّاً، و شيعة تنصرك علانية، فأمّا التي تنصرك سرّاً فسيّدهم وأفضلهم عمّك أبوطالب، وأمّا التي تنصرك علانية فسيّدهم و أفضلهم ابنه عليّ بن أبي طالب. ثمّ قال : و إنّ أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم ايمانه.

كتاب الحجّة ص ١١٥ ؛ ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف.

٣٢ - أخرج شيخنا الصّدوق في أماليه ص ٣٦٥ من طريق الأعمش عن عبد الله بن عبّاس عن أبيه قال : قال أبوطالب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : يابن أخي ! الله أرسلك ؟ قال : نعم. قال. فأرني آية. قال : ادع لي تلك الشجرة. فدعاها فأقبلت حتّى سجدت بين يديه ثمّ انصرفت، فقال أبوطالب : أشهد انّك صادق، يا علي صل جناح ابن عمّك.

ورواه أبوعلي الفتال في روضة الواعظين ص ١٢١، ورواه السيّد ابن معد في الحجّة ص ٢٥ ولفظه : قال أبوطالب للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بمحضر من قريش ليريهم فضله : يابن أخي الله

أرسلك ؟ قال : نعم . قال : إنّ للانبياء معجزاً وخرق عـادة فأرنا آية . قال : ادع تلك الشجرة وقل لها : يقول لك محمّد بن عبدالله : اقبلي باذن الله . فدعاها فأقبلت حتّى سجدت بين يديه ثمّ أمرها بالانصراف فانصرفت ، فقال أبوطالب : أشهد انّك صادقٌ . ثمّ قال لابنه عليّ عليه السلام : يا بنيّ إلزم ابن عمّك .

وذكره غير واحد من أعلام الطائفة .

٣٣ - أخرج أبوجعفر الصّدوق قدس الله سرّه في الأمالي ص٣٦٦ باسناده عن سعيد بن جبير عن عبدالله بن عبّاس انّه سأله رجل فقال له : يابن عمّ رسول الله ! أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً ؟ قال : وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل ؟ .

و قد علموا أنّ ابننا لا مكذّب ✿ لدينا و لا يعبأ بقيل الأباطل

إنّ أباطالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسرّوا الايمان و أظهروا الشّرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين .

ورواه السيّد ابن معد في (الحجّة) ص ٩٤ ، ١١٥ ، وذكره غير واحد من أئمة الحديث .

٣٤ - أخرج شيخنا أبوعلي الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين ص١٢٣ عن ابن عبّاس قال : مرّ أبوطالب ومعه جعفر ابنه برسول الله صلى الله عليه وآله وهو في المسجد الحرام يصلّي صلاة الظهر و عليّ عليه السلام عن يمينه فقال أبـوطالب لجعفر : صل جناح ابن عمّك فتقدّم جعفر وتأخّر علـيّ و اصطفا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى قضى الصّلاة وفي ذلك يقول أبو طالب :

إنّ عليّاً و جعفراً ثقتي ✿ عند ملمّ الزمـان و النوب (١)
أجعلهما عرضة العداء إذا ✿ اترك ميتاً
لا تخذلا و انصرا ابن عمّكما ✿ أخي لأمّي من بينهم و أبي
والله لا أخذل النبيّ و لا ✿ يخذله من بنيّ ذو حسب (٢)

وأخرج سيّدنا ابن معد في كتاب الحجّة ص٥٩ باسناده عن عمران بن الحصين

---

(١) وفي نسخة : عند احتدام الهموم والكرب .
(٢) راجع فيما اسلفناه ص ٣٩٤ .

الخزاعي قال: كان والله إسلام جعفر بأمر أبيه ، وذلك : مرّ أبوطالب و معه إبنه جعفر برسول الله وهو يصلّي وعليّ عليه السلام عن يمينه فقال أبوطالب لجعفر : صِلْ جناح ابن عمّك فجاء جعفر فصلّى مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فلمّا قضى صلاته قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : ياجعفر! وصلت جناح ابن عمّك ، إنّ الله يعوّضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنّة . فأنشأ أبوطالب رضوان الله عليه يقول :

إنّ عليّاً و جعفراً ثقتي ✿ عند ملمّ الزمان و النوبِ
لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما ✿ أخي لامّي من بينهم و أبي
إنّ أبا معتب قد أسلمنا ✿ ليس أبومعتب بذي حدبِ (١)
والله لا أخذل النبيّ و لا ✿ يخذله من بَنيّ ذوحسبِ
حتّى ترون الرئوس طايحةً ✿ منّا و منكم هناك بالقضبِ
نحن وهذا النبيّ اُسرته ✿ نضرب عنه الأعداء كالشهبِ
إن نلتموه بكلّ جمعكُم ✿ فنحن في الناس ألأم العربِ

ورواه شيخنا أبوالفتح الكراجكي بطريق آخر عن أبي ضوء بن صلصال قال :كنت أنصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي طالب قبل إسلامي ، فانّي يوماً اجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدّة القيظ إذ خرج أبوطالب إليّ شبيهاً بالملهوف فقال لي: ياأباالغضنفر هل رأيت هذين الغلامين؟ يعني النبيّ وعليّاً عليهما السلام فقلت : ما رأيتهما مذ جلست فقال : قم بنا في الطلب لهما فلست آمن قريشاً أن تكون اغتالهما قال : فمضينا حتّى خرجنا من أبيات مكّة ثمّ صرنا إلى جبل من جبالها فاسترقيناه إلى قلّته فإذا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عن يمينه و هما قائمان بازاء عين الشمس يركعان و يسجدان فقال أبوطالب لجعفر ابنه وكان معنا : صِلْ جناح ابن عمّك . فقام إلى جنب عليّ فأحسّ بهما النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فتقدّمهما و أقبلوا على أمرهم حتّى فرغوا ممّا كانوا فيه ثمّ أقبلوا نحونا فرأيت السرور يتردّد في وجه أبي طالب ثمّ انبعث يقول الأبيات .

٣٥- عن عكرمة عن ابن عبّاس قال قال : أخبرني أبي انّ أباطالب رضي الله عنه شهد عندالموت أن لاإلٓه إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله . (ضياء العالمين) .

(٣) ابومعتب كنية ابى لهب كمامرّ. ذى حدب : ذى تعطف .

٣٦ـ في تفسير الوكيع من طريق أبي ذر الغفاري انّه قال : والله الذي لاإله إلّا هو مامات أبوطالب رضي الله عنه حتّى أسلم بلسان الحبشة قال لرسول الله صلى الله عليه وآله : أتفقه الحبشة ؟ قال : ياعمّ ! إنّ الله علّمني جميع الكلام . قال : يامحمّداً ! اسدن لمصاقاقاطالاها . يعني أشهد مخلصاً لا إله إلّا الله ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : إنّ الله أقرّ عيني بأبي طالب . ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف .

أحبّ سيّد الأبطح الشهادة بلغة الحبشة في موقفه هذا بعد ماأكثرها بلغة الضّاد وبغيرها كما فصّل القول فيها شيخنا الحجّة ابوالحسن الشريف الفتوني المتوفّى ١١٣٨ في كتابه القيّم الضخم « ضياء العالمين » وهو أثمن كتاب اُلّف في الإمامة .

٣٧ـ روى شيخنا أبو الحسن قطب الدين الراوندي في كتابه ـ الخرائج والجرائح ـ عن فاطمة بنت أسد انّها قالت : لمّا توفّي عبدالمطلب أخذ أبوطالب النبيّ صلى الله عليه وآله عنده لوصيّة أبيه به و كنت أخدمه و كان في بستان دارنا نخلات و كان أوّل إدراك الرطب و كنت كلّ يوم ألتقط له حفنة من الرطب فمافوقها و كذلك جاريتي فاتّفق يوماً أن نسيت أن التقط له شيئاً و نسيت جاريتي ايضاً ، و كان محمّد نائماً ودخل الصبيان واخذوا كلّماسقط من الرطب و انصرفوا فنمت و وضعت الكمّ على وجهي حياءً من محمّد صلى الله عليه وآله اذاانتبه فانتبه محمّد صلى الله عليه وآله ودخل البستان فلم ير رطبةً على وجه الأرض فأشار إلى نخلة وقال : أيّتها الشجرة أنا جائع . فرايت النخلة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب حتّى أكل منها ما أراد ثمّ ارتفعت إلى موضعها ، فتعجّبت من ذلك و كان أبو طالب رضي الله عنه غائباً فلمّا أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية وفتحت الباب وحكيت له مارأيت فقال: هو إنّما يكون نبيّاً وأنت تلدين له وزيراً بعد يأس . فولدت عليّاً عليه السلام كما قال .

٣٨ـ روى شيخنا الفقيه الأكبر إبن بابويه الصّدوق في أماليه ص ١٥٨ بالاسناد عن أبي طالب سلام الله عليه قال قال عبدالمطلب : بينا أنا نائمٌ في الحجر إذ رأيت رؤياً هالتني فأتيت كاهنة قريش وعليّ مطرف خزّ و جمّتي تضرب منكبي، فلمّا نظرت إليّ عرفت في وجهي التغيّر، فاستوت و أنا يومئذ سيّد قومي فقالت : ما شأن سيّد العرب متغيّر اللون؟ هل رابه من حدثان الدهر ريب ؟ فقلت لها : بلى إنّي رأيت الليلة وأنا نائمٌ في الحجر كأنّ شجرة قد نبتت على ظهري قدنال رأسها السّماء وضربت بأغصانها الشرق

والغرب ، ورأيت نوراً يظهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم ساجدة لها ، وهي كل يوم تزداد عظماً ونوراً ، ورأيت رهطاً من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شاب من أحسن الناس وجهاً و أنظفهم ثياباً فيأخذهم و يكسر ظهورهم و يقلع أعينهم ، فرفعت يدي لأتناول غصناً من أغصانها فصاح بي الشاب و قال: مهلاً ليس لك منها نصيب ، فقلت : لمن النصيب والشجرة مني ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين قد تعلقوا بها و سيعود إليها ، فانتبهت مذعوراً فزعاً متغير اللون ، فرأيت لون الكاهنة قد تغير ثم قالت : لئن صدقت ليخرجن من صلبك ولد يملك الشرق والغرب و ينبأ في الناس . فتسرى عني غمي ، فانظر أبا طالب لعلك تكون أنت ، و كان أبوطالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج ويقول : كانت الشجرة والله أباالقاسم الأمين .

٣٩ ـ قال السيد الحجة في كتابه (الحجة) ص ٦٨ : ذكر الشريف النسابة العلوي العمري المعروف بالموضح باسناده : ان أباطالب لما مات لم تكن نزلت الصلاة على الموتى فماصلى النبي عليه ولاعلى خديجة ، وإنما اجتازت جنازة أبي طالب والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وجعفر وحمزة جلوس فقاموا و شيعوا جنازته و استغفروا له فقال قوم : نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين ايضاً ظناً منهم أن أباطالب مات مشركاً لأنه كان يكتم إيمانه فنفى الله عن أبي الشرك ونزه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والثلاثة المذكورين عليهم السلام عن الخطأ في قوله : ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين و لو كانوا اولي قربى ، فمن قال بكفر أبي طالب فقد حكم على النبي بالخطأ والله تعالى قد نزهه عنه في أقواله و أفعاله . الخ .

و أخرج أبو الفرج الاصبهاني بالاسناد عن محمد بن حميد قال: حدثني أبي قال : سئل أبو الجهم بن حذيفة : أصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أبي طالب ؟ فقال : و أين الصلاة يومئذ ؟ إنما فرضت الصلاة بعد موته ، و لقد حزن عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أمر علياً بالقيام بأمره و حضر جنازته وشهد له العباس و أبو بكر بالايمان و أشهد على صدقهما لأنه كان يكتم ايمانه ولو عاش إلى ظهور الإسلام لأظهر ايمانه .

٤٠ ـ عن مقاتل : لما رأت قريش يعلو أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا :لا نرى محمداً

يزداد إلّا كبراً و إن هو إلّا ساحرٌ أومجنونٌ، فتعاقدوا لئن مات أبو طالب رضي الله عنه ليجمعنّ القبائل كلّها على قتله ، فبلغ ذلك أباطالب فجمع بني هاشم و احلافهم من قريش فوصّاهم بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال : ابن أخي كلّما يقول أخبر نابذلك آبائنا وعلمائنا ، و أنّ محمّداً نبيٌّ صادقٌ ، وأمينٌ ناطقٌ، وإنّ شأنه أعظم شأن ، ومكانه من ربّه أعلى مكان ، فأجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته ، و راموا عدوّه من وراء حوضته ، فانّه الشرف الباقي لكم طول الدهر ثمّ أنشأ يقول :

أوصي بنصر النبيّ الخير مشهده ✡ عليّاً ابني و عمّ الخير عبّـاسـا

و حمزة الاسـد المخشيّ صولته ✡ و جعفراً أن يذودا دونه النـاسـا

و هاشماً كلّـهـا أوصي بنصرته ✡ أن يأخذوادون حرب القوم أمراسا

كونوا فداءً لكم أمّي وماولدت ✡ من دون أحمد عندالروع أتراسـا

بكلّ أبيض مصقول عوارضـه ✡ تخاله في سواد الليـل مقباسـا (١)

قال الأميني : هذه جملةٌ ممّا أوقفنا السيرعليه من أحاديث رواة الحقّ والحقيقة و صفحنا عمّا يربو على الأربعين روماً للاختصار، فأنت إذاأضفت إليها ما أسلفناه ممّا يروى عن آل أبي طالب وذويه ، و اشفعتها بما مرّ من أحاديث مواقف سيّدالأباطح، و جمعتها مع ما جاء من الشهادات الصريحة في شعره تربو الأدلّة على ايمانه الخالص و اسلامه القويم على مائة دليل ، فهل من مساغ لذي مسكة أن يصفح عن هذه كلّها ؟ و كلٌّ واحد منها يحقّ أن يستند إليه في إسلام أيّ أحد ، نعم : إنّ في أبي طالب سرّاً لايثبت ايمانه بألف دليل ، وايمان غيره يثبت بقيل مجهول ودعوى مجرّدة ، إقرأ واحكم

و قد فصّل القول في هذه الأدلّة جمعٌ من أعلام الطائفة كشيخنا العلّامة الحجّة المجلسي في بحار الأنوار ٩ : ١٤ ـ ٣٣ ، و شيخنا العلم القدوة أبي الحسن الشريف الفتوني في الجزء الثاني من كتابه القيّم الضخم ضياء العالمين (والكتاب موجودٌ عندنا) و هو أحسن ما كتب في الموضوع كما انّ ماألّفه السيّد البرزنجي و لخصه السيّد أحمد زيني دحلان أحسن ما ألّف في الموضوع بقلم أعلام أهل السنّة ، و أفرد ذلك بالتأليف آخرون منهم :

(١) ضياء العالمين لشيخنا الفتوني .

م١ - سعدبن عبدالله ابوالقاسم الأشعري القمي المتوفى ٣٠١/٢٩٩، له كتاب فضل أبي طالب وعبد المطلب و عبدالله أبي النبي صلى الله عليه وآله « رجال النجاشي ص١٢٦ »]

٢ - أبوعلي الكوفي أحمدبن محمدبن عمار المتوفى ٣٤٦، له كتاب ايمان أبي طالب كما في فهرست الشيخ ص ٢٩، ورجال النجاشي ص ٧٠ .

٣ - أبومحمد سهل بن أحمد بن عبدالله الديباجي سمع منه التلعكبري سنة ٣٧٠ له كتاب ايمان أبي طالب ، ذكره النجاشي في فهرسته ص ١٣٣ .

٤ - أبو نعيم علي بن حمزة البصري التميمي اللغوي المتوفى ٣٧٥ له كتاب ايمان أبي طالب ، توجد نسخته عند شيخنا الحجة ميرزا محمد الطهراني (١) في سامراء المشرفة . نقل عنه بعض فصوله الحافظ ابن حجر في الاصابة في ترجمة أبي طالب واتهم مؤلفه بالرفض .

٥ - أبوسعيد محمدبن أحمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري جد المفسر الكبير الشيخ أبي الفتوح الخزاعي لأمه ، له كتاب (منى الطالب في ايمان أبي طالب) رواه الشيخ منتخب الدين كما في فهرسته ص ١٠ عن سبطه الشيخ أبي الفتوح عن أبيه عنه.

٦ - أبوالحسن علي بن بلال بن أبي معاوية المهلبي الأزدي له كتاب (البيان عن خيرة الرحمن) في ايمان أبي طالب و آباء النبي صلى الله عليه وآله ذكره له الشيخ في فهرسته ص٩٦، والنجاشي ص ١٨٨ .

٧ - أحمدبن القاسم ، له كتاب ايمان أبي طالب ، رآه النجاشي (كما في فهرسته ص ٦٩) بخط الحسين بن عبيدالله الغضائري.

٨ - أبوالحسين أحمدبن محمدبن أحمد بن طرخان الكندي الجرجاني صديق النجاشي المتوفى ٤٥٠، ذكر له النجاشي في فهرسته ص٦٣ كتاب ايمان أبي طالب .

٩ - شيخنا الأكبر أبو عبدالله المفيد محمد بن محمد بن النعمان المتوفى ٤١٣ له كتاب ايمان أبي طالب كما في فهرست النجاشي ص ٢٨٤ .

١٠ - أبوعلي شمس الدين السيد فخار بن معد الموسوي المتوفى ٦٣٠، له كتاب (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) قرظه العلامة السيد محمد

(١) توفي قدس الله سره وابقى له آثاراً ومآثر تذكر مع الابد وتشكر .

صادق بحر العلوم بقوله :

بشراك (فخار) بما أولا ـ ك الخالق في يوم المحشر
نزّهت بحجّتك الغرّا ☆ شيخ البطحاء أبا حيدر
عمّا نسبوه إليه من الـ ـ كفر المردود دعاة الشر
أنّى و به قام الاسلا ـ م فنال بعلياه المفخر
قسماً بولاء (أبي حسن) ☆ لولاه الدين لما أزهر
فعليه من الله الرضوا ـ ن وللأعدا نارٌ تسعر

١١ ـ سيّدنا الحجّة أبو الفضائل أحمد بن طاوس الحسني المتوفّى ٦٧٣ ، له كتاب ايمان أبي طالب ، ذكره في كتابه بناء المقالة العلويّة لنقض الرسالة العثمانيّة ، وهو كتاب في الامامة ألّفه في الردّ على رسالة أبي عثمان الجاحظ .

١٢ ـ السيّد الحسين الطباطبائي اليزدي الحائري الشهير بالواعظ المتوفّى ١٣٠٧ له كتاب (منية الطالب في إيمان أبي طالب) فارسيٌّ مطبوع .

١٣ ـ المفتي الشريف السيّد محمّد عباس التستري الهندى المتوفّى ١٣٠٦ ، له كتاب (بغية الطالب في ايمان أبي طالب) أحد شعراء الغدير تأتي ترجمته في القرن الرابع عشر . انشاء الله تعالى .

١٤ ـ شمس العلماء ميرزا محمّد حسين الكركاني له كتاب (مقصد الطالب في إيمان آباء النبيّ وعمّه أبي طالب) فارسيٌّ طبع في بمبيء سنة ١٣١١.

١٥ ـ الشيخ محمّد علي بن ميرزا جعفر علي الفصيح الهندي نزيل مكّة المعظّمة له كتاب (القول الواجب في إيمان أبي طالب) .

١٦ ـ شيخنا الحجّة الحاج ميرزا محسن بن العلاّمة الحجّة ميرزا محمّد التبريزي

١٧ ـ السيّد محمّد علي آل شرف الدين العاملي (١) له كتاب (شيخ الأبطح أو أبو طالب) طبع في بغداد سنة ١٣٤٩ في ٩٦ صفحة وقد جمع فيه فأوعى ، ولم يبق في القوس منزعا .

---

(١) انتقل الى دار البقاء سنة ١٣٧٢ وأبقى لهفة و جوى في قلوب امّة كبيرة كانت تعرفه بفضائله وفواضله .

١٨ ـ الشيخ ميرزا نجم الدين ابن شيخنا الحجّة ميرزا محمّد الطهراني ، له كتاب (الشهاب الثاقب لرجم مكفِّر أبي طالب) .

١٩ ـ الشيخ جعفر بن الحاج محمّد النقدي «المرحوم» . له كتاب (مواهب الواهب في فضائل أبي طالب) طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٤١ في ١٥٤ صفحة ، فيه فوائد جمّة وطرائف ونوادر.

وقد نظم ذلك كثيرون من أعاظم الشيعة في قريضهم وممّا يسعنا إثباته ها هنا قول السيِّد أبي محمّد عبدالله بن حمزة الحسني الزيدي من قصيدة :

حماه أبونا أبو طالب ✿ وأسلم والناس لم تسلم
وقد كان يكتم إيمانه ✿ وأمّا الولاء فلم يكتم

وقول الشريف العلاّمة السيِّد علي خان الشيرازي [١] في الدرجات الرفيعة :

أبو طالب عمُّ النبيِّ محمّد ✿ به قام أزر الدين واشتدّ كاهله
ويكفيه فخراً في المفاخر انّه ✿ موازره دون الأنام وكافله
لئن جهلت قومٌ عظيم مقامه ✿ فما ضرَّ ضوء الصبح من هو جاهله
ولولاه ما قامت لأحمد دعوةٌ ✿ ولا انجاب ليل الغيِّ وانزاح باطله
أقرَّ بدين الله سرّاً لحكمة ✿ فقال عدوُّ الحقِّ ما هو قائله
وماذا عليه وهو في الدين هضبة ✿ إذا عصفت من ذي العناد أباطله ؟
وكيف يحلُّ الذمُّ ساحة ماجد ✿ أواخره محمودةٌ وأوائله
عليه سلام الله ما ذرَّ شارقٌ ✿ وما تليت أحسابه وفضائله

وعن قصيدة للشريف الأجلِّ سيّدنا آية الله السيّد ميرزا عبدالهادي الشيرازي [٢] :

ولي ندحةٌ في مدحة الندب والدالـ ـ ـأئمة أعدال الكتاب أولي الأمر
هو العلم الهادي أزين بمدحه ✿ شعوري ويزهو في مآثره شعري
أبو طالب حامي الحقيقة سيِّدٌ ✿ تزان به البطحاء في البرِّ والبحر
أبو طالب والخيل والليل واللوا ✿ له شهدت في ملتقى الحرب بالنصر

---

(١) أحد شعراء الغدير تأتي ترجمته انشاء الله تعالى .
(٢) احد شعراء الغدير يأتي ذكره وترجمته في شعراء القرن الرابع عشر انشاء الله .

أبو الأوصياء الغرّ عمّ محمّد ✿ تضوع به الأحساب عن طيّب النجر
لقد عرفت منه الخطوب محنّكاً ✿ تدرّع يوم الزحف بالباس والحجر
كما عرفت منه الجدوب أخا ندى ✿ دوين سداه الغمر ملتطم البحر
فذا واحد الدنيا و ثان له الحيا ✿ وقل في سناه ثالث الشمس والبدر
و أنّى يحيط الوصف غرّ خصاله ✿ وقد عجزت عن سردها صاغة الشعر
حمى المصطفى في باس ندب مدجّج ✿ تذلّ له الأبطال في موقف الكرّ
فلولاه لم تنجح لطاها دعاية ✿ و لا كان للاسلام مستوسق الأمر
و آمن بالله المهيمن و الورى ✿ لهم و ثبات من يعوق إلى نسر
و جابه أسراب الضلال مصدّقاً ✿ نبيّ الهدى إذ جاء يصدع بالأمر
كفى مفخراً شيخ الأباطح انّه ✿ أبو حيدر المندوب في شدّة الضرّ
و صلّى عليه الله ما هبّت الصبا ✿ بريّا ثنا شيخ الأباطح في الدهر

وقال العلاّمة الحجّة شيخنا الاوردبادي:(١)

بشيخ الأبطحين فشا الصّلاحُ ✿ و في أنواره زهت البطاحُ
براه الله للتوحيد عضباً ✿ يلين به من الشركِ الجماحُ
و عمّ المصطفى لولاه أضحى ✿ حمى الاسلام نهباً يستباحُ
نضا للدين منه صفيح عزم ✿ عنت لمضائه القضب الصفاحُ
و أشرع للهدى بأساً مريعاً ✿ تحطّم دونه السّمر الرماحُ
و أصحر بالحقيقة في قريض ✿ عليه الحقّ يطفح والصلاحُ
صريخة هاشم في الخطب لكن ✿ تزمّ لنيله الابل الطلاحُ
أخو الشرف الصراح أقام أمراً ✿ حداه لمثله الشرف الصراحُ
فلا عابٌ يدنّسه و لكن ✿ غرائز ما برحن به سجاحُ
فعلمٌ زانه خلقٌ كريمٌ ✿ و دينٌ فيه مشفوعٌ سماحُ
و منه الغيث إمّا عمّ جدب ✿ و فيه الغوث إن عن الصباحُ
مناقب أعيت البلغاء مدحاً ✿ و تنفد دونها الكلم الفصاحُ

---

(١) من شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر انشاءالله تعالى .

و صفو القول إنّ أبا عليّ ✡ له الدين الأصيل و لا براحُ
و لكن لابنه نصبوا عداءاً ✡ و ما عن حيدر فضلٌ يزاحُ
فنالوا من أبيه و ما المعالي ✡ لكلّ محاولٍ قصداً تباحُ
وضوء البدر أبلج لا يوارى ✡ و إن يك حوله كثر النباحُ
(وهبني قلت : إنّ الصبح ليلٌ) ✡ فهل يخفى لذي العين الصباحُ ؟
فدع بمتاهة التضليل قوماً ✡ بمرتبك الهوى لهم التياحُ
فذا شيخ الأباطح في هداه ✡ تصافقه الإمامة والنجاحُ
أبو الصيد الأكارم من لويّ ✡ مقاديم جحاجحة وضاحُ
لهم كأيهمُ إن جال سهمٌ ✡ لأهل الفضل فائزة قداحُ

وقال لعلاّمة الأوحد الشيخ محمّد تقي صادق العاملي من قصيدة يمدح بها أهل البيت عليهم السّلام :

بسيف عليّ قد أُشيدت صروحه ✡ كما بأبيه قام قدماً بناؤه
أبو طالب أصل المعالي و رمزها ✡ و مبدء عنوان الهدى و انتهاؤه
توحّد في جمع الفضائل والنُّهى ✡ و ضمّ جميع المكرمات رداؤه
و تنحطّ عنه رفعةً هامة السُّهى ✡ و يأرج في عرف الخزامى ثناؤه
حمى الخائف اللاجي ومربع أمنه ✡ و كعبة قصد المرتجي و غناؤه
تحلّق في جمع المكارم نفسه ✡ و يسمو به للنيّرين إباؤه
أصاخ إلى الدين الحنيف ملبّياً ✡ لدعوته لمّا أتاه نداؤه
و باع باعزاز الشريعة نفسه ✡ فبورك قدراً بيعه و شراؤه

و قال العلاّمة الشريف المبجّل السيّد علي النقي اللكهنوي : (١)

زهت أُمّ القرى بأبي الوصيّ ✡ غداة غدا يذود عن النبيّ
و قام بنصرة الاسلام فرداً ✡ يراغم كلّ مختال غويّ
يذبّ عن الهدى كيد الأعادي ✡ بأمضى من ذباب المشرفيّ
و أبصر رشده من دين طاها ✡ فجاهر فيه بالسرّ الخفيّ

(١) أحد شعراء الغدير يأتي في شعراء القرن الرابع عشر انشاءالله .

و آمن بالإله له الحقّ صدقاً ✿ بقلب موحّد برّ تقيّ
بنى للسؤدد العربيّ صرحاً ✿ محاطاً بالفخار الهاشميّ
تلقّى الرشد عن آباء صدقٍ ✿ توارثه صفيّاً عن صفيّ
كأنّ الامّهات لهم أبت أن ✿ تلدن سوى نبيّ أو وصيّ
فكان على الهدى كأبيه قِدما ✿ و لم يبرح على النهج السويّ
و كان به رواء الشّرع بدءاً ✿ و تمّ بنجله الزاكي عليّ

وقال العلاّمة الفاضل الشيخ محمّد السماوي(١) من قصيدة نشرت في آخر كتاب الحجّة ص ١٣٥ مطلعها :

فؤاديَ بالغادة الكاعب ✿ غدا كُرةً في يدي لاعبِ
كأنّي بدائرة من هوى ✿ فمن طالع لي و من غاربِ
بليت بمن ضربت خدرها ✿ بمنقطع النظر الصائبِ
بحيث الصفاح وحيث الرما ـ ح فمن مشرفيٍ إلى راغبي
لها منعةٌ في ذرى قومها ✿ كأنّ أباها (أبو طالبِ)
فخار الأبيّ و عمّ النبيّ ✿ و شيخ الأباطح من غالبِ
و أمنع لا يرتقي أجدل ✿ إلى ذروة منه أو غاربِ
إذا الرافع الطرف يرنو له ✿ يعود بتنحية الناصبِ
تهلّل طلعته للعيو ـ ن كماجرّد الغمد عن قاضبِ
أقام عماد العلى سامكاً ✿ بأربعة كالسنا الثاقبِ
بمثل (عليٍّ) إلى (جعفر) ✿ ومثل (عقيل) إلى (طالبِ)
أولئك لا زمعات الرجا ـ ل من قالص الذيل أو ساحبِ
و من ذا كعبد مناف يطو ـ ل على راجل ثمّ أو راكبِ
حمى الدين في سيفه فانبرى ✿ بمكّة ممتنع الجانبِ
و آمن بالله في سرّه ✿ لأمرٍ جليٍّ على الطالبِ
وصدّق (أحمد) في وحيه ✿ و قام بما كان من واجبِ

(١) احدشعراء الغدير يأتي ذكره انشاءالله . توفي رحمه الله في يوم الاحد ٢ محرم سنة ١٣٧٠

فكم بين مخف لتصديقه ✿ و آخر مبد له كاذب
لنعم ملاذ الهدى والتقى ✿ و منتجع الوافد الراغب
و معتصم الدين في مكة ✿ إذ الدين منفرد الصاحب
وما نح حوزة أهل الهدى ✿ مدى العمر من وثبة الواثب
فلولاه ما طفق (المصطفى) ✿ ينادي على المنهج اللاحب
و لم يعب الشرك مستظهراً ✿ بيوم يضيق على العائب

وللبحاثة الفاضل صاحب التآليف القيمة الشيخ جعفر بن الحاج محمد النقدي(١) من قصيدة ذكرها في كتابه (مواهب الواهب في فضائل أبي طالب) المطبوع في النجف الأشرف في ١٥٤ صفحة مطلعها :

برق ابتسامك قد أضاء الوادي ✿ وحيا خدودك فيه ري الصادي

قوله :

مهما تراكمت الخطوب فانما ✿ تجلى متى بأبي الوصي أنادي
عبد المناف الطهر عم محمد ✿ الطاهر الآباء والأجداد
غيث المكارم ليث كل ملمة ✿ غوث المنادي بدر أفق النادي
شيخ الأباطح من بصارم عزمه ✿ بلغ الأنام لخطة الإرشاد
دانت لديه المكرمات رقابها ✿ و اليه ألقى الدهر فضل قياد
جد الأئمة شيخ أمة أحمد ✿ ربع الأماني مربع الوفاد
سيف له المجد الأثيل حمائل ✿ وله الفخار غدى حلي نجاد
داعي الورى للرشد في عصر به ✿ لا يعرفون الناس نهج رشاد
و له قريش كم رأت من معجز ✿ عرفوه فيه واحد الآحاد
كرضاعه خير البرية أحمداً(٢) ✿ و قبول دعوته لسقي الوادي(٣)

---

(١) من شعراء الغدير يأتي تفصيل ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر انشاءالله. ارتحل الى رحمة ربه الودود يوم السبت ٨ محرم ١٢٨٠ بالكاظمية ونقل جثمانه إلى النجف الاشرف

(٢) أخرج حديث هذه المكرمة شيخنا ثقة الإسلام الكليني في اصول الكافي ص ٣٤٤.

(٣) راجع ما أسلفناه صفحة ٣٤٥.

و بشارة الأسد الهصور بنجله ✡ و شفائه بدعا النبيّ الهادي [١]
و كلامه بالوحي قبل صدوره ✡ وله انفجار الأرض اذ هو صادي
و بيوم مولد أحمد إخباره ✡ عن حيدر الكرّار بالميلاد [٢]
وله على الاسلام من سنن غدت ✡ للمسلمين قلائد الأجياد
كفل النبيّ المصطفى خير الورى ✡ ورعى الحقوق له بصدق و داد
ربّاه طفلاً و اقتفاه يافعاً ✡ و حماه كهلاً من أذى الاضداد
و لأجله عادى قريشاً بعد ما ✡ سلكوا سبيل الغيّ و الافساد
و رآهم متعاضدين ليقتلوا ✡ خير البريّة سيّد الأمجاد
فسطا بعزم ناله من معشر ✡ شمّ الأنوف مصالت أنجاد
وانصاع يفدي أحمداً في نفسه ✡ والجاه و الأموال و الأولاد
و أقام ينصره إلى أن أصبحت ✡ تزهو شريعته بكلّ بلاد
أفديه من صاد لواء للهدى ✡ يحمي لأفصح ناطق بالضاد
قد كان يعلم أنّه المختار من ✡ ربّ السماء عميد كلّ عماد
ولقد روى عن أنبياء جدوده ✡ فيه حديثاً واضح الاسناد
و على به عيناً على كلّ الورى ✡ إذ قال فيه بمطرب الانشاد
: (إنّ ابن آمنة النبيّ محمّداً ✡ عندي يفوق منازل الأولاد) [٣]
راعيت فيه قرابة موصولة ✡ و حفظت فيه وصيّة الأجداد
يا والد الكرّار والطيّار والا ـ أطهار أبناء النبيّ الهادي
كم معجز أبصرته من أحمد ✡ باهلت فيه معاشر الحسّاد
من لصق أحجار ومزق صحيفة ✡ و نزول أمطار و نطق جماد [٤]
لا فخر إلّا فخرك السامي الذي ✡ فقئت به أبصار أهل عناد

(١) يوجد حديثه في غير واحد من كتب الفريقين .

(٢) راجع مامر في صفحة ٣٤٨ ، ٤٠٠ .

(٣) راجع ما أسلفناه ص ٣٤٤

(٤) أشار شاعرنا (النقدى) بهذا البيت الى اربع مكرمات لرسول الله صلى الله عليه وآله شاهدها شيخ الابطح ابوطالب ،مر حديثها صفحة ٣٣٦ ، ٣٦٢ ، ٣٤٥ ، ٣٩٦ .

إنّ المكارم لورأت أجساد ها ✿ عين رأتـك الروح للأجساد
شكر الاله فعالك الغرّ التي ✿ فرحت بها أملاك سبع شداد
لله همّتك التي خضعت لهـا ✿ من خوف بأسك شامخ الأطواد
لله هيبتك التـي رجفت بهـا ✿ أعـداء مجدك عصبة الإلحاد
لله كفّـك كـم بها من معدم ✿ أحييت في الإصدار والأيراد الخ

وله قصيدة ٤٣ بيتاً يمدح بها شيخ الأباطح أبا طالب سلام الله عليه توجد في كتابه مواهب الواهب ص ١٥١ مستهلها :

بالله يا قاصد الأطلال في العَلَـم ✿ سلمت سلّم على سلمى بذى سَلَـم

ها هنا نجعجع بالقلم عن الافاضة في القول لأنّ نطاق الجزء
ضاقَ عن التبسّط فنرجىء تكملة البحث إلى أوليات
الجزء الثامن إنشاء الله تعالى
وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالـمين

تقاريض منضّدة

أتانا شعر كثير في تقريظ الكتاب من الأساتذة والشعراء نظراء العلّامة الشيخ قاسم محيي الدين ، والنطاسي المحنك ميرزا محمّد الخليلي مؤلف كتاب ـ معجم ادباء الأطباء ـ والخطيب الهاشمي السيد علي مؤلف كتاب ـ محمّد بن الحنفية ـ والفاضل الفذّ الشيخ علي السماوي، والخطيب المغفور له الشيخ محسن أبي الحب الحائري طاب ثراه ، والاستاذ الفاضل الشيخ أسد حيدر النجفي ، ونحن نشكر الجميع ونرجىء ذكر قريضهم إلى تراجمهم الآتية في شعراء القرن الرابع عشر انشاءالله تعالى ، و نقتصر الآن ـ مشفوعاً بالشكر ـ على ماجاءت به قريحة العلويّ الشاعر السيد رؤف جمال الدين ، وشاعر أهل البيت المكثر الشيخ محمّد رضا الخالصي، والاستاذ عبد الصاحب الدجيلي صاحب كتاب. شعراء العراق ـ قال السيد آل جمال الدين :

ـ ١ ـ

☆(بنت الحقيقة في كتاب الغدير)☆

بنت الحقيقة أسفرت عن وجهها　☆　ما بين أسطره و شعّ سناها

أبدت محيّاها الجميل وقبله　☆　كانت غياهبُ باطلٍ تغشاها

تلكَ الحقيقة في «الغدير» فحيّها　☆　إن كنت ذا عقل. وخذ بهداها

كانت محجّبةً يشقُّ حصولها　☆　واليوم قد برزتْ لمن يهواها

برزتْ برغم (حسودها) وضّاءةً　☆　أعظم (بمن) في جهده أبداها

كسم معولٍ للحقدِ رامَ بنائها　☆　هدماً فلم يفلح بهدم بناها

سبعون ألفاً ضيّعوا ميثاقها　☆　تبّاً لهم من جهلهم معناها

سدلوا عليها الستر من أحقادهم　☆　سفهاً . وهل تخفى ذكاء ضياها ؟

ويل التعصّب كم به حقٌّ خبت　☆　أنواره أو بدعة أحياها

لا منصفٌ يعطي الحقيقةَ مالها　☆　في ذمّة الوجدان أو يرضاها

بنت الحقيقة في علوّ مقامها ✡ جذلانة في فعل من والاها
يهوي الحقيقة منصفاً لا ينثني ✡ عن حبها أو يعشقن سواها
مثل (ابن أحمد) من غدا متجاهراً ✡ في نصرها لا يحذرن عداها
بذل النفيس لوجهها لا ينبغي ✡ أجراً فنال الفوز في إحياها

إيهاً حليف الحق كم من بدعة ✡ كانت محجبة كشفت غطاها
أظهرتها بين الملاكي يعرفوا ✡ أين الهدى ناو و أين عماها
ذاك (الغدير) وقد تضمن معجزاً ✡ يبقى مدى الأعوام لا يتناهى
فاهنأ بذكر لا يزول و في غد ✡ دار النعيم تفوز في سكناها

- ٢ -

و قال الشيخ الخالصي :

إنّ (الأمينيّ) شئا من مضى ✡ بسعيه المشكور بين الورى
آيات فضل الله قد فصّلت ✡ رتّلها في الناس من أبصرا
عيلم علم لم يزل مدّه ✡ يطفح حتى أخجل الأبحرا
لله مفضال بتأليفه ✡ حاز العلى والمجد و المفخرا
لا يبلغ المعشار من فضله ✡ مادحه ما عاش أو أكثرا
و لا يوفّي الكيل في مدحه ـ الشاعر إن عمّر ما عمّرا
لا خيّب الرحمن آماله ✡ و كلّما في القلب قد أضمرا
قد أزهق الباطل إرشاده ✡ و الحق للنظّار قد أسفرا

✡ ✡ ✡

غديره السّادس بحر طمى ✡ فيه من اللؤلؤ ما أبهرا
سفر حوى أسرار قدس بها ✡ أصبح منهاج الهدى نيّرا
من ذا الذي ممن قضى قبله ✡ كمثل ما حرّر قد حرّرا ؟
روضة آداب بأزهارها ✡ والله (عصر النور) قد عطّرا
و كلّما قلّبت أوراقه ✡ شممت من أوراقه عنبرا

كتاب تاريخ الأهل الحجى ✿ عن سير الماضين قد أخبرا
ما سرّح الطرف به كامل ✿ إلّا لعينيه به أسهرا
أسأل ربي أن يريني الذي ✿ بعدُ و يأتي بالهدى مشعرا
و ثامن الأجزاء من بعده ✿ و ما يليه بعده أن أرى
و أتحف الله بنعمائه ✿ جامعه المفضال بين الورى
دامتْ أياديه وأيّامه ✿ ما بلّت السحبُ أديم الثرى
أدامهُ الله لنا مرجعاً ✿ و للخفايا بيننا مُظهرا
لله من فذّ بأنواره ✿ أشرقَ وجه الشرق مستبشرا
أوضح للضلّال نهج الهدى ✿ و كان بالتمويه قد ستّرا
أصدر أسفاراً بإصدارها ✿ أصبح مَن قد ضلّ مستبصرا
لله من مجتهدٍ نيقد ✿ أبدع والله بما أصدرا

القصيدة

— ٣ —

وقال الأستاد الدجيلي :

ألا حُيّيت من فذّ ضليع ✿ سديد الرأي منقطع القرينِ
تغوصُ على المعاني الغرّ فرداً ✿ لتلقى الناس بالدرّ الثمينِ
تحدّثنا ـ و أنتَ بنا أمينٌ ـ ✿ لذاك دُعيت بالحبر «الأميني»
كتابك في الغدير (غدير خمّ) ✿ تضمّ به البحور من الفنونِ
و ما يوم «الغدير» سوى شعاعٍ ✿ سرى لينير في دنياً و دينِ
تمرّ به القرون و ما سواه ✿ جديرٌ بالخلود مدى القرونِ

لفت نظر

كلّ فصلٍ وكلمة وجملة توجد في المتن اوالتعليق مرموزةً بـ م في هذا الجزء و بقيّة اجزاء الكتاب فهي من ملحقات الطبعة الثانية و زياداتها ، تبدأ بـ م و تنتهي بقوس تتلوها .

فهرست مافى هذا الجزء من امهات المطالب

مكتبة الامام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة

النجف الأشرف في العراق

أُسّست بهذا الاسم المبارك مكتبة عالميّة عامّة في عاصمة العلم والدين (النجف الأشرف) فهي رمز الولاء الخالص للمولى أمير المؤمنين وعظمة تلك المدرسة الكبرى و مقياس ثقافة الأمّة و حياتها الروحيّة ، و منار رقيّها وتقدّمها ، و هي أكبر خدمة دينيّة يناط بها شرف الطائفة و إعلاء كلمتها ، وبها يتحفظ على تراثنا العلمي ، و نفائس آثار السلف الصالح و مآثرهم .

فعلى كل دينيّ غيور أسلم وجهه إلى الله وهو محسن أن يساهم في توطيد هذا المشروع المقدّس بكلّ ماتملكه ذات يده من زبرج المال ونفيس الكتب ، و ما قيمة زخارف الدنيا تجاه مثل هذا الذخر الخالد الباقي ، والمؤسّس القويم القيّم ؟ أيّد الله مؤسّسه العَلم القدوة الحجّة شيخنا الأكبر الأميني صاحب كتاب (الغدير) الأغرّ ، وأراه النجح والفلاح في فكرته الصالحة هذه ، و للملأ الديني شكره المتواصل والدعاء له .

محمّد الآخوندي

مكتبة
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
العامة

النجف الأشرف ، العراق

أُسّست بهذا الاسم المبارك مكتبةٌ عالميّةٌ عامّةٌ في عاصمة العلم والدين (النجف الأشرف) فهي رمزُ الولاء الخالص للمولى أمير المؤمنين وعظمة تلك المدرسة الكبرى و مقياس ثقافة الأُمّة و حياتها الروحيّة ، و منار رقيّها وتقدّمها ، و هي أكبر خدمة دينيّة يناط بها شرف الطائفة و إعلاء كلمتها ، وبها يتحفظ على تراثنا العلمي ، و نفائس آثار السلف الصالح و مآثرهم .

فعلى كل دينيّ غيور أسلم وجهه إلى الله وهو محسن أن يساهم في توطيد هذا المشروع المقدّس بكلّ ماتملكه ذات يده من زبرج المال ونفيس الكتب ، و ما قيمة زخارف الدنيا تجاه مثل هذا الذخر الخالد الباقي، والمؤسّس القويم القيّم ؟ أيّد الله مؤسّسه العَلَم القدوة الحجّة شيخنا الأكبر الأميني صاحب كتاب (الغدير) الأغرّ ، وأراه النجاح والفلاح في فكرته الصالحة هذه ، و للملأ الديني شكره المتواصل والدعاء له .

محمّد الآخوندي